

الدبلوماسية

السنة السابعة والعشرون - العدد 265 - 267

مارس - مايو 2018 الثمن 10 جنيهاً

١٥ مارس يوم الدبلوماسية المصرية

قصر البستان ١٩٢٣

قصر الأميرة نعمة الله نفيف، ١٩٣٠

مبنى ماسبيرو ١٩٩٤

Shape your own insurance solution



Whether it's your family or your employees you seek to protect, choosing the right formula of insurance solutions is key to getting the result you're after.

Medmark has done the hard work for you & offers you unbiased advice on a selection of the most reputable international and local medical & life insurance brands.

What's more, our Stronger Together philosophy means we'll be with you every step of the way to ensure you get the value and service quality you need. Call us now for a professional insurance consultation and proposal comparison.

stronger together

الدبلوماسى

مجلة شهرية متنوعة تصدر منذ مارس ١٩٩٢ عن

النادى الدبلوماسى المصرى

رئيسة مجلس إدارة النادى الدبلوماسى بالانابة

سفيرة منى عمر

رئيس تحرير مجلة الدبلوماسى

سفير سعد الفراجى

المستشار القانونى

رجائى عطية

مستشار التحرير

عادل عبد الصمد

المستشار الفنى

جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى

شادى غالى

نواب رئيس التحرير

سفير عبد الفتاح عز الدين سفير هشام الزميتى سفير رضا الطافى

مساعد رئيس التحرير

سكرتير أول فاطمة صابر

سكرتير ثان مينا باسلى

توجه المراسلات إلى مجلة «الدبلوماسى»:

مبنى وزارة الخارجية المصرية - ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820

تليفاكس +202 27735457



www.diplomategypt.com



facebook.com/diplomat.magazine.egypt



diplomatmagazine92@gmail.com



الغلاف للفنان

جمال عبدالنبي

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسؤولية على المجلة،
والخراطة المنشورة توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

ترحب «الدبلوماسي» بإسهامات واقتراحات
السادة أعضاء السلك الدبلوماسي
والقنصلي بما يقدمونه من مقالات تثرى
المجلة بثقافتهم وتجاربهم الدبلوماسية

توجه المراسلات والمقالات باسم رئيس التحرير
Email: diplomatmagazine92@gmail.com

للإعلان في المجلة يرجى الاتصال برقم
0100 0722134

جميع الحقوق محفوظة

- 4 الاحتفاء بيوم الدبلوماسية المصرية بقلم السفير سعد الفرارجي
6 الحقيبة الدبلوماسية
18 كيف تطورت مهنة الدبلوماسي سفير د. علاء الحديدي

شئون عربية

- 22 فلسطين إلى أين؟ سفير د. نبيل العربي
28 طريق السلام المسدود في الشرق الأوسط سفير سيد أبوزيد عمر
32 تأثير الداخل الإسرائيلي على القضية الفلسطينية لواء محمد إبراهيم
36 الشرق الأوسط ساحة الحرب الباردة الجديدة د. أحمد سيد أحمد
38 إعادة تموضع واشنطن في الشرق الأوسط محمد صابرين
40 توازنات سياسية في الانتخابات اللبنانية ماهر مقلد
44 احتراب على كعكة إعادة إعمار سوريا د. محمد حسين أبو الحسن
48 الدور التركي بعد التدخل في عفرين منى سليمان
54 تركيا العثمانية واكراد سوريا محسن عوض الله
58 دلالات المرونة البولندية في مواجهة إسرائيل د. نورهان الشيخ
62 اختبار الديمقراطية في تونس منى الدالي
66 وثيقة برلمانية عربية ضد الإرهاب

افريقيا

- 68 تل أبيب وتطويق الأمن القومي العربي هادية الشربيني
72 تطورات الأوضاع في أثيوبيا سفير د. صلاح حليلة
74 علاقات أثيوبيا مع أوروبا ومصر عبر التاريخ .. سفير د. عادل السالوسي
82 تأملات في تطورات جنوب افريقيا سفير د. محمد بدر الدين زايد
86 المنتدى الأفريقي للعلوم والتكنولوجيا والابتكار

آسيا

- 88 دبلوماسية الألبانيا في شبه الجزيرة الكورية سفير رضا الطايقي
94 تصريحات ترامب تثير الأزمات في شرق آسيا سوزي الجنيدي
98 الصفقة النووية الإيرانية.. إلى أين؟ سفير د. عزت سعد
104 انتفاضة إيرانية متعددة الأبعاد سفير رجا حسن
110 الصين ضمن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي د. أحمد خميس
112 شنغهاي مركز مالى عالمي سفير خالد يوسف

منظمات دولية

- 116 الفرانكوفونية... مشروع للمستقبل سفير ستيفان روماتيه
118 الفرانكوفونية في مواجهة الهيمنة الأمريكية د. هشام مراد

اقتصاد

- 122 غاز شرق المتوسط بين التعاون والصراع أمل عبداللطيف
128 مصر مركز لتوزيع الطاقة سفير جمال الدين البيومي
132 حروب الغاز وآثارها المدمرة سفير أسامة توفيق بدر
134 النمو الاقتصادي وجذب الاستثمارات إلى مصر

المعلوماتية

- 136 الاستخدام السياسي للشبكات سفير د. عزمى خليفة
140 التحول الرقمي ودعم الإبداع عند الشباب د. عادل عبدالصديق

دراسات

- 142 الاستقرار السياسي وتطوير الإدارة الحكومية العربية ... د. إسراء إسماعيل
146 الفاعلية السياسية عبر المجال الافتراضي سارة يحيى

قراءات

- 150 جولة في معرض القاهرة الدولي للكتاب سفيرة د. عبير بسيوني
152 ثورة المصريين د. عثمان محمد عثمان
154 مستقبل النفط والغاز في العراق إيلين شول
156 تركيا في الخط الأمامي للصراع في قلب الشرق الأوسط إيزجى باساراد
158 صربيا في عيون مصرية عرض سفير عبد الفتاح عز الدين
159 رواية السند المزيف عرض سفير عبد الفتاح عز الدين
160 مذكرات المتمصر المخلص نوبار عرض أحمد سعيد المصرى
162 تطور اليسار في أمريكا اللاتينية..... عرض عادل عبدالصمد
164 من الذاكرة الدبلوماسية للسفير السيد شلبى عرض عادل عبدالصمد

المرأة المصرية

- 166 المرأة ومكانتها في مصر القديمة أ. د. ممدوح الدماطى
172 إتاحة الفرصة كاملة للمرأة المصرية د. مايا مرسى
176 المرأة المصرية والقضاء د. نيفين مسعد

بنات النيل إعداد نادية الرئيس

- 178 رابطة زوجات الدبلوماسيين.....
180 النرويج في لوحات السفيرة د. ماهى عبد اللطيف
181 اليابان في عدسة د. ميساء حمادة

تاريخنا العظيم

- 182 لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية أ. د. محمد إبراهيم على
188 أعيادنا الفرعونية د. عايدة نصيف
192 مظاهر حضارتنا المصرية القديمة سفير محمد عهدى خيرت
197 ملك عظيم في بهو المتحف الكبير سكرتير أول فاطمة صابر
198 نشأة وتطور الحضارة المصرية القديمة..... د. حازم عطية الله
204 الدير الأحمر بسوهاج د. ميرى ميساك كوبليان
208 عيد الغطاس... عماد السيد المسيح د. عدلى أنيس
210 لقاء القديس الأسيزى والملك الأيوبي سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى
212 الزعيم عرابى المفترى عليه..... عبدالناصر صبرى

ثقافة وفنون

- 216 جولة في ساحتنا الثقافية الثرية سفير هشام الزميتى
221 وعدت إلي كاشكايش سفير د. هادى التونسى
222 زمن المسرح الجميل سفير د. محمد حسونة
224 الكتابة بهوية عربية أ. د. يوسف نوفل
228 الغناء الوطنى وأثره في المشاعر الإنسانية أ. د. زين نصار
234 الرقص الشعبى جسر للتواصل بين الشعوب أ. د. محمد شبانة
242 عندما تكون الأفلام كيأناً جميلاً محمود قاسم
246 جمهور الطوب والحجارة شريفة محمد التابعى
250 قوة مصر الناعمة ودور الاعلام حسام نصار
254 الدين يحمل كنز قيمي بين ضفافه أيمن السميرى
256 الثقافة والشمول الثقافى..... هبة عبدالعزيز
258 الليبرالية والعلمانية بين الوهم والحقيقة وزير مفوض د. محمد عرفى
260 التاريخ يؤكد أن القدس عربية أبدية د. محمد رضا عوض
262 التماسيح لا تحب لحم الدبلوماسيين سفير أسامة توفيق بدر
263 الحب والكره في حياة الناس سفير د. فتحى مرعى
264 مصر بين الإنقاذ والإصلاح د. وليد عوف
266 القمة العالمية للحكومات في دى.....
268 السفير د. محمود مرتضى.. وداعاً سفير د. وليد عبدالناصر
270 فنون تشكيلية..... سفير فخرى عثمان

الاحتفاء بيوم الدبلوماسية المصرية

أن يكون للدبلوماسية المصرية يوم لاستذكار حدث فارق والاعتزاز بإنجاز بارز، هذه سنة محمود ومناسبة وطنية نسترجعها في كل عام، لتذكير من شغلته أحداث يومه عن تأمل مغزى واقعة مضت عليها عقود تسعة وسنوات ست.

متسارعة طالت الدبلوماسية غيرها من الوظائف والأنشطة بحيث لم تعد كما كانت عليه منذ عقود أو حتى أحاد السنين ففي الدولة الحديثة وإن ظلت وزارات الخارجية هي العنوان الرئيسي للتواصل والتحرك الدبلوماسي إلا أن أدوات وأجهزة ووسائل ومستويات الاتصال والتأثير المتاحة لأي دولة بالعالم لتحقيق مصالحها خارج حدودها باتت متعددة ليس من قبل التمدد الوظيفي فحسب وإنما من منطلق الضرورة في كثير من الأحيان بالإضافة إلى الدبلوماسية والقوة العسكرية كوسيلتين تقليديتين هناك الوسائل الاقتصادية سواء للتحفز أو العقاب واستغلال القدرة على التأثير من خلال الدعاية والإعلام الموجه أو الثقافة وأدوات القوة الناعمة أو من خلال الأعمال الاستخباراتية بل إن القول باحتكار الدول لمجال السياسة الخارجية يمكن أن يغدو مجازيا في المستقبل بعدما تنوعت القوى الفاعلة العابرة للدول والتي لا تشمل فقط الشركات والكيانات الكبرى متعددة الجنسيات يضاف إليها خلال العقدين الأخيرين المنظمات الإرهابية كمثلين بديهيين وأيضا المنظمات غير الحكومية ذات الطبيعة الدولية والاتحادات والروابط ذات الصبغة الايديولوجية والثقافية والدينية والعرقية بل وحتى اتحادات الكرة بحيث قد يتعذر مستقبلا التنبؤ بالمدى الذي يمكن أن يصل إليه تداخل تلك القوى العابرة لحدود الدول والقارات. وعلى مستوى العالم وصعيد

لكن العبرة المستمدة من الحدث على أهميته لا تقتصر عليه وحده لاسيما وأنه لم يكن سوى نقطة انطلاق لحركة دائمة لصالح مصر ومن أجل الدفاع عن قضاياها العادلة وتحقيق أهدافها القومية والمساهمة النشطة في صياغة منظومة العلاقات الدولية، بل إنه كان بداية لتراكم مستمر للخبرات الدبلوماسية التي تبلورت فصارت مدرسة بذاتها ونموذجاً يحتذى به في العمل الدبلوماسي إقليمياً ودولياً وعلى صعيد المحافل والمنظمات الإقليمية والدولية ودون افتئات على حق أعلام مصر من الدبلوماسيين في أن تستدعي الذاكرة إنجازاتهم فلعل أبلغها ما نقلوه من خبرات وعلم إلى الأجيال التالية لأن ذلك هو الضمان الحقيقي لاستمرار العطاء وإطراده.

فلم يكن يتسنى للذين خاضوا المواجهات الدبلوماسية المتعددة أن يبلوا فيها لو لم يحرص من سبقوهم على إعدادهم وتوجيههم ونقل خلاصة تجاربهم إليهم وأولى بنا أن يكون لنا في هذا اليوم من كل عام وقفة تأمل وتفكير وقفة تدعم الانطلاق بالدبلوماسية المصرية المصرية نحو عام جديد يشهد مزيدا من الكد والعمل من أجل مصالح الوطن وخدمة أهداف السياسة الخارجية التي تمثل الدبلوماسية أحد أبرز أدواتها وأذرعها الفاعلة وليس المقصود في هذا المقام بالضرورة هو مضمون السياسة الخارجية وإنما منط الحديث هو الدبلوماسية ذاتها كأداة هامة لتنفيذ تلك السياسة وتحقيق غاياتها فليس بخاف على أحد أن تطورات وتحولات



بقلم السفير
سعد الفراجي
رئيس التحرير



مبنى ماسبيرو 1994



قصر الأميرة نعمة الله توفيق 1930
(قصر التحرير)



قصر البستان 1923

من الاحتفاء به كل عام درجا للارتقاء وليس وقفا على البقاء. الدبلوماسية المصرية التي اختطت لنفسها سجلا حافلا وارتست بذاتها أسسا يحتذى بها في الوعي بمصالح مصر والمهنية في الدفاع عنها والإقدام في اقتحام معتركها مواجهة للتحديات متصدية للأزمات لن تتوانى عن الاجتهاد والتجديد مواصلة لمسيرتها الحافلة وطرق دروب التقدم والسلام.

ونحن على مشارف الاحتفال بيوم الدبلوماسية المصرية و مرور 26 عاماً على صدور الدبلوماسي رحل عنا السفير د. محمود مرتضى. لطالما قرأنا له على صفحات هذه المجلة ما سطره بقلمه من تحليلات ودراسات وآراء. تقلد الكثير من المناصب الدبلوماسية الرفيعة واینما حل ترك أطيّب الأثر، إنسان راق مثقف يتفق معك بمنطق ويختلف معك بحجة، عزاء لأسرة الدبلوماسية المصرية في رحيل أحد فرسانها الذين عملوا بإيمان وإخلاص من أجل الوطن.

دفاعاً عن مصالحها أو منظمات المجتمع المدني للترويج لأنشطتها. هذا العرض إنما يؤكد على ضرورة أن تواصل إدارة الدبلوماسية تطوير ذاتها بشكل متصل ومطرّد يتناسب مع المصالح القومية للدولة ويواكب مسيرة تقدمها ويلبى احتياجاتها السياسية والأمنية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والإنسانية ولا شك أن هذه العملية التفاعلية تلقى بالمسؤولية على عاتق الدبلوماسيين رجالاً ونساء وكذلك الإطار المؤسسى الذي يجمعهم بدءاً من اختبارات القبول للعمل بالسلك الدبلوماسي مروراً بكيفية إعدادهم ثم متابعة تطوّرهم وتدريبهم. إن ما سبق لا ينسحب فقط على الدبلوماسية المصرية ولا تختص به مجموعة من الدول ذات صفات اقتصادية معينة نامية أو متقدمة أو تنتمى إلى إقليم معين ولكنها قضية تشغل بها العديد من الأجهزة الدبلوماسية ومراكزها البحثية حرصاً منها على أداء المهمة المنوطة بها في صياغة وتنفيذ السياسة الخارجية وتحقيق المصالح الوطنية. ليس المتوقع أن تضمر أو تذوى وظيفة الدبلوماسية في الأمد المنظور ولكن يتعين وجوباً النظر إلى القيمة المفقودة والإضافة الناقصة التي قد تنجم عن التردد أو الاحجام عن تطوير هذه الوظيفة وتلك هى الاستفادة المثلى من يوم الدبلوماسية المصرية بأن نجعل

متغيراته يتسع المجال لأكثر من مجرد تعدد وحدات المجتمع الدولي وتشابك العلاقات بين الدول فقط ليشمل قضايا وموضوعات جديدة ومتشعبة. ورغم أن معظم الأجهزة الدبلوماسية في العالم لازالت تؤدى دوراً رئيسياً في مجالات أساسية مثل جمع المعلومات وتحليلها وصياغة البدائل في مجال السياسة الخارجية وتوفير الخبرات المتراكمة بالنسبة للعديد من القضايا والموضوعات ذات الطبيعة الدولية إلا أنها باتت تواجه أيضاً تحديات عديدة سواء في مجالات عملها الأساسية أو في غيرها فقد ظهرت قطاعات جديدة أو فرعية تتعلق بمجال السياسة الخارجية تطرح تساؤلات أصبحت تفرض على الدبلوماسي المعرفة الواسعة والمتعمقة فى فروع دقيقة التخصص وفى مجالات متعددة أبعادها العلمية وتوغل فى تخصصات شتى كما أصبح تدبير الموارد المالية الكافية لشد أزّر ودعم الدور الدبلوماسي عاملاً ضاغطاً خاصة وأن الدبلوماسية لا تبدو فى ظاهرها نشاطاً مدراً للدخل أو استثماراً له عائد يحسب بالأرقام أو بحساب الأرباح والخسائر. لقد تكاثرت أشكال التفاعل التى تنسب للدبلوماسية ربما من حيث الاسم دون أن تنسحب كل صفاتها على المسمى على نحو الدبلوماسية الشعبية والثقافية والعامة وليس ببعيد أيضاً الدور الذى تلعبه الشركات التجارية

حقبة الوزير



تضمنت حقبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه؛

مكافحة الإرهاب؛ مؤتمر ميونخ للأمن

شارك وزير الخارجية سامح شكرى كمحدث خلال الجلسة الخاصة بمكافحة الإرهاب في إطار مؤتمر ميونخ للأمن تحت عنوان الجهاد فيما بعد الخلافة، حيث استعرض الجهود المصرية المبذولة وهي تقف على خط المواجهة ضد الإرهاب، وحيث طرح رؤى مصر إزاء تفعيل التعاون الدولى للقضاء على هذه الظاهرة. وقد استهل شكرى الجلسة بإعراب عن رفضه لاختيار عنوان الجلسة «الجهاد فيما بعد الخلافة» مشيراً إلى أن فترة حكم تنظيم داعش الأسود أبعد ما تكون عن فكرة الجهاد السامية وما تحمله من معان إيجابية للارتقاء بالنفس، ومنوها إلى استحالة تشبيه التنظيم بعصر الخلافة الإسلامية التى أنارت طريق الحضارة أمام الإنسانية جمعاء، فلا يمكن وصف داعش إلا بالتنظيم الإرهابى. وشدد شكرى على أن ما تحقق من نصر عسكري ضد داعش لا يجب أن يمثل نهاية المطاف، بل خطوة هامة نحو القضاء على تهديد كافة التنظيمات الإرهابية التى تستقى أفكارها المنحرفة من مصدر إيديولوجى واحد، الأمر الذى يستوجب تحركا وطنيا ودوليا فعالا وحاسما لتحقيق

هذه الغاية. واستعرض وزير الخارجية الجهود الوطنية المبذولة للقضاء على الإرهاب في مصر، مشيراً إلى الملحمة البطولية التى يخوضها أبناء مصر من القوات المسلحة والشرطة لتطهير شمال سيناء من عناصر الإرهاب في إطار العملية سيناء 2018، ومنوها إلى المقاربة الشاملة التى تنتهجها الدولة المصرية من أجل القضاء على هذه الظاهرة، والتى لا تقتصر على البعد الأمنى والعسكرى فحسب، بل تمتد لتشمل كافة الجوانب الإيديولوجية والاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى. كما أكد وزير الخارجية على الحاجة الماسة لبذل جهود مضاعفة لمواجهة الإرهاب على الصعيد الدولى، خاصة فيما يتعلق بتمويل الإرهاب وتوفير الملاد الأمن للعناصر الإرهابية، مشدداً على أهمية محاسبة الدول التى توفر هذا التمويل تحت ستار العمل الخيرى، أو التى تسهل عودة وتنقل المقاتلين الأجانب دون أدنى اعتبار لدواعى الأمن فى المنطقة، وفى انتهاك صاخر لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة. كما تحدث وزير الخارجية عن أحد أهم مواطن الضعف التى تحد من قدرة المجتمع الدولى على

السودان

المصرية السودانية الإثيوبية حول سد النهضة التى عقدت في أديس أبابا في إطار تنفيذ اتفاق إعلان المبادئ الموقع بالخرطوم في 23 مارس 2015.

6- تأكيد أهمية معالجة شواغل الطرفين في إطار من الأخوة والتشاور والتنسيق البناء على كافة المستويات السياسية، وبهدف إيجاد حلول مستدامة تحقق تطلعات شعبى البلدين الشقيقين.

7- تأكيد أهمية تصحيح التناول الإعلامى والعمل على احتواء ومنع التراشق ونقل الصورة الصحيحة للعلاقات الأزيلية بين البلدين، العمل المشترك على إبرام ميثاق الشرف الإعلامى بين البلدين، ورفضهما للتناول المسبب لأى من الشعبين أو القيادتين.

8- الاتفاق على تعزيز التشاور في القضايا الإقليمية ذات الاهتمام المشترك لشرح مواقف كل طرف وتقريب وجهات النظر، بما في ذلك القضايا الإقليمية. كما تم تأكيد أهمية تعزيز التعاون الإقليمى وتنفيذ التوجيه الرئاسى بإقامة صندوق ثلاثى لتعزيز البنية التحتية والمشاريع التنموية الثلاثية في مصر والسودان وإثيوبيا.

9- الاتفاق على مواصلة تعزيز التعاون العسكرى والأمنى بين البلدين، وعقد اللجنة العسكرية، وكذلك اللجنة الأمنية في أقرب فرصة. 10- الاتفاق على دورية عقد آلية التشاور السياسى والأمنى التى تضم وزيرى الخارجية ورئيسى جهازى المخابرات وبما يعزز التنسيق في مختلف القضايا ذات الاهتمام المشترك، وحل أية شواغل قد تطرأ بين البلدين.

11- الإعداد لعقد اللجنة المشتركة برئاسة رئيسى البلدين خلال عام ٢٠١٨ في الخرطوم، حيث عقدت اللجنة الأخيرة في القاهرة عام 2016.

تضمن البيان المشترك الصادر عن الاجتماع الرباعى لوزيرى الخارجية ورئيسى جهاز المخابرات في مصر والسودان ما يلى:

1- تأكيد ثوابت العلاقات الاستراتيجية الشاملة بين البلدين بما في ذلك العمل على تحقيق وتعزيز المصالح المشتركة، ومراعاة شواغل كل منهما، واحترام الشئون الداخلية والعمل المشترك للحفاظ على الأمن القومى للبلدين، بما من شأنه رفع مستوى التعاون والتنسيق الثنائى إلى أعلى مستوى، على النحو الذى يعكس الأهمية الكبيرة التى توليها الدولتان للعلاقات بينهما ووضعها في الإطار الصحيح.

2- الاتفاق على أهمية العمل على استشراف آفاق أرحب للتعاون المستقبلى بين البلدين في مختلف المجالات، وبحث الفرص المتاحة، وتنشيط اللجان والآليات المشتركة المتعددة بين البلدين ومن بينها اللجنة القنصلية، ولجنة التجارة، والهيئة الفنية العليا المشتركة لمياه النيل، وهيئة وادى النيل للملاحة النهرية، ولجنة المنافذ الحدودية، وآلية التشاور السياسى على مستوى وزيرى الخارجية، وآلية لجان مشتركة أخرى يتم الاتفاق عليها، وتذليل أية صعوبات أو تحديات أمام تلك اللجان.

3- تأكيد عزم البلدين المضى قدماً في تعزيز التعاون في مجالات الطاقة والربط الكهربائى، والنقل البرى والجوى والبحرى، ومشروعات البنية التحتية، والاستفادة من الخبرات الاستشارية والتنفيذية المتوافرة لدى البلدين.

4- تأكيد أهمية تطوير التعاون والتنسيق المشترك بين البلدين في مجالات مياه النيل في إطار التزامهما بالاتفاقات الموقعة بينهما بما في ذلك اتفاقية 1959.

5- العمل على تنفيذ نتائج القمة الثلاثية

الأردن

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع وزير الخارجية وشئون المغتربين الأردني، أيمن الصفدي ببروكسل حيث بحثا العلاقات الثنائية وأبرز التطورات الإقليمية، خصوصاً تلك المرتبطة بدعم القضية الفلسطينية وجهود تحقيق المصالحة الوطنية الفلسطينية، فضلاً عن العمل مع الشركاء الدوليين والإقليميين لبحث سبل إحياء عملية السلام والحفاظ على المرجعيات الخاصة بها، وأكد الوزيران الأهمية التي توليها حكومتا مصر والأردن لتعزيز آفاق التعاون والإعداد الجيد للقمّة العربية المقبلة والملفات الرئيسية المطروحة أمامها.

ليبيا

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، نظيره الليبي محمد الطاهر سيالة، حيث استعرضا أبرز المستجدات على الساحة الليبية، بما في ذلك الجهود التي يقوم بها المبعوث الأممي لتقريب مواقف الأطراف الليبية المختلفة والإعداد للانتخابات. وقد أكد شكرى التزام مصر الدائم بدعم جهود الاستقرار والوفاق الوطنى في ليبيا وفقاً لتطلعات كافة أبناء الشعب الليبي. كما استفسر وزير الخارجية من نظيره الليبي عن تقييمه لتطورات الوضع الأمنى وجهود مكافحة الإرهاب في ليبيا، مؤكداً وقوف مصر وتضامنها الكامل مع الشعب الليبي الشقيق في سبيل تحقيق الاستقرار واستكمال اضطلاع مؤسسات الدولة بدورها. وفي ذات الإطار، أعرب شكرى عن قلقه من الاضطراب الأخير في الأوضاع الأمنية في بعض المدن الليبية، ومسامي بعض الأطراف الخارجية لإمداد الجماعات المتطرفة بالسلاح بما يقوض الجهود الإقليمية والأممية لحفظ الاستقرار ودفع العملية السياسية في ليبيا.

فلسطين

السلام. وأشار الأحمّد إلى جهود تنفيذ اتفاق المصالحة الوطنية، والاتصالات والجهود المبذولة على الساحة الفلسطينية من أجل تذليل العقبات في سبيل إنهاء الانقسام، مشيداً في هذا الصدد بالجهود المصرية إزاء الدفع بعملية المصالحة على ضوء اتفاق إنهاء الانقسام الذى تم توقيعه في القاهرة في أكتوبر الماضى.

وقد أكد الوزير شكرى أهمية المضي قدماً في مسار المصالحة باعتبارها خطوة مهمة لتحقيق وحدة الصف الفلسطيني، مشدداً على ضرورة تكثيف حكومة الوفاق الوطنى من إدارة قطاع غزة بكفاءة لمصلحة المواطن الفلسطيني في غزة. وأكد حرص مصر على تخفيف وطأة الأزمة الإنسانية التي يعاني منها الفلسطينيون في قطاع غزة.

بحث السيد سامح شكرى وزير الخارجية مع السيد عزام الأحمّد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح المستجدات على الساحة الفلسطينية، وتطورات ملف المصالحة الوطنية، حيث استمع الوزير إلى تقييم السيد عزام لنتائج اتصالات الجانب الفلسطينى لمواجهة التحديات الناجمة عن الموقف الأمريكى تجاه القدس، وتأثيره على دور الولايات المتحدة كراع لعملية السلام وعلى مستقبل التسوية العادلة لقضايا الوضع النهائي، حيث أكد الأحمّد محورية قضية القدس للجانب الفلسطينى التى لا تقبل المساومة، منوهاً إلى أن بيان الرئيس الفلسطينى محمود عباس أمام مجلس الأمن هدفه الدفاع عن الوضعية التاريخية والقانونية لمدينة القدس، وشرح الرؤية الفلسطينية تجاه مختلف جوانب القضية ومستقبل عملية

العراق

جدد وزير الخارجية التهنية لرئيس الوزراء العراقى على الانتصارات التى تحققت على تنظيم داعش، مؤكداً التزام مصر بوحدة العراق وسيادته على كامل أراضيه، حيث أعرب شكرى عن استعداد مصر للإسهام في استعادة أمن واستقرار العراق في مرحلة ما بعد داعش، وبشكل خاص في جهود إعادة تأهيل وإعمار المدن المحررة، مشيراً إلى زيارة المهندس إبراهيم محلب، مساعد رئيس الجمهورية، على رأس وفد كبير إلى كل من بغداد والموصل كأول مسئول أجنبى يزور الموصل بعد تحريرها. ومن جانبه

أكد رئيس وزراء العراق الاهتمام الخاص الذى توليه بغداد لتعزيز مجالات التعاون الاقتصادى مع مصر كى يشعر المواطنون من البلدين بعائد هذا التعاون على حياتهم ومستوى معيشتهم. كما تناولوا الوضع الإقليمى، لاسيما الوضع في سوريا وحرب اليمن والعلاقات مع دول الجوار من خارج الإقليم العربى، حيث اتفقت رؤى الجانبين على أهمية أن تتبنى الدبلوماسية العربية منهجاً أكثر نشاطاً وقوة يستهدف الحفاظ على مقدرات العالم العربى واستقراره وإنهاء النزاعات القائمة.

جنوب السودان

ملحوظاً لحلحلة أزمة جنوب السودان حتى الآن، فضلاً عن الآثار السلبية المتوقعة على استقرار جنوب السودان جراء توجه بعض أعضاء مجلس الأمن بفرض عقوبات على حكومة بلاده لتحميلها مسؤولية استمرار الأزمة السياسية بين الحكومة والمعارضة المسلحة.

من جانبه، نقل وزير الخارجية إلى نائب الرئيس تحيات الرئيس السيسى إلى الرئيس "سالفاكير"، معرباً عن اعتزاز السيد رئيس الجمهورية بعلاقات التعاون القائمة والرغبة في تطويرها في كافة المجالات خاصة التعليمية

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع تعبان دنج النائب الأول لرئيس جنوب السودان، حيث تناولوا التعاون الثنائى، فضلاً عن الأوضاع الداخلية في جنوب السودان. وقد استمع شكرى لتقييم النائب الأول لرئيس جنوب السودان للأوضاع السياسية والأمنية هناك، حيث أكد أن حكومة جنوب السودان تولى اهتماماً خاصاً باستكمال مسار الحوار الوطنى وتتطلع لدعم مصر الفنى والسياسى للحوار، كما استعرض نتائج اجتماعات منتدى إحياء السلام في إطار تجمع الإيجاد، والتي اعتبرها لم تحقق تقدماً

استقبل الوزير سامح شكرى المناضلة الجزائرية جميلة بوحريد، تقديراً لدورها التاريخى خلال مرحلة التحرر الوطنى في الخمسينيات من القرن الماضى، حيث أكد على العلاقات التاريخية، وما قدمته مصر من دعم لجبهة التحرير الجزائرية وكافة حركات التحرر الوطنى في المنطقة العربية والدول الأفريقية، مشيراً إلى ما تمثله المناضلة الجزائرية من رمز للتضحية من أجل الدفاع عن تراب الوطن. وقد أعربت المناضلة الجزائرية عن أن الشعب الجزائرى بشكل عام، والمرأة الجزائرية على وجه الخصوص، لا يمكن أن ينسوا الدعم الذى قدمه شعب مصر وحكومته للثورة الجزائرية.

والزراعية والصحية. كما أكد وزير الخارجية دعم مصر لجنوب السودان نحو تحقيق السلام والاستقرار من خلال مبادرة توحيد الحركة الشعبية لتحرير السودان والحوار الوطنى، منوها بدور مصر في دعم جنوب السودان إبان عضويتها غير الدائمة في مجلس الأمن عامى 2016 و2017، بالإضافة إلى عضويتها الحالية في مجلس السلم والأمن الأفريقى. كما تناولوا الأوضاع السياسية والأمنية في شرق أفريقيا ومنطقة القرن الأفريقى، حيث تبادل الجانبان التقييم وأكدوا أهمية دعم الاستقرار لمصلحة جميع شعوب المنطقة.

كوت ديفوار

أنجولا

التقى وزير الخارجية سامح شكرى نظيره الأنجولى مانويل أوجوستو، حيث بحثا سبل تعزيز العلاقات الثنائية خاصة في مجال التجارة، وحيث أعرب شكرى عن تطلعه لزيارة أنجولا في أقرب وقت لتحديد مجالات التعاون ذات الأولوية للطرفين. كما تناول اللقاء القضايا الإقليمية والأفريقية ذات الاهتمام المشترك، حيث أعرب شكرى عن امتنانه بمستوى التنسيق والتعاون بين البلدين في الأمم المتحدة والاتحاد الأفريقي والدعم الأنجولى للقضية الفلسطينية، كما قدم شكرى استعراضاً للجهود التى تقوم بها مصر للحفاظ على السلم والأمن في المنطقة، وأشار شكرى إلى ضرورة تعزيز التعاون في مجال الطاقة مع أنجولا، حيث دعا وزير الخارجية للقيام بزيارة إلى القاهرة وبرفقته وفد من رجال الأعمال الأنجوليين لبحث سبل الارتقاء بمستوى العلاقات التجارية خاصة في مجالات الطاقة والتكنولوجيا، والزراعة.

ومن جانبه، أشار الوزير الأنجولى إلى أن لواندا تقدر عالياً الدور المصرى خاصة على ضوء دعم مصر التاريخى لتحرير واستقلال أنجولا وكذا في إطار تحقيق التنمية وأهمية دعم التعاون التجارى، مشيراً إلى فرص التعاون الاقتصادي الواعدة، ومشيداً بدور رجال الأعمال المصريين في مجالات الاستثمار والتنمية بأنجولا.

الجابون

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع باكوم بوبيا وزير خارجية الجابون حيث بحثا سبل تطوير العلاقات الثنائية والقضايا الإقليمية محل الاهتمام المشترك، وحيث أشار وزير الخارجية إلى ترحيب مصر بزيادة التبادل التجارى مؤخراً، خاصة بعد زيارة الرئيس السيسى إلى ليرفيل في أغسطس 2017 وزيارة الرئيس "على بونجو" لمصر للمشاركة في منتدى الاستثمار بشرم الشيخ في شهر ديسمبر 2017. كما أكد شكرى اهتمام مصر بتطوير العلاقات المصرية الجابونية على كافة الأصعدة، وتطلع القاهرة لعقد الدورة القادمة للجنة المشتركة بناء على اتفاق الرئيسين في ليرفيل. وأكد شكرى الأهمية الخاصة التى توليها مصر للتعاون مع الجابون في مجال تجارة وصناعة الأخشاب، معرباً عن توجه مصر نحو استيراد أخشاب جابونية، وأضاف شكرى أنه جارى دراسة مشروع بناء مصنع للأخشاب بالجابون، كما أعرب عن اهتمام مصر بتوطيد التعاون مع الجابون في مجال تجارة وصناعة الأدوية، دعماً للدور الذى يقوم به المستشفى المصرى في ليرفيل، كما حث الجانب الجابونى للعمل على تسهيل الإجراءات الفنية والقانونية الخاصة بتسجيل الأدوية المصرية في الجابون، وكذا للتوقيع على مذكرة التفاهم للتعاون في المجال الصحى.

كما استعرض شكرى جهود مصر لإحياء عملية السلام والمصالحة الفلسطينية كخطوة أساسية لاستئناف المفاوضات بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، مشيراً إلى أهمية تمسك الدول الأفريقية بموقفها التقليدى والمبدئى المناصر لحقوق الشعب الفلسطينى في تقرير المصير. وأعرب وزير خارجية كوت ديفوار عن نجاح لقاء الرئيس الإيفوارى الحسن واتارا مع الرئيس السيسى في شرم الشيخ في ديسمبر ٢٠١٧، مشيراً إلى أهمية تنفيذ ما تم الاتفاق عليه من جانب الرئيسين، كما حرص على دعوة رجال الأعمال المصريين والقطاع الخاص للقدوم إلى كوت ديفوار للاستثمار فيها، موضحاً أن أبديجان اتخذت العديد من الإجراءات لتحسين مناخ الاستثمار، وأن بلاده تمثل أرضاً خصبة واعدة للاستثمارات. كما أكد أهمية تحقيق هدفين رئيسيين خلال العام الجارى، هما تنظيم زيارة لرجال الأعمال المصريين إلى كوت ديفوار، وعقد اللجنة المشتركة، والتركيز على إنجاز مشروعات محددة في إطار تحقيق المصالح المشتركة للبلدين.

جيبوتي

للبحر الأحمر في ديسمبر 2017، منوها بدور الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية في مجال بناء القدرات ونقل الخبرات الفنية لدولة جيبوتي الشقيقة. من جانبه، تناول وزير خارجية جيبوتي رؤية بلاده للوضع في منطقة القرن الأفريقى وسبل تطوير التعاون بين دول المنطقة، موجهاً الشكر لمصر على اهتمامها بدعم الاستقرار والسلام في المنطقة. كما ناقش الوزيران تطورات مفاوضات سد النهضة والأوضاع في كل من الصومال واليمن.

مالاوى

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزير خارجية مالاوى إيمانويل فابيانو، لبحث سبل دفع العلاقات الثنائية، ومناقشة أهم القضايا الإقليمية والدولية حيث أعرب لنظيره المالاوى عن تطلعه لعقد اللجنة المشتركة في أقرب وقت لبحث سبل تطوير التعاون الثنائى خاصة العلاقات التجارية على ضوء ما تتمتع به البلدان من عضوية تجمع الكوميسا. كما أعرب وزير الخارجية عن استعداد مصر لتقديم خبراتها المتعددة في مجال التعليم والتكنولوجيا عبر البرامج التدريبية التى تقدمها الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية. وتطرق شكرى إلى القضايا الإقليمية حيث استعرض جهود مصر لتحقيق الاستقرار في ليبيا عبر حث الأطراف اللبية المختلفة على تنفيذ اتفاق الصخيرات، كما تطرق إلى الوضع في الشرق الأوسط وجهود مصر لإحياء عملية السلام، مشيراً إلى أهمية التزام الدول الأفريقية بقرار الاتحاد الأفريقى بشأن دعم حقوق الشعب الفلسطينى. وقد أشار وزير خارجية مالاوى إلى أن مصر لديها العديد من الإنجازات في مجالات مختلفة والتى يمكن الاستفادة منها، بالإضافة إلى الخبرات المتنوعة والمتميزة التى يمكن تقديمها لمالاوى، معرباً عن تطلعه إلى تدريب كوادر من بلاده في المجالات المختلفة عبر الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية، كما أشار إلى أهمية تشجيع التعاون الثلاثى بين مصر واليابان ومالاوى في إطار تدعيم التعاون التجارى بينهم.

غانا

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع وزيرة خارجية غانا شيرلى بوتشى، لبحث العلاقات الثنائية والقضايا الإقليمية والتنسيق داخل الاتحاد الأفريقى، حيث أكد أهمية الاستمرار في تعزيز العلاقات الثنائية والبناء على الزيارة التي قام بها إلى غانا في شهر أبريل 2017، مشيراً إلى تطلعه لعقد الجولة الثالثة للجنة المشتركة على مستوى القمة. كما أعرب شكرى عن استعداد مصر لتقديم خبراتها في مجال بناء القدرات للكوادر عبر الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية، مؤكداً أهمية الارتقاء بمستوى التبادل التجارى.

ومن جانبها أعربت وزيرة خارجية غانا عن تطلع أكرا لزيادة الاستثمارات المصرية في غانا، لاسيما وأن الحكومة تنتهج الآن سياسة إحلال الاستثمارات محل المنح. وقد اتفق الوزيران على عقد منتدى لرجال الأعمال لتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في بلديهما. وقد استعرض وزير الخارجية جهود مصر في مكافحة الإرهاب ودعم القضية الفلسطينية، مشيراً إلى ضرورة التزام دول القارة بالموقف الأفريقى الداعم لحقوق الشعب الفلسطينى المشروعة. ومن جانبها، أشارت وزيرة خارجية غانا إلى العلاقات التاريخية التي تربط البلدين، معربة عن اهتمام غانا بتطوير وتعزيز العلاقات مع مصر في شتى المجالات. كما أبدت اهتمامها بالتعاون في مجالات تبادل المعلومات ومكافحة الإرهاب والجريمة المنظمة.

كينيا

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع أمينة محمد وزيرة خارجية كينيا حيث أعرب عن تطلع مصر لاستقبال الرئيس الكينى في أقرب فرصة، فضلاً عن عقد اللجنة المشتركة على مستوى وزيري الخارجية، مشيداً بالعلاقات التاريخية، ومؤكداً حرص مصر على تطويرها في كافة المجالات. وقد ناقش الوزيران القضايا الإقليمية كالوضع في الصومال وجنوب السودان وتطورات مفاوضات سد النهضة، حيث أكد الوزير شكرى حرص مصر على تحقيق أهداف التنمية المستدامة بدول حوض النيل مع عدم الإضرار بالمصالح المصرية. كما تناول اللقاء أهمية التنسيق بين العاصمتين تجاه موضوعات سياسات تجمع الطاقة لدول شرق أفريقيا، وآليات تمويل الاتحاد الأفريقى مع مراعاة التزامات الدول الأفريقية في إطار منظمة التجارة العالمية، بالإضافة إلى مناقشة سبل دعم التعاون بين مصر وأعضاء المؤتمر الدول لمنطقة البحيرات العظمى. كما أكد شكرى أهمية الحفاظ على الموقف الأفريقى الداعم للحقوق التاريخية المشروعة للشعب الفلسطينى.

زامبيا

الدعم، خاصة وأن الدول الأفريقية عانت من الاستعمار وتفتهم جيداً معنى الوقوع تحت الاحتلال الأجنبى. ومن جانبه، وجه وزير خارجية زامبيا الدعوة لمصر للمشاركة في معرض زامبيا الزراعى الدولى، كما أعرب عن تمنياته بنجاح الانتخابات الرئاسية المقبلة في مصر. كما اتفق الوزيران على الإعداد الجيد للجولة القادمة للجنة المشتركة المقرر عقدها في القاهرة، على أن يتم تحديد تاريخها خلال الأسابيع القادمة.

زيمبابوى

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع والتار مازمبى وزير خارجية زيمبابوى لبحث التعاون بين البلدين والقضايا الإقليمية، فضلاً عن التنسيق في إطار الاتحاد الأفريقى حيث أعرب عن تطلع مصر إلى الاستمرار في تعزيز التعاون في شتى المجالات، لاسيما في مجال التعاون الاقتصادى، والارتقاء بمعدل التبادل التجارى، بالإضافة إلى عقد اللجنة المشتركة. واستعرض وزير خارجية زيمبابوى تطورات الأوضاع السياسية الداخلية، مشيراً إلى أن بلاده مرت بظروف صعبة، وأنهم حالياً يركزون جهودهم على تلبية تطلعات الشعب الاقتصادية، حيث أعرب عن تطلعه لدعم مصر، وهو ما رحب به شكرى، مشيراً إلى أن مصر لن تألو جهداً للوقوف بجانب الشعب الزيمبابوى الشقيق، حيث عملت بقوة خلال عضويتها في مجلس الأمن لرفع العقوبات عن زيمبابوى. كما تناول اللقاء تطورات القضية الفلسطينية، حيث أكد شكرى أهمية استمرار الالتزام بالموقف الأفريقى الداعم لحقوق الشعب الفلسطينى، مستعرضاً جهود مصر في هذا الصدد.

مالى

ومن جانبه، أشاد وزير خارجية مالى بعمق العلاقات التاريخية التي تعود إلى أكثر من ٦٠ عاماً، حيث ساهمت مصر في عملية التنمية في مختلف المجالات، ومن ذلك إقامة فندق الصداقة الأكبر في باماكو الذى كان هبة مقدمة من الرئيس الراحل عبد الناصر، مضيفاً أن بلاده تقدر عالياً دور وثقل مصر على المستويين الإقليمى والدولى. وأوضح وزير خارجية مالى أن العلاقات شهدت منحى أكثر أهمية وعمقاً خلال السنوات الأخيرة، وتم تنفيذ عدة برامج كبيرة عندما كان يشغل منصب وزير الدفاع، وذلك قبل توليه منصبه الحالى كوزير للخارجية. كما أوضح وزير خارجية مالى، أن هناك تعاوناً متعدد الجوانب بين مصر ومالى في مجالات متنوعة، خاصة في المجال الاقتصادى، معرباً عن امتنانه لما تقوم به الحكومة المصرية دائماً في بناء قدرات الكوادر المالية في مجالات التدريب المختلفة. وأضاف وزير خارجية مالى، أن البلدين عازمتان على الاستمرار في اجتثاث الإرهاب، معرباً عن سعادة بلاده بوصول الرئيس السيسى إلى الحكم حيث مكن مصر من استعادة استقرارها وتقوية قبضتها في مواجهته الإرهاب، كما أشار إلى أن بلاده تضع آملاً كبيرة في قوة مجموعة "الخمس للساحل" في مواجهة الإرهاب

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع وزير خارجية مالى تيمان كوليبالى، لبحث العلاقات الثنائية والتنسيق في إطار الاتحاد الأفريقى. وأكد شكرى دعم مصر لتحقيق السلام والاستقرار في مالى من خلال اتفاق السلام الموقع بين الحكومة المالية والفصائل في شمال البلاد، مشيداً بالجهود التي تقوم بها باماكو في هذا الشأن، ومؤكداً حرص مصر للحفاظ على وحدة الأراضي المالية ومكافحة الإرهاب في المنطقة، وذلك من خلال عضوية مصر في مجلس السلم والأمن بالاتحاد الأفريقى. كما أعرب عن تطلعه لعقد الجولة المقبلة للجنة المشتركة في أقرب وقت، كما أشار إلى أن مصر تحرص على تعزيز التعاون الفنى مع مالى في كافة المجالات وعلى رأسها بناء قدرات الكوادر المالية من خلال الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية التابعة لوزارة الخارجية، وبما يتوافق مع أولويات التنمية للجانب المالى، فضلاً عن أهمية زيادة التبادل التجارى.

وأشار شكرى إلى استعداد مصر للتعاون مع مالى في مجال مكافحة الإرهاب في إطار تجمع الساحل والصحراء، مشيراً إلى دعم مصر لمبادرة مجموعة "الخمس للساحل" في منطقة الساحل لمكافحة الإرهاب، كما أكد إدانة مصر للهجمات الإرهابية على قوات حفظ السلام الأممية في مالى.

الاستقرار والتنمية في أفريقيا

شارك وزير الخارجية سامح شكري في غذاء عمل حول "الاستقرار والتنمية في أفريقيا" وشارك في الحوار كل من رئيس البنك الدولي ورئيس رواندا ووزير خارجية السودان. وقد جرت مناقشة قضايا الأمن والاستقرار في أفريقيا وانعكاسها على جهود التنمية في القارة، حيث أوضح المشاركون تراجع معدل نشوب الحروب والنزاعات سواء الداخلية أو الإقليمية بين دول القارة، مشيرين إلى جهود الاتحاد الأفريقي والتجمعات الإقليمية بالقارة من خلال "مبادرة إسكات البنادق"، ووضع حلول للأزمات السياسية التي يشهدها عدد من دول القارة الأفريقية. وتناول الحوار دور

القيادات التاريخية والرشيطة على مستوى القارة من خلال الوساطة في عدد من الأزمات وطرح مبادرات داخلية تساهم في حل النزاعات والتأكيد على الحلول الوسط وتجنب مفهوم أن الفائز يحصل على كل شيء. كما أكد الحضور على أن أفريقيا أصبحت اليوم أكثر سلماً واستقراراً من ذي قبل، وأن تلك الحالة تستلزم المزيد من الإنفاق على التعليم وخلق فرص عمل من أجل النهوض بمستويات الدخل والمعيشة لأبناء القارة خاصة في ظل وفرة الموارد لدى الدول الأفريقية، بالإضافة إلى أهمية تقديم الدعم الكافي من شركاء التنمية.

إكوادور

التقى وزير الخارجية سامح مع وزيرة الخارجية والهجرة الإكوادورية ماريا جارسيا، حيث استهل اللقاء بالإشادة بالمستوى الراهن للعلاقات بين مصر والإكوادور، ووجه التهئة لحكومة وشعب الإكوادور بمناسبة نجاح الاستفتاء الشعبي لإدخال تعديلات على القوانين المنظمة للحياة السياسية في الإكوادور، كما أعرب عن ترحيب مصر بتخصيص الجانب الإكوادوري أحد أكبر ميادين العاصمة كيتو لإنشاء "ميدان مصر" وتدشين نموذج لتمثال "رئيس الثاني" به، بما يعكس مدى عمق علاقة الصداقة الوطيدة بين البلدين.

وتناول الوزيران التعاون والتنسيق في إطار المنظمات والمحافل الدولية، حيث أشاد شكري بأداء الإكوادور خلال توليها لرئاسة مجموعة الـ 77 في عام 2017 والعمل على تحقيق مصالح المجموعة، مؤكداً على تطلع مصر لاستكمال الجهد الإكوادوري في القضايا محل اهتمام دول المجموعة مثل متابعة تنفيذ أجندة التنمية المستدامة، والأمن الغذائي، والتعليم، وتشغيل الشباب، باعتبار مصر رئيس مجموعة الـ 77 لعام 2018. كما أكد شكري على أهمية استثمار الإمكانات الكبيرة المتوافرة لدى البلدين من أجل دفع التعاون والتنسيق المشترك في إطار التعاون جنوب/ جنوب، وحركة عدم الانحياز، ومنتدى الدول العربية ودول أمريكا الجنوبية، ومنتدى أفريقيا أمريكا الجنوبية.

ومن جانبها، أشادت وزيرة خارجية الإكوادور بالعلاقات التاريخية القوية التي تجمع بين البلدين، والتعاون والتنسيق الدائم في المحافل الدولية التي تجمع الدولتين، لاسيما حركة عدم الانحياز ومجموعة الـ 77 والصين، متمنية رئاسة ناجحة لمصر للمجموعة بعد انتهاء رئاسة الإكوادور العام الماضي. كما أعربت عن تطلع بلدها لتعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري بما يعود بالنفع والمصلحة على الشعبين.

الساحل الأفريقي

لعمليات حفظ السلام. وقد أكد وفد مصر الدعم الكامل لدول الساحل الأفريقي لتمكينها من مجابهة خطر الإرهاب والجريمة المنظمة العابرة للحدود، وعبر عن دعم مصر لجهود التوصل إلى تسوية سياسية للأزمة في ليبيا ومساهمتها الفاعلة في جهود بناء جيش ليبي موحد، فضلاً عن الانخراط الفعلي في بناء القدرات الأمنية والدفاعية لدول الساحل الأفريقي من خلال الدورات التدريبية التي توفرها وزارة الدفاع واستعدادها لزيادة مساهماتها ببعثة الأمم المتحدة في مالي، إضافة لمحاربة الفكر المتطرف ونشر قيم الإسلام المعتدل عبر برامج وأنشطة مركز القاهرة الدولي لتسوية النزاعات.

روسيا

عقد وزير الخارجية سامح شكري ونظيره الروسي سيرجي لافروف مباحثات ثنائية ركزت على سبل تعزيز أوجه التعاون، والتشاور حول عدد من القضايا الإقليمية واهتمام مصر بالاستمرار في تطوير العلاقات الثنائية مع روسيا، والبناء على ما شهده عام 2017 من تطورات إيجابية على مسار العلاقات بين القاهرة وموسكو ومنها اجتماع صيغة 2+2 بالقاهرة في مايو 2017، ثم زيارة وزير الخارجية إلى موسكو في أغسطس 2017، وأخيراً زيارة الرئيس الروسي إلى القاهرة في ديسمبر 2017. وتناولت المباحثات تطورات القضية الفلسطينية وسبل تنسيق الجهود الدولية من أجل تشجيع الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي على استئناف المفاوضات، ونتائج الاتصالات التي تجريها مصر مع الأطراف الدولية والإقليمية الفاعلة حيث أعرب لافروف عن تقدير بلاده لدور مصر في متابعة تطبيق اتفاق المصالحة الفلسطينية. وتطرق للأزمة السورية، حيث استعرض وزير خارجية روسيا تقييم بلاده للموقف الحالي من المحادثات السورية - السورية ونتائج مؤتمر سوتشي، استكمالاً لما تم تناوله في الاتصال الهاتفي بين الوزيرين قبل يومين.

شاركت مصر بوفد رفيع المستوى برئاسة السفير حمدي سند لوزا نائب وزير الخارجية للشئون الأفريقية يضم ممثلين عن وزارتي الخارجية والدفاع في المؤتمر الدولي للمانحين الدوليين للساحل الأفريقي الذي عقد في بروكسل يوم 23 فبراير 2018، حيث حضر الاجتماع رؤساء دول وحكومات الاتحاد الأوروبي وكل من مالي وتشاد والنيجر وموريتانيا وبوركينا فاسو. وافتتح أعماله رئيس المفوضية الأوروبية والمثلة العليا للشئون الخارجية والسياسية الأمنية للاتحاد الأوروبي و"موسى فكى" رئيس مفوضية الاتحاد الأفريقي ووكيل سكرتير عام الأمم المتحدة

فنزويلا

التقى وزير الخارجية سامح شكري مع وزير خارجية فنزويلا جورج أريازي حيث أعرب عن تطلع مصر إلى تجاوز فنزويلا الأزمة السياسية والاقتصادية التي تمر بها، بما يساهم في تحقيق الاستقرار ويراعي مصالح الشعب الفنزويلي، مشيراً إلى ترحيب مصر باستمرار التنسيق لتحديد موعد عقد المشاورات السياسية بين الجانبين واستعراض جهود مصر في الأمم المتحدة، على ضوء رئاسة مصر لمجموعة الـ 77 لعام 2018، مشيراً إلى أن مصر تولي أهمية كبيرة لتحقيق أهداف أجندة التنمية المستدامة. كما تناول اللقاء جهود مصر في مكافحة الإرهاب، حيث استعرض شكري آخر تطورات العملية العسكرية الشاملة الجارية حالياً في سيناء، كما أطلع وزير الخارجية نظيره الفنزويلي على أهم ملامح برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي تنفذه الحكومة المصرية. ومن جانبه، استعرض وزير خارجية فنزويلا تطورات الأوضاع السياسية والاقتصادية في بلاده، بما في ذلك الاستعدادات الخاصة بالانتخابات الرئاسية في أبريل المقبل. كما أعرب الوزير الفنزويلي عن تطلع بلاده للتعاون مع مصر في مجالات الطيران المدني والدواء والزراعة، وهو ما عقب عليه الوزير شكري بأن مصر تتمنى كل الاستقرار والرخاء لشعب فنزويلا الصديق، وتلتزم دائماً باحترام مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول.

أرمينيا

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزير الخارجية الأرميني إدوارد نالبانديان حيث أكد الوزير شكرى متانة الصداقة المصرية الأرمينية، حيث لعبت الجالية الأرمينية في مصر دوراً مهماً في تطور مصر السياسى والاقتصادى والثقافى على مدار القرنين الماضيين، وهو ما يجب البناء عليه للانتقال بالعلاقات الثنائية إلى مستوى أعلى من التعاون والتنسيق في مختلف المجالات. وأعرب عن تطلع مصر إلى دعم أرمينيا للمساعدى المصرية لتوقيع اتفاقية تجارة حرة مع الاتحاد الأوراسى والإسراع في المفاوضات الجارية. وقد أكد الوزيران اهتمامهما بتفعيل نتائج اللجنة المشتركة التى انعقدت في سبتمبر 2017 في "يريفان" بشكل يعكس على مجمل العلاقات الاقتصادية والتجارية، بالإضافة إلى اتخاذ خطوات لتشجيع القطاع الخاص في مصر وأرمينيا على تطوير تلك العلاقات. كما تشاور الوزيران حول عدد من الفعاليات الدولية خلال المرحلة القادمة، وأكدوا حرصهما على الحفاظ على درجة التنسيق العالية في المحافل الدولية والأطر متعددة الأطراف.

أذربيجان

وقد أشاد وزير الاقتصاد الأذربى بالتطور الذى تشهده مصر معرباً عن رغبته في تنشيط التعاون وزيادة الاستثمارات الأذربية، لاسيما في مجال المشروعات القومية الكبرى والغاز ومحور تنمية قناة السويس. وأشاد الوزير الأذربى بالتقارب السياسى، والقواسم الثقافية المشتركة، مشيراً إلى أن توجيهات الرئيس الأذربى تقضى بتكثيف الحضور الأذربى في المؤتمرات الاقتصادية والاستثمارية المنعقدة في مصر وتعزيز مجالات التعاون بما يعود بالنفع على الشعبين الصديقين. وقد استعرض وزير الاقتصاد الأذربى المشروعات الاقتصادية الكبرى التى تضطلع بها حكومته، لاسيما في مجالات البنية الأساسية وتصدير الغاز والسكك الحديدية والنفط.

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، وزير اقتصاد أذربيجان السيد شاهين مصطفىيف الذى زار القاهرة لرئاسة الجانب الأذربى في اجتماعات اللجنة المشتركة بين الدولتين، حيث أعرب عن تقدير القاهرة لمواقف أذربيجان الداعمة لمصر في ظل الظروف الدقيقة التى تمر بها، واعتزاز مصر بالعلاقات الطيبة والاهتمام بتطويرها تعبيراً عن الصداقة التى تجمع الشعبين. كما أشاد بالتعاون القائم بين مصر والتطلع إلى أن تسفر اللجنة عن نتائج مثمرة للمشاركة في المشروعات القومية التى تنفذها الحكومة المصرية حالياً، وما تتيحه من فرص استثمارية واعدة في ضوء خطط تطوير البنية التحتية وتطوير القطاعات الاقتصادية المختلفة لاسيما في مجال البترول والغاز والاكتشافات الجديدة.

اليونان

بالجهود المصرية في التصدى لهذه الظاهرة البغيضة على كافة الأصعدة. ومن جانبه، استمع الوزير شكرى إلى تقييم وزير الدفاع اليونانى للتهديدات المتزايدة في منطقة شرق البحر المتوسط، وناقش الجانبان سبل التعامل مع تلك التهديدات على كافة الأصعدة. كما بحث الوزيران جهود مكافحة الهجرة غير الشرعية، والتى تمثل شاغلا مهما لليونان وللشركاء الأوروبيين بوجه عام، حيث استعرض وزير الخارجية التجربة المصرية الرائدة في محاصرة هذه الظاهرة، والتعامل معها من منظور شامل يستوعب مختلف الأبعاد الاقتصادية والتنموية والإنسانية. هذا، وقد تطرقت المباحثات إلى تطورات الأزميتين السورية والليبية، والوضع في لبنان وتداعياته الإقليمية، فضلاً عن القضية الفلسطينية وما تمر به من تحديات متزايدة نتيجة غياب الأفق السياسى للحل الشامل والعال.

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزير الدفاع اليونانى بانوس كامينوس حيث عبرا عن تقديرهما للمستوى المتميز للعلاقات بين مصر واليونان، وتطلعهما لأن يشهد عام 2018 تطورات تعكس البعد الإستراتيجى الذى وصلت إليه تلك العلاقات، لاسيما في مجال التعاون العسكرى والأمنى حيث تتزايد التحديات المشتركة التى تواجه الدولتين. كما أشاد الوزيران بألية التعاون الثلاثى بين مصر واليونان وقبرص وما تمثله من إطار متميز أسهم في تعزيز مجالات التعاون بين البلدان الثلاثة. وتناولت المباحثات خطط مكافحة الإرهاب في المنطقة مع تزايد عمليات انتقال العناصر الإرهابية من مناطق الصراع في سوريا والعراق إلى منطقة البحر المتوسط وشمال أفريقيا. وقد استعرض شكرى الدور المهم الذى تضطلع به مصر في مجال مكافحة الإرهاب، حيث اهتم الوزير اليونانى بالتعرف على تطورات عملية سيناء 2018، مشيداً

الصين

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع "يانج فو" رئيسة لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان الصينى حيث تناول اللقاء التعاون الثنائى والقضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك، وحيث أشاد شكرى بتطور العلاقات الثنائية والارتقاء بها إلى مستوى الشراكة الإستراتيجية الشاملة، مرحباً بتبادل الزيارات رفيعة المستوى خاصة زيارة السيد رئيس الجمهورية إلى الصين 4 مرات في مناسبات مختلفة، مشيراً إلى تطلعه لزيارة الصين خلال الفترة القادمة. وأعرب عن تميمين مصر للمشاركة الصينية المهمة في المشروعات القومية خاصة العاصمة الإدارية، منوهاً بتعدد مجالات التعاون سواء في المجال الاقتصادى أو المجالات الأخرى مثل مكافحة الإرهاب. كما بحث اللقاء عدداً من القضايا المهمة، مثل جهود مكافحة الإرهاب، والتعاون الأمنى، وسبل إحياء عملية السلام في الشرق الأوسط، فضلاً عن الأوضاع في ليبيا واليمن وسوريا وجنوب السودان.

بيلاروسيا

عقد وزير الخارجية سامح شكرى لقاءً مع نظيره البيلاروسى فلاديمير ماكبى حيث أعرب وزير خارجية بيلاروسيا عن امتنانه البالغ للتطور الذى تشهده العلاقات، والنتائج الإيجابية التى تمخضت عن زيارة الوزير شكرى إلى بيلاروسيا في أغسطس الماضى. وقدم ماكبى الدعوة من رئيس بيلاروسيا للسيد الرئيس السيسى لزيارة "مينسك" العام الحالى. وفيما يتعلق بجهود مكافحة الإرهاب، أعرب وزير خارجية بيلاروسيا عن تمنيات بلاده بنجاح العملية العسكرية الشاملة سيناء ٢٠١٨، مؤكداً ثقته في قدرة مصر على اجتثاث جذور الإرهاب من أراضيها. وتناول اللقاء جهود دفع العلاقات الثنائية قدماً في شتى المجالات، حيث يحرص الجانبان على توسيع أطر التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية، وكذلك في قطاع السياحة، باعتبار مصر ثاني أكبر وجهة مفضلة لدى السائح البيلاروسى، حيث زاد عدد السائحين البيلاروس الوافدين إلى مصر عام 2017. واتفق الوزيران على أهمية أن يشهد عام 2018 استمراراً للجهود التى يبذلها المسئولون لتطوير العلاقات الثنائية. وأكد الوزيران أهمية متابعة التنسيق بين الخارجية المصرية وسفارة بيلاروسيا بالقاهرة لالانتهاء من مشروع مذكرة تفاهم لتأسيس آلية تشاور سياسى بين وزارتي الخارجية، وكذلك الإعداد لمذكرة تفاهم للتعاون في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. وتطرقا إلى رؤية مصر للأوضاع الإقليمية في سوريا وليبيا واليمن والعراق، فضلاً عن جهود مصر لإحياء مسار المفاوضات بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى.

مالطا

الشرعية بما في ذلك عدم خروج أى سفينة من السواحل المصرية محملة بالمهاجرين منذ سبتمبر 2016، وهو ما أعرب الوزير المالطي عن تقديره فاليوم الكامل له، لاسيما وإن مالطا تتأثر بشكل مباشر بموجات الهجرة غير الشرعية عبر المتوسط. كما أكد وزير خارجية مالطا جهود مصر في مجال مكافحة الإرهاب. كما تناولت محادثات الوزيرين تطورات الوضع في ليبيا، حيث استعرض شكرى جهود مصر لتقريب وجهات النظر بين الأطراف الليبية، وجهود توحيد المؤسسة العسكرية الليبية التي ترعاها مصر، كما استمع إلى تقييم نظيره المالطي للمستجدات في ليبيا على ضوء تأثيرها المباشر بحكم قرب الجوار الجغرافي بين ليبيا ومالطا.

التقى وزير الخارجية سامح شكرى وزير خارجية مالطا كارميلو أبيلا حيث تناول الوزيران كيفية تنمية التعاون الاقتصادي، والمشاركة بقوة في المشاريع القومية الكبرى في مصر وخاصة تنمية محور قناة السويس والعاصمة الإدارية الجديدة، والتطلع لتعزيز التعاون بين سلطتي الطيران المدني في البلدين بما في ذلك تدشين خط طيران مباشر بين القاهرة وفاليتا. كما أكد أهمية زيادة حجم التبادل التجارى الذى يبلغ نحو 500 مليون يورو، وتشجيع رجال الأعمال والمستثمرين على زيادة استثماراتهم من خلال تنظيم زيارات لممثلي جمعيات رجال الأعمال والمشاركة في المعارض المصرية. كما استعرضا الجهود المصرية في مكافحة ظاهرة الهجرة غير

ألمانيا

يعكس الرؤية الثاقبة للقيادة السياسية.

وزير الداخلية الألماني:

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزير الداخلية الألماني حيث عبر الوزيران عن ترحيبهما بالتقدم الذى تشهده العلاقات الثنائية في مجال التعاون الأمنى ومكافحة الإرهاب والتطرف، والهجرة غير الشرعية. وتطلعتهما إلى المزيد من التعاون في مجالات اتفاق التعاون الأمنى الموقع في يوليو 2016، خاصة في مجال الوقاية من الفساد ومكافحته، باعتبارها أولوية للقيادة السياسية المصرية وركيزة أساسية في تحقيق التنمية المستدامة. ورداً على استفسار الوزير الألماني حول الاستعدادات للانتخابات الرئاسية القادمة، استعرض الوزير شكرى الملامح العامة للمشهد الانتخابى مؤكداً التزام الحكومة بتنظيم انتخابات حرة ونزيهة تبرز مرة أخرى على التزام مصر بمسارها الديمقراطي. كما تطرقت المحادثات إلى التعاون في مجال محاربة الهجرة غير الشرعية، ومقترحات تفعيل الاتفاق الموقع في هذا المجال. كما رحب الوزيران بانطلاق الجولة الأولى من الحوار حول الهجرة بين الجانبين في القاهرة خلال يناير 2018، حيث أعرب الوزير شكرى عن تطلع مصر لتنفيذ الجانب الألماني التزاماته فيما يتعلق بمجالات التعاون ضمن الاتفاق ولا سيما أمن الحدود. كما حث شكرى وزير الداخلية الألماني على عدم تمديد التحذير الخاص بطيران الشركات الألمانية فوق سيناء بعد 28 فبراير 2018، على ضوء استتباب الأوضاع الأمنية في جنوب سيناء ونظراً للتأثير السلبي لمثل هذا الأمر على حركة السياحة الألمانية التى شهدت طفرة في عام 2017 ووصلت إلى 1.2 مليون سائح ألمانى.

القائم بأعمال وزير المالية الألماني:

استهل شكرى لقاء بيانسان شبان، وهو أحد قيادات حزب الاتحاد المسيحي الديمقراطي الذى تنتمى إليه المستشارة أنجيلا ميركل، بتقديم الشكر على المساندة الألمانية لبرنامج الإصلاح الاقتصادى المصرى من خلال تقديم قرض لسد فجوة التمويل بالموافقة بقيمة 500 مليون

والساحل والصعراء، وخاصة في مجال مكافحة الإرهاب والهجرة غير الشرعية. ونوه الوزير شكرى بجهود مصر في مكافحة الإرهاب، وتطلعها للحصول على الدعم الألماني في مجال التدريب والمعدات اللازمة لضبط الحدود، كما قدم شرحاً حول تطورات عملية سيناء 2018 التى تضطلع بها القوات المسلحة المصرية لاقتلاع جذور الإرهاب، ومحاصرة الجماعات الإرهابية التى تعبت بأمن الشعوب ومقدراتها. كما تطرقت المباحثات إلى التهديدات الأمنية المتزايدة في منطقة شرق المتوسط حيث أعرب الوزيران عن قلقهما تجاه تصاعد حدة التوتر في المنطقة، واستحوذت قضية الهجرة غير الشرعية على جانب من المباحثات، حيث أئنت الوزيرة الألمانية على نجاح مصر في منع أى مركب تقل مهاجرين باتجاه أوروبا من مغادرة السواحل المصرية منذ سبتمبر 2016، فضلاً عن الترحيب بانطلاق الجولة الأولى من حوار الهجرة بين البلدين بالقاهرة في يناير 2018. وقد أعرب شكرى عن تطلع مصر إلى تنفيذ الجانب الألماني التزاماته فيما يتعلق بمجالات التعاون ضمن الاتفاق ولا سيما أمن الحدود. كما أعرب وزير الخارجية عن قلق مصر المتنامى تجاه الحالة الأمنية المتدهورة في منطقة الساحل الأفريقى التى تعاني من انتشار أنشطة التنظيمات الإرهابية وجماعات الجريمة المنظمة العابرة للحدود، مع تأكيد حرص مصر على تعزيز التعاون الأمنى مع دول الساحل لبناء القدرات الوطنية من خلال تقديم 1000 منحة تدريبية.

اهتمت الوزيرة الألمانية بالتعرف على موقف مصر إزاء الوضع في ليبيا، حيث استعرض الوزير شكرى تقييم مسار العملية السياسية تحت قيادة الأمم المتحدة، وعرض جهود مصر للمساعدة في توحيد المؤسسة العسكرية الليبية، والتنسيق مع تونس والجزائر بشأن الملف الليبي. وقد عبرت وزيرة الدفاع عن تقدير بلادها للدور المصرى الحيوى والقيادى في حلحلة الأزمات الإقليمية في كل من سوريا وليبيا، إلى جانب دفع العملية السلمية بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى، وهو ما

عقد وزير الخارجية جلسة مباحثات مع وزير الخارجية الألمانى زيجمار جابرييل، أعرب خلاله عن تقدير مصر للعلاقات الثنائية التى تعد إحدى أهم الشراكات في أوروبا، وتطلع مصر لأن تشهد المرحلة القادمة نقلة كبيرة عقب تشكيل الحكومة الألمانية. كما وجه الشكر للوزير "جابرييل" على جهوده للارتقاء بالعلاقات منوهاً بالتطورات الإيجابية التى شهدتها العلاقات خلال الفترة الماضية، ومنها دخول البروتوكول الإضافى لتقنين وضع المؤسسات الألمانية العاملة في مصر حيز النفاذ. وكذلك انعقاد الجولة الأولى من الحوار في مجال الهجرة بالقاهرة في يناير 2018، وتطلع مصر إلى تنفيذ الجانب الألمانى التزاماته فيما يتعلق بمجالات التعاون المتفق عليها ولا سيما أمن الحدود والتعليم والدعم الاقتصادى.

ورداً على استفسار الوزير الألمانى بشأن مسار عملية الإصلاح الاقتصادى والتنمية، استعرض شكرى عناصر برنامج الإصلاح الاقتصادى، وخطط التنمية الشاملة التى تضطلع بها الحكومة، بما في ذلك المشروعات القومية الكبرى، حيث أعرب "جابرييل" عن إعجابه بالتقدم الملحوظ والسريع الذى تشهده مصر حالياً في كافة القطاعات، مؤكداً أن نجاح مصر واستقرارها يعتبر أولوية أولى لألمانيا في الشرق الأوسط، ويحقق مصلحة مباشرة لبلادها. كما تناول تطورات الأزمة السورية والجهود الأمامية والدولية لدعم العملية السياسية في سوريا. كما تم التباحث حول جهود مكافحة الإرهاب، حيث قدم شكرى شرحاً لتفاصيل العملية العسكرية الشاملة سيناء 2018، وأهدافها والنجاحات التى تحققت في إطارها حتى الآن.

وزيرة الدفاع الألمانية: التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزيرة الدفاع الألمانية أورسولا فوندرلاين حيث رحباً بالتقدم الذى تشهده العلاقات الثنائية، ولا سيما في مجال التعاون الأمنى والعسكرى، والرغبة المشتركة في تحقيق نقلة نوعية بعد تشكيل الحكومة الألمانية الجديدة على ضوء توافر الإرادة السياسية والمصالح المتبادلة في تعزيز الأمن والاستقرار بمنطقة الشرق الأوسط

ألمانيا

دولار على مدار عامي 2017 و2018، وتطلع مصر لزيادة الاستثمارات الألمانية خاصة مع القفزة التنموية المتوقع أن تشهدها البلاد كنتيجة للمشروعات القومية الكبرى، والتي توفر مجالاً واسعاً للاستثمار الألماني. كما حث وزير الخارجية القائم بأعمال وزير المالية على بدء التفاوض لتنفيذ الشريحة الثانية من اتفاق مبادلة الديون الحالي وقيمتها 170 مليون يورو، وكذلك العمل على توقيع اتفاق جديد للمبادلة. وأعرب شكرى عن تقدير مصر لبرامج التعاون الإنمائي التي قام الجانبان في إطارها بتوقيع اتفاقيات للتعاون الفني والمالي للأعوام 2015/2016/2017، باعتبار الشق التنموي ركيزة أساسية للعلاقات المتميزة. كما رحب الوزيران بدورية انعقاد الاجتماع السنوى للجنة التعاون الاقتصادي والإنمائي، مع تأكيد حرص مصر على مواصلة التنسيق والتعاون من خلال هذا الإطار والعمل على تضمينه مجالات جديدة وذات فعالية للتعاون. وقد عقب القائم بأعمال وزير المالية بأن مصر نجحت في إثبات أنها شريك مستقر وقوى لألمانيا، وأن برلين يسعدها أن ترى هذا التطور الملحوظ في برامج التعاون الاقتصادي والتنموى.

فرنسا

عقد السيد سامح شكرى لقاءً مع وزيرة الدفاع الفرنسية فلورانس بارلى حيث عبرا خلال اللقاء عن رضائهما عن المستوى الذى وصلت إليه العلاقات بين البلدين والاتفاق المتنامية للتعاون في مختلف المجالات على ضوء نتائج الزيارة الرئاسية الأخيرة لباريس في أكتوبر 2017. وأبدت وزيرة الدفاع الفرنسية اهتماما بالتعرف على تفاصيل العملية العسكرية الشاملة "سيناء ٢٠١٨"، حيث استعرض وزير الخارجية الهدف من العملية ونطاقها، مؤكداً أن مصر عازمة على اقتلاع جذور الإرهاب من أراضيها على ضوء ما تكبدته من تضحيات خلال السنوات الماضية، وأن استقرار مصر وقدرتها على القضاء على الإرهاب يعزز استقرار المنطقة وشركائنا الأوروبيين على السواء. وتطرقت محادثات شكرى وبارلى إلى الأوضاع في ليبيا، حيث قدم الوزير عرضاً لتقييم مصر ورؤيتها لمسار العملية السياسية والجهود التي تبذلها مصر للمساعدة في توحيد المؤسسة العسكرية الليبية. كما تناولت المباحثات جهود كل من مصر وفرنسا في مجال مكافحة الإرهاب، حيث أبدى وزير الخارجية اهتمام مصر بعضوية الآلية التنسيقية التي تم إنشاؤها في بروكسل مؤخراً لإدارة التمويل والمساعدات المقدمة إلى قوة الساحل من الشركاء الدوليين.

اليونان

على مستوى الزيارات الوزارية خلال العامين الماضيين. كما تتطلع مصر للاستفادة من الخبرة السويدية في مجالات النقل والطاقة، بالإضافة إلى التعاون الثقافى والتعليمى وإحياء المقترح الخاص بإقامة جامعة سويدية في مصر. وقد عبرت فالستروم عن تقديرها لما تبذله الحكومة المصرية من جهد لتحسين الوضع الاقتصادى، مؤكدة أن مصر تعد دولة ذات أولوية للحكومة السويدية فيما يتعلق بالتجارة والاستثمار. كما استعرض الوزير التطورات الخاصة بملف سد النهضة، حيث أعربت الوزيرة السويدية عن تفهمها لأهمية مياه النيل بالنسبة لمصر، مشيرة إلى استعداد بلادها للتعاون في مجال إدارة الموارد المائية من خلال معهد ستوكهولم الدولى للمياه بما يتمتع به من خبرة في هذا المجال. استمع الوزير شكرى إلى تقييم وزير الدفاع اليونانى للتهديدات المتزايدة في منطقة شرق البحر المتوسط، وناقش الجانبان سبل التعامل مع تلك التهديدات على كافة الأصعدة. كما بحث الوزيران جهود مكافحة الهجرة غير الشرعية، حيث استعرض وزير الخارجية التجربة المصرية الرائدة في محاصرة هذه الظاهرة، والتعامل معها من منظور شامل يستوعب مختلف الأبعاد الاقتصادية والتنموية والإنسانية. هذا، وقد تطرقت المباحثات إلى تطورات الأزمة السورية والليبية، والوضع في لبنان وتداعياته الإقليمية، فضلاً عن القضية الفلسطينية وما تمر به من تحديات متزايدة نتيجة غياب الأفق السياسى للحل الشامل والعادل.

أسبانيا

مع وزير الخارجية ألفونسو مارياداستيس بحضور وزير الدولة الإسباني للدفاع، حيث أعربا عن تطلعهما لاستمرار التعاون والتنسيق على المستوى الثنائى والمستوى متعدد الأطراف. ومن جانبه، أشاد الوزير شكرى بالنتائج الإيجابية للتعاون الوثيق تجاه مجمل القضايا الإقليمية والدولية خلال فترة عضوية مصر السابقة في مجلس الأمن، وحيث اتفق الوزيران على تدشين آلية تشاور سياسى دورية على مستوى وزيرى الخارجية تجتمع كل عامين. واستعرض شكرى مؤشرات تحسن الاقتصاد المصرى مع تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادى بالتعاون مع صندوق النقد الدولى، والذي تضمن إصلاحات اقتصادية هيكلية للمرة الأولى في تاريخ مصر الحديث، مما يؤكد أن مصر على الطريق الصحيح لمعالجة الاختلالات الاقتصادية

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزير الدفاع اليونانى بانوس كامينوس حيث عبرا عن تقديرهما للمستوى المتميز للعلاقات بين مصر واليونان، وتطلعهما لأن يشهد عام 2018 تطورات تعكس البعد الإستراتيجى الذى وصلت إليه تلك العلاقات، لاسيما في مجال التعاون العسكرى والأمنى حيث تتزايد التحديات المشتركة التي تواجه الدولتين. كما أشاد الوزيران بألية التعاون الثلاثى بين مصر واليونان وقبرص وما تمثله من إطار متميز أسهم في تعزيز مجالات التعاون بين البلدان الثلاثة. وتناولت المباحثات خطط مكافحة الإرهاب في المنطقة مع تزايد عمليات انتقال العناصر الإرهابية من مناطق الصراع في سوريا والعراق إلى منطقة البحر المتوسط وشمال أفريقيا. وقد استعرض شكرى الدور المهم الذى تضطلع به مصر في مجال مكافحة الإرهاب، حيث اهتم الوزير اليونانى بالتعرف على تطورات عملية سيناء 2018، مشيداً بالجهود المصرية في التصدى لهذه الظاهرة البغيضة على كافة الأصعدة. ومن جانبه التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزيرة خارجية السويد السيدة مارجوت فالستروم حيث تناولوا أهمية تدشين آلية تشاور سياسى بين وزيرى الخارجية تجتمع بصورة دورية لتحقيق مزيد من التنسيق في الموضوعات الثنائية والقضايا متعددة الأطراف. كما أثنى الوزيران على الزيارة الناجحة التى قامت بها وزيرة التجارة السويدية إلى مصر خلال الشهر الجارى، واهتمام القاهرة بهذه الزيارة باعتبارها الأولى

استقبل ملك أسبانيا فيليبي السادس، وزير الخارجية سامح شكرى في مستهل زيارته لمدريد، حيث أكد جلالته اعتزاز بلاده بال صداقة المصرية الأسبانية، معرباً عن تطلعه الشخصى لزيارة مصر باعتباره الوحيد من أفراد العائلة الملكية الذى لم يقم بعد بزيارة مصر. كما أشار إلى ولع كريمته الشخصى بالتاريخ المصرى القديم، مثنياً على الإصلاحات الاقتصادية والمالية الشجاعة التى تنفذها مصر حالياً والتي بدأت تؤتى ثمارها من خلال المؤشرات الاقتصادية الكلية، وأعرب جلالته عن إعجابه بالتطور فى التعاون القائم بين أسبانيا ومصر، مرحباً بتوسيع مجالات التعاون في ظل مواقف مصر المتوازنة التى تمثل ركيزة للأمن والاستقرار الإقليمى.

وزير الخارجية: عقد شكرى مباحثات

(تابع) أسبانيا

إلى أن تجربة الأعوام السبع الماضية أكدت حجم الوعي السياسى الذى يتسم به الشعب المصرى وقدرته على الرقابة على أداء النظام السياسى الذى يحكمه، الأمر الذى يجعل التزام الحكومة بمسار التحول الديمقراطى، وترسيخ مبدأ المواطنة، وتبنى برنامج طموح للتنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التزاماً أصيلاً لا حياد عنه. وأكد الوزير شكرى أهمية دفع التعاون البرلمانى بين البلدين، سواء فيما يتعلق بتبادل الزيارات على مستوى رؤساء المجالس التشريعية واللجان البرلمانية، أو فيما يتعلق بتبادل الخبرات المتعلقة بصياغة التشريعات والقوانين. وقد عكست المقابلة تطابق وجهات النظر إزاء أهمية تطوير التعاون فى مختلف المجالات الثنائية، خاصة ما يتعلق بالتعاون الاقتصادى والاستثمارات المشتركة، حيث استعرض وزير الخارجية مؤشرات تحسن الاقتصاد المصرى مع تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادى بالتعاون مع صندوق النقد الدولى، وكذلك المشروعات القومية الكبرى التى تتيح مجالاً كبيراً للاستثمارات الإسبانية.

أما رئيس مجلس الشيوخ الأسباني فقد أعرب عن حرص أسبانيا على استقرار مصر ونجاح تجربتها الإصلاحية، لاسيما وأن استمرار حالة عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط تضر المصالح الإسبانية. كما أعرب عن تفهمه الكامل لما تمر به مصر من ظروف دقيقة فى مواجهة الإرهاب الذى بات يهدد العالم أجمع وينال من ثمار التنمية التى تحققها الشعوب والمجتمعات، معرباً عن دعم بلاده للحرب التى تخوضها مصر ضد الإرهاب. وقد تناول اللقاء أيضاً سبل التعاون فى مجال مكافحة ظاهرة الهجرة غير الشرعية، ومكافحة الإرهاب، وتعزيز آليات الحوار والتنسيق المشترك فيما يتعلق بالقضايا والتحديات الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك.

الخبرات المتعلقة بصياغة التشريعات والقوانين. كما استعرض الوزير برنامج الإصلاح الاقتصادى وامتيازات الحكومة المصرية لتذليل كافة العقبات لإتاحة المجال للشركات الإسبانية للإسهام فى تلك المشروعات، مستعرضاً الحوافز التى تقدمها الحكومة لتشجيع القطاع الخاص الإسبانى على الاستثمار فى مصر.

من جانبها، أعربت رئيسة مجلس النواب عن تقديرها البالغ للعلاقات الخاصة التى تجمع إسبانيا بمصر على مدار التاريخ، وشكرها للدعم الذى قدمته مصر لبلادها مؤخراً. كما أكدت اتساق المصلحة الإسبانية مع المصلحة المصرية فى مكافحة الإرهاب والقضاء عليه باعتباره تهديداً لدول شمال وجنوب المتوسط، كما أعربت عن تطوع بلادها للتنسيق والتعاون مع مصر فى مجال مكافحة الهجرة غير الشرعية، مستفسرة عن تقييم مصر وتقديرها لعدد من الأزمات الإقليمية كسوريا وليبيا واليمن، حيث أثنت على المواقف المصرية المتوازنة التى تحرص على الكيانات الوطنية لمنع زعزعة الاستقرار وبالتالى عدم خلق فراغ يفسح المجال أمام الجماعات الإرهابية للسيطرة. كما استمعت إلى شرح من وزير الخارجية حول عملية سبنا 2018 لتطهير سيناء من الجماعات الإرهابية، حيث عبرت عن دعم بلادها الكامل للجهود المصرية فى محاربة الإرهاب.

وأعرب وزير الخارجية عن تطلعه لأن يدعم البرلمانيون الإسبان مواقف مصر فى البرلمان الأوروبي، وأن يشرحوا لأقرانهم من أعضاء البرلمان الأوروبى حقيقة الأوضاع فى مصر وطبيعة التحديات التى تواجه المجتمع المصرى على مسار عملية دعم الاستقرار والتنمية والتحول الديمقراطى ومكافحة الإرهاب.

رئيس مجلس الشيوخ الأسباني بيو جارسيا اسكوديرو: استعرض الوزير شكرى مع رئيس مجلس الشيوخ الأسباني التطور الذى تشهده الحياة السياسية فى مصر، مشيراً

المزمنة، الأمر الذى يستدعى دعم أصدقائها لهذه الجهود، وفى مقدمتهم إسبانيا. وتطرقت المشاركون إلى أهمية الارتقاء بمستوى العلاقات الاقتصادية والتبادل التجارى، خاصة مع ارتفاع حجم التبادل التجارى الذى وصل إلى نحو مليار دولار فى عام 2017، وكذلك الاستثمارات الإسبانية المتصاعدة فى مصر فى عدد من القطاعات وفى مقدمتها قطاع الطاقة. يضاف إلى ذلك إمكانية الاستفادة من الفرص الاستثمارية فى المشروعات المصرية الكبرى، خاصة تنمية المحور الاقتصادى لمنطقة قناة السويس والعاصمة الإدارية الجديدة، وتطوير التعاون بين هيئة قناة السويس وهيئات موانئ "فالنسيا" و"برشلونة"، وتعزيز التعاون فى المجالات السياحية والثقافية والتعاون الزراعى وتدريب الكوادر الدبلوماسية.

وقد حرص وزير خارجية إسبانيا على الاستماع إلى تقييم الوزير شكرى تجاه موضوع سد النهضة والعلاقات المصرية الأثيوبية، والأوضاع فى ليبيا، والأزمة السورية، حيث استعرض وزير الخارجية عناصر الموقف المصرى تجاه كل تلك القضايا. كما تطرقت المباحثات لسبل مواجهة ظاهرة الإرهاب، والهجرة غير الشرعية، وتهريب السلاح، باعتبار كل تلك الظواهر تمثل تهديداً مشتركاً يتعين التنسيق من أجل مجابهتها بشكل حاسم. وتطرقت المشاركون إلى التعاون العسكرى، حيث أعرب الجانبان عن امتنانهما للتطور الملحوظ الذى تشهده العلاقات العسكرية وتطلعهما للمزيد من التعاون وتبادل الخبرات فى هذا المجال.

رئيسة مجلس النواب الأسباني: تناول الوزير شكرى مع آنا باستور رئيسة مجلس النواب أهمية دفع التعاون البرلمانى من خلال تبادل الزيارات على مستوى رؤساء المجالس التشريعية واللجان البرلمانية، وكذلك تبادل

مجلس حقوق الإنسان

الأحوال الجسيمة التى ارتكبتها هذه الجماعات الشيطانية، ستواصل مصر للعام الرابع على التوالى الترويج لمبادراتها حول أثر الإرهاب على المتمتع بحقوق الإنسان الذى يتناول تداعيات الإرهاب على حق الإنسان فى الحياة والحرية والأمان، وضرورة الالتزام بالتعاون الدولى الشامل والأمين فى مكافحة هذا الوباء الخطير. وهى ذات المبادرة التى اعتمدتها الجمعية العامة للأمم المتحدة لأول مرة فى دورتها الأخيرة فى نوفمبر 2017، وتتكامل مع الدور الرائد الذى تلعبه مصر فى قضايا مكافحة الإرهاب الدولى لاسيما خلال رئاستها للجنة مكافحة الإرهاب بمجلس الأمن عامى 2016 و2017. وهو الأمر الذى يعكس دعوة الرئيس السيسى لاعتبار الحماية من الإرهاب ومقاومته بمثابة حق من حقوق الإنسان.

أكد وزير الخارجية سامح شكرى أمام مجلس حقوق الإنسان بجنيف أنه لا ينبغي أن ينسب ما تواجهه مصر بشكل خاص، ومحيطها الجغرافى بشكل عام، من تحديات غير مسبقة فى خطورتها. فبد الإرهاب الآثمة تستمر فى حصد الأرواح وتهديد الأُنفس، فلم ترحم المصلين فى مساجدهم وكنائسهم، وتواصل سعيها العاثر لإنهاك الاقتصاد والمساكن بوحدة وتماسك الأمة المصرية. وأوضح أنه أثناء كلمته تواصل قوات إنفاذ القانون المصرية الباسلة حملتها الشاملة لاقتلاع الإرهاب من شمال شرق سيناء، وذلك فى إطار إستراتيجية شاملة تلتزم بالاحترام الكامل لحقوق الإنسان فى سعيها لدحر الإرهاب أمنياً وفكرياً ومُحاصرة مصادر تمويله وتسليحه فى الداخل والخارج. وعلى ضوء ما عانته مصر من هذه الشرور، وتزامناً مع

السويد

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بوزيرة خارجية السويد السيدة مارجوت فالستروم حيث تناولا أهمية تدشين آلية تشاور سياسى بين وزيرى الخارجية تجتمع بصورة دورية لتحقيق مزيد من التنسيق في الموضوعات الثنائية والقضايا متعددة الأطراف. كما أثنى الوزيران على الزيارة الناجحة التى قامت بها وزيرة التجارة السويدية إلى مصر خلال الشهر الجارى، واهتمام القاهرة بهذه الزيارة باعتبارها الأولى على مستوى الزيارات الوزارية خلال العامين الماضيين، بالإضافة إلى التعاون الثقافى والتعليمى وإحياء المقترح الخاص بإقامة جامعة سويدية فى مصر. وقد عبرت فالستروم عن تقديرها لما تبذله الحكومة المصرية من جهد لتحسين الوضع الاقتصادى، مؤكدة أن مصر تعد دولة ذات أولوية للحكومة السويدية فيما يتعلق بالتجارة والاستثمار. كما استعرض الوزير التطورات الخاصة بملف سد النهضة، حيث أعربت الوزيرة السويدية عن تفهمها لأهمية مياه النيل بالنسبة لمصر، مشيرة إلى استعداد بلادها للتعاون في مجال إدارة الموارد المائية من خلال معهد ستوكهولم الدولى للمياه بما يتمتع به من خبرة في هذا المجال.

منظمة الصحة العالمية

التقى سامح شكرى وزير الخارجية في جنيف مع تيدروس أدهانوم مدير عام منظمة الصحة العالمية حيث تطرقا إلى سبل تعزيز التعاون بين مصر والمنظمة، خاصة في مجال تحقيق الرعاية الصحية الشاملة باعتبارها جوهر أهداف التنمية المستدامة المرتبطة بالصحة. كما أشار شكرى إلى حرص مصر على التعامل البناء مع مساعي الإصلاح المطروحة في برنامج عمل المنظمة وضرورة تطوير دورها العمليانى والتركيز على بناء قدرات الدول الأعضاء. وقد أشاد مدير عام المنظمة بالإنجاز الذى حققته مصر في مجال مكافحة انتشار "فيروس سي"، والنظام الفعال الذى وضعتة الدولة لمواجهة هذا المرض. وحرص شكرى على إبراز ما حققته مصر من نجاح واسع أسفر عن علاج أكثر من 2 مليون مريض، مشيراً إلى أن الحكومة تضع نصب أعينها تحقيق هدف خلو مصر من الفيروس بحلول عام 2022. كما تطرق شكرى إلى جهود تطوير القطاع الصحى، لاسيما تطوير نظام التأمين الصحى الشامل الجديد والذى أقره البرلمان المصرى لتوفير مظلة تأمينية لجميع المواطنين، كما أشار وزير الخارجية إلى اعتزام مصر إنشاء هيئة للرقابة على الدواء ومعبراً عن تطلع مصر الاستعانة بخبرة المنظمة في هذا المجال.

الأمم المتحدة

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع أنطونيو جوتيريش سكرتير عام الأمم المتحدة، حيث أعرب عن تطلع مصر إلى تقديم كافة أشكال الدعم للأمم المتحدة في مواجهة الاضطرابات المتصاعدة في المنطقة، منوهاً إلى أهمية الدور والرعاية الأممية لدفع مباحثات وجهود السلام، لاسيما في سوريا وليبيا. وقد أعرب سكرتير عام الأمم المتحدة في هذا الإطار عن تطلعه لدعم مصر لجهود الأمم المتحدة في سوريا من خلال توفير اتصالاتها مع جميع الأطراف لتشجيعهم على التجاوب وإبداء المرونة مع جهود المبعوث الأممي "ستيفان ديمستورا". وتناولت مباحثات شكرى وجوتيريش الأوضاع في لبنان على خلفية التوتر المتزايد في المنطقة، والتحديات الجسام التي تواجه القضية الفلسطينية، بما في ذلك الحاجة الماسة لتوفير تمويل لسد العجز في ميزانية الأثر. ورداً على استفسار السكرتير العام، استعرض شكرى تقييم مصر لموقف القضية الفلسطينية في ظل الوضع الراهن دولياً، وكيفية حشد الجهود الدولية من أجل إعادة ضخ الدماء في عملية السلام. كما تم مناقشة ملف مكافحة الإرهاب، حيث تم تبادل وجهات النظر حول سبل توحيد الجهود الدولية في مواجهة تهديد الإرهاب المتصاعد ومواجهة أفكار التطرف وسبل التحرك بعد سقوط تنظيم داعش ووهم الخلافة الإسلامية.

وأوضح شكرى أن مصر ستدفع خلال رئاستها لمجموعة 77 والصين بملف القضاء على الفقر وتنشيط نظام اقتصادى دولى عادل ومنصف يراعى مصالح وشواغل الدول النامية، فضلاً عن إيلاء الاهتمام الواجب بقضايا الشباب والتشغيل وتمكين المرأة، ومتابعة الالتزامات الدولية بتنفيذ أجندة أفريقيا لعام 2063 وتمويل تنفيذ أجندة التنمية المستدامة 2030. وتناول اللقاء مقترحات السكرتير العام بشأن خطط إصلاح منظومة العمل داخل الأمم المتحدة، حيث أكد وزير الخارجية أن مصر ستتعاون بشكل بناء مع هذه المقترحات، انطلاقاً من حرصها على الارتقاء بآليات العمل داخل المنظمة وتعزيز فعاليتها وأدائها بما يتناسب مع التحديات المتصاعدة والواقع العالمى الراهن، مشيراً إلى أهمية إيلاء الاعتبار اللازم خلال عملية الإصلاح لأولوية العمل التنموى ولبدأ الشفافية وتقوية آليات المساءلة والمحاسبة وتمكين الدول الأعضاء من متابعة وتقييم تنفيذ الأمم المتحدة للقرارات والبرامج التي تقرها الدول الأعضاء، مؤكداً على أهمية أن تعكس حزم الإصلاح المطروحة اهتمامات وأولويات القاعدة الواسعة من الدول أعضاء الأمم المتحدة من أجل تحقيق التوافق اللازم حولها.

مؤتمر نزع السلاح

أمرأ يكتسب أولوية متقدمة في إطار مؤتمر نزع السلاح، ولا بد من العمل على وضعه موضع التنفيذ بشكل قابل للتحقق وغير تمييزى. ولعل أبرز في هذا السياق إلى تنامي إدراك المجتمع الدولى للآثار الإنسانية الخطيرة للأسلحة النووية، وما أفرزته نتائج المؤتمرات التى عقدت في النرويج والمكسيك والنمسا من حقائق لا جدال فيها في هذا الخصوص. ولا شك أن الإدراك المتنامي للمخاطر الإنسانية للأسلحة النووية ساهم في توصل المجتمع الدولى إلى معاهدة لحظر الأسلحة النووية، كنتيجة للمفاوضات التى جرت في نيويورك لهذا الغرض. وإن ترحب مصر بهذه الاتفاقية، تعرب عن تطلعها إلى استمرار الجهود لإخلاء العالم من الأسلحة النووية، وتخليص كافة الشعوب من مخاطرها.

بعض الدول النووية، والقائم على أن البيئة الأمنية والأوضاع السياسية الدولية غير مواتية للمضى قدماً في الإزالة الكاملة للسلاح النووى، يُمثل في تقدير مصر منطقاً مغلوطيناً وغير مقنع. فعلى العكس من ذلك، يعد المضى قدماً نحو نزع السلاح النووى في حد ذاته عنصراً رئيسياً لخلق مناخ أمنى أقل خطراً ووضع دولى أكثر استقراراً. وسيظل العالم يعاني من المخاطر والتهديدات وانعدام الأمن طالما لم يتم البدء باتخاذ إجراءات جادة وملموسة على هذا الطريق. فضلاً عن أن نزع السلاح النووى هو في الأساس التزام قانونى لا يجب أن يرتبط الوفاء به بتقديرات أو مواءمات سياسية. لذلك تطالب مصر الدول النووية بأن تتحمل مسئولياتها دون إبطاء. وأكد شكرى أنه من نفس المنطلق يظل نزع السلاح النووى

ذكر وزير الخارجية سامح شكرى أمام مؤتمر نزع السلاح أن مصر تؤكد ضرورة تمسك جميع الدول بالتزامات معاهدة عدم الانتشار النووى نصاً وروحاً. كما تعرب عن شديد قلقها من أنه بعد انقضاء ثمانية وأربعين عاماً على دخول المعاهدة حيز النفاذ، وما نصت عليه في مادتها السادسة من التزام قانونى واضح يطالب الدول النووية بنزع أسلحتها النووية، في ظل مشهد دولى يعاني من تعاظم التحديات وتزايد المخاطر في مختلف المناطق. إن هذا التقويض لمصادقية المعاهدة لهو أمر خطير تتحمل مسئولياته الدول النووية التى تحرص على تكريس هذا الوضع التمييزي للمعاهدة، ويسلبها الأرضية المعنوية للسعى لإحكام منظومة عدم الانتشار. وأضاف: إن الطرح الذى تدفع به

منظمة السياحة العالمية

تمثله صناعة السياحة من مجال كبير للتواصل الثقافي والإنساني يتطلب توجيه كافة أوجه الدعم والتأمين لحركة السياحة العالمية. كما أكد سكرتير عام المنظمة مطلع المنظمة لتعزيز آليات للتنسيق والتعاون مع مصر باعتبارها إحدى الدول المؤسسة للمنظمة منذ إنشائها، معرباً عن تفاؤله بالتطور الذي يشهده قطاع السياحة مع استعادة السياحة لعافيتها، ورغبة المنظمة في تنفيذ برامج مشتركة لتعزيز قدرات مصر على إعادة تأهيل قطاع السياحة ووضع خطط تعاون استراتيجي مشتركة تسمح بضخ موارد وخبرات من المنظمة لدعم قطاع السياحة المصري ومساعدته على استعادة عافيته بشكل كامل

القادمة. كما أكد وزير الخارجية خلال المقابلة أهمية مراعاة النشرات الرسمية الاسترشادية التي تصدرها المنظمة لجهود الحكومة المصرية في تأمين المقاصد السياحية، أخذاً في الاعتبار استضافة مصر للاجتماع 44 للجنة الشرق الأوسط للمنظمة في مايو 2018 بمدينة شرم الشيخ. من جانبه، أكد السكرتير العام أهمية مصر على خريطة السياحة العالمية مع تعدد أوجه الجذب السياحي، ما بين السياحة الترفيهية، والتاريخية، وسياحة المؤتمرات إلخ، مما يؤكد أهمية التنسيق الدائم بين المنظمة والجهات المصرية لما يمثله قطاع السياحة من أهمية كبرى للاقتصاد، مشيداً بما تبذله الحكومة المصرية من جهود لزيادة السياحة الوافدة، مؤكداً ما

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بسكرتير عام منظمة السياحة العالمية زوراب بولوليكاشفيلي، حيث قدم له الدعوة لزيارة مصر، مشيراً إلى الاستقرار الذي تشهده مصر، ومستعرضاً جهود تأمين المنافذ وتطوير المقاصد السياحية والتي أسفرت عن زيادة السياحة الوافدة بنسبة 44% عام 2017 مقارنة بالعام السابق. وأعرب شكرى عن تطلعه للتنسيق مع سكرتارية المنظمة لعقد عدد من ورش العمل والندوات الخاصة بالسياحة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بمصر للترويج للمقاصد السياحية المختلفة، استناداً لتصريحات السكرتير العام الأخيرة حول وجود طاقة كبيرة للسياحة مختزنة بتلك المنطقة يجب استغلالها لتحقيق انتعاشة كبرى خلال المرحلة

المجلس الدولي لزيت الزيتون

التنفيذي للمنظمة عن تطلعه لزيارة مصر في مارس 2018 لبحث آفاق التعاون بين مصر والمجلس. وقد سلم وزير الخارجية إلى مدير المنظمة الدولية وثيقة انضمام مصر إلى الاتفاق الدولي لزيت الزيتون والمائدة لعام 2015، مشدداً على اعتزاز مصر بهذه الصناعة الحيوية والإسهام المصري المعترف به دولياً في هذا المجال، حيث تصدر مصر حجم الإنتاج العالمي لزيتون المائدة العالمى لعام 2017 ومعروف أن المجلس الدولي لزيت الزيتون يعد منظمة حكومية دولية للدول المصدرة أو المنتجة للزيتون أو المنتجات المشتقة من الزيتون، ويضم 17 دولة إضافة إلى الاتحاد الأوروبي، وتتخذ المنظمة من مدريد مقراً لها.

التقى وزير الخارجية سامح شكرى بالمدير التنفيذي للمجلس الدولي لزيت الزيتون السيد عبد اللطيف غديرة الذى رحب بعودة مصر إلى المجلس، حيث تم استكمال إجراءات الانضمام إلى الاتفاقية الدولية لزيت الزيتون وزيتون المائدة لعام 2015، ورئاسة مصر للمجلس عام 2019 في إطار الرئاسة الدورية له. كما ينظم المجلس احتفالية عام 2019 بمناسبة مرور 60 عاماً على إنشائه تتزامن مع الرئاسة المصرية للمجلس. وقد أكد مدير عام المنظمة أهمية تواجد مصر في المجلس على ضوء أهميتها في صناعة زيت الزيتون، والربحية البالغة لإنتاج الزيتون في منطقة البحر المتوسط، مع وجود خطط لدى مصر لزراعة 100 مليون شجرة زيتون خلال خمسة أعوام في إطار مشروع المليون فدان، بالإضافة إلى التعاون الثلاثي مع قبرص واليونان في مجال زراعة أشجار الزيتون. كما عبر المدير

المفوض السامي لشئون اللاجئين

التقى سامح شكرى وزير الخارجية في جنيف مع فليبو جراندى المفوض السامي للأمم المتحدة لشئون اللاجئين حيث أعرب شكرى عن تقديره للدور المهم الذى يضطلع به مكتب مفوضية اللاجئين في مصر، مشيداً بحجم وتاريخ التعاون الممتد بين مصر والمفوضية منذ عام 1954، ومنوهاً إلى أهمية الارتقاء بهذا التعاون من أجل التعامل مع الأعداد المتزايدة من اللاجئين وطالبي اللجوء إلى مصر والتي تفوق الملايين، رغم اقتصار أعداد المسجلين لدى المفوضية على مئات الآلاف. وأشار شكرى إلى قرار رئيس الوزراء بإنشاء لجنة وطنية من مختلف الجهات المعنية للتعامل مع ملف اللاجئين، مشدداً في هذا السياق على التزام مصر بتوفير بيئة ملائمة لاستضافة اللاجئين والمهاجرين على أراضيها ورفضها عزلهم في معسكرات إيواء. وأكد شكرى أن مصر في طليعة الدول التي تضطلع بواجبها إزاء ملف اللاجئين،

مؤسسة أنا ليند للحوار بين الثقافات

استهل وزير الخارجية سامح شكرى اجتماعه مع السيدة إليزابيث جيجو (فرنسية) رئيسة مؤسسة أنا ليند للحوار بين الثقافات بتقديم التهنئة لها على ولايتها الثانية، مؤكداً استعداد مصر الكامل لتعزيز أطر التعاون مع المؤسسة التي تهدف إلى تعميق الحوار بين الشعوب والثقافات في المنطقة المتوسطية، وترحيبه بعقد اجتماع "الشبكة الوطنية المصرية" في إطار تفعيل الشراكة بين مؤسسة أنا ليند ومنظمات المجتمع المدني في مصر.

وأكد وزير الخارجية التزام مصر بمواجهة التحديات الجسام التي تتمثل في ظواهر الإرهاب والعنف والتطرف والهجرة غير الشرعية، وتقديرها للدور المهم الذى تقوم به مؤسسة أنا ليند في مد جسور الحوار والتواصل بين الأديان والثقافات ونشر ثقافة التسامح في مواجهة دعاوى العنف والانحلال والتنميط على الأساس الدينى والعرقى.

من جانبها، أشادت رئيسة المؤسسة بالدور المصرى التنويرى على مر العصور، والذى يكتسب أهمية متزايدة في الآونة الأخيرة في مواجهة موجة الإرهاب الغاشمة التى تستهدف النيل من مكتسبات الحضارة الإنسانية، معربة عن الاعتزاز الكبير بأن تستضيف الإسكندرية مقر المنظمة لما تمثله من نموذج فريد في احتضان الثقافات المختلفة، وما حققه هذا التعايش من ثراء كبير في الحياة الثقافية لشعوب المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أنه تم إنشاء مؤسسة أنا ليند عام 2005 كمؤسسة دولية بين الحكومات الأوروبية ومنظمة تحت مظلة الاتحاد من أجل المتوسط تضم ممثلين عن 43 دولة أوروبية بهدف بناء الثقة وتحسين التفاهم المتبادل وتعزيز القيم المشتركة. وتدير المؤسسة أكبر شبكة من شبكات منظمات المجتمع المدني المعنية بتعزيز الحوار بين الثقافات في النطاق الأوروبي، والتي تضم 4 آلاف منظمة غير حكومية.

المفوض السامي لشئون اللاجئين

مركز جنيف للمياه

التقى سامح شكرى وزير الخارجية مع مدير مركز جنيف للمياه، حيث تناولت المباحثات التعاون المشترك وتطورات مفاوضات سد النهضة حيث استعرض شكرى التطورات الخاصة بسد النهضة والتحديات التى تعترض المسار التعاونى الفنى بين مصر والسودان وإثيوبيا. وأعرب شكرى عن تطلع مصر للاستفادة من الدعم الفنى الذى يقدمه المركز فى مجال التعاون بين الدول المشاركة فى أحواض الأنهار الدولية، واستعداد مصر لقيام فريق من الخبراء المصريين بالمشاركة فى ندوات المركز بشكل دورى لشرح تطورات التعاون بين دول حوض النيل ومستجدات مفاوضات سد النهضة، بالإضافة إلى الرؤية المصرية لكيفية تعزيز التعاون بين دول الحوض فى ظل التحديات التى تواجه هذه المنطقة ومنها ظاهرة تغير المناخ والزيادة السكانية المتسارعة.

السامى على الاستماع لتقييم وزير الخارجية إزاء التطورات الراهنة فى المنطقة وسبل دفع الحل السلمى للأزمات القائمة، كسبيل وحيد للحد من تدرى الأوضاع الإنسانية التى تنعكس فى استمرار تدفق الأعداد المتزايدة من اللاجئين والمهاجرين. كما تناولوا تطورات المفاوضات الجارية لصياغة العهد الدولى للاجئين، حيث ثمن وزير الخارجية الجهود التى تبذلها المفوضية فى هذا السياق، مشيراً إلى الأولوية المتقدمة التى توليها مصر لهذه المفاوضات، وإلى أهمية إعلاء مبدأ تقاسم أعباء استضافة اللاجئين بين مختلف أطراف المجتمع الدولى فى إطار من المسؤولية المشتركة، خاصة فى ظل تحمل الدول النامية لعبء استضافة أكثر من 80% من اللاجئين.

انطلاقاً من اعتبارات قانونية وحقوقية وأخلاقية. وأضاف المتحدث باسم الخارجية، أن شكرى استعرض الجهود الوطنية المبذولة للتصدى لتدفقات الهجرة غير الشرعية، ونجاح السلطات الأمنية فى ضبط الحدود بما حال دون رصد أية قوارب للهجرة غير الشرعية من السواحل المصرية إلى أوروبا منذ سبتمبر 2016، وذلك بالإضافة إلى الدور المهم الذى تضطلع به اللجنة التنسيقية لمكافحة الهجرة غير الشرعية والاتجار فى البشر من أجل معالجة هذه الظاهرة من منظور شامل يتناول كافة أبعادها التنموية والاجتماعية والسياسية. ومن جانبه، أعرب المفوض السامى للاجئين عن تقديره البالغ للجهود والخدمات التى تقدمها مصر للاجئين على أراضيها، لاسيما ما قدمته مصر للاجئين السوريين على أراضيها وما بذلته من جهود للم شمل العائلات السورية. وقد حرص المفوض

وفد الصندوق اليهودي المتحد

وقد شهد اللقاء نقاشاً مطولاً حول القضايا الإقليمية، حيث تم التطرق للأوضاع فى سوريا على ضوء التطورات على الأرض، وأكد الوزير شكرى فى هذا الإطار، على أن الموقف المصرى تجاه سوريا يتأسس على أهمية دعم تطلعات الشعب السوري وحماية وحدته الوطنية والحفاظ على مؤسساته من خلال التوصل إلى حل سياسى على أساس مرجعيات قرار مجلس الأمن 2254، يتوافق عليه كافة أطراف الأزمة. كما تناولت المحادثات تطورات القضية الفلسطينية والجهود التى تقوم بها مصر لتشجيع الطرفين الفلسطينيين والإسرائيليين على استئناف المفاوضات بهدف التوصل إلى السلام العادل والشامل. وقد حرص وزير الخارجية على الإجابة بشكل مستفيض عن أسئلة الوفد بشأن تقييم مصر لمستقبل عملية السلام وكيفية مواجهة التحديات المرتبطة بها. كما استعرض وزير الخارجية الجهود المصرية القائمة من أجل تقريب وجهات النظر بين الأطراف الليبية المختلفة والمساعدة فى توحيد المؤسسة العسكرية الليبية لتمكينها من أداء مهامها فى استعادة الأمن والاستقرار والقضاء على الإرهاب.

بدأت فعالياتهما فى البعثات المصرية بالخارج، كما تناول بشكل مستفيض الجهود المصرية فى محاربة الإرهاب، لاسيما على ضوء الحملة العسكرية الشاملة "سيناء 2018" التى تستهدف القضاء على الإرهاب واجتثاثه من جذوره على الأراضي المصرية. حرص وفد الصندوق على الاستماع إلى شرح مفصل حول ملامح برنامج الإصلاح الاقتصادى الجارى تنفيذه، حيث أكد شكرى على أن هذه الإجراءات أحرزت نتائج إيجابية تمثل أهمها فى ارتفاع معدل النمو لنحو 5% وارتفاع الاستثمارات الأجنبية المباشرة بنسبه 15%، الأمر الذى يعكس تحسناً مناخ الأعمال وبيئة الاستثمار فى مصر، وفى إطار تشجيع الاستثمار، مشدداً على التزام مصر استكمال عملية الإصلاح الاقتصادى لتحقيق التنمية الشاملة. ومن جانبه، أشاد أعضاء الصندوق بالتقدم الملحوظ لأداء الاقتصاد المصرى على مدار الأعوام الأخيرة، وتنمى قدراته على جذب الاستثمارات الأجنبية، الأمر الذى من شأنه أن يجعل من السوق المصرية قبلة رئيسية للمستثمرين الأمريكين فى منطقة الشرق الأوسط.

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع وفد الصندوق اليهودي المتحد من الولايات المتحدة وهي منظمة غير حكومية أمريكية يتشكل أغلب أعضائها من مسئولين أمريكيين السابقين وأعضاء بالكونجرس ورجال أعمال فى مجالات مختلفة، حيث أكد حرص الحكومة المصرية على الاستثمار فى هذه العلاقة والمضي قدماً نحو تعزيزها بما يعود بالنفع على البلدين، فضلاً عن تعزيز التعاون والتنسيق مع الإدارة الأمريكية حيال القضايا ذات الاهتمام المشترك، مستعرضاً النتائج الإيجابية لزيارة كل من نائب الرئيس الأمريكى ووزير الخارجية الأمريكى لما اتاحته من فرصة لعرض الرؤية المصرية بالنسبة للالتزامات الإقليمية وكيفية التعامل معها، وما نتج عنها من اتفاق بين وزيرى خارجية البلدين على عقد الحوار الاستراتيجى خلال النصف الثانى من العام الجارى، واستحداث آلية جديدة للتنسيق بصيغة 2+2 التى تضم وزيرى الخارجية والدفاع فى البلدين. كما استعرض شكرى مستجدات الأوضاع السياسية والاقتصادية فى مصر، فضلاً عن الاستعدادات الجارية للانتخابات الرئاسية التى

تركيا

تعقيباً على التصريحات التى أدلى بها وزير خارجية تركيا "مولود جاويش أوغلو" يوم 5 فبراير ٢٠١٨ بشأن عدم اعتراف تركيا بالاتفاق المبرم بين مصر وقبرص عام 2013 بتقسيم الحدود البحرية بين الدولتين للاستفادة من المصادر الطبيعية فى المنطقة الاقتصادية الخالصة لهما فى شرق البحر المتوسط، أكد المستشار أحمد أبو زيد المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية أن اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين مصر وقبرص لا يمكن لأى طرف أن ينازع فى قانونيتها، حيث أنها تتسق وقواعد القانون الدولى وتم إيداعها كاتفاقية دولية فى الأمم المتحدة. محذراً من أية محاولة للمساس أو الانتقاص من حقوق مصر السيادية فى تلك المنطقة، وأنها تعتبر مرفوضة وسيتم التصدى لها.

كيف تطورت مهنة الدبلوماسية؟

تحتفل مصر بدبلوماسيتها في 15 مارس من كل عام، ويعود ذلك إلى عودة وزارة الخارجية المصرية للعمل بعد توقف دام لمدة 7 سنوات إثر إعلان الحماية البريطانية على مصر مع بداية الحرب العالمية الأولى في عام 1914. ومع إعلان استقلال مصر من جانب بريطانيا العظمى في 28 فبراير 1922، عادت الخارجية المصرية حينئذ لاستئناف دورها وتم تعيين عبد الخالق ثروت باشا وزيرا للخارجية في اليوم التالي.

كانت تتكون من عدة مدن مستقلة. لكل منها نظامها ونوع الحكم الخاص بها، فإسبرطة غير أثينا غير أثينا وهكذا. وكان من الطبيعي أن تقوم علاقات بين هذه «الدولة - المدينة»، الأمر الذي تطلب وجود سفراء أو مبعوثين، أي دبلوماسيين بلغة العصر الحالي، لإجراء الاتصالات والمفاوضات اللازمة فيما بينهم. ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء المبعوثين أو السفراء كان يتم اختيارهم من الخطباء باعتبارهم أقدر الناس على الكلام وبالتالي الدفاع عن مصالح دولهم بما يتمتعون به من فصاحة لغوية وقدرة على المحاجبة. ومع القرن الخامس قبل الميلاد أصبح لدى المدن اليونانية قواعد عامة تحكم ما بات يسمى بـ «العلاقات الدبلوماسية» فيما بينهم، وينظم كيفية تبادل هؤلاء المبعوثين أو السفراء. وأصبح لكل مدينة سفير ترسله عنها للمدن الأخرى، وفي ذات الوقت أصبحت هي بدورها تستقبل سفراء المدن الأخرى لديها. إلا أن وظيفة أو مهنة «الدبلوماسية» هذه أخذت شكلا أكثر تطورا مع قدوم الإمبراطورية الرومانية. فرغم تبني الإمبراطورية الرومانية المصطلح أو المسمى اليوناني القديم كما أسلفنا، إلا أنه مع تطور الإدارة والحكم في هذه الإمبراطورية، أخذ هذا التعبير أو المصطلح «الدبلوماسية» معنى دراسة الوثائق والأوراق الرسمية وحفظها وترتيبها. وكان التطور الثاني يتعلق



سفير د. علاء الحديدي

alaaelhadidi@yahoo.com

ظهور الدبلوماسية كما نعرفها حاليا. فإذا انتقلنا إلى الدبلوماسية كما نعرفها حاليا، وكيف نشأت وتطورت لتصل لنا في شكلها الحالي، فإن علينا أولا البحث في أصل كلمة أو مصطلح «دبلوماسية». ومن المعروف أن أصل الكلمة ينتمي للعصر الروماني منذ حوالي 23 قرنا عندما كان الرسل والسفراء يحملون وثيقة تثبت وظيفتهم أو المهمة الممنوحة بهم، سواء كان ذلك في نقل رسالة أو عقد صفقة أو إجراء مفاوضات، وكانت هذه الوثيقة تسمى «دبلوما»، والتي كانت تعني في اللغة اليونانية القديمة (يطوى). وذلك لأن هذه الوثيقة كانت تكتب على لوح معدني مطوى. معنى ذلك أن الحضارة اليونانية القديمة هي التي صاغت ذلك المصطلح أو الكلمة التي نستخدمها اليوم. وكان سبب ظهور هذا المصطلح في تلك الحضارة تحديدا، كون أنها لم تعرف الدولة الواحدة مثل مصر، ولكنها

وإذا كانت بدايات الخارجية المصرية تعود إلى عصر محمد علي باشا في عام 1819، فإن العديد من التطورات قد طرأت على وظيفة أو مهنة الدبلوماسية منذ ذلك الوقت، ليس في مصر وحدها ولكن على مستوى العالم أجمع، ومن أجل فهم كيف تطورت هذه المهنة، فإن علينا استعراض بداياتها وما مرت به من عهود مختلفة، شكلت العمل الدبلوماسي كما نعرفه اليوم.

أقدم دبلوماسية في العالم

يعود تاريخ الدبلوماسية كما نعرف إلى ما قبل العصر الحالي بكثير، وربما مع بدء ظهور المجتمعات البشرية المختلفة والحاجة إلى الاتصال فيما بينها. ومن المعروف أن أول معاهدة مكتوبة في التاريخ بين دولتين أو حضارتين كانت المعاهدة المبرمة بين الملك المصري رمسيس الثاني والملك خاتوسيل الثالث ملك الحيثيين في عام 1278 قبل الميلاد والمعروفة باسم معاهدة قادش، (وقد شاهدت بنفسى نسخة محفوظة منها في متحف الآثار بإسطنبول). وتعد هذه المعاهدة أقوى دليل على قيام قدماء المصريين بممارسة شكل من أشكال الدبلوماسية، حيث سبق توقيع الاتفاقية مراسلات ومفاوضات بين مبعوثين يمثلون ملوكهم ودولهم حتى تم التوصل إلى هذه الاتفاقية. لذلك يمكن للدبلوماسية المصرية أن تفخر بأنها أقدم دبلوماسية في العالم، وتعود جذورها إلى ما قبل



أول معاهدة سلام في التاريخ بين رمسيس الثاني وملك الحيثيين أبرمت منذ 3292 سنة

بالقانون الذي أولاه الرومان أهمية خاصة، فقد أضافوا مجموعة من القواعد الخاصة بالحرب والسلام والمفاوضات والمعاهدات. كما وضعوا قواعد خاصة لاستقبال المبعوثين والسفراء ومنحهم بعض الامتيازات الخاصة والتي كانت البداية لما عرف بعد ذلك بمصطلح أو تعبير «الحصانات». فقد كان من الشائع وقتئذ لدى بعض الشعوب والممالك الأخرى أن يتم قطع رقبة المبعوث أو السفير، أي الدبلوماسي، إذا لم تعجب الرسالة التي يحملها من كانت مرسله إليه، أو إلقاؤه في السجن، فكان الدبلوماسي الذي يحمل مثل هذه النوعية من الرسائل لا يضمن حياته أو العودة لبلاده.

ومع انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية البيزنطية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية، والإمبراطورية الرومانية الغربية والتي استمرت مدينة روما كعاصمة لها، بدأت الإمبراطورية البيزنطية في إرساء قواعد وأسس جديدة بإنشاء أول إدارات خاصة بالتعامل مع الدول الأخرى، أو بمعنى آخر، أول وزارات أو نواة لوزارات الخارجية كما نعرفها اليوم. وكانت مهمة هذه الإدارات التعامل مع الموضوعات الخارجية، وتم تعيين موظفين لها متخصصين في علم «المفاوضات». وقد اهتمت الإمبراطورية البيزنطية أيضا بتنظيم المهرجانات والاحتفالات في المناسبات الخاصة، وأنشأت إدارة خاصة لهذا الغرض، والتي يمكن أيضا اعتبارها النواة الأولى لما بات يعرف اليوم باسم المراسم والبروتوكول. ومن الطريف أن هؤلاء المبعوثين أو السفراء أو الدبلوماسيين الأوائل لم يتقاضوا أجرا عن عملهم بالخارج، وكانوا ينفقون على رحلاتهم ببيع بضائع أو منتجات من بلادهم في الأسواق التي يمرون بها. إلا أن مهنة أو وظيفة هؤلاء الدبلوماسيين الأوائل اكتسبت سمعة سيئة بسبب قيامهم أيضا بأعمال تجسس، واشتراكهم في المؤامرات التي تحاك في البلاد التي يتم

إرسالهم إليها.

سفير تعنى أصلح بين القوم

كان للحضارة العربية الإسلامية نصيبها الوافر أيضا في تطور المهنة، فقد استخدم العرب قديما مصطلح «سفارة»، فكان يقال أرسل العرب سفارة إلى الروم أو الفرس على سبيل المثال. ومن الجدير بالذكر أن كلمة سفير في اللغة العربية أصلها «سفر» وتعنى أصلح الأمور، فيقال أسفر بين القوم بمعنى أصلح بين القوم. وبالتالي فإن كلمة سفر هنا تختلف في المعنى عن كلمة سفر التي نستخدمها اليوم بمعنى الترحال أو الذهاب من مكان إلى آخر. وكان لموقع الجزيرة العربية على طريق التجارة بين الشرق والغرب وبين الشمال والجنوب أن نشأت العديد من الاتصالات والسفارات بين القبائل العربية المختلفة وجيرانهم، سواء لتقديم التهاني أو تنظيم وترتيب التجارة أو التفاوض حول موضوع معين، ويندرج في هذا الإطار الأخير مثلا سفارة عبد المطلب بن هاشم إلى أبرهة ملك الحبشة لمطالبته برد الإبل التي استولى عليها جنوده.

أما في صدر الإسلام، فقد كانت سفارات العرب تهدف إلى الدعوة للدين الإسلامي، حيث أوفد الرسول - صلى الله عليه وسلم - العديد من الصحابة كما

هو معروف إلى مختلف القبائل العربية لحثها على دخول الدين الجديد. كما أرسل مبعوثين وسفراء إلى حكام مصر والحبشة وكسرى الفرس وإمبراطور الروم هرقل. وقد استمر تقليد السفارات هذه في عهد كل من الخلفاء الراشدين والدولتين الأموية والعباسية، فضلا عن الممالك والدول الإسلامية الأخرى. ولعل من أشهر هذه السفارات تلك التي قامت بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وإمبراطور الفرنجة شارلمان في عام 801 ميلادية.

إلا أن النظام الدبلوماسي كما نعرفه اليوم قد أخذ شكله الحالي من عصر النهضة الإيطالية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، حيث كانت إيطاليا آنذاك مقسمة إلى دويلات عديدة من (الدولة - المدينة) على غرار اليونان القديمة، وكان من الطبيعي أن تنشأ فيما بينها علاقات وصلات تجارية وسياسية، وهو ما استتبع وجود مراسلات ومفاوضات ومعاهدات فيما بينها، يقوم بها دبلوماسيون وسفراء بالإنابة عن حكام الدويلات التي كانوا يمثلونها. وكانت هذه البعثات أو السفارات في البداية ترسل لإنجاز مهمة محددة مثل إبرام اتفاقية أو معاهدة أو تقديم التهنية أو إجراء صفقة ما ثم تعود إلى موطنها فور الانتهاء من

(السابق)، والمعروفة باسم اتفاقية فيينا للعلاقات الدولية الموقعة عام 1961.

ممارسات أكثر عصرية

وأقل تقليدية

لا نستطيع أن نصف دور أو مهنة الدبلوماسية حالياً قبل أن نعود مرة أخرى إلى أوروبا في العصور الوسطى، حيث كان الحكام يحكمون باسم الحق الإلهي، ولم يكن للشعوب والمواطنين الحق في المشاركة أو رسم السياسات بصفة عامة ويأتى من بينها ما يتعلق بالقضايا الخارجية. كانت جميع هذه المسائل والأمور من اختصاص الحاكم، وليس المحكوم، وحكراً خالصاً للطبقة الحاكمة من أمراء ونبل، ولذلك كان طبيعياً أن يأتى اختيار المبعوثين والسفراء من أبناء هذه الطبقات، بل وأحياناً كثيرة من أفراد العائلة المالكة ذاتها. خاصة وأنه كان ينظر للسفير باعتباره مندوباً عن هذا الملك أو الإمبراطور وممثلاً شخصياً له، وبالتالي فعلياً أولاً أن يحظى بثقته، وثانياً، ولا يقل أهمية عن السبب الأول، هو أن يعكس مكانة وأهمية من يمثله، ولذلك كلما ارتفعت مكانة أو درجة قرابة المبعوث من الملك أو الإمبراطور، كان ذلك يعنى ما يوليه هذا الراسل من احترام وتبجيل للمرسل إليه، وكان العكس صحيحاً. فكلما ابتعد الرسول أو المبعوث أو السفير عن شخص الحاكم سواء من حيث درجة القرابة أو نبل الأسرة التى ينتمى إليها، كان ذلك يعد استخفافاً واستهانة وإهانة مقصودة موجهة للمرسل إليه. ولذلك كان من الطبيعى أن ترتبط العادات والتقاليد الدبلوماسية فى ذلك الوقت بعادات وممارسات البلاط الملكى وطبقة النبلاء السائدة فى ذلك الوقت. وقد بدأ التغيير مع انتشار قيم الحرية والديمقراطية وسيادة الشعب مع الثورة الفرنسية فى عام ١٧٨٩ وظهور الجمهورية وانتشارها كنظام للحكم فى بعض أجزاء القارة الأوروبية والولايات المتحدة، ثم إلى بقية أرجاء المعمورة بعد ذلك. وبعبارة أوضح، فقد أدى سقوط الحق الإلهي فى

الحكم بما يعنيه ذلك من احتكار الحكام للسلطة السياسية وما تتضمنه من علاقات خارجية، إلى مشاركة الشعب من خلال ممثليه فى الحكم ومختلف القرارات وبما فيها ما يمس أمور السيادة والعلاقات الخارجية. وأصبح السفراء والمبعوثون والدبلوماسيون ممثلين لشعوبهم، والأهم أنهم ينتمون إلى طبقات المجتمع المختلفة وليس بالضرورة إلى طبقة معينة. وقد رأينا فى بعض هذه البلدان الغربية الديمقراطية كيف تشارك السلطة التشريعية فى اختيار والتصديق على من يتم انتقاؤهم للقيام بوظيفة السفراء، وهو ما انعكس على شكل الوظيفة ومظهرها، وتم التخلي عن كثير من الممارسات والسلوكيات التى ارتبطت فى الماضى بالعادات والتقاليد المرعية فى عدد من البلاطات الملكية الأوروبية، ليحل محلها ممارسات أكثر عصرية وأقل تقليدية، وخاصة فيما يتعلق بالملبس أو مراسم تقديم أوراق الاعتماد على سبيل المثال لا الحصر.

لم يقتصر هذا التغيير على ما سبق فقط، فإذا كانت مهنة الدبلوماسية فى جوهرها عملاً سياسياً فى المقام الأول، يدور حول نقل الرسائل والمعلومات، فإن أعباء إضافية قد أضيفت إليها، مثل ما يتعلق برعاية أبناء الدولة ومواطنيها فى الدول الأخرى، وخاصة مع انتقال البشر نتيجة تقدم المواصلات وقرب المسافات، وهكذا أصبحت الجاليات الأجنبية فى العديد من الدول والبلدان محل اهتمام سفاراتهم ودبلوماسيها فيها، وأصبح ما بات يعرف باسم الخدمات القنصلية جزءاً أصيلاً من صميم عمل الدبلوماسية. هذا فضلاً عن تعدد الموضوعات وتشعبها، حيث أن العديد من الموضوعات والقضايا التى كانت تعد خارج اهتمام أو اختصاص الدبلوماسية مثل موضوعات البيئة أو الطاقة، أصبح يخص لها إدارات كاملة وباتت من صميم العمل الدبلوماسي. ولكن لا شك أن التغيير الأهم الذى طرأ على وظيفة أو عمل الدبلوماسي

مهمتها. ولكن مع اشتداد الصراع والتنافس بين هذه الدويلات، أصبح معرفة الأخبار والمعلومات قبل الآخرين مطلباً ملحاً، لما يوفره مالك أو صاحب المعلومة من ميزة تمكنه من التفوق على الآخرين. وعليه، بدأت هذه الدويلات فى مد فترة بقاء سفرائها فى الخارج بشكل تدريجي، وذلك بغرض معرفة الأخبار بشكل أفضل وأولاً بأول. ومع مرور الوقت تطورت هذه السفارات القصيرة الأجل والمربطة بمهمة أو غرض محدد لتأخذ شكل السفارة المقيمة بصفة دائمة والتى نراها اليوم فى كل سفارات العالم. وكانت أول سفارة مقيمة أو دائمة تلك التى أرسلها دوق ميلانو إلى مدينة جنوا فى عام 1450، وفى خلال عقدين من هذا التاريخ كانت معظم الدول والدويلات الأوروبية قد أخذت بذلك النظام المستمر معنا إلى اليوم.

هذا، ولم تأخذ كلمة «دبلوماسي» معناها الحالى إلا بعد مؤتمر فيينا الذى عقد بالعاصمة النمساوية خلال الفترة من شهر نوفمبر عام 1814 إلى يونيو عام 1815، بمشاركة سفراء الدول الأوروبية برئاسة رجل الدولة النمساوى كليمنس فون مترنيخ لإعادة رسم خريطة أوروبا السياسية بعد هزيمة نابليون. ورغم أنه أطلق على هذا الاجتماع تعبير «مؤتمر»، إلا أنه كان يختلف عما نعرفه اليوم من هذه المؤتمرات التى عادة لا تدوم أكثر من يومين أو ثلاثة. ولكن تأتى أهمية هذا المؤتمر فى أنه كرس دور «الدبلوماسي» منذ ذلك الوقت فى العلاقات بين الدول والمفاوضات التى كانت تتم بينها. ولذلك لم يكن غريباً أن تكون النمسا بعد ذلك مقر الاتفاقية الدولية التى نظمت العمل الدبلوماسي بين الدول، والمزايا والحقوق مثل الحصانات التى يتمتع بها الدبلوماسيون حتى يستطيعوا ممارسة عملهم دون تهديدات أو إكراه أو خشية على حياتهم (كما كان يحدث فى



العلاقات بين الممالك القديمة

إليها الكثيرون، ولم تعد مقصورة على أبناء طبقات معينة بل مفتوحة للجميع طبقاً لكفاءة المتقدم وليس الحسب والنسب. كما أصبح على الدبلوماسي التخصص في بعض القضايا بعد أن امتد دور الدبلوماسي واتسع وتشعب. ولكن في ذات الوقت، ذهب البعض في بداية التسعينيات من القرن الماضي، إلى الدفع بأن تقدم الاتصالات بين الدول وخاصة بين رؤسائها ينتقص من أهمية السفراء والسفارات، حتى أن البعض رأى انتفاء الحاجة إلى وزارة الخارجية أصلاً وطالب بإلغائها، وهو ما نراه اليوم في الولايات المتحدة من تقليص لميزانية وزارة الخارجية ودورها، فهل نحن بصدد عصر جديد في العمل الدبلوماسي بأدوات ومهارات جديدة؟ وكيف ستؤثر الثورة التكنولوجية الحديثة المعروفة باسم الثورة الصناعية الرابعة في طريقة عمل الدبلوماسي والعلاقات الدبلوماسية؟ كلها أسئلة بحاجة إلى بحث ودراسة حتى نستطيع أن نواجه عالماً متغيراً تتسارع وتيرته بشكل يقتضى العمل سريعاً على مواكبته ومقارعته.

والمقصود هنا بجانب إلمام الدبلوماسي بقواعد القانون الدولي وتاريخ العلاقات الدولية وتفاصيل بعض القضايا التي تهم دولته، فإنه مطالب أيضاً باكتساب بعض المهارات الأخرى مثل كيفية التعامل مع الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي، وذلك بهدف التأثير على الرأي العام المحلي وكسبه لصالح وجهة نظر بلاده. هذا، وقد فطنت إسرائيل على سبيل المثال لهذا الأمر منذ سنوات طويلة وعملت على التأثير على الرأي العام الغربي وكسبه لصالح وجهة نظرها إزاء القضية الفلسطينية. وقد تدارك أصحاب القضية الفلسطينية ومؤيدوهم من الدول والشعوب العربية والإسلامية والصديقة لذلك الأمر وتعلموا الدرس جيداً واستطاعوا بعد جهد جهيد إبراز عدالة القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني المشروع في إقامة دولته.

الدبلوماسي في المستقبل

وهكذا كما رأينا، فإن مهنة أو وظيفة الدبلوماسي قد مرت بأدوار وتطورات عديدة حتى وصلت إلى الشكل الحالي، وأصبحت مهنة يتطلع

يرتبط بعلاقة الدبلوماسي بالمجتمع المدني في الدولة المعتمد فيها. فالمعروف أن مهمة الدبلوماسي الرئيسية - وما زالت - هي تمثيل بلاده والدفاع عن مصالحها في الخارج، وكان من المتعارف عليه تقليدياً هو قيام الدبلوماسي إلى وقت قريب بالاكْتفاء بمخاطبة الخارجية والمسؤولين والجهات الرسمية الحكومية في الدولة المضيفة له لشرح وجهة نظر بلاده في القضايا ذات الاهتمام له، وتجنب التعامل مع الإعلام وغيره من مكونات ما بات يعرف حالياً باسم المجتمع المدني. إلا أنه مع تنامي دور الإعلام والمجتمع المدني في تشكيل الرأي العام، وبالتبعية عملية صنع القرار، وخاصة في الدول الغربية الديمقراطية، أن تغيرت طبيعة عمل الدبلوماسي اليوم وأصبح لزاماً عليه مخاطبة الجهات غير الرسمية من منظمات المجتمع المدني ووسائل الإعلام المختلفة، فإذا كان يتم اختيار السفراء في الماضي من الخطباء كما أسلفنا، فإن الدبلوماسي الحالي أصبح عليه التمتع بعدة مهارات حديثة بجانب المهارات والمعرفة التقليدية،

فلسطين إلى أين؟

أبدأ بالقول أين قضية فلسطين اليوم؟ وهل هناك فى الأفق أى احتمال بأن الاحتلال سوف ينتهى وتتحرر فلسطين؟ الأمانة تقتضى بالاعتراف (للأسف الشديد) بأن الصورة قاتمة وتزداد سوءاً وأن الأسلوب التقليدى فى معالجة النزاع لم يعد مجدياً.

قام السكرتير العام بتعيين سفير سويدي متميز جونار يارنج للقيام بهذه المهمة المستحيلة. ولكن بعد جولات مكوكية بين الأطراف قرر يارنج الإقدام على أسلوب المواجهة المباشرة، فوجه كتاباً فى 8 فبراير 1971 إلى كل من مصر وإسرائيل يطالبهما فيه بالإعلان عن قبول تنفيذ التزامات محددة بالنسبة لمصر طالبتها بقبول إبرام «معاهدة» سلام مع إسرائيل. وبالنسبة لإسرائيل طالبتها بالإعلان عن قبول الانسحاب إلى الحدود الدولية «أى حدود ما قبل 5 يونيو 1967».

اجتمع مجلس الوزراء المصرى وبعد جدل طويل وافق على ما طلبه يارنج مع تغيير طفيف لا معنى ولا قيمة له وهو أن مصر تقبل إبرام «اتفاق» سلام. وبالطبع لا يوجد فارق بين «معاهدة» و«اتفاق» طبقاً لأحكام القانون الدولى. أما إسرائيل فقد جاء ردها بالسلب بأنها لا تقبل الانسحاب إلى «حدود ما قبل 5 يونيو 1967».

ويمكن القول أن الرد الإسرائيلى - من الناحية العملية- أنهى مهمة مبعوث السكرتير العام السفير يارنج. ولم يبق السكرتير العام بتعيين مبعوث آخر بعد استقالة يارنج ولم يطالبه مجلس الأمن بالتعيين. وبقيت الأمور راكدة إلى أن قرر الرئيس السادات



سفير د. نبيل العربي

وزير الخارجية الأسبق،

وأمين عام جامعة الدول العربية السابق

nabil.elaraby@crcica.org.eg

الأمن رقم 242 الصادر فى 22 نوفمبر 1967 الذى طالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضى التى احتلتها عام 1967 طبقاً لقواعد ميثاق الأمم المتحدة التى تقضى بعدم شرعية اكتساب الأراضى بالقوة نجد أن القرار لم يضع تحديداً زمنياً للانسحاب ولا يشمل آلية تنفيذية ويكتفى بمطالبة السكرتير العام بتعيين ممثل خاص يزور المنطقة ويسعى للوصول إلى اتفاق بين الأطراف المعنية على تسوية سلمية طبقاً للمبادئ والنصوص الواردة فى القرار دون النص على أى حد زمنى للتنفيذ. ولم تنتبه الدول العربية - حينئذ - إلى أهمية التحديد الزمنى للانسحاب وعدم ترك الباب مفتوحاً للتسويق والمماطلة الإسرائيلية. وبالفعل

لا شك أن قضية فلسطين على رأس التحديات التى تواجه الدول العربية منذ سبعة عقود، وما زاد من الأمر صعوبة أن العرب لم يتمكنوا من تجديد أسلوب مخاطبة الرأى العام العالمى ولم يستخدموا ما لديهم من حجج قانونية بأسلوب فعال، بل لم ينجحوا فى استخدام أحكام القانون الدولى فى دعم قضيتهم العادلة. قد يكون الاستثناء الوحيد هو المحاولة التى لم يكتب لها النجاح قبل التصويت على قرار التقسيم عام 1947 عندما تقدمت أربع دول عربية هي: مصر وسوريا ولبنان والعراق بمشروع قرار يطلب قبل التصويت على القرار رأياً استشارياً من محكمة العدل الدولية حول مدى صلاحية الجمعية العامة لاتخاذ قرار بتقسيم أراضى إقليم دون موافقة غالبية السكان، ولم يتم الأخذ بهذا الاقتراح إذ لم يحصل على الأغلبية المطلوبة وصدر القرار المجحف بحقوق الشعب الفلسطينى الذى كان يمثل الأغلبية الساحقة للسكان، وحدد له القرار 44% من مساحة فلسطين وحصل المهاجرون اليهود الجدد الذين لا يمكن اعتبارهم فى ذلك الوقت مواطنين فلسطينيين على 56% من أراضى الإقليم. فى ذلك الوقت.

وعندما صدر قرار مجلس



بدء حرب أكتوبر المجيدة.
الواقع أننى كدبلوماسى ناشئ كنت عام 1967 عضواً فى البعثة المصرية لدى الأمم المتحدة فى نيويورك وشاهدت بنفسى عدم تقدير خطورة صيغة القرار أو الارتقاء إلى مستوى إسرائيل ومعها الولايات المتحدة، فكان التركيز على أن يصدر قرار يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي التى احتلتها فى حرب 1967 دون أن يكون تحقيق هذا الانسحاب مغلفاً بضمانات زمنية وسياسية تضمن إتمام الانسحاب تحت إشراف دولى وفى وقت محدد. أقول ربما كانت الدول العربية تنظر بحسن نية إلى تجربة عام 1956 عندما انسحبت إسرائيل من سيناء خلال أربعة شهور بالرغم أن قرار المطالبة بالانسحاب كان قد صدر من الجمعية العامة وليس من مجلس الأمن فكما هو معروف قامت المملكة المتحدة وفرنسا

وقتئذ باستخدام الفيتو فى مجلس الأمن لمنع اصدار قرار بمطالبة الدول المعتدية الثلاث بالانسحاب. كما أضاع وزراء الخارجية العرب فرصة ذهبية عندما عرض عليهم فى جنيف 1967 مشروع قرار أطلق عليه دوبرين- جولدبرج نسبة إلى السفير الأمريكى فى الأمم المتحدة والسفير الروسى فى واشنطن، وينص صراحة على الانسحاب من كافة الأراضي المحتلة مقابل الموافقة على انتهاء حالة الحرب مع إسرائيل على أن يصدر القرار من مجلس الأمن إذا قبله العرب لم يقبلوه. واستمرت إسرائيل فى التسويف والتهرب من تنفيذ التزاماتها تحت مختلف الحجج والذرائع. ثم نجحت إسرائيل فى السنوات التالية فى تطوير وتطويع وتغيير أسس تحقيق السلام الواردة فى القرار 242 بما يحقق مصالحها، فقد نجحت إسرائيل فى مؤتمر

مدريد فى أكتوبر 1991 فى تغيير المعادلة التى أسس عليها قرار مجلس الأمن رقم 242. فالقرار ينص على أهداف واضحة المعالم نابعة من نصوص الميثاق ومن أحكام القانون الدولى أقرها مجلس الأمن وعلى الأطراف التزام قانونى بتنفيذها بحسن نية خاصة بعد أن صدر بالإجماع قرار مجلس الأمن رقم 338 فى 22 أكتوبر 1973 الذى نص صراحة فى فقرته التنفيذية الثانية على «دعوة الأطراف للبدء فوراً بعد وقف إطلاق النار فى تنفيذ implementation لقرار مجلس الأمن رقم 242 (1967) بجميع أجزائه in all its parts بحيث يمكن القول أن قرار 338 (1973) قد أضاف البعد التنفيذى الذى كان غائباً فى القرار 242 (1967). ولكن إسرائيل استطاعت فى مؤتمر مدريد قلب هذه المعادلة رأساً على عقب إذ نجحت فى

فلسطين إلى أين؟

تعويم الالتزامات ووضعها في قالب تفاوضي فضفاض بحيث خرج المؤتمر بمعادلة جديدة تقوم على:

أ- إقرار مبدأ ضرورة التفاوض على جميع الأمور وليس تنفيذ قواعد دولية ملزمة يطلب مجلس الأمن من الطرفين تنفيذها ولا يمكن تغييرها والتفاوض حولها.

ب - عدم تحديد موعد أو جدول زمني للانتهاء من تنفيذ الالتزامات المتقابلة مما حدا بشامير رئيس وزراء إسرائيل وقتئذ أن يعلن أنه على استعداد للتفاوض لمدة مائة

عام مر منها حتى الآن ربع قرن! ج- فكرة الأرض مقابل السلام التي تبدو لأول وهلة مقبولة ولكن عند التعمق في طبيعتها وآثارها وأبعادها نجد أن الأرض محددة وقابلة للتجزئة ولكن السلام مفهوم عام غير قابل للتجزئة بمعنى أن إسرائيل قد تنسحب فقط من جزء من الأرض المحتلة وتطلب في المقابل سلاماً وهو غير قابل للتجزئة.

د- في نفس الوقت لم يخرج مؤتمر مدريد بإطار زمني للتنفيذ يعتبر إضافة أو تكملة للقرار 242 الذي لم يحدد فترة زمنية للتنفيذ وترك الباب مفتوحاً للتسوية الإسرائيلية والمماثلة وكسب الوقت تهرباً من تنفيذ التزاماتها.

هـ - كما أن عدم تحديد موعد للانسحاب فتح المجال لإسرائيل للاستمرار في سياسة فرض الأمر الواقع وما ترتب عليه من تآكل رقعة الأراضي التابعة للسلطة الفلسطينية التي أعطاهها قرار التقسيم الجائر 44% من أرض فلسطين تحت الانتداب، وقد



الجدار العازل غير الشرعي

أصبحت الآن أقل من 22% من مساحة فلسطين تحت الانتداب إذ تقوم إسرائيل - بمرور الزمن- بالتوسع في إقامة المستوطنات لاحتلال مزيد من الأراضي الفلسطينية. هنا اسمحو لي أن أشير إلى تجربتي الشخصية فقد تفاوضت شخصياً مع وفود إسرائيلية على مدى خمسة عشر عاماً بدءاً من فض الاشتباك الأول عام 1974 وفض الاشتباك الثاني عام 1975 كما أني شاركت مع الوفد السوري في فض الاشتباك مع سوريا في 30 مايو 1974 ثم مفاوضات طابا اعتباراً من عام 1985 التي كنت رئيساً لوفد المفاوضات المصرية لإعداد مشارطة التحكيم التي حددت الإطار العام للتحكيم بأن تكون سلطة المحكمة «كاشفة» وليست «منشئة»، أي عودة إلى ما قبل الغزو الإسرائيلي، ثم وكيلاً عن الحكومة المصرية في التحكيم وبعد صدور الحكم بدأت مفاوضات شاقة لمدة خمس شهور مع إسرائيل لتحديد موعد

الانسحاب إلى أن تم التوقيع على وثيقة الانسحاب من طابا في 26 يناير 1989 وتم الانسحاب بالفعل من كافة الأراضي المصرية في 15 مارس 1989، وفي جميع مراحل التفاوض - بلا استثناء- كان المفاوضات الإسرائيلي يسعى دائماً بجميع الوسائل لكسب الوقت. مما يدفعني إلى القول بأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تعتبر عنصر الوقت دائماً هدفاً استراتيجياً وليس هدفاً تكتيكياً مثلما تفعل جميع الدول الأخرى، ومن بين هذه الوسائل التقدم بمطالبات جديدة في كل مرحلة، فنجد حالياً أن نتنياهو يسعى لفرض شرط إضافي لا أساس له في العلاقات الدولية ويتعلق بضرورة اعتراف فلسطين بيهودية دولة إسرائيل متجاهلاً أن إسرائيل لم تعترف حتى الآن بدولة فلسطين واقتصر اعترافها في أوصلو على قبول منظمة التحرير الفلسطينية في حين أن فلسطين اعترفت بإسرائيل ثلاث مرات: الأولى في الجزائر عام



قيام دولة فلسطينية مما يجعل في نظري الحديث عما يطلق عليه مسيرة سلام A Peace Process is a Non-Starter أى مضيعة للوقت.

وبالتالى فإنه يجدر التفكير الآن فى مدى جدوى اللجوء مرة أخرى إلى المجتمع الدولى وإلى الأمم المتحدة لطرح تنفيذ القرار رقم 242، أو كما اقترحت فرنسا العام الماضى الدعوة لعقد مؤتمر دولى يقوم على أساس المرجعيات الدولية التى تم التوافق عليها، شريطة أن يتم ذلك ضمن إطار زمنى محدد ولكن اختلال التوازنات الدولية الحالية لا يبشر بأن المجتمع الدولى - أياً كان المقصود من ذلك- على استعداد للإقدام على هذه الخطوة خاصة فى ضوء المواقف التى يقوم بها - بحماقة- الرئيس الأمريكى الحالى حول القدس، ضارباً عرض

بحرم العرب الإسرائيليين غير اليهود من صفة المواطنة فضلاً عن أن إسرائيل لم يسبق لها أن أثارت هذا الموضوع فى مفاوضاتها مع مصر أو مع الأردن عند إبرام معاهدات السلام. مما يؤكد أن الحكومة اليمينية المتطرفة الحالية تثير هذا الموضوع الآن اتساقاً مع سياسة التسوية لرفع سقف مطالباتها بحيث تعرقل أى اتفاق محتمل مع الفلسطينيين.

بالإضافة إلى ما تقدم فإن قرار التقسيم الذى اعترفت به على مضمض فلسطين ودول عربية عديدة جاء به كما هو معروف أنه يحوى تقسيماً للأراضى الفلسطينية إلى دولة يهودية ودولة عربية وبالفعل نشأت الأولى ولكن الثانية مازالت ماثرة عراقيل عديدة من جانب إسرائيل. وللأسف نجد أن إسرائيل أصبحت مؤخراً تجاهر باعتراضها على

1988 بناء على طلب من جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكى حتى تبدأ مباحثات فى تونس بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية، والثانية عام 1993 فى إطار اتفاق أوسلو، والثالثة عام 1998 فى غزة وبحضور الرئيس الأمريكى ك्लينتون.

وفى جميع هذه المراحل لم يثر موضوع يهودية الدولة. فموضوع يهودية الدولة لا يتفق مع العرف الدولى فالقاعدة العامة فى القانون الدولى أن الدول يعترف بها مرة واحدة وإذا أضافت أو غيرت من اسمها فغير مطلوب من الدول الاعتراف بالإضافة أو التغيير فمثلاً عندما تغير اسم مصر أثناء الوحدة مع سوريا إلى الجمهورية العربية المتحدة لم يطلب من الدول اعتراف ثان بالاسم الجديد.

ومن جهة أخرى فإن إقحام صفة اليهودية على اسم إسرائيل



فلسطين إلى أين؟

الحائط بأحكام القانون الدولي التي جاهدت الولايات المتحدة على إقرارها سواء في ميثاق بريان-كيلوج (باريس) عام 1928، أو في ميثاق الأمم المتحدة (مادة 2 فقرة 4) عام 1945، ومتجاهلاً قرارات مجلس الأمن الملزمة التي أيدتها الحكومة الأمريكية والتي لا تسمح بالاستيلاء على الأراضي بالقوة العسكرية ومتجاهلاً كذلك التعهدات الأمريكية العديدة وعلى وجه الخصوص الخطاب الذي وجهه الرئيس كارتر إلى كل من الرئيس السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن عند توقيع إعلان كامب ديفيد في سبتمبر 1978 حول القدس.

على صعيد آخر يتردد حالياً في وسائل الإعلام نية الرئيس ترامب عقد صفقة تشارك فيها بعض الدول العربية المعنية مثل مصر والسعودية والإمارات والأردن لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل حتى تقدم إسرائيل على بعض «التنازلات» تجاه الفلسطينيين.

تعلقى الوحيد الآن أن هذه الأفكار تنبع من إسرائيل التي تجاهلت عامدة المبادرة العربية التي أطلقها الملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله في قمة بيروت عام 2002 ثم بدأت في السنوات الأخيرة تسعى إلى قلب المبادرة رأساً على عقب، فالمبادرة ترمى إلى تنفيذ إسرائيل للانسحاب وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وإيجاد حل عادل للاجئين ثم تقوم الدول العربية بتطبيع علاقاتها مع إسرائيل وليس العكس كما تسعى إسرائيل الآن. بمعنى أن إسرائيل تسعى لقلب المبادرة العربية رأساً على عقب. فهي تطالب العرب بالتطبيع معها حتى تفكر في الإقدام على تنفيذ التزاماتها الواردة في قرارات الشرعية الدولية أساساً بالانسحاب من الأراضي العربية التي تحتلها.

وقد حدث بالفعل أن حضر إلى القاهرة في ربيع 2011 وفد إسرائيلي يضم ما يطلق عليه Israel Peace Initiative ويتكون من عدد من الرؤساء السابقين للموساد وشين بيت وبعض الدبلوماسيين السابقين

وبعض الصحفيين لمقابلتى عندما كنت وزيراً للخارجية وقدموا العرض التالى «الدول العربية تقوم بتنفيذ الالتزامات فى المبادرة التى اقترحها الملك عبد الله بن عبد العزيز حتى يتمكن أعضاء هذا الوفد من إقناع إسرائيل بتنفيذ التزاماتها الواردة فى المبادرة بمعنى أنهم يقترحون أمرين:

الأول: to reverse the order أى تنفيذ الشق الثانى من المبادرة فى البداية قبل الشق الأول.

الثانى: يتعلق بطبيعة الالتزامات، فالدول العربية تقوم بتنفيذ التزامات فى مقابل سعى إسرائيل وليس تنفيذ إسرائيل لتنفيذ التزاماتها الواردة فى المبادرة.

وبالطبع أكدت لهم أن ما يقترحه غير مقبول، لأن الشق الأول الخاص بتنفيذ الالتزامات الإسرائيلية وبالأدوات الانسحاب من الأراضي المحتلة هو أساس المبادرة وأنهيت المقابلة. ومازال هذا التفكير تروج له إسرائيل على الساحة الدولية وقد يلقى قبولاً لدى البعض، وبالطبع على فلسطين والدول العربية مقاومة

وتجنيد جميع الطاقات الفلسطينية
فى إطار المقاومة السلمية.

الثانى: البدء فى حملة عصيان
مدنى حقيقى ومقاومة سلمية
داخل الأراضى الفلسطينية أسوة
بما أقدم عليه غاندى فى الهند
للتخلص من الاحتلال البريطانى.
ولا شك أن مثل هذه الحملة سوف
يكون ثمنها غالباً على الشعب
الفلسطينى الشقيق وسوف يكون
لها ضحايا.

الثالث: تأييد قوى واضح
لحملة مقاطعة منتجات
المستوطنات الإسرائيلية B.D.S
كما فعل الاتحاد الأوروبى عندما
اتخذ guidelines بدأ فى تطبيقها
بالفعل منذ عامين، كما أن الشباب
فى جامعات كثيرة فى الولايات
المتحدة الأمريكية يطالبون بذلك.
ولكن للأسف لا نجد صدق لهذه
الحملة فى الدول العربية.

الرابع: رفع سقف حملة حشد
الرأى العام العالمى بما فى ذلك
الالتجاء إلى مختلف أجهزة الأمم
المتحدة وإلى المحكمة الجنائية
الدولية لتجريم مرتكبى الجرائم
وجميع المنابر الدولية لإبراز أن
إسرائيل اليوم تمثل آخر معقل
الأبارتيد والتفرقة العنصرية فى
العالم وأن ممارساتها تتعارض
مع النظام الدولى بل وتقوضه من
أساسه.

الخامس: أن يكون الهدف عقد
مؤتمر دولى كما طالب الرئيس
محمود عباس لتحديد موعد لتنفيذ
القرار 242 وليس مجرد التفاوض
حوله وإطلاق ما يطلق عليه عملية
سلام جديدة لا طائل من ورائها
وتؤدى إلى مزيد من إضاعة الوقت.
وأخيراً أعتقد أن هناك جدوى
من الوصول إلى تحرك حقيقى
نحو السلام طالما بقى ننتياهمو



إلزامية للدول. ويتواتر أحياناً من
يقول أن الجمعية العامة تملك
تحت قرار الاتحاد من أجل السلام
الصادر فى 3 نوفمبر 1950
إصدار قرارات ملزمة وهذا غير
صحيح وليس هناك مجال شرح
الأسباب ولكن يكفى القول بأن
قرار الاتحاد من أجل السلام هو
قرار من الجمعية العامة ولا يرقى
إلى تعديل الصلاحيات التى حددها
الميثاق للجمعية العامة.

فالمطلوب الآن فى ضوء
الخيارات المحدودة المتاحة
للقيادة الفلسطينية الشروع
فى القيام بحملة قوية ومنظمة
تشنها القيادة الفلسطينية بتأييد
ودعم كاملين من الدول العربية
ولتؤتى هذه الحملة ثمارها وتشعر
إسرائيل بأن الضغط العالمى عليها
سيتزايد ويستمر ويتصاعد على
نحو متصل حتى ترضخ لإرادة
المجتمع الدولى فى تحقيق السلام
وإنهاء الصراع فى الشرق الأوسط
وحتى يكتب لمثل هذه الحملة
النجاح لابد من توافر بعض أمور
أساسية قد يكون أهمها:

الأول: إنهاء الانقسام
الفلسطينى الحالى بصورة قاطعة

هذا التوجه بشدة.
فى ضوء ما تقدم لا بد من
مواجهة الحقائق والإقرار بأن
مجلس الأمن فى ضوء الموقف
الأمريكى لن يستطيع الإقدام على
تنفيذ قراراته التى أصدرها فى
القضية الفلسطينية، فما العمل؟
وهل هناك جهة قضائية يمكن
اللجوء إليها لرفع الظلم؟ للأسف
الشديد فى المرحلة الحالية للنظام
الدولى فإن الالتجاء إلى القضاء
الدولى اختارى وبالتالي لا يمكن
إجبار دولة على قبول الالتجاء
إلى محكمة دولية. يمكن بالطبع
استخدام محكمة العدل الدولية
لإصدار آراء استشارية كما فعلت
فلسطين عندما صدر قرار من
الجمعية العامة حول الجدار
العازل عام 2004، ولكن لم
يترجم الرأى الاستشارى إلى تغيير
حقيقى ولم يمنع إسرائيل من بناء
الجدار العازل.

هناك طريق آخر يمكن طرقة،
وهو الالتجاء إلى الجمعية العامة
للأمم المتحدة التى لها صلاحيات
سياسية واسعة طبقاً للمادة
العاشرة والمادة الرابعة عشرة من
الميثاق ولكنها لا تصدر قرارات

طريق السلام المسدود في الشرق الأوسط

وصلت المأساة ذروتها في مسيرة السلام في الشرق الأوسط. فقد أصبح الطريق مسدوداً أمام أي تحرك ينبيء بالوصول إلى أية نتيجة في القضايا الباقية في عملية السلام، وفي مقدمتها الملف الفلسطيني الذي مازال يراوح نفسه منذ النكبة الفلسطينية وإنشاء دولة إسرائيل منذ سبعين عاماً.

لقرارات وخطوات سلبية من الفلسطينيين من بينها كما قال أبو مازن في خطابه في 20 فبراير 2018 أمام مجلس الأمن «أن الإدارة الأمريكية لم تحدد موقفها هل هي مع حل الدولتين أم هي مع حل الدولة الواحدة، بل وفي سابقة هي الأخطر من نوعها وبقرار أحادي غير شرعي رفضته غالبية دول العالم، قررت الإدارة الأمريكية إزاحة ملف القدس عن الطاولة والاعتراف بها عاصمة لإسرائيل ونقل سفارتها إليها، متجاهلة أن القدس الشرقية هي أرض فلسطينية محتلة منذ عام 1967 وهي عاصمة فلسطين التي تريدها مفتوحة أمام أتباع الديانات السماوية الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية، والمستغرب أيضاً أن الولايات المتحدة مازالت تدرج منظمة التحرير الفلسطينية على قائمة الإرهاب وتضع القيود على عمل البعثة في واشنطن، كما أنها قررت مؤخراً معاقبة اللاجئين من خلال تخفيض مساعداتها لوكالة الأونروا».

- إخلال الإدارة الأمريكية بوضعها كراع رئيسي لعملية السلام أو الوسيط المتوازن الذي يمكن للأطراف الركون إليه



سفير سيد ابوزيد عمر

solitairegypt@gmail.com

الفلسطيني في سلم الأولويات العربية، إزاء انكفاء الدول العربية الرئيسية على مشاغلها الذاتية، وبعضها لم يعد قادراً على إعطاء الحد الأدنى من الدعم اللازم للفلسطينيين.

- اتخاذ الإدارة الأمريكية



ورغم النص في اتفاق أوسلو عام 1993 على وجوب التوصل إلى حل قضايا الوضع الدائم قبل عام 1999، فقد تجاوز الفلسطينيون مع أغلب المبادرات الرامية للوصول إلى تسوية مرضية، ورغم حجم التنازلات التي قدمها الجانب الفلسطيني تطلعا للوصول إلى حل نهائي، يرفع عن صدره هذا الاحتلال البغيض، ويجمع شتات الشعب الفلسطيني الذي تفتت بين فلسطيني السلطة في الضفة الغربية وغزة والمخيمات وغيرهم المتناثرين في أرجاء الأرض. وزاد الطين بلة كل هذه المتغيرات سلبية الطابع التي أحاطت بالقضية خلال العقد الأخير، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تواصل انقسام الصف الفلسطيني منذ استيلاء حركة حماس على قطاع غزة. وقد بذلت مصر جهوداً مضنية لرأب هذا الصدع الذي يضعف الموقف الفلسطيني، ونجحت أخيراً في الوصول إلى تفاهات بينهما قد يعيد اللحمة الوطنية للصف الفلسطيني.

- ضعف الموقف العربي الذي يفترض أن يكون ظهيراً داعماً للفلسطينيين، وتراجع الملف

تخليه عن منصبه وإضاعة الوقت كالعادة في إعادة الحسابات حول التوازنات الحزبية في إسرائيل. هذا رغم توقع مواصلة اليمين تملكه لنادسية الموقف، كما أن وجود ننتياهو بتوجهاته وأساليبه المعروفة لا يعد الطرف الأفضل للمشاركة في عملية السلام.

- في ضوء ما سبق يمكن تفهم طبيعة المبادرة التي تقدم بها أبومازن خلال حديثه أمام مجلس الأمن يوم 20 فبراير 2018، فهي انعكاس للمعطيات القائمة وخلاصة لمشاوراته مع مختلف الأطراف الإقليمية والدولية، فقد شملت المبادرة العناصر التالية:

أولا- الدعوة إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في منتصف عام 2018، يستند لقرارات الشرعية الدولية، ويتم بمشاركة دولية واسعة تشمل الطرفين المعنيين والأطراف الإقليمية والدولية الفاعلة، وعلى رأسها أعضاء مجلس الأمن الدائمين والرباعية الدولية، على غرار مؤتمر باريس للسلام أو مشروع المؤتمر في موسكو، كما دعا قرار مجلس الأمن 1850 إلى أن يكون من مخرجات المؤتمر قبول دولة فلسطين عضوا كاملا في الأمم المتحدة والتوجه لمجلس الأمن لتحقيق ذلك، آخذين بعين الاعتبار قرار الجمعية العامة 19/67 لسنة 2012، وتأمين الحماية الدولية للشعب الفلسطيني، وتبادل الاعتراف بين دولة فلسطين ودولة إسرائيل على حدود عام 1967، مع تشكيل آلية دولية متعددة الأطراف تساعد الجانبين في المفاوضات لحل



نحاس مطروق للفنان جمال السجيني: الحرية

تجعل من خطل الرأي الاستمرار في اعتبارها وسيطا نزيها أوعلى الأقل وسيطا غير منحاز للطرف الآخر، واضعين في الاعتبار أن تركيبة القوى العالمية قد لحقت بها بعض المتغيرات الملموسة التي يمكن معها القول أن الأحادية القطبية أصبحت موضعا للمناقشة، وأن قوى عالمية أخرى تتقدم بقوة لكي تشغل مكانة وتقوم بدور على المسرح الدولي.

- أزمة رئيس الحكومة الإسرائيلية الناجمة عن اتهامه والسيدة حرمة بجرائم قد تؤدي إلى

للوصول إلى صيغة متوازنة لا تفتتت على حقوق الطرف الآخر، وهو الدور الذي لعبته مباشرة في المنطقة منذ الوصول إلى إطار السلام في الشرق الأوسط في كامب ديفيد عام 1978، وبدا أنها كانت حريصة للانفراد بهذا الدور انطلاقا من كونها الدولة الأعظم خلال العقود الماضية. غير أن اتخاذها مواقف مؤداها في التحليل النهائي المصادرة على المطلوب وإسقاط بنود أساسية وحيوية في قائمة عناصر التسوية النهائية هي القدس واللاجئين والمستوطنات،

طريق السلام المسدود في الشرق الأوسط



جميع قضايا الوضع الدائم حسب اتفاق أوسلو والتي تشمل القدس، والحدود والأمن، والمستوطنات، واللاجئين، والمياه، والأسرى. وذلك لإجراء المفاوضات ملتزمة بالشرعية الدولية وتنفيذ ما يتفق عليه ضمن فترة زمنية محددة مع توفير الضمانات للتنفيذ.

ثانيا- خلال فترة المفاوضات تتوقف جميع الأطراف عن اتخاذ الأعمال الأحادية الجانب، وبخاصة منها تلك التي تؤثر على نتائج الحل النهائي حسب المادة 31 من اتفاق أوسلو لعام 1993، وعلى رأسها وقف النشاط الاستيطاني في الأرض المحتلة عام 1967 بما فيها القدس الشرقية، وتجميد القرار الذي يعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ووقف نقل السفارة الأمريكية للقدس التزاما بقرارات مجلس الأمن ذات الصلة وبخاصة 2334، 478، 476 وقرار الجمعية العامة رقم 19/ES-10 وكذلك موضوع انضمام دولة فلسطين للمنظمات الدولية التي التزمت بها سابقا (وهي 22 منظمة دولية من أصل 500 منظمة ومعاهدة).

ثالثا- يتم تطبيق مبادرة السلام العربية كما اعتمدت، وعقد اتفاق إقليمي عند التوصل لاتفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

رابعا- التأكيد على الأسس المرجعية لأية مفاوضات وهي:

1 - الالتزام بالقانون الدولي وقرارات الشرعية الدولية ذات

الصلة وبما يشمل قرارات مجلس الأمن 242، 338 وصولا للقرار 2334 ومبادرة السلام العربية والاتفاقيات الموقعة بين الطرفين. 2 - مبدأ حل الدولتين، أي دولة فلسطين بعاصمتها القدس الشرقية ستعيش بأمن وسلام إلى جانب دولة إسرائيل على حدود 4 يونيو 67 ورفض الحلول الجزئية والدولة ذات الحدود المؤقتة.

3 - قبول تبادل طفيف للأرض بالقيمة والمثل بموافقة الطرفين. 4 - القدس الشرقية عاصمة دولة فلسطين. وتكون مفتوحة أمام أتباع الديانات السماوية الثلاثة، الإسلام والمسيحية واليهودية.

5 - ضمان أمن الدولتين دون المساس بسيادة واستقلال أي منهما من خلال وجود طرف ثالث دولي.

6 - حل عادل متفق عليه لقضية اللاجئين الفلسطينيين على أساس القرار 194 وفقاً لمبادرة

السلام العربية، واستمرار الالتزام بدعم وكالة الأنروا لحين حل قضية اللاجئين.

7 - عرض ما يتم التوصل له من اتفاقات مع إسرائيل لاستفتاء عام للفلسطينيين إعمالا للديمقراطية وتحقيقا للشرعية.

- ورغم أن بعض الخبراء المتمرسين في أضايا الشرق الأوسط ومن بينهم مارتن انديك قد وصف مبادرة أبو مازن في مجلس الأمن بأنها تحمل لهجة معتدلة يمكن لكل من كوشنر وجرينبلات (القائمين على ملف الشرق الأوسط في البيت الأبيض) البناء عليها، وكانا حاضرين لاجتماع المجلس، إلا أنه من جانب آخر فقد كانت ردود الفعل الرسمية الأمريكية والإسرائيلية تتسم بالسلبية. فقد علق الناطق بلسان البيت الأبيض أن خطة أبو مازن لا تساهم في التقدم نحو تحقيق السلام، وأن الولايات المتحدة تواصل العمل على إعداد خطة سلام سيتم عرضها



فى هذه الحالة، فضلا عن إعطاء الآخرين مجالا للتمدد فى منطقة أصبحت مجالا للتزاحم السياسى والاقتصادى بين الدول الكبرى، وأخيرا يجدر التعرف على ردود فعل الأطراف الأخرى من مبدأ هذه المشاركة ومدى استعدادهم لدعم الموقف الفلسطينى.

- وفى كل الأحوال فسوف يصعب على الفلسطينيين وحدهم خوض غمار هذه الأمواج العاتية التى ضربت المنطقة، ومن غير المعروف متى تنتهى شلالات الدم التى تفجرت فيها آكلة الأخضر واليابس. ولا يحتاج الأمر إلى حسابات معقدة يتبين منها أن موازين القوى ليست متعادلة على الأقل، بما يمكن أن يصون بعض الحقوق. ومن ثم فإن الحدود القصوى من التضامن والتكاتف فلسطينيا وعربيا ليست مطلوبة فحسب، إنما أصبحت مسألة ضرورية شديدة الحيوية.

المستوطنات فهو مستمر على قدم وساق، لا يعوقها أى عائق فعلى على الأرض، تشجعها أوضاع عربية متردية لم تتردد السفارة الأمريكية نيكي هايلى فى الإشارة إليها تفصيلا ردا على أبو مازن. غير أنه من جانب آخر فليس هناك مناص من اللجوء إلى صيغة جديدة متعددة الأطراف لتحريك عملية السلام، كان من الطبيعى أن ترفض من الجانبين الأمريكى والإسرائيلى.

وهنا يطرح التساؤل نفسه حول هذه الصيغة وعما إذا كانت إسرائيل تقبل التفاوض من أساسه، وعما إذا كانت هناك قوى قادرة وقابلة لإرغامها على ذلك. ويستمر التساؤل حول الموقف الأمريكى وعما إذا كان يقبل استبعاده عن دوره الأحادى الحاكم، خاصة وأن هذا الدور يصب فى صالح ربيبتها إسرائيل. وأن تقبل كذلك أن يشاركها آخرون، وحدود الدور

بعد إتمامها فى الوقت المناسب. وانتقدت السفارة الأمريكية نيكي هايلى أيضا الموقف الفلسطينى بشدة.

وتضمن بيان ديوان رئاسة الوزراء الإسرائيلى أن أبو مازن لم يقدم أى جديد، وأنه يواصل الهروب من عملية السلام، وينفق أموالا طائلة على الإرهابيين وعائلاتهم، وأضاف المندوب الإسرائيلى فى نيويورك أن أبو مازن لم يعد جزءا من الحل، وإنما أصبح هو المشكلة، واتهمه بالتحريض على العنف ودفع رواتب للإرهابيين (يقصد موظفى السلطة الفلسطينية).

- وفى اعتقادى أن التحرك الفلسطينى فى مجلس الأمن يندرج فى إطار ما يسمى بـ «تقطيع الوقت» أو ملء الفراغ الناجم عن الجمود الكامل فى عملية السلام، وهو أمر ضار بطبيعة الحال لأن إسرائيل من جانبها لا تتوقف عن التحرك، على الأقل فى بناء

مدى تأثير الداخل الإسرائيلي على القضية الفلسطينية والوضع الإقليمي

يواجه رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو خلال الفترة الحالية أزمة غير مسبوقة لم يتعرض لها بهذا الشكل الحاد من قبل وقد تصل تداعياتها إلى مرحلة إنهاء مستقبله السياسي وذلك في ضوء توجيه العديد من اتهامات بالفساد له في أكثر من قضية تم التحقيق في بعضها ولا يزال التحقيق مفتوحاً في البعض الآخر.

من خلال علاقته بمالك صحيفة ידיעות أحرونوت (أرنون موشيه) بدفعه لتغطية إعلامية لصالح رئيس الوزراء في هذه الصحيفة واسعة الانتشار مقابل العمل على إضعاف الصحف المنافسة له.

القضية المعروفة بالملف رقم 4000 وهي من أهم القضايا التي يواجهها نتنياهو حيث يتم التحقيق في استغلال سلطته خلال توليه منصب وزير الاتصالات إلى جانب منصب رئيس الوزراء في دفع شركة الاتصالات الإسرائيلية (بيزك) لنشر دعاية مؤيدة له مقابل حصول الشركة على العديد من المزايا، وقد قامت الشرطة الإسرائيلية بوقف مدير عام وزارة الاتصالات عن العمل والتحقيق معه وحاولت الضغط عليه ليكون شاهد إثبات ضد نتنياهو كما فتحت التحقيق مع العشرات من العاملين في الشركة للوصول إلى ما يمكن أن يدين نتنياهو.

القضية المعروفة بملف رقم 1270 وهي تتعلق بمحاولة أحد المقربين من نتنياهو التدخل لتعيين مستشارة قضايا الحكومة في مقابل إغلاق ملف فساد خاص بزوجة رئيس الوزراء.

وبالرغم من أن ملفات الفساد لاتزال مفتوحة ضد نتنياهو إلا



لواء محمد ابراهيم

عضو المجلس المصري للشؤون الخارجية

mohamedeldewery@yahoo.com

هنا أن نتنياهو تعرض ويواجه عدة قضايا وتحقيقات وضغوطاً في توقيته واحد حيث تم فتح العديد من ملفات الفساد التي تطاله شخصياً وتمس أيضاً أسرته ويمكن توضيحها على النحو التالي:

القضيتان المعروفتان بملف رقمي 1000 و 2000 حيث أوصت وحدة مكافحة الفساد في الشرطة الإسرائيلية يوم 7 فبراير 2018 في تقييماتها المرفوعة للنائب العام بتقديم لائحة اتهام ضد نتنياهو نظراً لأن هناك أدلة كافية بتلقيه وزوجته في القضية الأولى رشاوى مختلفة تم تقديرها بآلاف الدولارات من مستثمرين وغيرهم من رجال الأعمال تمثلت في مشروبات كحولية وسيجار، أما في القضية الثانية فقد قام نتنياهو

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا يتركز في مدى ما يمكن أن تمثله احتمالات اختفاء نتنياهو من الساحة السياسية من تغيير إيجابي أو سلبي تجاه عملية السلام في الشرق الأوسط، وكذا التغيير المتوقع في طبيعة المعادلة الإقليمية الراهنة في المنطقة.

بداية نشير إلى أن قضايا الفساد ليست حدثاً جديداً في الحياة السياسية الإسرائيلية فهناك قضايا متعددة شابت أهم القيادات التي تولت مناصب شديدة الحساسية مثل رئيس الوزراء الأسبق أريئيل شارون وقضية الجزيرة اليونانية - والوزراء سيلفان شالوم، وأرييه درعي، وافيجدور ليبرمان، وحاييم رامون، في قضايا فساد واحتيال وتحرش - وكذلك الحكم بالسجن على رئيس الوزراء الأسبق إيهود أولمرت في قضية فساد خلال توليه منصب رئيس بلدية القدس ووزارة المالية، والحكم بالسجن على رئيس الدولة الأسبق موشيه كتساف بتهمة الاغتصاب، الأمر الذي يعكس مدى حالة الفساد التي تميز الوضع في إسرائيل ليس على مستوى المواطن العادي وإنما على مستوى أهم القيادات الحزبية والسياسية.

ورغم ذلك فإن العنصر الجديد



أن الأمر لن يصبح جدياً ونهائياً ويصل بنتنياهو هو إلى مرحلة المأزق الحقيقي إلا في حالة تقديم النائب العام (أفيخاي مندلبليت) لائحة اتهام تدينه وهو الأمر الذي لم يحدث حتى الآن، وقد يستغرق أسابيع أو شهوراً، ومن ثم يسعى نتنياهو لاستخدام كافة أدواته كي لا يصل الموقف إلى حافة الهاوية، وذلك من خلال نفيه كافة هذه الاتهامات، ومؤكداً أن هناك العديد من المتربصين به حتى داخل لجان التحقيق في الشرطة، كما أكد في تصريحات موجهة إلى الرأي العام الإسرائيلي بأنه لم يعمل طوال حياته السياسية إلا لصالح أمن واستقرار ورفاهية الدولة.

وحتى يكون التقييم موضوعياً من الضروري أن نوضح مدى ما يتمتع به نتنياهو حالياً من ثقل حتى يمكن الحكم على قدرته على مواجهة أية تداعيات سلبية على وضعيته، وفي هذا الشأن نشير

إلى ما يلي:

إن نتنياهو الذي يعتبر أصغر رئيس وزراء في تاريخ إسرائيل تولى هذا المنصب يترأس حكومته الحالية منذ عام 2015 وهي الولاية الثالثة له على التوالي، وهذه الحكومة حتى وإن كانت لا تتمتع بأغلبية كبيرة في الكنيست (68 عضواً) إلا أنها تعتبر حكومة قوية ومستقرة إلى حد كبير وبها قدر واضح من التناغم السياسي المتطرف ونجحت في مواجهة المشكلات التي تعرضت لها، مع العلم بأن الانتخابات العامة المقبلة من المقرر أن تجرى في نوفمبر 2019.

نجاح نتنياهو في تجاوز سلبيات علاقاته مع الإدارة الأمريكية السابقة بإقامة علاقات وطيدة مع إدارة الرئيس ترامب التي تؤيد الموقف الإسرائيلي وتدعمه بشكل مطلق وليس أدل على ذلك من القرار الذي اتخذته

الرئيس الأمريكي في 6 ديسمبر 2017 بالاعتراف رسمياً بأن القدس هي عاصمة لإسرائيل والتوجيه نحو نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس في منتصف العام الحالي 2018. وفي هذا المجال نشير إلى أن واشنطن اعتبرت أن قضايا الفساد التي يواجهها نتنياهو مجرد شأن إسرائيلي داخلي ليس لها أية علاقة به.

توجه نتنياهو نحو إظهار تأييد إسرائيل لموقف المعسكر السني في مواجهة المعسكر الشيعي (الإرهابي) الذي تمثله إيران مما دفعه إلى التصريح في أكثر من مناسبة بأن علاقاته العربية تطورت كثيراً، ولم تصبح إسرائيل هي العدو الرئيسي للعرب.

اتجاه نتنياهو إلى التحرك من الناحية العملية من أجل إثبات أن الأمن الإسرائيلي يتعرض لبعض المخاطر في هذه المرحلة في

مدى تأثير الداخل الإسرائيلي على القضية الفلسطينية والوضع الإقليمي

ضوء تطورات الأوضاع في سوريا، الأمر الذي دفعه إلى توجيه ضربات عسكرية مؤثرة ومنتالية لأهداف عسكرية وإيرانية موجودة في سوريا. ولا يزال هذا الملف مفتوحاً وقد يتصاعد في أي وقت.

أن الأحزاب المتشددة التي تشارك نيتها في الائتلاف الحاكم حالياً (خاصة حزب البيت اليهودي برئاسة نفتالي بينيت، وحزب كلنا برئاسة موشيه كحلون، وحزب إسرائيل بيتنا برئاسة أفيدور ليرمان) لا تزال ترى أن بقاءه في الحكم يحقق لها مصالحها وأهدافها، خاصة وأنها لا تضمن أن تحصل في أية انتخابات مبكرة على نفس عدد الأصوات التي تتمتع بها حالياً، كما يمكن لها في نفس الوقت استثمار هذه الأزمة في الضغط على نيتها لتحقيق بعض مطالبها المادية أو السياسية خاصة في مجال بناء المستوطنات.

أن المعارضة الإسرائيلية فشلت حتى الآن في أن تثبت أنها البديل المقبول من جانب الرأي العام الإسرائيلي إذا ما سقط نيتها وحكومته، وإن كان الرئيس الجديد لحزب العمل الإسرائيلي (أفي جاباي) يهدف إلى تغيير هذا الوضع، ولكنه لا يتمتع بالكاريزما المطلوبة، كما أن (يائير لبيد) رئيس حزب ييش عاتيد (هناك مستقبل) يسعى أيضاً



تمسك الفلسطينيون بالأرض رغم الاحتلال

هل استمرار نيتها في الحكم يصب في مصلحة عملية السلام أم أن تخليه عن المنصب إذا تطورت قضايا الفساد ضده يكون مقدمة لدفع جهود التسوية السياسية؟ ومن وجهة نظري، فمن المؤكد أن نيتها سوف يقاتل بكل شراسة من أجل تجاوز مشكلات الفساد المحيطة به وهذا هو خياره الأول الذي يتبناه بقوة. أما في حالة فشله في هذا المسار فسوف يلجأ مضطراً إلى تقديم موعد الانتخابات العامة، وهو ما يعني من الناحية العملية عدم وجود أي تقدم في عملية السلام لصالح الفلسطينيين، وسيظل الأمر يدور في حلقة مفرغة لكسب مزيد من الوقت.

ومن ناحية أخرى فحتى في حالة اختفاء نيتها من الساحة السياسية فإن اليمين الإسرائيلي سوف يستمر في فرض سطوته وقوته على الحياة السياسية

لاستغلال هذا الموقف من أجل التأثير على نيتها، وكذا على قوة حزب الليكود خاصة وأن وضعيته تتحسن تدريجياً في استطلاعات الرأي.

وفيما يتعلق بتأثيرات هذه القضية على مستوى الرأي العام الإسرائيلي فمن الواضح أن العديد من استطلاعات الرأي التي يعتد بها لم تصل حتى الآن إلى مرحلة المطالبة الكاملة أو توافق الأغلبية على ضرورة استقالة نيتها. كما أن معظم هذه الاستطلاعات مازالت ترى أن حزب الليكود يعد أفضل الأحزاب التي يمكن أن يصوت لها المواطنون في حالة إجراء انتخابات برلمانية جديدة في حالة تقديم لائحة اتهام لنتها، وبالتالي يمكن القول أن الرأي العام لم يشكل في مجمله حتى الآن عنصراً ضاغطاً لإجبار نيتها على تقديم استقالته. ونأتى إلى التساؤل الرئيسي



عنف الجيش الإسرائيلي ضد المدنيين

بالإضافة إلى مخاطر التواجد الإيراني المكثف في سوريا. * وفي ضوء ما سبق لا أرى أن هناك ثمة تغيير ملموس يعتد به يمكن أن يحدث في حالة اختفاء نتنياهو عن الساحة السياسية، ومن ثم يصبح بقاؤه في الحكم من عدمه لا يحمل جديداً لصالح القضية الفلسطينية أو للموقف الإقليمي ما دام اليمين المتطرف هو الذي يحكم إسرائيل، وما لم تحدث متغيرات حقيقية في معادلة الوضع الراهن في المنطقة، وبالتالي علينا ترقب ما سوف تطرحه الإدارة الأمريكية من خطة سلام جديدة ومدى ما يمكن أن تحدثه هذه الخطة من تغيير حقيقى فى عملية السلام، كما علينا ترقب مستقبل المصالحة الفلسطينية التى لا تزال متعثرة حتى الآن رغم الجهود المضنية التى تبذلها مصر.

(موشيه يعلون) سوف يستثمر الموقف فى خوض الانتخابات على أمل أن يخلف نتنهاو عندما تكون الظروف مناسبة. 3 - أن المعارضة الإسرائيلية لا تزال ضعيفة ولا تستطيع أن تتحمل مسئولية تقديم تنازلات للفلسطينيين أو تتهاون فى التعامل مع المهددات التى يمكن أن تؤثر على الأمن الإسرائيلى، كما أن المجتمع الإسرائيلى لا يزال يرى أن أحزاب اليمين هى الأكثر قدرة على تأمين الدولة وعلى مواجهة الإرهاب الذى يضرب منطقة الشرق الأوسط. 4 - القيود المحيطة بالمحددات الخارجية التى يمكن أن تؤثر فعلياً على توجهات القيادة الإسرائيلية الجديدة فى مرحلة ما بعد نتنهاو وتدفعها إلى التشدد ولاسيما استمرار سيطرة حماس على القطاع واحتمالات حدوث مواجهة عسكرية معها فى أى وقت،

الإسرائيلية فى ضوء المحددات الأربعة الآتية:

1 - أن حزب الليكود بقياداته التقليدية أو الجديدة وبمواقفه المتشددة تجاه عملية السلام لا يزال يحتل الأولوية فى كافة استطلاعات الرأى العام الإسرائيلى مقارنة بأحزاب اليسار أو الوسط. كما أن الأحزاب الدينية والقومية المتطرفة التى تأتلف بشكل تلقائى مع الليكود لا تزال تحظى بأهمية فى هذه الاستطلاعات.

2 - أن البديل المتوقع لنتنهاو سيكون أحد القيادات اليمينية من داخل الليكود التى تتبنى موقفاً متشدداً من القضية الفلسطينية وأسقطت من حساباتها مبدأ حل الدولتين، مع الأخذ فى الاعتبار أنه لا توجد أية قيادات تتمتع بالكاريزما التى يتمتع بها نتنهاو وإن كان قيادى الليكود (جدعون ساعر) يحاول أن يعرض نفسه كبديل، كما أن وزير الدفاع السابق

الشرق الأوسط ساحة الحرب الباردة الجديدة

كان العالم كله خلال فترة الحرب الباردة ساحة للصراع بين المعسكرين الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة، والتي انتهت في عام 1990 بانتصار المعسكر الغربي وانحيار الاتحاد السوفيتي وتفكك حلف وارسو. واعتمدت استراتيجية المعسكرين على جذب أكبر عدد من الدول خاصة ضمن قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا ومنطقة الشرق الأوسط التي كانت أحد أبرز مناطق الصراع بين القطبين. لكن بعد انتهاء الحرب الباردة تقلصت ساحات الصراع بين الولايات المتحدة وروسيا وريثة الاتحاد السوفيتي، إلى منطقة شرق أوروبا والصراع في أوكرانيا، إضافة إلى الشرق الأوسط الذي أصبح الساحة الرئيسية للحرب الباردة الجديدة بين القوى الكبرى والإقليمية وزادت تشابكات وأدوار تلك الدول في المنطقة.

حيث تدخلت كل قوى لدعم طرف موال لها، مما غذى حالة الاستقطاب الداخلي وتعقدت تلك الصراعات. وزادت رخاوة المنطقة وهشاشتها بعد ثورات الربيع العربي حيث رأينا صعود أدوار مثل إيران التي استخدمت وكلاءها في المنطقة مثل حزب الله اللبناني والحوثيين في اليمن وعشرات المليشيات في العراق وسوريا كعصائب أهل الحق والنجباء والفاطمييين.. إلخ، لتعظيم نفوذها وتمدها عبر المنظور الطائفي ومفهوم نصره المظلوم، الذي يقتصر على الشيعة فقط، بينما وجدت تركيا ضالتها في توظيف تيارات الإسلام السياسي والإخوان كأدوات لإحياء العثمانية الجديدة، أما روسيا فقد سعت لتعظيم دورها وتواجدها في المنطقة في لعبة الصراع والتنافس الإستراتيجي مع الولايات المتحدة ونقله من أوكرانيا إلى الشرق الأوسط، وهو ما دفع الولايات المتحدة بدورها إلى إعادة انخراطها بشكل أكبر في المنطقة وأزماتها خاصة في عهد ترامب، بينما قامت إسرائيل بتوظيف تلك الحالة من السيوالة في العالم العربي لتنفيذ مخططاتها سواء فرض سياسة الأمر الواقع والتوسع في الاستيطان والقضاء على ما تبقى من القضية الفلسطينية، أو في إزالة أي تهديد إستراتيجي لها بانحيار العديد من الجيوش العربية كما حدث في سوريا والعراق. وكانت المحصلة النهائية أن القوى الخارجية سواء الدولية أو الإقليمية هي المحرك الأساسي لتفاعلات



د. أحمد سيد أحمد

خبير العلاقات الدولية في الأهرام

ahmedsaidahmed@hotmail.com

ثمة مجموعة عوامل تفسر لماذا الشرق الأوسط ساحة الحرب الباردة الجديدة:

الأهمية الإستراتيجية للشرق الأوسط سواء في جغرافيته السياسية وممرات الملاحة الدولية المهمة التي تمر من خلاله، أو نتيجة موارده الضخمة من النفط والغاز، والذي لا يزال يشكل عماد الاقتصاد العالمي، ومن ثم يمثل محركا أساسيا في سياسات الدول الكبرى تجاه المنطقة، حيث أصبح الساحة الأساسية للحرب الباردة الجديدة ولصراعات القوى الإقليمية الكبرى كالولايات المتحدة وروسيا والصين أو القوى الإقليمية كتركيا وإيران وإسرائيل، فهو منطقة رخوة أغرت تلك الدول إلى تعظيم مصالحها ونفوذها السياسي والاقتصادي، وتسببت لعبة المصالح وتعارضها بين تلك القوى إلى اندلاع العديد من أزمات المنطقة وإطالة أمدها

وعلى خلاف مناطق العالم الأخرى يحتل الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب الباردة المرتبة الأولى عالميا في مؤشرات عدم الاستقرار السياسي والأمني، بما يشهده من صراعات وأزمات وحروب وتشابكات خارجية، فالشرق الأوسط به أكبر عدد من الصراعات في سوريا واليمن وليبيا والعراق والصومال، وأكبر عدد من التنظيمات الإرهابية مثل داعش وجبهة النصرة والقاعدة وغيرها من عشرات التنظيمات الإرهابية، كما يحظى بأكبر عدد من اللاجئين والنازحين والمهاجرين، بل امتدت شظايا نيران المنطقة إلى بقية مناطق العالم الأخرى خاصة فيما يتعلق بالإرهاب واللاجئين والهجرة غير الشرعية.

الشرق الأوسط ومنذ الغزو العراقي للكويت وحرب الخليج الثانية، لم يشهد مرحلة واحدة من الاستقرار، فبالإضافة إلى الأزمة المزمنة وهي القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، أضيفت أزمات جديدة بداية بحرب الخليج الثالثة والغزو الأمريكي للعراق عام 2003 وانتهاء بمرحلة الانتفاضات العربية في عام 2011 والتي كانت أكثر سخونة لما تميزت به أزماتها من تعقيدات وصراعات وحروب عنيفة وبروز الفاعلين من غير الدول وتعرض بعض دوله لانحيار الدولة الوطنية واستمرار تلك الأزمات في وضع اللا حل كما في ليبيا وسوريا واليمن والصومال.

وأزمات وصراعات المنطقة في مقابل تراجع الدور العربي في إدارة أزماته. إشكالية الدين والسياسة في المنطقة، والتي جعلت العلاقة بينهما في حالة تعارض وتصادم دائم، نتيجة لدخول تنظيمات الإسلام السياسي على خط السياسة، وتوظيف الدين لأغراض سياسية للوصول إلى الحكم وخدمة أجنداتها وأجندات القوى الدولية التي تدعمها، وسعت لتوظيف الربيع العربي ولعبة الديمقراطية التي لا تؤمن بها، للوصول إلى غايتها وعندما فشلت لجأت للعنف، وهو ما تجسد في ظهور تنظيمات مثل داعش وغيرها، التي شوهت صورة الإسلام. وقد سعت الدول الكبرى إلى توظيف التنظيمات الإرهابية لتعظيم نفوذها وتدخلها في المنطقة، فمن ناحية ساهمت بعض أجهزة مخابرات الدول الكبرى في إنشاء تنظيم داعش الإرهابي لتفتيت الدول العربية وغشاء الحروب الأهلية فيها تحت غطاء الديمقراطية والحرية والتغيير السياسي، ومن ناحية ثانية، وظفت الدول الكبرى والإقليمية هذه التنظيمات الإرهابية كذريعة للتدخل في منطقة الشرق الأوسط تحت مبرر محاربة الإرهاب، فقد أنشأت الولايات المتحدة التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش والذي يتكون من 60 دولة، وتدخلت في سوريا والعراق، ونجحت في إيجاد مناطق نفوذ لها في شرق سوريا إضافة إلى إعادة انخراطها العسكري في العراق، كما تدخلت روسيا إلى جانب النظام السوري في عام 2015 في الحرب ضد المعارضة والفصائل المسلحة وحصدت من تدخلها إقامة قاعدة جوية لها في حميميم وتوسيع قاعدتها البحرية القديمة في طرطوس باللاذقية، كما تدخلت تركيا لسيطرت نفوذها في شمال سوريا تحت ذريعة محاربة قوات وحدات حماية الشعب الكردي والتي تعتبرها منظمة إرهابية ترتبط بحزب العمال الكردستاني التركي، ودخلت عفرين في سوريا وقد أطلقت عملية درع الفرات، بينما تدخلت إيران في الصراع السوري إلى جانب النظام بعشرات الميليشيات الشيعية مثل الفاطميين والزينبيين والعباسيين

وعصائب أهل الحق والنجباء وغيرها وتحت إشراف قوات الحرس الثوري الإيراني وفيلق القدس، الذراع العسكري للحرس الثوري في الخارج، وتحت مزاعم محاربة التنظيمات الإرهابية المتطرفة مثل داعش، بينما غزت إيران الصراع الطائفي في المنطقة عبر أذرعتها العسكرية ووكلائها من الميليشيات الشيعية التي مارست أعمال العنف والإرهاب لا تقل خطورة عما مارسته التنظيمات الدينية السنية مثل داعش والقاعدة. وسعت طهران إلى إقامة ممر برى يربط بين إيران والبحر المتوسط مروراً بالعراق وسوريا وانتهاءً بلبنان. ولذلك تعارضت مصالح تلك الدول فيما بينها وسعى كل منها إلى توظيف حالة السيولة التي يعيشها الشرق الأوسط منذ الانتفاضات العربية في 2011، وتبدلت مواقفها وتحالفاتها دفاعاً عن مصالحها، كما حدث مع تركيا التي دخلت مع روسيا وإيران في تحالف مواجه للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ومعها الدول الغربية. وفي ظل تراجع الأيديولوجيا التي كانت تحكم تحالفات الحرب الباردة والسياسات الخارجية للدول، فإن المصلحة الاقتصادية ومصادر الطاقة هي المحرك الأساسي الآن للصراع في ظل الحرب الباردة الجديدة، وهو ما يفسر لماذا تتكالب الدول الكبرى والإقليمية على الشرق الأوسط وتعظيم نفوذها وأدوارها فيه. خاصة بعد ظهور اكتشافات الغاز في شرق البحر المتوسط، كما أن جزءاً من الصراع في سوريا خاصة شرق الفرات نتيجة لوجود موارد الطاقة الهائلة من النفط والغاز فيها، إضافة إلى الصراع على النفط الليبي، وهو ما يعني أن المصالح الاقتصادية هي المحفز والمحرك لسياسات الدول الكبرى والإقليمية تجاه المنطقة.

هشاشة البيئة العربية، خاصة غياب ثقافة الديمقراطية والإدارة السلمية للنزاعات والصراعات والاختلافات وفشل التعايش فيما بينها، فعندما انهارت بعض الأنظمة العربية الاستبدادية، كان البديل هو التطرف والإرهاب والفوضى، ودخلت أطراف المجتمع في نظرية

مباراة صفرية كل منها يسعى للقضاء على الآخر، وتحولت الاختلافات العرقية والدينية والطائفية واللغوية إلى عوامل للصراع والتناحر، بدلاً من أن تكون عوامل للثراء كما هو في بقية مناطق العالم الأخرى التي تشهد مثل هذه الاختلافات، كما اختزلت الديمقراطية في أدوات شكلية في صندوق الانتخابات دون بناء ثقافة الديمقراطية التي تقوم على المواطنة والتسامح والتعايش وتقبل الآخر وإعلاء المصلحة الوطنية العليا كدائرة مشتركة تجمع الجميع في وطن واحد.

إن خروج الشرق الأوسط من ساحة صراع الحرب الباردة الجديدة بين القوى الدولية والإقليمية يحتاج إلى بناء الدولة الوطنية ومؤسساتها القوية، وبناء أسس الديمقراطية الصحيحة، وبناء نموذج التنمية السليم الذي يرتقى بمستوى معيشة المواطنين ويدفع في اتجاه توظيف الموارد البشرية والطبيعية صوب الإعمار وليس للهدم أو الصراع، وقبل ذلك كله وقف كل أشكال التدخلات الخارجية وأن يستعيد العالم العربي زمام الأمور، وتدرك الشعوب العربية أن تكلفة التعايش والبناء والسلام أقل كثيراً من تكلفة الصراع والتناحر الباهظة من دمار وقتل ولاجئين وإعاقة التنمية. فتقوية الدولة الوطنية العربية واستقلالها والحفاظ على وحدتها وسيادتها وتقوية مناعتها الداخلية والمجتمعية وتحقيق التنمية هو المدخل لإخراج الشرق الأوسط من ساحة الحرب الباردة الجديدة.

كما أن الإسراع بحل الأزمات في سوريا والعراق واليمن وليبيا في إطار عملية توسيع سياسية سلمية تقوم على مشاركة الجميع في العملية السياسية وتكريس دولة المواطنة، هو أحد المداخل لإخراج الشرق الأوسط من الحرب الباردة الجديدة، وهو ما يتطلب موقفاً عربياً موحداً لتبريد تلك الصراعات والأزمات وإعادة بناء الدولة وتحقيق استقلاليتها وقرارها واستعادته مرة أخرى من إرادة تلك الدول الإقليمية والدولية.

تداعيات إعادة تموضع واشنطن في الشرق الأوسط

ثمة مؤشرات كثيرة توحى بأن الولايات المتحدة باتت من الزاهدين قليلا في الشرق الأوسط، وأغلب الظن أن واشنطن تجري عملية تراجع محسوب ومحسوس فيما يتعلق بتورطها في المنطقة. ولقد سبق أن اختار الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما سياسة القيادة من الخلف، والآن يرفع الرئيس ترامب شعار «أمريكا أولا»، وتجلياته أن على من يرغب في دور أمريكي أن يدفع، والخلاصة أن مظلة الحماية الأمريكية «لمن يدفع أكثر»، وانتهى زمن «الركوب المجاني» للشركاء والحلفاء في أوروبا والشرق الأوسط على حد سواء.

الاهتمام بسلوك واشنطن سوف يتعلق بتعاملها مع طهران. فمن جانب، طالب أوباما صراحة الرياض بالتكيف مع واقع «نقاسم النفوذ» مع إيران في المنطقة، وفي المقابل لم يحدث أي تغيير جذري في عهد ترامب، وإن كان هناك الكثير من الضجيج والقليل من الفعل على الأرض. ولكن في الأغلب سوف تستمر واشنطن في سياسة الاحتواء، مع الاستفادة من وجود طهران كـ «فزاعة تهديد» لجيرانها ولبقية المجتمع الدولي وخاصة أوروبا. ومن ناحية أخرى، فإنه بينما تتحدث واشنطن عن مواجهة جهود إيران لنشر نفوذها في الشرق الأوسط، فإنها ما زالت غير مستعدة للمشاركة بشكل مباشر في مثل هذه الجهود. ففي سوريا بوجه خاص، كانت الولايات المتحدة بطيئة في مواجهة حشد إيران العسكري وإمكانياتها في استعراض قوتها، وقد سعت الولايات المتحدة طوال سنوات كثيرة لتحقيق تكامل بين الدفاعات الإقليمية في الخليج بهدف ردع إيران، لكن تلك الجهود تباطأت كثيرا، وخاصة بسبب ما شهده مجلس التعاون الخليجي من توترات، وعدم قدرة إدارة ترامب على تهدئة هذه التوترات. ويرى البعض أن الاختبار الحقيقي لواشنطن سوف يتضح لحظة تصاعد وتيرة الخلافات



محمد صابرين

mohsabreen@yahoo.com

الجيش الأمريكي بتوجيه هجمات ضد الجماعات التابعة للقاعدة وداعش بتعاون مع الحلفاء العرب. ولا توجد الكثافة الدبلوماسية التي يراها المرء حول سوريا. ويبدو أن الولايات المتحدة ترى أن مشكلة اليمن يصعب حلها، ويتعين على المشاركين في القتال أن يجدوا لها الحل بأنفسهم. كما يمكن للمرء رؤية هذه الدلائل في تكرار الرئيس ترامب لفكرة أن الولايات المتحدة ضخت 7 تريليونات دولار في الشرق الأوسط منذ عام 2001 دون أن تجني نتائج كبيرة من وراء ذلك، وهناك إجماع متزايد بين جميع الأطراف في الولايات المتحدة على أن الشرق الأوسط كان استثمارا سيئا للغاية بالنسبة لها طوال الخمسة عشر عاما الماضية، وأن صبر من يقدمون الأموال قد نفذ.

طهران فزاعة تهديد لجيرانها
وأحسب أن جانباً كبيراً من

ومن المهم هنا أن نلاحظ أن مسألة التوصيل المجاني كانت شكوى أوباما واستمر ترامب في الحديث عنها بصلافة وبعجرفة أكبر وأوضح. ترى هل الأمر جاد وله تداعيات يتعين أن نستعد لها.

ولعل البداية هنا تتعلق بعودة الحديث بكثرة عن انسحاب واشنطن بالرغم من أن ترامب فاجأ الجميع بزيارة السعودية في أول زيارة خارجية له بعد تنصيبه، وفي واحدة من أحدث الكتابات حول ذات الموضوع يؤكد جون الترمان مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية بواشنطن أن نموذج اليمن هو النموذج الجديد لتعامل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، ورغم عدم سرعة إدراك الدول الحليفة لذلك، رغم أن هناك دلائل واضحة عليه، ومن بينها موقف البيت الأبيض بالنسبة للنزاع الفلسطيني- الإسرائيلي، والذي يؤكد باستمرار أن أي شيء يتفق عليه الطرفين فيما بينهما سيكون مقبولا من جانب الولايات المتحدة.

ويقول ألتزمان في تقرير له- نشره المركز مؤخرا- إن واشنطن تتعامل مع ما يحدث في اليمن عن بعد، فهي تكتفي بإعادة تزويد طائرات الحلفاء الحربية بالوقود، وتبيع للحلفاء الأسلحة، ويقوم



واللجوء للاحتكام إلى السلاح. وحتى الآن فإن واشنطن تراهن على الأكراد وتعمل على تقسيم سوريا، ولكن الثمن باهظ ولن تسمح قوى عديدة بحدوث ذلك.

ولقد قدم الدبلوماسي الأمريكي الشهير وليام بيرنز فى مقالة مشتركة مع جاك سوليفان - باحث أول فى مؤسسة كارنيجي- نشرت فى صحيفة واشنطن بوست (يناير 2018) توصية مهمة للتعامل مع طهران، فقد كتباً تحت عنوان الاحتجاجات الإيرانية فرصة لترامب- وإنما ليست الفرصة التى يريدها. يقولان:

« فى نهاية المطاف، يقتضى الدعم الفطن للشعب الإيراني ولمصلحتنا الإستراتيجية فى الحد من التهديد الإيراني، أن نواصل إنحاء اللائمة على عاتق النظام الإيراني. وهذا لا يمكن فى إطلاق تغريدات تبجحية أو اتخاذ خطوات حمقاء لإبطال الاتفاقات، لا تؤدى سوى إلى مساعدة الخصم على حرف الانتباه عن الموضوع الجوهرى. يشكّل إرساء توازن بين الأدوات المختلفة، العلامة الفارقة التى تتميز بها الدبلوماسية الأمريكية الفاعلة، وفق ما أظهره الرئيس رونالد ريجان فى إدارته لاتفاقات الحد من الأسلحة ذات الشروط القاسية مع الاتحاد السوفييتى، مع تشديده فى الوقت نفسه على المخاوف فى مجال حقوق الإنسان وحشده للضغط الدولية ضد السلوك السوفييتى الخطر، إنه نموذج جيد من المناسب الاقتداء به، فى وقتٍ تتكشف فيه التناقضات الداخلية فى إيران بمزيد من الوضوح.»

اليمن مؤثر سياسة

ترامب فى الشرق الأوسط

ويبقى فى النهاية أن ثمة مؤشرات مهمة وعواقب لا يمكن تجاهلها فيما يتعلق بعملية إعادة التموضع الأمريكية حول العالم،

المتحدة بالمشاركة فى دبلوماسية المنطقة ضئيل، وهو ما له تداعيات فى أنحاء الشرق الأوسط، كما يبدو أن الدافع للتوسط فى نزاعات المنطقة وإدارتها قد تضاعف بدرجة كبيرة. ومن المحتمل أن تسفر هذه الاتجاهات عن عدة تأثيرات. أحدها هو أنه سيكون للولايات المتحدة نفوذ أقل على شكل الصراعات فى الشرق الأوسط. وأغلب الظن أن الحديث عن ترتيبات أمن إقليمية فى المنطقة، والشكوى من عدم وجود أطر إقليمية أو دولية لحماية الأمن فى البحر الأحمر وممرات التجارة الدولية، وتعالى الحديث فجأة فى دول عدة من بينها إسرائيل حول ضرورة شراء أسلحة ذات مواصفات خاصة لحماية ثروة الغاز الجديدة فى شرق المتوسط، والتحرش التركى بمصر وقبرص حول ذات الأمر، وخلاف لبنان وإسرائيل حول الغاز، والحديث المتصاعد عن دور أكبر لحلف الناتو فى ترتيبات الأمن، وغيرها من الأمور تقول بأن سيناريوهات عدة يجرى صياغتها بسبب عملية إعادة التموضع الأمريكية الجارية ببطء ولكن بثبات.

وتخليها التدريجى عن الشرق الأوسط لصالح التركيز على آسيا «قارة القرن المقبل»، ويرى جون ألترمان أنه لو أخذنا فى الاعتبار أن اليمن مؤثر لسياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، فإن هناك عددا من التداعيات التى ليس من الصعب تخيلها، ومن بينها أن تتناقص المساعدات الأمريكية، لكن من المحتمل أن تكون المساعدات المباشرة لإسرائيل مأمونة. ومع ذلك، فإن إسرائيل قد تشعر بتأثير ذلك بصورة غير مباشرة، حيث من المحتمل أن يكون من الصعب فى السنوات المقبلة حصول الدول المجاورة مثل مصر والأردن على الدعم الأمنى الأمريكى القوى الذى كانت وما زالت تتمتع به، كما أنه من المحتمل أيضا أن يتقلص الدعم الأمريكى المستمر منذ فترة طويلة للسلطة الفلسطينية.

فقد كانت الولايات المتحدة تدعم منذ عقود كلاً من حكومة السلطة الفلسطينية ومنظمات دولية مثل وكالة الغوث والتشغيل التابعة للأمم المتحدة (أونروا)، والتى ساعدت بدورها الشعب الفلسطينى. ويبدو أن تلك المساعدات التى تفيد الأمن الإسرائيلى أيضاً، عرضة كذلك للتأثر. ويبدو أن اهتمام الولايات

توازنات سياسية مريحة في الانتخابات اللبنانية

شكل لبنان على مدى تاريخه حالة استثنائية في المشهد السياسي المتغير دولياً ووبات واحداً من الدول الأكثر عرضة للهزات السياسية الداخلية والخارجية التي تحدث بسبب صراع القوى الإقليمية صاحبة النفوذ المؤثر في تركيبة المجتمع. وفي كل مرة يدفع ثمنها لبنان من رصيد استقراره وخططه التنموية والاجتماعية. وترسم الحالة الاستثنائية للبنان ملامح التجربة السياسية القائمة على الصمود تارة في وجه الانفلات الداخلي بخبرة وحكمة الزعماء والقادة، وتارة أخرى يكون غير قادر على صد الموجة العاتية وتجري في الشوارع المياه الراكدة تزلزل البنيان وتعبث بالوحدة الهشة.

النواب بحضور 98 من أصل 128 من النواب وأقر تعديلاً لقانون الانتخاب من مادة وحيدة تم خلالها تمديد ولاية المجلس بسبب الظروف الأمنية الاستثنائية التي كانت تمر بها البلاد. وقبل نهاية التمديد اجتمع البرلمان في 5 نوفمبر 2014 وقرر التمديد لنفسه حتى 20 يونيو 2017، وبذلك أكمل التمديد أربع سنوات كاملة وقبل إنهاء ولاية المجلس الممددة اجتمع البرلمان في 16 يونيو 2017 وأقر قانوناً انتخابياً جديداً على أساس نظام التصويت النسبي، وضم في بنود القانون تأجيلاً تقنياً للبرلمان لمدة 11 شهر، بحيث تنتهي أعمال البرلمان في 20 مايو 2018، أي بعد شهرين.

ما يتميز به لبنان هو أنه يستطيع تجاوز التداعيات المؤثرة رغم تأثيراتها غير الإيجابية في نسيج العلاقات بين أبناء الشعب الواحد والقائم على تركيبة سياسية طائفية تفتتح شهية كل طفل مولود للتشبث بها وإعلاء مكانتها على ما دونها من روابط اجتماعية وثقافية وسياسية. وكما تعثرت المحاولات الجادة لنفض الغبار عن العقل



ماهر مقلد

mmaklad50@gmail.com

الداخل اللبناني. وهناك أرضية تفاهم واسعة للدور المصري.

نظام ديمقراطي منفتح في مشروعه السياسي

إن تجربة لبنان السياسية والبرلمانية قائمة على نظرية «اللا غالب أو مغلوب» وهي تعني عدم انتصار فريق بالمطلق على آخر. ويحفظ اتفاق الطائف هذا التوازن ويوزع السلطات الثلاث بين الطوائف، وتفرض دوماً التجربة هناك بدائل للتعامل مع الواقع بالطريقة اللبنانية. فعلى الرغم من أن مدة دورة البرلمان هي أربع سنوات، إلا أن برلمان عام 2009 مستمر منذ ذلك التاريخ، واجتمع في 31 مايو 2013 مجلس

لبنان مجتمع صغير يتكون من 19 طائفة تعيش على مساحة 10452 كيلو متراً مربعاً، ولكل طائفة حقوق ومميزات وتطمح في المزيد. وترتبط هذه الطوائف بامتدادات خارجية إقليمية ودولية تستمد منها التاريخ على رقعة الجغرافيا. وهناك 12 مخيماً للاجئين الفلسطينيين يقطنها نصف مليون لاجئ وفق أقل التقديرات، زاد عليها النزوح السوري بسبب الحرب بما يقدر بمليون نازح، وهي فاتورة مكلفة يتحملها لبنان في ظروف غير مواتية.

وبالنظر إلى الدور المصري في لبنان يلاحظ المتابع أن الدبلوماسية المصرية حافظت على علاقات مع كل القوى اللبنانية وساندت في كل المواقف الصعبة مركزية الدولة وثبات قرارها وعدم منح الفرصة لفريق لتحقيق الانتصار على فريق آخر في ملعب السياسة لضمان الاستقرار. وكانت ولا تزال مصر تسدي النصيحة لكل الفرقاء بعيداً عن المصالح ولضمان مستقبل الاستقرار في هذا البلد، وهو دور ملموس في

أقل ما يمكن أن توصف به أنها فريدة، وتشكل العاصمة بيروت مركز الثقل الحكومي شأنها في ذلك شأن كل العواصم في العالم، غير أن التوازنات السياسية في لبنان تمنح المناطق الأخرى قدراً وافراً من التأثير والحضور الطاغى في صناعة القرارات وإقرارها ومنها تتشكل المواقف المؤثرة في الانتخابات النيابية والرئاسية والمواقف الدولية والتصويت في المنظمات الإقليمية والدولية وهو الأمر الذي لا يعطى ثباتاً في المواقف. فهي تتشكل حسب الأجواء التي تهيمن على المشهد العام، وفي سياق حصر تلك المناطق تبرز منطقة الضاحية الجنوبية وهي تتبع إدارياً محافظة جبل لبنان وإن كانت على بعد بضعة كيلومترات من العاصمة، وبها مقر وزارة العمل. فالمسافات هناك قريبة جداً وتستمد الضاحية ثقلها في ميزان القرار السياسى اللبناني من دور حزب الله الذي يتواجد بكل مؤسساته وقياداته فيها وفي المقدمة الأمين العام للحزب السيد حسن نصر الله. وفي كل الأزمات السياسية التي يكون فيها الحكم هو التصويت سواء داخل الحكومة أو المجلس النيابي يطل بقوة منطق القوة في ضبط إيقاع اللحظة.

وعلى وقع الحملات الإعلامية يعيش لبنان حدث الانتخابات النيابية التي ستجرى يوم 6 مايو 2018 بنظام قانون «النسبية» بعد خلافات دامت لأكثر من ست سنوات حول طبيعة وتفاصيل القانون الانتخابي. وستجرى الانتخابات للمرة الأولى بالنظام النسبي، وبحسب المادة الأولى من القانون، سينتقل لبنان إلى اعتماد النظام النسبي لتوزيع المقاعد



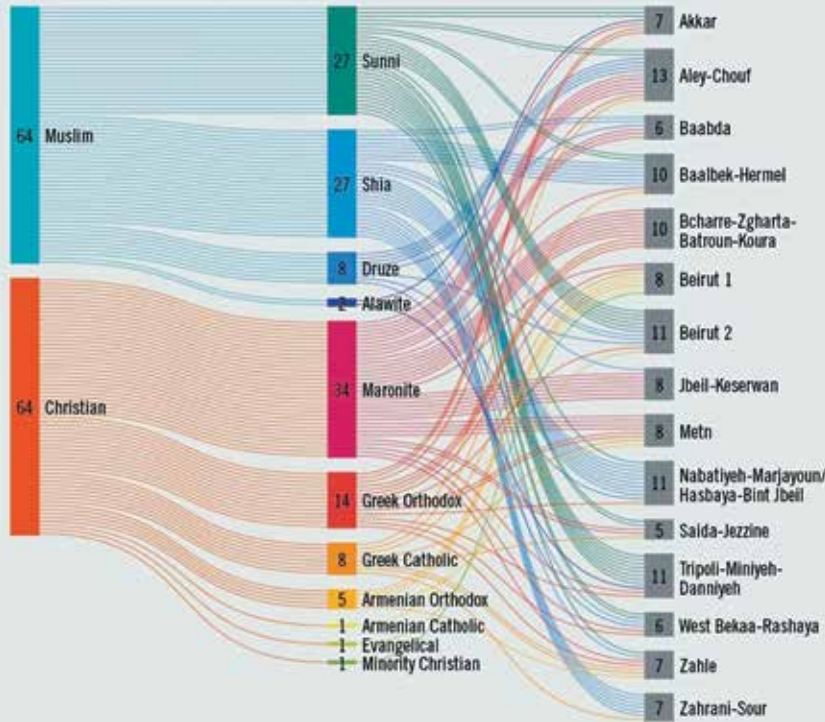
لقد حدد اتفاق الطائف الذي وقع في المملكة العربية السعودية في 30 سبتمبر 1989 إلغاء الطائفية السياسية كأولوية وطنية، إلا أنه لم يحدد إطاراً زمنياً للقيام بذلك، وبعد مرور ثلاثة عقود تقريباً لا يفكر أحد في ذلك الأمر لاعتبارات مهمة هي صعوبة التنفيذ على أرض الواقع، وعدم قدرة أى نظام في السلطة على إقناع نفسه أولاً قبل إقناع الآخرين بالعمل معاً لإنهاء التركيبة السياسية الطائفية. فتظل مجرد شعارات يلوح بها البعض في مرات عديدة. وبقراءة موضوعية للمسألة الطائفية تتصاعد حتماً كل المؤشرات التي تدفع باستمرارها لضمان استقرار الوضع الأمنى والاجتماعى وتمثيل الطوائف في صناعة القرار.

شخصيات تخوض الانتخابات بحسابات مريحة

إن مساحة لبنان صغيرة ويستطيع الزائر التجول فيه شمالاً وجنوباً في زمن قياسي. وهو حتماً يشاهد بلداً وهبه الله مقومات سياحية ومناظر طبيعية خلابة

الطائفى واستبداله بالمواطنة التي تنطلق من مفاهيم اجتماعية وسياسية تتقدم فيها روح الانتماء للبنان الشعب والوطن عن حدود صغيرة تبدأ وتنتهى من الانتماء للطائفة والمذهب ومن بعدهما تأتي مصلحة لبنان.

في العقل الجمعى العربى يقفز لبنان كبلد منفتح ينتهج النظام الديمقراطى فى مشروعه السياسى، وهى صورة براقة مبهجة الألوان، وهى حاضرة ترسمها الطبيعة الساحرة لهذا البلد والتنوع الثقافى لأبنائه والتمازج الواضح مع الحضارات الغربية فى أنماط المعيشة والسلوك، وهى شواهد فى مصلحته، لكنها على أرض الواقع لا تبدو بهذا الشكل تماماً، وتحتاج إلى رؤية مكتملة الأبعاد الحديثة والقديمة لمغزى وجوهر النظام الديمقراطى بالمفهوم القائم على التعددية الحزبية وتداول السلطة والحق المشروع لكل لبنانى فى تقلد أعلى المراتب والمناصب دون قيد أو شرط يمنع هذا الحق عليه.



Source: 2017 Election Law; Ministry of Interior and Municipalities.

© 2017 Executive.com.lb

جدول توزيع مقاعد البرلمان وفقاً للطوائف والاحياء

توازنات سياسية مريحة في الانتخابات اللبنانية

على القوى السياسية المختلفة. وقد حدّدت المادة 98 كيفية توزيع المقاعد على القوائم الانتخابية وبحسب المادة الثانية تم تقسيم لبنان إلى 15 دائرة انتخابية. وعلى عكس القانون السابق الذي عُرف «بقانون الستين» كونه يعود للعام 1960 أتى القانون الجديد ليرفع نسبة تمثيل القوى المسيحية المنتخبة بأصوات المسيحيين وفقاً لما تقتضيه التحالفات.

فقانون الستين كان يعطى القوى المسيحية المختلفة قدرة السيطرة على نحو 47 مقعداً من أصل المقاعد الـ128 للمجلس النيابي الحالي عبر تحالفاتها المختلفة مع القوى الأخرى غير المسيحية، وتطمح مع قانون الـ15 دائرة في توسيع نفوذها والسيطرة على نحو 55 مقعداً.

إن لبنان مؤلف من تركيبة طائفية صعبة. إذ يشكل المسيحيون 35% من السكان فيما المسلمون 65% وحيث توزع السلطة مناصفة بين الطائفتين، وقبل إقرار القانون تحفظ المسيحيون على اعتماد النسبية من زاوية خشية عدم الحصول على الأصوات المناسبة واشتراطوا وضع ضوابط على القانون ألا تقوم الانتخابات على دائرة واحدة إنما على عدة دوائر، إضافة إلى صوت تفضيلي على مستوى القضاء «المحافظة» وليس على الدائرة والصوت التفضيلي، على سبيل المثال قضاء صيدا به 3 دوائر: صيدا وجزين والزهراني. تحظى صيدا بمرشحين وجزين والزهراني بـ 3 مرشحين لكل

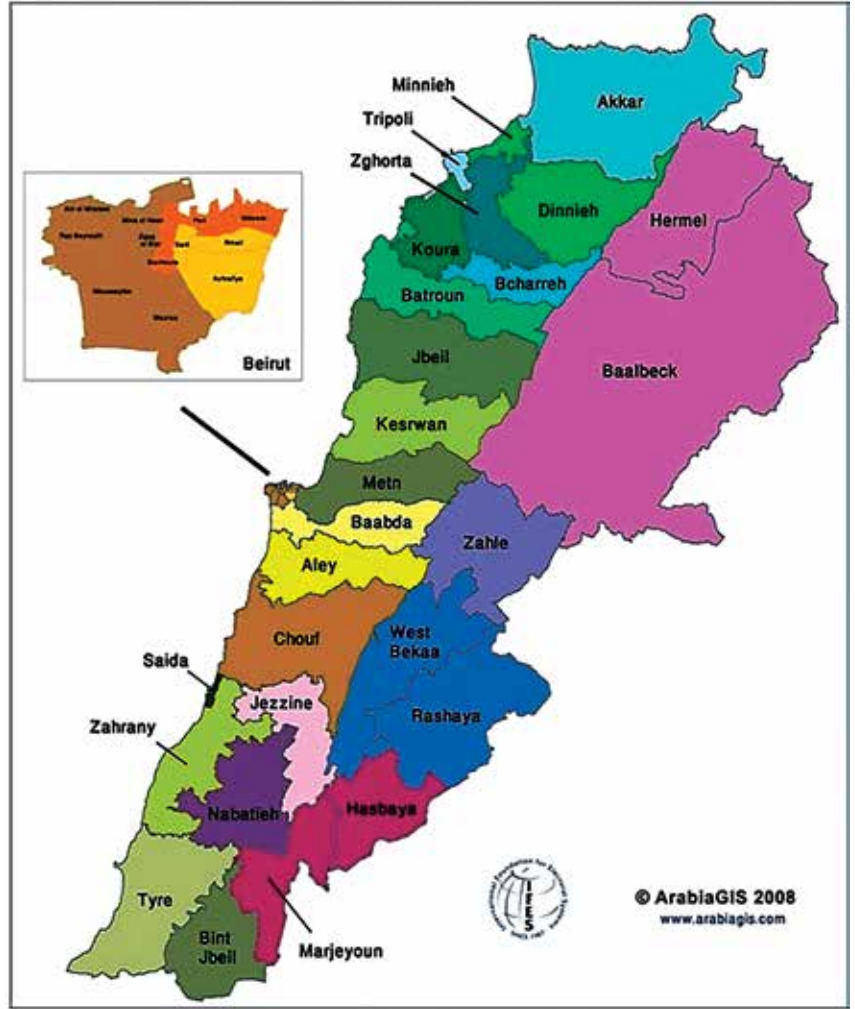
بشخصية قوية ومؤثرة داخل الطائفة ولبنان. وفي كل دورة يكون هو الجواد الرابع. وبقراءة للأسماء المرشحة على المقاعد الشيعية تقفز على الفور حظوظه في الاستمرار رئيساً للمجلس النيابي، ونفس الحال ينطبق على رئيس الحكومة سعد الحريري وهو الاسم الأقوى لرئاسة الحكومة الجديدة بعد الانتخابات كممثل قوى للطائفة السنية التي يجب أن يكون رئيس الحكومة منها. فالحريري زادت خبرته السياسية وأصبح أكثر قدرة على الإدارة الصعبة ونسج خيوط المصالح مع كل الأطراف بما يضمن لحكومته إنجاز الملفات الشائكة. كما يحافظ على علاقة رسمية متميزة مع رئيس الجمهورية العماد ميشال عون. ولقد طويت صفحة طويلة من المد والجزر في العلاقات بين التيارين اللذين يمثلانها تيار

منها، أي تتألف اللائحة من 8 مرشحين وعلى الناخب أن ينتخب اللائحة كاملة إضافة للصوت التفضيلي شرط أن يكون مقيداً بالقضاء. ولعل هذا القانون يدعم نظرية أن المشرّع أقوى من الناخب.

إن المجلس النيابي المقبل، وفق تقديرات المراقبين، يخلو من المفاجآت. فاللوائح أو القوائم الانتخابية التي تتقدم بها القوى السياسية الكبرى ستفوز بالمقاعد، وفي المحصلة النهائية سيكون رئيس المجلس هو نبيه برى زعيم حركة أمل والتي تخوض الانتخابات بقائمة تضم 18 مرشحاً بينهم 10 مرشحين من الحركة و8 مرشحين من الحلفاء، والذي يشغل المنصب منذ عام 1992 ودون أدنى منافسة فهو منصب للطائفة الشيعية وفق اتفاق الطائف. ويحظى برى

الانتخابات على قائمة حزب الله اللواء جميل السيد والذي كان يشغل مدير الأمن العام يوم استشهاد رئيس الوزراء رفيق الحريري، وهو أحد الضباط الأربعة الذين تم توقيفهم أربع سنوات في قضية اغتيال الحريري، وبعد أن أعلن الحزب عن اسمه ثارت اعتراضات كبيرة من نواب في تيار المستقبل وشخصيات إعلامية ووصفوا الخطوة بأنها محاولة من الحزب لاستعادة زمن الوصاية السورية في رمز جميل السيد الذي كان وثيق الصلة بنظام الأسد، فضلاً عن حديث يدور بأن حزب الله قد يدفع به إلى رئاسة المجلس النيابي في مواجهة نبيه برى وهو حديث مسموع في لبنان.

وفي مرات كثيرة تأتي نتائج الانتخابات عكس كل استطلاعات الرأي. فمزاج الناخب لا يعرفه سوى صندوق الاقتراع وهو أمر بالضرورة ينعكس على لبنان بنسبة معينة فهناك مناطق نفوذ للأحزاب والقوى السياسية يستبعد أن يكون التصويت عقابياً أو للمفاضلة بين الأفضل، وإنما هو تصويت للحزب والمشروع السياسي. يحدث هذا في مدينة صور التي تكون الأغلبية فيها لحركة أمل، وفي الجنوب الدوائر التي يهيمن عليها حزب الله. وفي بيروت مركز الثقل لتيار المستقبل، كما هو الحال في طرابلس وفي بعداً مركز الثقل للتيار العوني، وفي الجبل نفوذ الحزب التقدمي. معنى هذا أن التصويت للمشروع وليس لاسم المرشح مما يضمن الفوز للوائح. ويبني كل لبناني آملاً على نجاح تجربة الانتخابات بعد طول انتظار، وأن تمر في جو من الاحترام بعيداً عن التوتر حتى يمضي لبنان نحو مشروعه السياسي الهادف إلى التفاهم لا التباعد.



المقاطعات اللبنانية

ججمع رئيس القوات اللبنانية. كما تبرز في صيدا السيدة بهية الحريري شقيقة رئيس الوزراء الأسبق سعد الحريري، ومعها فؤاد السنيورة كثنائي صعب في صيدا وهي أسماء تخوض الانتخابات بحسابات مريحة وفق النسبية. هذه التوازنات قد تضمن لحزب الله وتيار المستقبل والتيار العوني وحركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي الفوز ويبقى الموقف معلقاً فيما يخص المرشحين الذين سيتم التحالف معهم. حزب الله أعلن أنه لن يجمع نائب البرلمان بين المجلس النيابي ومنصب الوزير وأن المرشحين وبهم وزراء لن يتم تسميتهم في الحكومة وهي تجربة يطبقها الحزب للمرة الأولى. ومن الأسماء التي تخوض

المستقبل الذي يتزعمه الحريري والتيار الوطني الذي أسسه عون وكان يترأسه قبل سنوات. وفي المقابل قد يكون القانون فرصة النجاح لوزير الخارجية جبران باسيل في دائرته الانتخابية البترون، وهو الذي لم يتمكن من الفوز في الانتخابات التي جرت عام 2009 بسبب شدة المنافسة في الدائرة. فالنسبية تمنحه كل الحظوظ. وهناك شخصيات بارزة في لبنان ترتبط بالمجلس النيابي على سبيل المثال الزعيم الدرزي وليد جنبلاط، وسامي الجميل نجل الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل، وهو الآن رئيس حزب الكتائب اللبنانية، ونديم بشير الجميل نجل بشير الجميل، بجانب النائبة ستريدا ججع حرم د. سمير

هدير المدافع يخفى احتراباً على كعكة إعادة إعمار سوريا

سقطت جميع «الخطوط الحمر» فى سوريا، صارت اللعبة الدموية بلا قواعد، كل الأطراف تلعب بالنار، الأتون المشتعل خرج عن السيطرة، توسعت دائرة الحرب، واستخدمت جميع الأسلحة من «الكيمائى» إلى «الأكراد». لا تستنزف المعارك فى سوريا الأصوليتين السنية والشيعية ومعهما إيران وروسيا فقط، بل باتت تنهش مصالح الخليج والأردن وتركيا ومعها الولايات المتحدة.

إذ أفضت حتى الآن إلى قتل نحو ثلاثمائة ألف شخص ومليون مصاب، نحو 14 مليوناً إما لاجئين خارج البلاد وإما نازحين من بيوتهم إلى أماكن أخرى داخلها، أى أن أكثر من نصف السوريين (23 مليوناً) جرى تشريدتهم، وما أكثر السفن الغارقة فى جوف المتوسط، بأعداد غفيرة منهم.

فى سوريا، يمكن أن تعثر على سنى وعلوى ودرزى، عربى وكردى. دون أن تعثر على السورى. كيف تفسر أن سورياً يقاتل إلى جانب قوقازى لأنه سنى، وعلوى يقاتل إلى جانب إيرانى لأنه شيعى، يحلم الأكراد بالانفصال، وتنهمك إسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر فى إشعال النيران، داعش وأخواتها تتراجع نعم، لكن أهوال جرائمها ستتكشف، حين يتوقف إطلاق النار، الخسائر الاقتصادية تقارب 300 مليار دولار، وتحتاج أكثر منها لإعادة الإعمار.

الصيادون والطريدة

على امتداد السنوات الماضية، تعددت المبادرات الدولية، بحثاً عن تسوية للأزمة دون أن تسفر عن الوصول إلى حل سياسى، جنيف 1 و2 و3.. والآستانة،



د.محمد حسين أبو الحسن

m_ha7@hotmail.com

الملايين تدفقوا فى مواكب الهجرة والمذلة، تهاوى الاقتصاد، تكشفت أزمة هوية وولاءات عابرة للحدود والأوطان، سبع سنوات ومازالت دمشق تحاول لملمة أشلائها، تبحث عن «بوابة الخروج» من الدمار إلى إعادة الإعمار ومداوة الجروح العميقة، ومازال السباق محموماً على قرارها تحت أعاصير النار المشتعلة.

تبرز مؤشرات على أن سوريا التى نعرفها لم يعد لها وجود، وأنه سواء تم حل الأزمة أو تأخر الحل، فإن بناء جديداً يتخلق فى هذا البلد، على وهج النيران والقتل والتدخلات الخارجية. ترصد تقارير المنظمات الدولية أن تلك الأزمة هى الأكثر مأساوية، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية،

الجميع يحارب الجميع على أرض الشام، فتغرق دمشق أكثر وأكثر فى مستنقع الفوضى، وعلى الرغم من أن النيران ابتلعت ملايين السوريين وأعادت إنتاجهم قتلى أو معذبين فى غياهب الأرض، فإنهم يجدون عزاءهم فى أن الصباح لا يولد إلا من قلب الظلام.

يصيب المشهد السورى كبار الخبراء الإستراتيجيين بالاندھاش، فقد انخرط لاعبون عالميون من الوزن الثقيل ولاعبون إقليميون فاعلون فى تأجيج الأزمة، ومازالوا يمارسون الألعاب دون صدام مباشر، لكن زحام الجيوش والعتاد فى بلد صغير المساحة، قد يفضى إلى حرب إقليمية أو عالمية، مع أى خطأ فى التقدير أو حادث غير مقصود.

فى 15 مارس 2011، خرجت جماهير إلى الشارع السورى، على غرار انتفاضات تونس ومصر، لكن سوريا سرعان ما أصبحت مسرحاً لحرب أهلية - عالمية، أفرزت كيانات ممزقة وأخرى خائفة، جماعات إرهابية لا مثيل لعنفها، ومن ورائها قوى أجنبية، تعرض وتغذى. تفجرت أنهار الدماء، وتناثرت آلاف الجثث،



وسوتشى، مناورات ومراوغات منصات المعارضة وقواعد النظام. التحولات المتوالية فى مواقف الأطراف المنغمسة بالأزمة من أكبر مسببات الصراع، لاسيما بعد أن فرضت روسيا بتدخلها العسكرى معادلات جديدة على الأرض، مثل الموقف من بقاء نظام الرئيس بشار الأسد من عدمه، بدءاً من مطالبة المعارضة المسلحة وغيرها بتخليه عن السلطة، ونهاية بقبول بقائه فى مرحلة انتقالية محتملة، بوصفه ضالعاً فى محاربة الإرهاب، ولغياب بديل له، نظراً لتشتت «المعارضة» واختلاف مرجعياتها، وتضارب رؤاها حول عملية التسوية نفسها. كثرة الطهارة أفسدت الطبخة السورية، كلما اقتربت من لحظة النضج والحل، تدخل أحد الطهارة ليفسدها ويقلب المائدة على الباقين، وحتى لا نذهب بعيداً، هى معركة طاحنة، تدور بين لاعبين دوليين وإقليميين ومحليين، ينقسمون إلى فريقين: روسيا وإيران والصين والدولة

السورية وحزب الله اللبناني، وفريق آخر يطالب بإزاحة الأسد: الولايات المتحدة وتركيا وقطر والسعودية والجماعات المسلحة وتشكيلات المعارضة. سوريا هى «الطريدة» بين الفريقين بتعبير حمد بن جاسم. إنها إذن مبارزة كونية لن تفرز حلاً إلا بالتوافق بين المتصارعين، ومن ثم فإن إطفاء جذوة الصراع السورى يظل مرهوناً بنضج عوامل التسوية، وفقاً لما تعكسه مصالح القوى الكبرى.

وتحاول روسيا تقليل انخراطها العسكرى وسحب جزء من قواتها، وحصر وجودها فى قواعد الدائمة فى حميميم وطرطوس، حتى لا تستنزف قواها، وتسعى لإيجاد توافق مع طهران وأنقرة، كما حدث فى قمة سوتشى بين بوتين وروحانى وأردوغان، أو «القمة الثلاثية» أبريل المقبل بأنقرة.

وتصر الولايات المتحدة على إطالة أمد الأزمة، بإغراق السوريين، حكومة ومعارضة،

ومن ورائهم الدول الداعمة فى مستنقع يستنزف طاقات الجميع، تدعم الأكراد (قوات سوريا الديمقراطية) وتمتد الجماعات المسلحة بما تحتاج، تحت عناوين الجهاد التى ولد معظمها من رحم الأزمة الأفغانية، ثم العراقية، وبذلك تحقق واشنطن استراتيجيتها فى صورة حرب ذكية تنجز أهدافها، سواء بالتخلص من الجماعات الجهادية المسلحة، أو إسقاط الأنظمة وتفتيت الدول الإقليمية التى ترى أنها تهدد مصالحها أو مصالح حليفها الأولى بالمنطقة إسرائيل. أكثر من مرة قامت الولايات المتحدة بتوجيه ضربات صاروخية لمواقع الجيش السورى، وشنت مقاتلات التحالف الدولى غارات على قواته حينما تقدمت صوب الحدود السورية- العراقية، فى محاولة أمريكية-غربية لمنع تطويق القوات الكردية والجماعات المتطرفة، تقارير صحفية ذكرت أن قوات أمريكية نقلت بعض مسلحي «داعش» من أماكنهم المحاصرة إلى أخرى أكثر أمناً، كى

هدير المدافع يخفى احتراباً على كعكة إعادة إعمار سوريا

يعاودوا الكرة في وقت لاحق، في تكرار لرؤى وتجربة بريجنسكي مع الجماعات الجهادية خلال الزمن السوفيتي.

جميع الأطراف استهلكت تفاصيل صناعة التفاهم الأولي
أحياناً كانت روسيا وأمريكا على مسافة قريبة من مواجهة مباشرة، تستثيرها انتصارات الجيش السوري ونظيره العراقي على الجانب الآخر من الحدود. إسقاط الطائرة الروسية «سوخوي-25»، ثم الإسرائيلية «إف-16»، و«الدرون» الإيرانية، تبرز أن قواعد الاشتباك خلال المرحلة الماضية لم تعد صالحة للاستمرار، وأن «سوتشي» مثل «أستانة» و«جنيف» لا تشكل أرضية صلبة لتأسيس تفاهات جديدة، فقد استهلكت جميع الأطراف تفاصيل صناعة التفاهم الأولي، ومن ثم فإن السلام الحقيقي يبدو بعيداً، لأن السلام مرهون بالتفاهم وصياغة أوضاع سورية ترضى الجميع، وهو أمر غير ممكن في ظل المعادلات وموازين القوى القائمة على الأرض، نتيجة التضارب الحاد في الأهداف بين مجمل الفاعلين، ومن ثم تحمل الفترة الراهنة مخاطر جمة، بدأت نذرها تهديدات واحتكاكات مصبوعة بالدم، وهي مفتوحة على كل الاحتمالات. قد يرى أحدهم أن حالة التراشق بالمواقف المتشددة عسكرياً وسياسياً تؤذن باقتراب الحل، لكن الواقع على الأرض وخط الأوراق المتعمد من جانب الجميع

لا يبشر بمثل هذا، تواصل واشنطن خطواتها التصعيدية مع موسكو والأخيرة لا تستسلم وتعزز أوراق اللعب بيدها. لا حاجة إلى التذكير بإعلان إدارة ترامب الحفاظ على قواعد أمريكية شرق سوريا، واستحواذها على ربع الأراضي السورية تقريباً، واستعدادها تحويل المليشيات الكردية إلى جيش نظامي، الوجود العسكري الأمريكي يتخذ من الأكراد ستاراً «لاحتلال» بعض المناطق في سوريا، وبالذات آبار النفط والغاز في دير الزور والبادية السورية على الحدود مع العراق.

التصعيد العسكري الأخير أتى بعد تصادم الأجندات السياسية لحل الصراع، فمقابل مؤتمر سوتشي «الروسي» أعلنت أمريكا استراتيجية للحل، دعمتها بما سمته «اللا ورقة»، وتوافقت عليها مع فرنسا وبريطانيا وألمانيا والأردن والسعودية، قوامها تعزيز التدخل السياسي والدبلوماسي والعسكري في الصراع السوري، وفرض حل يتأسس على تغيير النظام، بتغيير قواعد اللعبة التفاوضية العقيمة، وصوغ دستور يقلص صلاحيات الرئيس ويقيم نظاماً برلمانياً وإعادة هيكلة الجيش والأجهزة الأمنية على أسس جديدة.

ما يتحكم بموقف واشنطن حيال سوريا هو ما يتحكم بموقفها من الملف النووي الإيراني، تراعى مصالحها الذاتية ومصالح إسرائيل، مع الحيلولة دون نشوب مواجهة مع إيران، فأمريكا لم تتعاف بعد من حروب جورج بوش الابن، وتدرك أن سوريا إحدى ركائز الإستراتيجية الإيرانية بالمنطقة، من العراق إلى لبنان وفلسطين، وعليه يمكن تفسير الضربات الإسرائيلية بالداخل السوري بأنها

محاولة لتقويض جهود طهران لتحويل سوريا قاعدة عسكرية متقدمة على حدودها وكبح «حزب الله» في الوقت نفسه.

وبينما تتحسب واشنطن لموقف موسكو يتبدى أن الدولتين لا تمتلكان كل أوراق الضغط، بعض الأطراف الإقليمية يخرج من تحت السقفين الأمريكي والروسي، لتقديرهم أن مخرجات التسوية النهائية بين الكبار قد تأتي بالضد من مصالحهم، ومن ثم يتحركون لانتزاع مصالحهم بأيديهم، قليلاً للمخاطر وتعظيماً للفرص.

تسترضي موسكو طهران مرة وأنفرة مرة أخرى، وهي تعي أن إيران لا ترغب في وقف الحملات العسكرية، حتى يستعيد بشار الأسد السيطرة على البلاد بأكملها. إصرار إيران على حصتها الوازنة في سوريا يقابله إصرار مواز من تركيا التي ضاقت ذرعاً بدعم واشنطن المستمر للأكراد، مثلما ضاقت ذرعاً بالموقف الرمادي لموسكو، إزاء رغبتها بالسيطرة على عفرين وسحق الأكراد على حدودها الجنوبية.

أنقرة في وضع صعب، تشهد علاقاتها مع واشنطن وعواصم أوروبية والنااتواهتزازات، وبالرغم من صفقة «إس400-» أو أنابيب الغاز فإن تحالفها الاضطراري مع روسيا أو إيران، لا ينهض على تفاهات راسخة، إذا استثنينا العلاقات الاقتصادية، التباين في الأجندات والأدوار يصعب تجاوزه. على عكس روسيا وإيران، يرى المنطق الأردوغاني الحفاظ على وحدة الأراضي السورية مسألة فيها نظر، ولأن تركيا تجد نفسها خاسرة بعد اتفاقات وقف التصعيد، تحاول التعويض بالسعي إلى احتلال «عفرين» وإدلب الواقعة

بين حلب واللاذقية وإقامة «حزام أمني» بعمق الحدود السورية ولو تحت يافطة «جماعات مسلحة» تؤويها وترعاها، بأمل الاحتفاظ بتذكرة دخول مهمة للبازار العالمي المفتوح حول سوريا ما بعد الحرب.

ولاعتبارات كثيرة تظل الدولة العبرية أكثر الرابحين مما يجرى فى سوريا خصوصاً والدول العربية عموماً، من استفحال الإرهاب وتردى مستويات الحياة بشكل ساحق وغياب الرؤية الاستراتيجية الجامعة.

لقد لعبت دول خليجية أدواراً بالغة التأثير والتخريب فى المشهد السوري، على نحو ما هو معلوم، «قطر نموذج بارز»، ومازال الأمر يجرى فهل من مصلحة عرب الخليج أن يكون مفتاح دمشق فى أدراج طهران أم موسكو أم أنقرة أم واشنطن، لاسيما أن الطوق يقترب من عنق الجميع؟

السؤال الأهم بالنسبة لنا، وسط غبار المعارك ودخان فوهات المدافع: «أين مصر مما يجرى؟».. تكفى الإشارة إلى أن بعض الأطراف تطوعت لمحاولة نقل الإرهابيين وجماعات العنف التى أرهقت الجيش السوري، من الرقة إلى سينا، بحسب تصريح الرئيس التركى أردوغان، مما يعكس حجم التشابك والارتباط بين سلامة سوريا وأمنها وصيانة الأمن القومى المصرى والعربى.

كانت مصر وسوريا دولة واحدة فى بداية الستينيات، وانتزع الجيشان المصرى والسورى النصر على إسرائيل فى أكتوبر 1973، وكان الرئيس السيسى قاطعاً وشديد الوضوح فى ضرورة الحفاظ على الدولة الوطنية ومؤسساتها وعلى رأسها

الجيش ودعّمه، حفاظاً على كيان الدولة وللتصدى للإرهاب، سواء فى سوريا أم ليبيا أم غيرهما. قطاع واسع من الشعب السوري يتطلع إلى القاهرة؛ لأنها الوحيدة التى لم تتلوث أيديها بالدم السوري، والوحيدة القادرة على مخاطبة جميع أطراف الأزمة، وطرح الحلول إن توافرت لديهم الإرادة. ومن ثم فالقاهرة مدعوة إلى الإصرار على موقفها «السليم تماماً» فى سوريا، ومغادرة التردد وراء ذرائع واهية، بمعنى الانغماس أكثر فى البحث عن «حل» دون الانزلاق إلى أتون المواجهة إن أمكن، دول كبرى تبتز الدول العربية النفطية، مستفيدة من انشغال مصر بنفسها، وطغيان الهموم الداخلية على القرار العربى، عموماً لم تعد التطورات الأخيرة تسمح بمزيد من ترف الانتظار، أو التعامى عما يحصل فى المنطقة.

الحرب فى سوريا اليوم سباق على كسب مواقع وغنائم هنا وهناك، تمهيداً لتقاسمها مناطق للحكم الذاتى أو تكرار سيناريو «كوسوفو» أو أى ما يكون، الصراع فى سوريا لن يستمر إلى ما لا نهاية، تلك بديهية يدركها الجميع. خلف هدير المدافع بالميادين والكر والفر بين وفود النظام والمعارضة فى ردهات التفاوض، يتوارى عن الأنظار احتراب من نوع آخر، للفوز بنصيب من «كعكة إعادة إعمار سوريا»، بعض التقارير قدرت تكلفتها المبدئية بنحو 400 مليار دولار.

يدرك الجميع أن المعركة على الأراضى السورية، خاصة فى المنطقة الشرقية تتجاوز مجرياتها ونتائجها المسرح الداخلى إلى موازين القوى ومعادلاتها فى المحيط الإقليمى، وأرباح وخسائر

إيران وتركيا والعراق ولبنان والأردن ومصر والخليج، والمد الإرهابى المتدثر بعباءة الدين، وإلى مستقبل التسوية السياسية للصراع العربى-الإسرائيلى، الصورة ليست وردية ولا نظن أن الترياق سيأتى من جنيف أو سوتشى أو آستانة.

وبعيداً عن التنبؤ أو «ضرب الرمل» فإنه يمكن الجزم بأننا إزاء مشهد سياسى-عسكرى جديد بسوريا، يدخلها مرحلة لا تبشر بتسويات بقدر ما تنذر بمزيد من الحروب، يعزز هذه «الفرضية» أن تداعيات التصعيد قد لا تكون محصورة بالأراضى السورية، إنما ستطول بقية دول الإقليم، وكما أوجد إسقاط طائفة «الصوفا» الإسرائيلية حقائق جديدة، فإن «رشقة صواريخ» من أى طرف ولو على سبيل الخطأ كفيلة بإشعال المنطقة برمتها.

وما لم تتغير معادلات القوى على الأرض فإن الاستعصاء سيظل على حاله، الصراع ليس سجالاً دبلوماسياً يفاضل بين مقاربة وأخرى، إنما لعبة بين عسكريين على الجبهات لا يتقنون سوى استخدام النار فى حواراتهم، وليس أمام المتصارعين سوى مواصلة الحرب والإعداد لجولة أشد قساوة، وفى حين يصوغ الزعماء والخبراء خططهم واستراتيجياتهم فى غرف مكيفة، تظل النار الأداة الوحيدة للعب والجد فى بلد استنفد قدرته على الاحتمال منذ زمن، وأكلت النيران جميع أرصدته، من الحجر للبشر

الدور التركي بعد التدخل العسكري في «عفرين» السورية

بعد مرور أكثر من شهرين منذ إعلان أنقرة في 20 يناير 2018 عن بدء تدخلها العسكري بمدينة «عفرين» شمال غرب سوريا، للقضاء على التنظيمات الإرهابية فيها، وهي وحدات حماية الشعب الكردية كما تصنفها تركيا، وتنظيم «داعش» الإرهابي، ثم إقامة 30 كم كمنطقة عازلة داخل الحدود السورية لتأمين حدودها وإعادة اللاجئين السوريين من داخل تركيا لها، حققت تركيا أهدافها رغم ارتفاع خسائرها البشرية والمادية، وتصاعدت المعارضة الدولية لتدخلها في سوريا، وهو ما طرح عدة تساؤلات حول أهداف أنقرة الحقيقية من وراء هذا التدخل، ومستقبل دورها الإقليمي بعد ذلك، وتأثيره على مسار علاقاتها الدولية.

أهمية عفرين الإستراتيجية

وقد أعلن وزير الدفاع التركي «نور الدين جانينكلي» في أول مارس 2018 بعد مرور 40 يوماً على بدء عملية «غصن الزيتون»، مقتل 157 بينهم 41 مقاتلاً تركياً و116 من عناصر الجيش السوري الحر. وأنهم تمكنوا من تطهير 615 كم من الإرهابيين، تتضمن 95 منطقة سكنية، و28 نقطة استراتيجية. وصرح أنه تم تحييد 2295 إرهابياً منذ بدء العملية، وأنه تم تدمير 782 موقعاً تابعاً للمسلحين الأكراد. وأكد جانينكلي أنه حرر 115 نقطة بينها مركز ناحية، و87 قرية، و6 مزارع، و20 جبلاً وثلة استراتيجية، وقاعدة عسكرية واحدة. وتقع هذه المنطقة على أطراف عفرين من الجهة الشمالية. كما قتل أكثر من 209 مسلحين تابعين لوحدة «حماية الشعب الكردية». وقدرت الخسائر المدنية بأكثر من 122 قتيلًا. كما أعلن الجيش التركي يوم 3 مارس 2018 عن سيطرته على منطقة «راجو» الاستراتيجية في عفرين. ومن المتوقع أن تستمر المواجهة العسكرية في عفرين لأشهر قادمة نظراً لاستماتة الأكراد في الدفاع عن مدنها والأنباء التي تتوارد حول عزم الحكومة السورية تقديم دعم عسكري لهم للدفاع عن وحدة



منى سليمان
باحثة في العلاقات الدولية

solimanmona484@yahoo.com

واجهت هذه الفصائل والجيش التركي خصماً قوياً تعهد الرئيس أردوغان بالقضاء عليه، هو «وحدات حماية الشعب الكردية»، وهي فصيل سوري كردي مسلح ينضوي في «قوات سوريا الديمقراطية» المعروفة باسم «قسد» وهي قوات كردية عربية شاركت في تحرير المدن السورية من سيطرة تنظيم «داعش» الإرهابي. وتسيطر «قسد» على 25 % من مساحة سوريا تقريباً، ومن المعروف أن «قسد» تتلقى دعماً عسكرياً ولوجيستياً أمريكياً، وربما تعد بمثابة جيش أمريكي مصغر داخل الأراضي السورية، منحتها واشنطن صواريخ مضادة للطائرات استخدمتها ضد المقاتلات التركية وأسقطت عدداً منها مما مثل إحراجاً للجيش التركي في الداخل.

فهناك العديد من الملاحظات حول توقيت وأبعاد بدء عملية «غصن الزيتون» بـ «عفرين». فرغم إعلان أنقرة عن عزمها اقتحام المدينة، إلا أن توقيت بدء العملية لم يكن محدداً، وكان الأرجح أن يتم بعد شهرين أو أكثر، كما أن الأهداف المعلنة غير مقنعة تماماً.

هجوم برى واسع على عفرين

فقد بدأ الهجوم بتحريك أفراد «الجيش السوري الحر» وعدد من الفصائل السورية المسلحة التي تتلقى دعماً عسكرياً ولوجيستياً من تركيا وتتكون من 25 ألف مسلح، منها على سبيل المثال لواء السلطان مراد، ولواء السلطان محمد الفاتح، ولواء الشهيد زكي تركمانى، ولواء أشبال العقيدة، وجماعة تركمانية تدعى لواء سمرقند، وحركة «نور الدين الزنكي» وهي أهم المجموعات المدعومة من قبل تركيا في ريف حلب. بدأ الهجوم أولاً من قبل عناصر الفصائل المسلحة براً على الخط الحدودي بين أعزاز وجولبابا تجاه عفرين ثم لحق بهم 6400 جندي تركي في هجوم برى واسع، وذلك بعد عدة أيام من التصعيد العسكري التركي تجاه عفرين عبر تكثيف القصف الجوي على المدينة والدفع بتشكيلات عسكرية متواصلة لاقتحامها.



الكردى «سبيان حمو» بـ«تطهير المنطقة من مصائب تركيا». وأكد أن قواته ستدافع عن عفرين. وفي المقابل تصر أنقرة على فرض سيطرتها على عفرين لتحقيق تواصلًا جغرافياً مع جميع المناطق الحدودية الواقعة بين مدينة «جرابلس» التركية غرب الفرات والبحر المتوسط، مما يقضى على إمكانية تحقيق تواصل جغرافى بين المناطق الكردية ومنع أكراد سوريا من وصل مناطقهم الرئيسية مثل القامشلي وعين العرب وعفرين ببعضها البعض أو إقامة حكم ذاتى عليها مستقبلاً.

هل تفرض واشنطن ترتيبات أمنية جديدة؟

يأتى التدخل العسكرى التركى فى عفرين كجزء من تحول توجهات السياسة الخارجية التركية تجاه الأزمة السورية خاصة والدول العربية عامة، حيث بدأت أنقرة فى الاعتماد على القوة الخشنة منذ أغسطس 2016 حين أطلقت عملية «درع الفرات» للتدخل فى سوريا والسيطرة على مدينة «الباب» شمالى

الحديد القادم من تركيا عبر منطقة عفرين ويصل إلى حلب. وقد بنته تركيا قبيل الحرب العالمية الأولى. وتقع منطقة عفرين على ضفتى نهر عفرين فى أقصى شمال غرب سوريا، وهى محاذية لمدينة اعزاز من جهة الشرق ولحلب التى تتبع لها من الناحية الإدارية من جهة الجنوب، وإلى الجنوب الغربى من البلدة تقع محافظة إدلب، وتحاذى الحدود التركية من جهة الغرب والشمال. عدد سكانها 523 ألف نسمة حسب إحصائيات الحكومة السورية عام 2012. وتضم نحو 350 قرية وبلدة أهمها عفرين المدينة، وجندريسة وبلبله وشبية، وراجو وشررا. وأما بالنسبة للأكراد، فإن عفرين هى إحدى المقاطعات الكردية الثلاث فى سوريا، والمحافظة عليها والدفاع عنها تعتبر مسألة وجودية بالنسبة لهم، ولن يتخلوا عنها بسهولة. كما يطمحون إلى ربطها بالمناطق الكردية الأخرى حسب تصريحات القيادات الكردية فى سوريا. ولذا فقد تعهد قائد وحدات حماية الشعب

الأراضى السورية. وجدير بالذكر أن قوات حرس الحدود السورية كانت قد انسحبت من المناطق الشمالية ذات الغالبية الكردية عام 2012، وحلت مكانها العناصر المسلحة الكردية، ثم أعلنوا تأسيس نظام الحكم الذاتى فى المناطق التى سيطروا عليها. وترجع أهمية عفرين الإستراتيجية فى أنها تشكل الجسر الجغرافى لما يعرف بمشروع «الهلال الكردى» الذى يسعى لربط المدن المتواجد فيها أكراد إيران وتركيا والعراق وسوريا بممر برى واحد يصل للبحر المتوسط. وهو ما يخشاه «أردوغان» وتعهد بمنعه عبر إحباط إنشاء أى كيان كردى بدول الجوار التركى كما فعل من قبل فى إحباط انفصال كردستان العراق فى أكتوبر 2017. وعفرين منطقة جبلية تبلغ مساحتها نحو 3850 كيلومتراً مربعاً أى ما يعادل 2% من مساحة سوريا، وهى منفصلة جغرافياً عن المناطق الأخرى التى يسيطر عليها الأكراد على طول الحدود مع تركيا. ويميز علاقة عفرين بالأتراك مرور خط السكة

الدور التركي بعد التدخل العسكري في «عفرين» السورية

البلاد في مرحلتها الأولى، ثم أطلقت المرحلة الثانية لها في عفرين. وبالتزامن مع ذلك تشن غارات مكثفة على كردستان العراق، بغية إثبات أنها دولة فاعلة في محيطها الإقليمي والدولي ولتوازن التواجد العسكري الروسي والإيراني في المنطقة.

وهناك العديد من الأهداف التي يسعى «أردوغان» لتحقيقها بتدخله العسكري في عفرين، منها أهداف استراتيجية تشمل منع تشكيل جيش حدودي كردي، إذ تأتي العملية العسكرية التركية رداً على بيان التحالف الدولي ضد تنظيم «داعش» الإرهابي الذي تقوده الولايات المتحدة والصادر في 14 يناير 2018 قبل بدء العملية التركية بستة أيام فقط، والذي جاء فيه أن التحالف عازم على تأسيس «قوة أمن للحدود السورية» في شمال سوريا وشرقها بهدف حماية الحدود مع تركيا والعراق. وتتألف هذه القوة من 30 ألف جندي نصفهم من مقاتلي «قسد» على أن تنتشر فور تشكيلها على الحدود الشمالية والجنوبية وشرق نهر الفرات، مما دفع «أردوغان» للتعهد «ببؤاء هذه القوة في مهدها»، واتهامه واشنطن بتأسيس «جيش إرهابي» على حدود تركيا. ويؤكد الإعلان عن تشكيل تلك القوة أن واشنطن تسعى لفرض ترتيبات أمنية جديدة في سوريا لصالح «قسد» وضد المصالح التركية. والهدف الأمريكي الرئيسي منها هو منع إيران من استكمال «الهلل الشيعي» الذي يبدأ بطهران ويمر عبر العراق ولبنان ثم سوريا حتى شرق البحر المتوسط، لأن السيطرة على الحدود الشمالية

السورية ستقطع الطريق البري بين غرب سوريا والبحر المتوسط.

كما تتبنى أنقرة إستراتيجية إزاحة الأكراد من شرق الفرات منذ عقود، إذ تتركز على منع إنشاء أي كيان كردي انفصالي أو يتمتع بحكم ذاتي. فدخلت أنقرة لعفرين يحيط بإنشاء كيان كردي سوري يتمتع بالحكم الذاتي، وكذلك يزيح الأكراد لغرب نهر الفرات ويمنع وجود أي منفذ كردي يمتد للبحر المتوسط قد تسيطر عليه وحدات حماية الشعب الكردي أو حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي تعتبره أنقرة امتداداً لحزب «العمال الكردستاني» في سوريا.

كما تهدف أنقرة لتعزيز الدور التركي داخل سوريا. فرغم الدعم التركي اللوجيستي والمادي لفصائل المعارضة السورية وبعض الميليشيات المسلحة وأبرزها «الجيش الحر»، إلا أن ذلك لم يعد موازناً للتواجد العسكري الإيراني والروسي في سوريا بعد الانتصارات التي حققوها في دعم الجيش الوطني العربي السوري، واستعادة السيطرة على عدد كبير من المدن التي سيطرت عليها من قبل الفصائل المسلحة المدعومة من أنقرة. ولذا ترغب أنقرة في فرض تواجد عسكري مكثف في سوريا عبر تدخل برى للسيطرة على المدن الحيوية بالنسبة للأمن القومي التركي، ومنها المدن الكردية شمال سوريا مثل الباب وعفرين ومنبج. كما أن التدخل العسكري التركي يتيح لأنقرة تكثيف تقديم دعمها للفصائل السورية المعارضة المسلحة التي تدعمها ومنها «الجيش الحر» بعد سلسلة الهزائم التي منيت بها أمام قوات الجيش السوري.

ظهور أسلحة تركية

جديدة في عفرين

وتطمح أنقرة في القضاء على

الدعم الخارجي لحزب العمال الكردستاني، حيث تشن حرباً ضروس ضد حزب العمال الكردستاني وتفرض حصاراً خانقاً على بعض مدن جنوب شرق تركيا مثل ديار بكر وماردين وغازي عنتاب، وذلك منذ إحباط الانقلاب العسكري في 15 يونيو 2016، وحيث اتهم «أردوغان» حزب الشعوب الديمقراطية الكردي الممثل في البرلمان ورئيسه «صلاح الدين ديميرطاش» المعتقل حالياً بتأييد الانقلاب. ومن المعروف أن الفصائل الكردية في سوريا والعراق وتركيا وإيران تربطهم «رابطة الدم» والأعراف القبلية ويتبادلون الدعم فيما بينهم لإنشاء دولة كردية. ولذا ترى أنقرة أن إضعاف قوة أكراد سوريا هو إضعاف أيضاً لقوة أكراد تركيا.

هذا، ويتباهى «أردوغان» وحكومته بأن عملية عفرين تنفذ بالكامل باستخدام أسلحة تركية وطنية جديدة تشمل مدافع ثقيلة وناقلات جنود مدرعة ومعدات عسكرية وذخائر، تصنعها تركيا 100٪، حيث يختبر «أردوغان» تلك الأسلحة وفعاليتها ميدانياً، قبل تسويقها في الدول الأفريقية التي يعزز علاقاتها معها.

أحلام العثمانيين الجدد

وأما عن الأهداف السياسية لأردوغان فهي السعي لاستعادة أمجاد الإمبراطورية العثمانية. فدوماً يعبر عن رغبته في مد الجسور بين تركيا وكافة الدول التي خضعت للحكم العثماني، حتى أطلق عليه وعلى نخبته السياسية منذ تولى حزب «العدالة والتنمية» حكم تركيا عام 2002 «العثمانيون الجدد». وقد أسس لذلك منظر السياسة الخارجية التركية وزير الخارجية الأسبق «أحمد داوود أوغلو» في كتابه «العمق الإستراتيجي»، الذي أكد فيه ضرورة

عودة تركيا للسيطرة على فضائها الحيوى فى الشرق الأوسط، وهى الآن فى مرحلة تنفيذ هذا المخطط بالسيطرة السياسية والعسكرية على شمال سوريا والعراق.

لقد أصبح جلياً أن المشكلات الداخلية فى تركيا تتفاقم منذ منتصف عام 2016 فور إعلان أنقرة عن إحباط الانقلاب العسكرى، حيث شنت حملة قمعية ضد المعارضين وجماعة «فتح الله جولن» واعتقلت أكثر من 50 ألف مواطن بلا أدلة قانونية مما أثار المزيد من المشكلات مع دول الاتحاد الأوروبى ومنظمات حقوق الإنسان والولايات المتحدة، كما تفاقم الأزمة الاقتصادية على خلفية تراجع معدل صرف الليرة مقابل الدولار وتراجع معدلات الاستثمار وارتفاع معدلات البطالة، مما يتطلب التغطية الإعلامية على تفاقم مشكلات الداخل التركى بالتركيز على مغامراته الخارجية.

ويسعى «أردوغان» لتعزيز صورته فى الداخل ورفع معدلات شعبيته عبر توسعه العسكرى بالخارج وتسويق الانتصار فى معركة عفرين، حيث إنه من المقرر إجراء الانتخابات البلدية التركية فى مارس 2019، ثم الانتخابات التشريعية والرئاسية فى يوم واحد بنوفمبر 2019. وفى تعليق على تلك الانتخابات أكد «أردوغان» أنها «ستحدد مستقبل تركيا لنصف قرن مقبل»، وذلك نظراً لأنها أول انتخابات تجرى بعد التعديلات الدستورية التى أدخلها على الدستور ومنحت رئيس الجمهورية صلاحيات مطلقة. وبالطبع سيتشرح «أردوغان» لفترة رئاسية جديدة. وهذا الهدف قد حققه «أردوغان» بالفعل حيث أظهرت استطلاعات الرأى ارتفاع شعبيته بنسبة 10% منذ انطلاق عملية «غصن الزيتون» ووصلت إلى 55%. كما أن

انتصار الجيش التركى فى عفرين وسيطرته عليها سيؤدى لمزيد من الانتصارات السياسية لأردوغان فى الداخل، والعكس صحيح أيضاً حيث إن إطالة أمد المواجهة العسكرية أو ارتفاع الخسائر البشرية سيؤدى لتراجع شعبية «أردوغان» مقابل ارتفاع شعبية خصومه من الأحزاب الكردية.

الغاز السورى أحد أهداف أنقرة ويعد الحصول على الغاز السورى أحد أهداف أنقرة، إذ تؤكد المسوح الجيوبوليتيكية أن السواحل المطلّة على شرق المتوسط تحتوى على واحد من أكبر حقول احتياطي الغاز فى العالم، وهو حقل «لفيتان» العملاق للغاز باحتياطي قدره 23 تريليون قدم مكعب. وتلك السواحل هى المطلّة على إسرائيل ولبنان ومصر وسوريا، والاحتياطي السورى من الغاز يتركز فى محافظات (تدمر وقارة وساحل طرطوس وبانياس). وفى حالة استخراج هذه الاحتياطات من الغاز، فإن سوريا تكون مرشحة لتصبح «ثالث» دولة مصدرة للغاز فى العالم. وبالطبع فإن تركيا ترغب فى السيطرة على أى من المناطق التى تحتوى على احتياطات من الغاز الطبيعى نظراً لكونها دولة ذات نمو اقتصادى وكثافة سكانية مرتفعة ولا تملك مصادر كافية من الطاقة.

ومن ناحية ثانية، فقد أصبح من المؤكد أن الاقتصاد التركى فى ظل أزماته الحالية لا يتحمل أعباء ثلاثة ونصف المليون لاجئ سورى، وهو ما عبر عنه رئيس الوزراء «بن على يلدريم» إنه سيتم إعادة نحو 350 ألف لاجئ سورى متواجدين فى عفرين، بعد تحرير المنطقة من عناصر الوحدات الكردية وداعش. وأما عن الموقف الرسمى التركى، فقد أعلنت الحكومة أن تحركها

العسكرى تجاه «عفرين» يتوافق مع المادة (51) من ميثاق الأمم المتحدة، التى تنص على حق الدفاع الشرعى عن النفس، وجددت إعلان احترامها لوحدة الأراضى السورية. وأعلنت كذلك أنها أبلغت الدولة السورية بتحركاتها العسكرى قبل أن تبدأ. كما أعلنت أنقرة استمرار التشاور والتنسيق مع موسكو وواشنطن حول تدخلها. وهذا الموقف تهدف أنقرة منه لإضفاء الشرعية على تدخلها العسكرى رغم كونه يخالف كافة القوانين والأعراف الدولية، ويعد اعتداء صارخاً على سيادة الدولة السورية.

وفيمما يخص موقف الأحزاب التركية فقد شهد انقساماً كبيراً، حيث أعلن رئيس حزب «الحركة القومية» «دولت بهتشلي» حليف أردوغان ورئيس حزب الوطن «دوغة بريتشنيك» والحزبان يتبنيان المواقف القومية المعادية للأكراد، فقد أعلنوا دعمهما للعملية العسكرية. أما حزب المعارضة الأبرز «الشعب الجمهورى» فقبل بدء التدخل العسكرى حذر رئيسه «كمال كليشدار أوغلو» من خطورة استنزاف الجيش التركى مالياً وعسكرياً فى عفرين، وطالب بالتنسيق مع دمشق وطهران وموسكو للوصول إلى خطة تتمثل فى عودة قوات الجيش العربى السورى إلى عفرين، ثم بعد بدء العملية العسكرية بدل «أوغلو» موقفه وجدد ثقته فى الجيش التركى، وأعلن دعمه لعملية عفرين لمكافحة الإرهاب على الحدود التركية، وذلك بغية تجنب معاداة الحكومة التركية وللحفاظ على شعبيته حتى لا يظهر كمعادٍ للجيش التركى وهو يخوض معركة خارجية.

عدوان عسكرى سافر على سوريا أما الحكومة السورية فأعلنت أن الهجوم التركى على عفرين هو عدوان

الدور التركي بعد التدخل العسكري في «عفرين» السورية

عسكري سافر عليها ستقوم بكافة الإجراءات اللازمة لصدده. ونفت وجود أى عناصر لتنظيم «داعش» الإرهابى فى عفرين. كما ندد الرئيس الأسد يوم 21 يناير 2018 بالهجوم التركى معتبراً إياه امتداداً لسياسة أنقرة فى «دعم التنظيمات الإرهابية منذ اندلاع الأزمة»، وتعهد بالتدخل عسكرياً ضد القوات التركية حال امتدت العمليات العسكرية لتشمل مدينة منبج أيضاً. كما تعهدت «وحدات حماية الشعب» الكردية، وهى فصيل سورى كردى مسلح ينضوى فى «قوات سوريا الديمقراطية» المعروفة باسم «قسد»، وهى قوات كردية عربية شاركت فى تحرير المدن السورية من سيطرة داعش بصد العدوان التركى وأعلنت «النفير العام» للدفاع عن عفرين.

وفيما يخص المواقف العربية فقد أصدرت الخارجية المصرية بياناً رسمياً يؤكد رفض القاهرة للحلول العسكرية، لما تؤدى إليه من زيادة فى معاناة الشعب السورى الشقيق، وطالب البيان بانخراط جميع أطراف الشعب السورى فى مفاوضات جادة فى إطار عملية سياسية تتسم بالموضوعية، مع ضرورة الحفاظ على سيادة الأراضى السورية ووحدتها. كما أعلنت الإمارات العربية المتحدة إدانتها للعملية العسكرية فى عفرين واعتبرتها انتهاكاً غير مقبول.

وأما فيما يخص الموقف الإيراني فقد دعت طهران تركيا لإنهاء عملية عفرين على الفور وطالبتها باحترام «السيادة السورية».

وفيما يخص المواقف الدولية، فإن الموقف الروسى من عملية عفرين

هو الأهم دولياً، حيث أن التنسيق بين موسكو وأنقرة عسكرياً استغرق عدة أيام قبل بدء تنفيذ العملية، وحيث أرسل «أردوغان» مسئولين عسكريين لموسكو للحصول على موافقة روسيا على العملية العسكرية، ثم استقبل وفداً عسكرياً أمريكياً بعد بدء العملية للتنسيق بين أنقرة وواشنطن ومنع وقوع مواجهات بين قوات الدولتين فى سوريا أو بين الفصائل المسلحة المعارضة التى تدعمها كل جهة ضد الأخرى. ثم أعلنت موسكو سحب قواتها من عفرين، إلا أنها لاتزال تتحكم فى المجال الجوى لها وبإمكانها التدخل فى أية لحظة. كما هاتف الرئيس الروسى نظيره التركى لبحث تداعيات العملية التركية وأكد الجانبان مواصلة العمل النشط المشترك لحل الأزمة، يقوم على مبادئ الحفاظ على سلامة ووحدة أراضى سوريا واحترام سيادتها. ومن جانبه دعا وزير خارجية روسيا أنقرة لاحترام سيادة ووحدة الأراضى السورية. وتحليل الموقف الروسى نجد أن موسكو ستكون رابحة من عملية عفرين فى كافة الحالات حيث كشفت مصادر سياسية عن أن موسكو اقترحت على الأكراد تسليم مدينة «عفرين» للنظام السورى، بيد أنهم رفضوا فقبلت موسكو بالتدخل العسكرى التركى، بغية القضاء على قوة الأكراد المتصاعدة وهم متحالفون مع واشنطن ويتلقون منها دعماً لوجيستياً وعسكرياً مما يهدد النفوذ الروسى فى سوريا مستقبلاً، لاسيما وأن موسكو تسعى لبلورة تسوية نهائية للأزمة وتلك لن تتم بغير إنهاء كافة الخلافات الميدانية العالقة ومن بينها تقليص قوة الأكراد المتصاعدة. كما أنه فى حالة استمرار العملية وحدث قطيعة فى العلاقات التركية الأمريكية بفعل الرفض الأمريكى للعملية، فإن ذلك

سيؤدى إلى تعزيز العلاقات بين موسكو وأنقرة. وإن دعمت واشنطن العملية التركية ضد الأكراد فإن ذلك سيؤدى لإنهاء التحالف «الكردى الأمريكى» ويبدأ الأكراد فى تعزيز علاقاتهم مع روسيا، وبهذا تكون موسكو قد نجحت بفضل سماحها لأنقرة بالتدخل فى عفرين فى وضع واشنطن فى مواجهة حلفائها من الأتراك والأكراد.

وأما عن فرنسا، فقد جدد الرئيس ماكرون انتقاداته لأنقرة وطالبها بتنفيذ قرار مجلس الأمن بالإجماع مساء 24 فبراير 2018 برقم 1401 والذى يدعو إلى وقف فورى لإطلاق النار فى سوريا لمدة 30 يوماً، لأن القرار يخص كافة محافظات سوريا بما فيها عفرين. وهذه الانتقادات تتسق مع الموقف الفرنسى الراضى للعملية منذ انطلاقتها، حيث أعرب وزير الخارجية الفرنسى يوم 22 يناير 2018 عن قلق باريس من التدهور المفاجئ فى الوضع فى سوريا، وهاتف نظيره التركى مولود جاويتش أوغلو وطالبه «بضبط النفس» فى ظل وضع صعب، ومع تدهور الظروف الإنسانية نتيجة العمليات العسكرية للنظام السورى وحلفائه. ثم دعت باريس مجلس الأمن لعقد جلسة يوم 23 يناير 2018 لبحث عملية عفرين، بيد أن المجلس أنهى جلسته دون إصدار إدانة للعملية. وكعادته رفض «أردوغان» الانتقادات الفرنسية مما ينذر باندلاع أزمة دبلوماسية بين الجانبين حال تمسك كل منهما بموقفه.

منبج مقر القوات الأمريكية بسوريا

هذا وقد برزت معضلتان بشأن الموقف الأمريكى من التدخل التركى فى عفرين، الأولى هى المطالبة التركية المستمرة لواشنطن بوقف الدعم المقدم لأكراد سوريا، والثانية

المخاوف من مواجهة عسكرية بين واشنطن وأنقرة في منبج. لذا فقد أكدت واشنطن حق أنقرة في الدفاع عن نفسها ضد أى هجوم إرهابي أو أى تهديد لأمنها، وطالبتها في نفس الوقت بعدم تجاوز حدود نطاق عفرين والتحلّى بضبط النفس، وتحديد إطار زمني وجغرافي لعمليتها العسكرية، رغبة في منع أنقرة من التوجه لمنبج التي تعد مقر القوات الأمريكية بسوريا ويتمركز فيها أكثر من 1000 جندي أمريكي، وحيث ثارت مخاوف فور بدء عملية عفرين من مواجهة مسلحة أمريكية تركية حال استطاع الجيش التركي السيطرة سريعاً على عفرين وتوجه لمنبج. وهذه المخاوف انتهت بزيارة وزير الخارجية «ريكس تيلرسون» لأنقرة في 16 فبراير 2018، حيث عقد اجتماعاً موسعاً مع نظيره التركي وأصدرا بياناً أعلنوا فيه تشكيل مجموعات عمل لحل القضايا الخلافية بينهما. وأكدوا أن قواتهما لن تتواجه في منبج.

ثم تبدل الموقف الأمريكي حين طالبت واشنطن أنقرة بوقف العملية العسكرية في عفرين لمدة شهر امتثالاً لقرار مجلس الأمن 1401، ولكن الهدف الأهم هو منح قوات «قسد» ووحدات الشعب الكردية الفرصة لإعادة ترتيب أوراقها، وهي التي تتلقى دعماً لوجيستياً وعسكرياً من واشنطن، والأخيرة لا ترغب في خسارتهم لأنهم بمثابة جيش أمريكي مصغر داخل سوريا، وساهموا في معارك ضارية وحققوا انتصارات مؤثرة على «داعش». كما أن الأكراد في سوريا على صلة وثيقة بأكراد العراق وتركيا ويتلقون دعماً بشتي صوره منهم، وسيعملون على الحفاظ على المكاسب السياسية والعسكرية التي حققوها خلال السنوات الماضية. وربما يدفعهم ذلك لتعزيز

تحالفهم مع قوى إقليمية أو دولية أخرى تعوض تراجع الدعم الأمريكي لهم حال استجابت واشنطن لمطالب أنقرة بوقف دعم الأكراد، وهنا نجد روسيا هي الدولة المرشحة لذلك وحال تم تعزيز التعاون بين موسكو والفصائل الكردية في سوريا، فإنه سيمثل تغييراً في توازنات القوى وبمستقبل التسوية السورية، لاسيما وأن موسكو حليفة للنظام السوري ولن تتخذ قرارات تؤثر سلباً عليه، ولذا سيقبل الأخير دعمها للأكراد ولن يتخوف منه مثلاً كان موقفه من الدعم الأمريكي لهم.

ضرورة الحفاظ على وحدة أراضي سوريا

وهناك عدد من السيناريوهات المحتملة، أولها احتمال وقف العملية بقرار أممي. وهذا السيناريو يقضى بامتنثال أنقرة للقرارات الأممية ووقف عملية عفرين بضغط أمريكي فرنسي، لاسيما بعد تصاعد انتقادات باريس وواشنطن «لأردوغان»، مما ينذر بتقليص الدور التركي الإقليمي وإحداث أزمة في العلاقات بين أنقرة والدول الكبرى. كما أن وقف العملية يجنب أنقرة المزيد من الخسائر البشرية والمادية ويسهم في تهدئة الرأي العام الدولي الرسمي والشعبي المتصاعد ضدها بعد ارتفاع أعداد القتلى المدنيين، فضلاً عن ارتفاع نسبة النازحين من عفرين.

وأما السيناريو المحتمل الثاني فهو استنزاف الجيش التركي بإطالة أمد المواجهات وتقديم الجيش السوري دعماً عسكرياً للفصائل الكردية التي تتصدى للجيش التركي لاسيما بعد دعوة وحدات الشعب الكردية للحكومة السورية لحماية الحدود، وحال تم ذلك فإن الجيش السوري والفصائل الكردية وبعض الميليشيات الشيعية المدعومة من طهران ستكون جبهة قتالية

للتصدى للجيش التركي وعناصر الجيش السوري الحر والفصائل الأخرى المتحالفة معهم. وهنا تصبح عملية استنزاف للجيش التركي. لأنه سيواجه فصائل تحارب «حرب عصابات» منذ سبع سنوات وليس جيشاً منظماً، وسيكون من الصعب تحقيق أنقرة لهدف السيطرة الكاملة على عفرين ومنبج.

والسيناريو الثالث المحتمل يقود نحو تنسيق إقليمي لتقاسم النفوذ. فمن المعروف أن اللابعين الرئيسيين في الأزمة السورية هم روسيا وتركيا وإيران، وستشهد مدينة إسطنبول التركية قمة ثلاثية بين رؤساء الدول الثلاثة في إبريل 2018، لبحث تسوية الأزمة سلمياً. وبالطبع سيكون التدخل التركي بعفرين مطروحاً على القمة وربما تعلن تسويات خاصة بتقاسم النفوذ بين الدول الثلاث بما يحقق مصالح كل منهم، وحيث تقبل طهران وموسكو بسيطرة أنقرة على عفرين ومنبج، مقابل تنازلات أخرى تقدمها لهم تركيا.

وهكذا نجد أنه بعد مرور شهرين على بدء التدخل التركي في عفرين، مازال التقدم العسكري ضئيلاً حيث إن القوات التركية المدعومة بفصائل الجيش الحر وغيرها من الفصائل السورية لم تسيطر سوى على 15 % فقط من مساحة عفرين، وهو ما لا يقارن بحجم التصعيد السياسي والإعلامي الذي مهد للعملية قبل تنفيذها. لذا فإن سير العمليات العسكرية بعفرين يعد أحد المحددات الرئيسية في رسم مستقبل العلاقات التركية العربية، وملامح الدور التركي الإقليمي في الشرق الأوسط. ففوز أنقرة يعزز موقفها أما إطالة أمد المواجهات فإنه ينتقص من دورها ويهدد بضغوط دولية متزايدة عليها.

تركيا العثمانية وأكراد سوريا

«لو كنت أجنى دولاراً أو حتى ليرة تركية في كل مرة تعهد فيها الرئيس رجب طيب أردوغان بطرد المسلحين الأكراد من عفرين في شمال غرب سوريا، لأصبحت الآن رجلاً ثرياً». عبارة أطلقها الباحث الروسي المتخصص بالشأن التركي «ديميتار بيشيف» تجسد بوضوح طبيعة الموقف التركي من القوى الكردية بشمال سوريا.



محسن عوض الله
باحث في الشؤون الكردية

mospress2000@yahoo.com

فمع تصاعد نفوذ الأكراد في سوريا منذ العام 2012، بعد انسحاب قوات النظام السوري تدريجياً من المناطق ذات الغالبية الكردية في شمال وشرق سوريا لم تتوقف التهديدات التركية، ولم ينته التحريض العثماني ضد قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب الكردية التي تصنفها أنقرة كمنظمة إرهابية رغم أنها القوة الأكثر فعالية في قتال تنظيم الدولة الإسلامية داعش.

وفي العشرين من يناير 2018 نفذ أردوغان أحد تعهداته الكثيرة وشن الجيش التركي بمساعدة فصائل سورية حملة عسكرية على مدينة عفرين الكردية شمال سوريا. وتعاين تركيا مما يمكن تسميته فوبيا الأكراد خاصة في ظل انتماء قرابة 15 مليون نسمة يمثلون 20 % من سكانها للقومية الكردية بنسبة 49% من أكراد العالم. والفوبيا التركية من الأكراد تتعدى حدود الدولة التركية إذ ترفض أنقرة أن يحظى الأكراد بأى حقوق أو امتيازات بالدول المجاورة وخاصة في سوريا حيث يسيطر حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي تعتبره تركيا فرعاً لحزب العمال الكردستاني على مناطق واسعة بشمال سوريا

على الاعتقاد بفناء الكرد في فترة وجيزة بمجرد إصدار أمر الإنكار والإبادة بشأنهم، مشيراً إلى أن السلطة في تركيا تعتقد أن أساليب جمعية الاتحاد والترقي ومقارباتها التي نجحت في تصفية الأرمن سوف تثمر لدى تطبيقها على الكرد، لافتاً إلى أنه بعدما أقنع هؤلاء شعبهم وأمتهم بسياسة الرياء والإنكار هذه فإنهم لم يتوانوا أمام رأى العالم أيضاً عن اعتماد الفكر الذي مفاده أنه ما من ظاهرة اسمها الكرد. إن سياسة «الإنكار والإبادة» التي تعتمدها تركيا في مقارباتها للأزمة السورية هي التي دفعت أردوغان لاتخاذ كافة السبل لمواجهة أكراد سوريا وعدم الاعتراف بأى حقوق لهم في الأزمة السورية رغم ما قدموه من نجاحات في مواجهة الإرهاب، فقد وقف أردوغان سداً منيعاً ضد أية مشاركة لهم في مفاوضات حل الأزمة السورية سواء في مباحثات جنيف والأسطانة ومازال متعنثاً ضد حضورهم في مفاوضات سوتشي. وقد انتقل تعنت أردوغان تجاه الكرد خلال سنوات الثورة السورية مرات عدة من مرحلة التهديد والوعيد والتحريض لمرحلة التدخل العسكري المباشر وإعلان الحرب. ففي 24 أغسطس 2016 بعد شهر واحد فقط من

وتخشى أنقرة من إقامة الأكراد السوريين حكماً ذاتياً على حدودها خاصة بعد أن أعلنوا في مارس 2016، النظام الفيدرالي في مناطق سيطرتهم بشمال سوريا. وارتبط التدخل التركي الكبير في الثورة السورية بموقف معاد دوماً للأكراد، فبعيداً عن أى شعارات ترفعها أنقرة لتبرير تدخلها بالأزمة السورية فالواقع يشير بوضوح إلى أن الكرد هم المحرك الرئيسى للسياسة الخارجية التركية تجاه سوريا.

رفض أى وجود كردى

الموقف التركي الراض لأى وجود كردى عبّر عنه الزعيم الكردي عبد الله أوجلان في كتابه «القضية الكردية وحل الأمة الديمقراطية». ويرى أوجلان أن العلاقات التركية الكردية تعتمد

كشف لجريدة «القدس العربي» في عددها الصادر بتاريخ 7 ديسمبر 2016 حقيقة ما حدث بحلب قائلاً «ما حدث أمر بديهي لا يحتاج إلى شرح، هو اتفاق بين الروس والأتراك على أن درع الفرات مقابل حلب المدينة».

عملية إدلب

كانت عملية دخول تركيا لمدينة إدلب شمال سوريا فاضحة بالنسبة لمن يسمون أنفسهم قوات درع الفرات التي يتشكل معظم عناصرها من فصائل الجيش السوري الحر، فلأول مرة تشارك قوات معارضة للنظام السوري في عملية عسكرية يدعمها برياً القوات المسلحة التركية وتساندها جواً القوات الروسية الحليف الرئيسي للنظام. عملية إدلب التي أعلن عنها في 9 أكتوبر 2017 بعد أقل من أسبوع من قمة روسية تركية عقدت بأنقرة، وزيارة تاريخية للرئيس التركي للعاصمة الإيرانية، قبل أن يجتمع الزعماء الثلاثة في آستانة ليقرروا ضم إدلب لمناطق خفض التوتر عن طريق عملية عسكرية بالمدينة تنفذها فصائل درع الفرات بدعم تركي وروسي. وواقع الحال يشي بأن هذا التدخل مرتبط مباشرة بالأكراد وسيطرتهم على مناطق واسعة من شمال سوريا، وهو ما ظهر في إعلان الرئيس التركي أن الهدف من العملية التركية في إدلب هو عدم السماح بإقامة «ممر إرهابي يبدأ من عفرين ويمتد إلى البحر المتوسط»، في إشارة إلى منع إقامة كيان كردي على حدود تركيا الجنوبية مع سوريا.

عفرين

«كنا هنا من ألف عام» بهذه



في 7 ديسمبر 2016 أن التدخل في شمال سوريا المتمثل في عملية درع الفرات لا يهدف لتغيير النظام في دمشق وغير مرتبط بالوضع في حلب.

وبعيداً عن تلون أردوغان وصراحة يلدريم فقد ثبت للجميع أن «درع الفرات» التركية ليس هدفها «إسقاط النظام ولا إسقاط شخص بشار ولا نصرة الشعب السوري والثورة السورية» إنما هي فقط من أجل «منع قيام الدولة الكردية والوقوف في وجه طموحات أكراد سوريا»- وهو ما أكده الباحث أحمد طه في دراسته «انقلاب تركيا.. تحليل ونظرة مستقبلية».

صفقة حلب

شهدت مدينة حلب قرب نهاية عام 2016 وقائع مأساوية، مما أسفر عن مقتل العشرات من أبناء الشعب السوري الأبرياء. وسقطت حلب بشكل مفاجئ بيد قوات النظام بعد أكثر من 4 سنوات من سيطرة المعارضة على المدينة. المهندس الملقب أبو إبراهيم المقرب من «جبهة فتح الشام»

محاولة الانقلاب الفاشل في تركيا أعلنت أنقرة إطلاق عملية عسكرية جديدة في سوريا تعرف بـ درع الفرات، نفذتها بالتعاون مع مسلحي «الجيش السوري الحر» وفصائل متحالفة معه من المعارضة السورية، من أجل تطهير كامل المنطقة السورية الحدودية مع تركيا من «جميع الإرهابيين» وطردهم نحو عمق سوريا، حسب ما تقوله أنقرة.

وتباينت الأهداف المعلنة من جانب تركيا حول الهدف من درع الفرات وتناقضت التصريحات التركية الرسمية حول العملية، ففي نوفمبر 2016 أعلن الرئيس التركي أن العملية التي أطلقتها أنقرة بشمال سوريا ترمي إلى التخلص من نظام «الطاغية الأسد» بحسب وصفه، وهو الأمر الذي أثار استياء موسكو التي طلبت إيضاحات حول تصريحات أردوغان فما كان من الرئيس التركي إلا التراجع عن تصريحاته مؤكداً أن التدخل التركي يستهدف المنظمات الإرهابية. كما أعلن رئيس الوزراء التركي على يلدريم

تركيا العثمانية وأكراد سوريا



العبارة تحدث أردوغان عن عفرين خلال إعلانه بدء العملية العسكرية التركية بالمدينة، هذا الاستدعاء للإرث العثماني ربما يتوافق مع «الميثاق الملى التركي» وهو الذي يعتبر «مناطق خارج الحدود التركية الحالية حقاً تاريخياً للدولة التركية انتزع منها انتزاعاً ولأنقرة الحق في ضمها في أى وقت». فالميثاق الوطنى أو كما يسمى بالتركية العثمانية «ميثاق ملي» هو عبارة عن مجموعة قرارات اتخذها آخر برلمان عثماني وكان يعرف بمجلس المبعوثان والذي انعقد في 28 يناير 1928. وربما هذه ليست المرة الأولى التي يتحدث فيها أردوغان بهذه الصيغة ففي كلمته التي ألقاها في أواخر أكتوبر 2017 خلال حفل افتتاح مشاريع تنمية في ولاية «قونية» التركية، قال «إن الشعب التركي مصمم على تبوء المكانة الصحيحة في العالم الذي يعاد بناؤه»، معتبراً أنه لا يحق لهم أن يسألوا تركيا ماذا تفعل في العراق وسوريا. إن نظرية «لا يحق لهم أن يسألونا ماذا نفعل» طبقها أردوغان بشكل واضح في إعلانه شن عملية عسكرية على مدينة عفرين وهي العملية التي وصفها وزير الثقافة والسياحة التركي الأسبق «أرطغرل غيناي» بأكبر خطأ في تاريخ الجمهورية التركية معتبراً أن التدخل في عفرين يفتقد للخبرة ولا يمت للسياسة بصلة، مضيفاً في مقال له «سنرى جميعاً كيف ستتحمل تركيا فاتورة مادية

ومعنوية باهظة بسبب حرب قذرة أصبحت طرفاً فيها من الخارج، سنرى ما ستجنيه من حرب حقيقية نأمل ألا تخلف وراءها خسائر فادحة».

أهمية عفرين

تعتقد تركيا أن عفرين هي خاصرة فيدرالية شمال سوريا الرخوة، فهي غير متصلة بمناطق الفيدرالية الأخرى، ومعزولة في الزاوية الغربية، وتحاصرها الكتائب المسلحة الموالية لأنقرة. وطول حدود عفرين مع تركيا 135 كيلومتراً، والجيش التركي يحتشد على الجانب التركي من الحدود، ويفرض حصاراً خانقاً على مدينة ومنطقة عفرين، وقد بنى جداراً عازلاً لإحكام هذا الحصار. وتتمثل أهمية منطقة عفرين في أنها تفصل بين مناطق سيطرة مليشيات «درع الفرات» في جرابلس، الباب، وإعزاز إلى الشرق من عفرين ومحافظة إدلب في الغرب، وبالتالي فإن السيطرة على عفرين تحقق لتركيا تواصلاً جغرافياً على جميع المناطق الحدودية الواقعة بين مدينة جرابلس غرب الفرات والبحر

المتوسط، مما يعنى القضاء على أية إمكانية لتحقيق التواصل الجغرافي بين المناطق الكردية والحيلولة دون ضمها لمناطق فيدرالية شمال سوريا، وتحقيق التواصل الجغرافي بين مقاطعات الفيدرالية السورية الشمالية.

دوافع الهجوم

تتعدد الأسباب وتتداخل الدوافع وراء العمليات العسكرية التركية في عفرين، آراء متعددة ترى التدخل التركي بعيون مختلفة فبعيداً عن الهدف المعلن من العملية وهو منع الأكراد من تشكيل حزام إرهابي على الحدود التركية وحماية الأمن القومي التركي، يرى آخرون أن سياق العملية له أهداف خاصة بالداخل التركي كمحاولة من أردوغان للقفز إلى الأمام والهروب من الأزمة الاقتصادية وتراجع مستوى الديمقراطية وارتفاع نبرة الانتقادات الدولية لسياسة الفصل والإقصاء بحق المعارضين. ففي مقال له بموقع «أحوال تركية» شبه الكاتب التركي «أوموط أوزقرملي» تدخل الجيش التركي في عفرين بالعملية العسكرية التي نفذتها

التركي وفشل أنقرة في التدخل البري بعد أكثر من أسبوع بحسب ما ذكر المرصد السوري الذي أكد أن القوات التركية المدعومة من الفصائل السورية لم تحرز سوى تقدّم محدود في منطقة عفرين في بداية الهجوم. وبحسب خبراء عسكريين فإن طول معركة عفرين ليس في صالح تركيا فهي قد تجد نفسها في مستنقع يصعب عليها الخلاص منه قد يستنزف قواتها واقتصادها المتهوى.



وعموماً فإن دخول القوات التركية والجيش السوري الحر إلى عفرين قد يكون بداية لصفحة بين الاطراف في شمال سوريا مع استمرار تركيا على تطهير شمال سوريا من المقاومة الكوردية.

الدور الروسي

الصمت الروسي والسماح للقوات التركية بتنفيذ عملياتها في عفرين يأتي ضمن صفقة تتوقف تفاصيلها على نتيجة معارك عفرين، ففي حال نجحت تركيا في فرض سيطرتها فربما تتم مبادلة إدلب بعفرين بحيث تسمح أنقرة للنظام السوري بالسيطرة على إدلب مقابل سيطرتها على عفرين ويعتبر البعض أن سيطرة قوات النظام على مطار أبو الزهور العسكري بإدلب مع بدء معركة عفرين مؤشر قوى على تلك الصفقة. معركة عفرين فسيكون لها تأثير كبير على مجريات الأمور بسوريا وقد تتغير خرائط المنطقة وتحالفاتها، وفي كل الأحوال فالمنطقة بعد حرب عفرين تختلف عما قبلها.

ويشير الكاتب إلى أن حرب عفرين تعتبر استنساخاً تركياً لتجربة النظام الأرجنتيني. كما يرى بعض المراقبين أن الانتخابات الرئاسية المقرر إجراؤها 2019 ربما تكون أحد أسباب انطلاق عملية عفرين خاصة وأن استراتيجية أردوغان تعتمد بشكل كبير على خلق تهديد خارجي لمواجهة تحدٍّ داخلي وهو أمر ثبتت فاعليته قبيل الاستفتاء مع التصعيد الإعلامي بين تركيا وألمانيا ودول أوروبية أخرى بالإضافة لعملية درع الفرات أيضاً التي انتهت قبيل أيام من التصويت بالاستفتاء.

ورطة تركية

قراءة أخرى للعملية التركية على عفرين تضعها في سياق إقليمي مختلف عن محدودية الداخل التركي، ويشير أصحاب هذا الرأي إلى أن أردوغان قد ورط تركيا في وحل عفرين وأن مواقف موسكو وواشنطن الباهتة إلى حد كبير قد تكون متعمدة للإيقاع بتركيا في مستنقع لن تستطيع الخروج منه منتصرة. ويستدل أصحاب هذا الرأي على صمود قوات الأكراد في مواجهة القصف

القوات الأرجنتينية عام 1982 في جزر مالفيناس الخاضعة للاحتلال البريطاني. ويذكر الكاتب في مقاله أن النظام العسكري الذي كان يحكم الأرجنتين في ذلك الوقت كان يواجه صعوبات جمة بسبب الأزمة الاقتصادية التي تسببت في احتجاجات شعبية واجهتها السلطة بكل عنف لدرجة أن الاضطرابات أدت لمقتل 15 ألف مواطن. ويشير أوزقرملی إلى أن النظام وجد ضالته في البحث عن مغامرة عسكرية خارجية وبالفعل أطلق في 4 أبريل 1982 عملية عسكرية أطلق عليها «العملية الزرقاء» نجحت في احتلال جزر مالفيناس، وقابل الشعب الأرجنتيني العملية بمظاهرات تأييد ودعم أمام القصر الرئاسي. ويرى الباحث أن أوجه التشابه بين الأرجنتين وتركيا كبيرة في ظل حزب واحد يحكم منذ 16 عاماً ورئيس مطلق الصلاحيات وأزمة اقتصادية ربما أقل حدة من الأرجنتين فضلاً عن تراجع مستوى الديمقراطية ونسبة اعتقالات غير مسبقة للمعارضين وارتفاع حدة الانتقادات الدولية،

دلالات المرونة البولندية في مواجهة إسرائيل

شهدت العلاقات البولندية الإسرائيلية توترا حادا منذ موافقة مجلس النواب البولندي، أواخر شهر يناير 2018 على التعديلات التي أدخلت على قانون «معهد الذاكرة الوطنية»، والتي عُرفت إعلامياً بـ«قانون المحرقة»، وهى الأزمة التي احتدمت مع مصادقة مجلس الشيوخ عليه مطلع فبراير 2018.

وأعوانه، والحرص على الترويج لتاريخ بولندا بوصفها ضحية، ليس فقط للنازيين بل وللصوفييت أيضاً. وأن الكثير من البولنديين قد كُرموا في إسرائيل لإنقاذهم لليهود خلال الحرب العالمية الثانية أكثر من مواطني أية دولة أخرى في أوروبا. وهى الحملة التي جاءت إثر اتهامات المعارضة للحزب الحاكم بأن الخطوات التي يتخذها تساعد على تصاعد اليمين المتطرف وتحت على الكراهية والعنصرية، ومعاداة اللاجئين والاتحاد الأوروبي.

ويبدو أن هذا التبرير لم يكن مقبولاً بالقدر الكافي من جانب إسرائيل. فقد فجر القانون مواجهة دبلوماسية بين تل أبيب ووارسو، حيث أعربت إسرائيل عن غضبها من القانون الذي وصفه رئيس الوزراء نتنياهو بأنه «محاولة لإعادة كتابة التاريخ ونكران المحرقة والعبث بتاريخ الشعب اليهودي». كما شجب القانون نواب الكنيست من مختلف القوى السياسية، وقدمت



أ.د. نورهان الشيخ

أستاذة العلوم السياسية بجامعة القاهرة
nourhanelsheikh@feps.edu.eg

الذى طرح على الفور هو لماذا الآن، بعد مرور ما يزيد على سبعة عقود على الحرب العالمية الثانية؟ لقد بررت وارسو الخطوة بسعى حزب القانون والعدالة الحاكم، منذ وصوله إلى السلطة بفوز كاسح عام 2015، إلى إنكفاء المشاعر الوطنية ورفع الوعي حول الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبت في بولندا ضد الكثير من الفئات، ومن بينهم البولنديين أنفسهم الذين حاولوا مقاومة النازية، والتركيز على الأعداد الكبيرة من الضحايا البولنديين الذى قتلوا على يد الجيش النازى

ويقضى القانون بسجن كل من يحمل بولندا مسئولية الجرائم ضد الإنسانية التي ارتكبتها ألمانيا النازية ضد اليهود وغيرهم، بالغرامة أو السجن لمدة ثلاث سنوات. وأكد القانون على منع استعمال أية عبارة تربط بولندا بالجرائم النازية، معتبرين أنه يجب على كل من يكتب أو يصرح عن هذه الفترة تأكيد أن هذه الأماكن بنيت وأديرت من قبل النازيين بعد احتلالهم لبولندا عام 1939. ومن المعروف إنه قبل نشوب الحرب العالمية الثانية كانت بولندا موطناً لأكثر طائفة يهودية في أوروبا إذ بلغ عدد اليهود فيها 3,2 مليون نسمة. وترفض بولندا منذ فترة طويلة استخدام عبارات مثل «معسكرات الموت البولندية»، التى تشير إلى أن الدولة البولندية تتحمل بطريقة ما المسئولية عن المعسكرات التى بنيت حينها مثل «أوشفيتز»، وأن تلك المعسكرات بنتها وأدارتها ألمانيا النازية بعد غزو بولندا. ومن ثم فإن السؤال



رئيس الوزراء ماتيوس مورافسكي

الخارجية الإسرائيلية احتجاجاً رسمياً للسفير البولندي في تل أبيب، ياتسك حودوروفيتش، واحتجت السفارة الإسرائيلية في وارسو وأصدرت بياناً في 2 فبراير 2018 عبرت فيه عن استيائها من «موجة التصريحات المعادية للسامية التي وصلت إلى السفارة عبر كل قنوات الاتصال».

إلا أنه كان واضحاً أن بنيامين نتنياهو لا يميل للتصعيد حيث رفض استدعاء السفارة الإسرائيلية من وارسو، أنا أزارى، أو خفض مستوى العلاقات الدبلوماسية، وذلك في إطار الحرص على العلاقة والتخطيط لاستضافة قمة رباعية، «فيشجراد»، التي تضم كلاً من بولندا والجمهورية التشيكية وسلوفاكيا والمجر. ومن ثم اتجهت إسرائيل لممارسة ضغوط شديدة في الوقت الذي واصلت فيه الخارجية الإسرائيلية إجراء اتصالات مع المسؤولين البولنديين من وراء الكواليس في أعقاب

التصديق على القانون.

وفي المقابل أكد الرئيس البولندي أندريه دودا، في خطاب تليفزيوني، يوم 6 فبراير 2018، إن هذا القانون يحمي سمعة بولندا في العالم، ويحفظ الكرامة والحقيقة التاريخية، وحتى لا يتم تشويه صورة بولندا كأمة. ولفت إلى أن «القانون يأخذ في الاعتبار الحساسية بالنسبة لهؤلاء الذين تمثل لهم الحقيقة التاريخية وذكرى المحرقة أهمية كبيرة». «لكن إسرائيل تعتبر أن هناك مسئولية مشتركة للحفاظ على ذكرى المحرقة، وتدعو لإجراء تعديلات عليه».

وأعرب السياسيون البولنديون عن استيائهم إزاء الرد الإسرائيلي، وقال ستانيسواف كارتشفسكي رئيس مجلس الشيوخ: «نحن مستاءون جداً ومتفاجئون، بأن ينظر إلى نضالنا من أجل الحقيقة وكرامة البولنديين بشكل خاطئ». وقال نائب وزير العدل مارتشين فارتشول «إن بولندا دولة

ديمقراطية تحترم حرية النقاش العام والبحث العلمي والحق في الانتقاد». وقال رئيس الوزراء ماتيوش مورافيتسكي «إن بولندا ملتزمة بمكافحة الأكاذيب حول المحرقة، وأن المعسكرات التي قتل فيها ملايين اليهود لم تكن بولندية، وهذه الحقيقة تحتاج إلى الحماية». وفي بيان للمتحدث باسم رئيس الوزراء، جونا كوبشينسكا، أشارت إلى أن «رئيس الوزراء مورافيتسكي لم يكن هدفه إطلاقاً إنكار المحرقة ولا تحميل الضحايا اليهود أدنى مسئولية»، مشيرة إلى أنه «على العكس، عارض مورافيتسكي بشدة ومرات عديدة إنكار الإبادة الجماعية، التي لا يمكن تصورها، وهي محرقة اليهود الأوروبيين، كما أنه عارض أى نوع من معاداة السامية»، لافتة إلى أن تصريحاته «يجب أن تفسر على أنها دعوة إلى نقاش صريح حول الجرائم المرتكبة ضد اليهود، يجرى وفقاً للوقائع، وبصرف



سفيرة إسرائيل في وارسو

دلالات المرونة البولندية في مواجهة إسرائيل

النظر عن جنسية من ارتكبتها في حالة معينة، أو شارك فيها أو جعلها ممكنة».

ورغم الموقف السابق للرئيس البولندي ورئيس الوزراء والبرلمان، استطاعت إسرائيل دفع بولندا لتجميد القانون، وفي 25 فبراير 2018، وبعد حوالي أسبوعين من تصديق مجلس الشيوخ على القانون، أبلغت بولندا إسرائيل بقرارها تجميد إنفاذ القانون، تلبية للطلب الإسرائيلي، كما وافقت وارسو على إرسال وفد إلى تل أبيب من أجل التباحث وتبديد التوتر الذي شاب العلاقات منذ سن القانون في البرلمان البولندي، والتوافق على صياغة جديدة للقانون.

واعتبرت هذه الخطوة في حينها تصعيداً في الأزمة.

كذلك أعرب وزير الخارجية الأمريكي ريكس تيلرسون، عن خيبة أمل واشنطن من مصادقة الرئيس البولندي على القانون، واعتبر أن سن هذا القانون سيكون له أثر ضار على حرية التعبير والبحث الأكاديمي. وصرح ماريك ماجيروسكي، نائب وزير الخارجية الأمريكي، يوم 28 فبراير 2018، بأن «وارسو لن تستطيع تبويض صفحات تاريخها، وأن بولندا ارتكبت أعمالاً غير مشروعة خلال الحرب العالمية الثانية» وأضاف «إن القانون هو وسيلة للدفاع عن الدولة من تهمة التواطؤ في جريمة المحرقة». وأعرب عن قلق الولايات المتحدة إزاء إصدار القانون، وأنه سيلتقي مع مسئولى الإدارة والمشرعين والجماعات اليهودية

صاحبت الضغوط الإسرائيلية مجموعة من الضغوط الداخلية والخارجية غير الإسرائيلية التي تعرضت لها وارسو، فقد وقع حوالي 100 من الفنانين البولنديين والسياسيين والصحفيين رسالة مفتوحة تدعو إلى إلغاء القانون، جاء فيها: «إننا نهبنا بعيداً لإظهار بولندا على أنها الدولة الوحيدة التي لا تشوب تاريخها شائبة في أوروبا». ومن ناحية أخرى، أثار القانون حفيظة أوكرانيا أيضاً التي تملك حدوداً مع بولندا حيث تضمن النص على فرض العقوبة نفسها على الدعاية لأيديولوجيا أنصار «ستييان بانديرا»، المتطرف القومي الأوكراني، ونكران مذبحه «فولين» التي ارتكبتها القوميون الأوكرانيون خلال الحرب العالمية الثانية. ودعت أوكرانيا السفير البولندي لديها لتوضيح الأمر،



احتجاج السفارة بمجلس النواب البولندي

وإرسال بعثات لمتابعة القضايا التي تمس إسرائيل قبل اتخاذ القرارات ونضوجها. والاحتفاظ بقنوات مفتوحة وعلاقات قوية مع الدول المؤثرة في العالم، بما فيها تلك التي تتناقض سياستها معها ومع حليفها الإستراتيجي، الولايات المتحدة، والانفتاح على قوى التأثير العائدة: روسيا، والصاعدة: الصين والهند. وأمام هذا الحراك الأخطبوطي لإسرائيل تظهر الحاجة إلى ضرورة اتباع اقترابات غير تقليدية بشأن القضية الفلسطينية وتطوير آليات إعلامية ودبلوماسية فعالة قادرة على مواجهة التحديات وتجاوز الأزمة الحادة التي تمر بها منذ قرار ترامب بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس وما لذلك من تداعيات كارثية على الحقوق الفلسطينية، والأمن والاستقرار الإقليمي.

وصفتها تل أبيب بأنها «عميقة وشفافة» حول القانون. ويظل التأثير الإسرائيلي هو العامل الفاعل في مرونة الموقف البولندي، الأمر الذي يثير التساؤل حول كيف تمكنت إسرائيل من تحقيق هذا الإنجاز الدبلوماسي ودلالات ذلك فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية؟

إن الدلالة الرئيسية التي تحملها مرونة وارسو إزاء إسرائيل هي قدرة الأخيرة على اختراق الساحات العالمية، والتحرك بفاعلية وتأثير كبير، يساعدها في ذلك الدعم الأمريكي المطلق لها، وامتلاكها أدوات تأثير فعالة وقدرة على الضغط الإعلامي الكبير، وتوظيف ما تمتلكه من تكنولوجيا متقدمة، وشخصيات يهودية مؤثرة عالمياً. هذا إلى جانب التواصل المباشر مع متخذي القرار في الدول المستهدفة،

في محاولة لتهدئة مخاوفهم. في ضوء هذا الموقف للرئيس البولندي ورئيس الوزراء والبرلمان كان من الصعب التراجع التام عن القانون أو إلغاؤه. ورغم أن صحيفة «هآرتس» العبرية أفادت في 25 فبراير 2018، بعد حوالي أسبوعين من تصديق مجلس الشيوخ على القانون، بأن بولندا أبلغت إسرائيل بقرارها تجميد إنفاذ القانون، تلبية للطلب الإسرائيلي، وأن وارسو وافقت على إرسال وفد إلى تل أبيب من أجل التباحث وتبديد التوتر الذي شاب العلاقات منذ سن القانون في البرلمان البولندي، والتوافق على صياغة جديدة للقانون. فإن القانون قد دخل حيز التنفيذ في الأول من مارس 2018، وتزامن هذا مع زيارة وفد دبلوماسي بولندي برئاسة نائب رئيس الوزراء لإسرائيل لإجراء محادثات

اختبار الديمقراطية في تونس

أعاد شهر يناير إلى أذهان التونسيين ذكرى اندلاع ثورة الياسمين في عام 2011. تلك الانتفاضة الشعبية التي تعد نقطة انطلاق لما سمي بالربيع العربي، والذي تحول لما يشبه الكابوس في عدة حالات محطماً لكثير من آمال الملايين الذين تعلقوا بفكرة التغيير والعدالة.

فى المجلس التأسيسى محمد البراهمى من قبل منتمين إلى تيار أنصار الشريعة. وأدت عمليات الاغتيال هذه إلى أزمة سياسية فى البلاد ميزها اعتصام الرحيل ضد حكومة النهضة، والذي قابله اعتصام الشرعية الموالى لها.

وبعد الأزمة السياسية التي شهدتها البلاد إثر عمليات الاغتيال، قدمت عدة جهات تونسية مبادرات للحل، ومنها الرباعى الراعى للحوار والذي يتكون من الاتحاد العام التونسى للشغل، والاتحاد التونسى للصناعة والتجارة والصناعات التقليدية، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، والهيئة الوطنية للمحاميين بتونس، وعقدت أول جلسة فى 5 أكتوبر 2013 وتم وضع خارطة طريق للتسريع فى المصادقة على الدستور وتشكيل حكومة تكنوقراطية. وتغيرت الحكومة وصودق على الدستور فى 2014. واعتبر كثيرون الحوار الوطنى ناجحاً على الساحة السياسية.

ولا بد من التأكيد هنا على أن التحالفات الحزبية تعتبر ظاهرة جديدة على الساحة السياسية فى تونس. ولقد اعتبرها البعض نتيجة مباشرة لنظام انتخابى يقوم على أساس النسبية التي لا تعطى فرصة



منى الدالى

monamdaly@yahoo.fr

خاصة مع اقتراب الانتخابات البلدية ومن بعدها الرئاسية.

نظرة على الحياة الحزبية فى تونس

كانت الأحزاب السياسية التونسية المرخص لها قبل الثورة ستة فقط، وكلها تدعم السلطة الحاكمة، بينما كان هناك ثلاثة أو أربعة أحزاب معارضة لا نشاط لها داخل البلاد. ولكن بعد الثورة، شهدت تونس تفجراً حزبياً إذ وصل عدد الأحزاب فى 2014 إلى أكثر من 200 حزب سياسى مختلفى الحجم، يتمتعون جميعاً بحق التعبير السياسى والمشاركة فى الحياة السياسية. ورغم هذا الحراك الحزبى، لم تخل الفترة من الاضطرابات إذ شهدت تونس عمليتي اغتيال استهدفتا معارضيين يساريين أحدهما شكرى بلعيد والآخر النائب

فبعد أن كانت تونس أمام فرصة تاريخية لتعديل المشهد السياسى وخلق توازن متين يضمن استمرار المسار الديمقراطى فى أعقاب الانتخابات التشريعية والرئاسية فى 2014 التي قلصت من سيطرة حركة النهضة المتوعدة منذ ثورة يناير 2011 فى الحكم، وبعد أن كان التونسيون والعالم أجمع قد بدأ يحذوه التفاؤل خاصه وقت فوز الرباعى الراعى للحوار الوطنى فى 2015 بجائزة نوبل للسلام لمساهماتهم الكبيرة فى إنجاح مسار الانتقال الديمقراطى والخروج بالبلاد من مرحلة الخطر إلى الاستقرار، وبعد بزوغ نجم حزب «نداء تونس» كئذ ومنافس لهيمنة حركة النهضة الإسلامى، بعد كل هذه المقدمات المبشرة، استقبل التونسيون عامهم الجديد بقلق متنام ومخاوف من الوضع الاقتصادى المتدهور حيث انكمش النمو الاقتصادى إلى أقل من 1% فى حين فاقت نسبة البطالة 15% وتباطأ نمو الاستثمارات الأجنبية، ومن تهديدات إمكانية عودة التيار الدينى للسيطرة على الحكم فى البلاد وتهديد الدولة المدنية،



فى مارس 2016 الذى خلف 20 ضحية إضافة إلى 54 قتيلا من المسلحين لتعود تونس لمواجهة أشد مخاوفها وهى تهديدات التيارات الدينية المتشددة التى تسعى لطمس الهوية المنفتحة والهيمنة على مقدرات البلاد.

ولدرء تلك الأخطار المتكررة، واستعداداً للانتخابات القادمة، أعلن حزب نداء تونس الذى يقود الحكومة والمتحالف مع حركة النهضة الإسلامية رفع غطاءه السياسى عن الحركة، مشدداً على أن الإطار السياسى الوحيد الذى يجمعه ببقية شركائه فى الحكم بمن فيهم حركة النهضة الإسلامية هو التوافق العام على المصلحة العليا للدولة المدنية وللبلاد.

الانتخابات البلدية

مؤشر للتوجهات الحزبية

وبينما تستعد تونس حالياً لتنظيم الانتخابات البلدية الأولى منذ اندلاع الثورة، تعيد هذه المعركة الانتخابية المزمع إجراؤها فى 6 مايو 2018 الحديث عن ملامح المشهد السياسى الجديد فى ضوء نتائج هذا الاستحقاق

لهذه الأسباب لم يكن التحالف بين النهضة والنداء محل ترحيب من قبل الكثيرين بمن فيهم البعض من مناصريهما الذين عبروا علناً عن رفضهم لهذا التقارب وتبرمهم منه. إلا أنه، وعلى عكس ما يذهب إليه البعض، لم يكن هذا التحالف نتيجة لرغبة زعيم حزب نداء تونس الرئيس الباجى قائد السبسى ومؤسس حركه النهضة راشد الغنوشى فى كسب وجهة سياسية بقدر ما كان استجابة موضوعية للأوضاع الأمنية والاقتصادية والاجتماعية التى عرفتتها تونس منذ 2011، والتى لم تكن تحتل مزيداً من الصراعات السياسية.

ثم تأتى العمليات الإرهابية التى كان لها أثر سلبي كبير على الصعيد السياسى والاقتصادى وخاصة القطاع السياحي وهى الهجوم على متحف باردو فى 18 مارس 2015 والذى خلف 22 قتيلاً و45 جريحاً، ثم هجوم سوسة فى 26 يونيو من نفس السنة، والذى أودى بحياة 38 شخصاً وجرح 39 آخرين، وأخيراً هجوم بنقردان

لأى حزب، مهما علا شأنه، ليحقق نتائج انتخابية تمكنه من تشكيل الحكومة بمفرده. إلا أن التجربة أثبتت أن النظام الانتخابى لم يكن هو السبب الوحيد فى انتشار الظاهرة، فالرغبة فى تقاسم أعباء الحكم والمعارضة شجعت على تشكل تحالفات وجبهات سياسية. فبعد أول دورة انتخابية فاز بها المنصف المرزوقى فى أعقاب 2011 تم انتخاب الباجى قائد السبسى فى 2014 رئيساً جديداً لتونس، فيما حققت حركة النهضة فوزاً كبيراً على مستوى السلطة التشريعية مستمراً حتى الآن.

ويتنامى الخوف من أن يكون التآلف الحزبى مجرد وسيلة لتمرير سياسات اقتصادية واجتماعية محددة من قبل التحالف الحاكم أو أداة للاعتراض عليها وإفشالها من قبل التحالف المعارض. أضف إلى ذلك أن رأى العام التونسى يميل بطبعه لفصل الدين عن الدولة. لذلك يشعر التونسيون العلمانيون والنساء على الأخص بالقلق إزاء تنامى نفوذ الإسلاميين المحافظين.

اختبار الديمقراطية في تونس



النهضة فرع من التنظيم الدولي للإخوان

والاستحقاقات الانتخابية فرضت

لماذا تعتبر النهضة

تهديداً للديمقراطية؟

حركة النهضة تمثل التيار الإسلامي تاريخياً في تونس. حيث تم تأسيسها عام 1972 خارج تونس على يد راشد الغنوشي، وأعلنت رسمياً عن نفسها في 6 يونيو 1981. وقد بدأت علاقة حركة النهضة الإسلامية مع التنظيم العالمي لجماعة الإخوان تظهر للرأى العام فى الآونة

المرور فى العلاقة مع حركة النهضة من مرحلة الوفاق إلى التنافس. ويمكن القول إن الفائز الوحيد من هذا القرار هو المشروع الوطنى المدنى والحدائى الذى يتناقض تمام التناقض مع أجندات جماعات الإسلام السياسى التى تراهن عليها وربما تمولها قوى خارجية معروفة لاستعمالها كذراع ميدانية تزج بالمنطقة العربية فى فوضى عارمة خدمة لمصالحها

والذى يعتبره كثيرون مقياساً لمعرفة حجم كل حزب ميدانياً قبل التوجه نحو استحقاقات أخرى أهمها الانتخابات التشريعية والرئاسية فى 2019. وبالموازاة مع فتح باب الترشح للانتخابات البلدية للفوز بـ 1160 مقعداً بلدياً فى 24 محافظة تونسية، تؤكد المؤشرات الأولى أنّ جل الأحزاب بما فيها حزب نداء تونس الشريك فى الائتلاف الحاكم، قد تبدو غير جاهزة لمنافسة حركة النهضة التى وفّرت لنفسها كل الضمانات لخوض الاستحقاق الانتخابى بقوائمها الحزبية أو المستقلة وفى كل الدوائر البلدية فى مختلف مناطق البلاد. لذلك يحذر العديد من المراقبين والسياسيين من الخطر المحقق بالديمقراطية التونسية الناشئة التى قد تصطدم مجدداً بسيطرة حركة النهضة على المشهد السياسى، وهو ما يُفسد الحياة السياسية ويهدد المسار الديمقراطى برمته. وهو مسار يشهد - كما أوضحنا - حالة من الصراع بين قطبى الحكم.

وكان برهان بسيس المكلف بالشئون السياسية فى نداء تونس قد أكد مؤخراً على نهاية التوافق مع حركة النهضة وتحولها من حليف إلى خصم، وهو ما أثار لغطاً كبيراً فى الساحة السياسية التونسية حول خلفيات ذلك الإعلان والتوقيت الذى جاء فيه بعد عامين ونصف العام من التحالف. وشدد بسيس على أن واقع الانتقال الديمقراطى



النهضة والإخوان جسد واحد

تحمل المرحلة السياسية القادمة ملامح حزبية وائتلافية جديدة من أبرز ملامحها قوى ديمقراطية متقاربة فكرياً وسياسياً من جهة، وحركة إسلامية يتوجس منها غالبية التونسيين من جهة أخرى. وأذكر هنا كلمات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في ثاني زيارة رسمية له في تونس، إذ صرح أمام البرلمان «إن الربيع العربي لم ينته، وأن تونس مهد هذا الربيع لديها واجب إنجاح انتقالها الديمقراطي لكي تبقى مثالا يحتذى به». وأضاف «إن تونس قامت بثورة ثقافية عميقة»، مشيراً إلى حرية المعتقد والمساواة بين الرجل والمرأة التي يضمنها دستور 2014 وكذلك التدابير التي أعلنها الرئيس الباجي قائد السبسي في الصيف الماضي لإنهاء التمييز بين الرجال والنساء.

إن مرحلة ما بعد التحالف تمثل فرصة تاريخية أمام القوى الديمقراطية وهو ما يعول عليه المواطن التونسي الذي يعاني من الأوضاع الاقتصادية الحالية، ويرى في مجابهة التيار الإسلامي أولى خطوات الخلاص لاستكمال مسيرة الديمقراطية، وإعادة بناء الدولة على أسس مدنية، ويتمنى أن يتم ذلك بمنأى عن التدخلات الأجنبية، إذ حذر الرئيس التونسي من مخاطر تحويل تونس إلى ليبيا ثانية، ومن أي تهديد لاستقرار البلاد عن طريق الدعم الخارجي للإرهاب أو بإعادة المقاتلين التونسيين الدواعش من سوريا.



خاصة بعد فصلها للعمل الدعوى عن النشاط السياسي. غير أن ترويج الغنوشي لم يبدد توجس غالبية التونسيين بل على العكس عمقه، ولم يروا فيه سوى نوع من ازدواجية الخطاب التي تمثل إحدى أخطر أدوات الإخوان. والواقع الحالي يثبت أن التحالف منته، والمطروح الآن هو سيناريو ما بعد النهاية. وبالتالي ستفصل الانتخابات البلدية بشكل حاسم بين التوجه الإسلامي البحت الذي تتبناه النهضة، والتوجه الديمقراطي لنداء تونس حيث يسعى كل منهما منفرداً لكسب المقاعد وتكوين جبهة قوية على المستوى المحلي. ويمكن أن

الأخيرة، بعد أن كشفت وسائل الإعلام في أكثر من مرة مشاركة زعيم الحركة راشد الغنوشي في اجتماعات التنظيم التي أعقبت عزل محمد مرسى بعد ثورة 30 يونيو 2013.

وتتوجس اتجاهات الرأي العام التونسية التي تغلب عليها ملامح الحداثة والوسطية الدينية المعتدلة من مخطط النهضة، ولا ترى فيها سوى فرع من فروع التنظيم الدولي للإخوان على الرغم من ترويج راشد الغنوشي صورة الحركة على أنها تونسية لا علاقة لها بالإخوان، ومنفتحة على المشهد السياسي بالبلاد وعلى المجتمعات العربية والأجنبية



إقرار وثيقة برلمانية عربية لمكافحة التطرف والإرهاب

فى تحرك برلمانى عربى لمواجهة الإرهاب والتصدي لكافة مصادر تمويله داخل البلدان العربية ودول الشرق الأوسط، أقر رؤساء المجالس والبرلمانات العربية خلال مؤتمريهم بالجامعة العربية وثيقة عربية شاملة لمكافحة التطرف والإرهاب، رفعت للقمة العربية بالرياض (مارس 2018) لاعتمادها وتوجيه المؤسسات العربية لتنفيذ ما ورد فيها. وتضمن الوثيقة ما حققته الدول العربية وقواتها المسلحة وأجهزتها الأمنية من نجاحات بتوجيه ضربات موجعة للتنظيمات والمليشيات الإرهابية. وطالبت بتوحيد جهود الدول العربية، ضد كافة أشكال الإرهاب وفى مختلف بقاع العالم العربى، من أجل اجتثاث الإرهاب من جذوره والقضاء عليه نهائياً.

توفير ملاذ آمن لهم أو السعى فى تأييدهم فى محفل إقليمى أو دولى. كما دعت لاتخاذ كافة التدابير الكفيلة لضمان عدم استخدام أراضي أى من الدول العربية فى إقامة منشآت أو معسكرات تدريبية للمليشيات والتنظيمات الإرهابية، أو بغرض تدبير أو تنظيم القيام بأعمال إرهابية ترتكب ضد دول أخرى أو ضد مواطنيها.

وشددت على إعلاء مبدأ وحدة الأمن القومى العربى، المتمثل فى أن أى اعتداء على أية دولة عربية هو اعتداء على الدول العربية جميعاً، بما يفضى إلى سياسة وطنية مفادها أن الأمن الوطنى جزء لا يتجزأ من الأمن القومى العربى، ولا يعمل بمعزل عنه، وذلك هو السبيل الأنجح فى تحصين الوطن العربى من ويلات الإرهاب واختراقات الجماعات والتنظيمات الإرهابية. وأكدت ضرورة تسوية النزاعات العربية سلمياً، مما يسهم فى تفويت الفرصة أمام المتربصين والمنظمات الإرهابية فى استغلال معاناة الشعوب والضيق نتيجة الصراعات. ودعت لاعتماد خطة لإدارة الأزمات ومواجهة الكوارث وإرساء السلام والحيلولة دون نشوء نزاعات جديدة، والحد من الآثار السلبية لتزايد أعداد اللاجئين والنازحين فى المنطقة، ومؤازرة ودعم البلدان التى ترزخ تحت الصراعات، أو التى تمر بمراحل ما بعد النزاعات وإعادة الإعمار، لإرساء السلام وتثبيت دعائم الدولة. ودعت لضرورة منع استخدام قوانين اللجوء السياسى والهجرة كماًوى آمن للإرهابيين، وتعزيز التعاون بين الدول العربية لتسليم المتورطين فى الأعمال الإرهابية الذين صدرت ضدهم أحكام من دولهم، ومراقبة جميع دول العالم قواعد اللجوء السياسى وأدابه وفقاً لمبادئ القانون والعرف الدولى.

التدخل التركى فى المنطقة العربية الذى يمس السيادة والشئون الداخلية لبعض الدول العربية ومن بينها مصر.

وقالت الوثيقة إن شمولية مكافحة الإرهاب واجتثاث جذوره، يتطلب مضامين جديدة وشاملة لمعالجة أبعاد الظاهرة الإرهابية اجتماعياً، واقتصادياً، وسياسياً، وثقافياً، وتربوياً، وتقنياً، وتشريعياً، وتحويل المواجهة من إجراءات معزولة تقوم بها كل دولة على حدة إلى تخطيط استراتيجى شامل. وشددت الوثيقة على أنه لا تعد أعمالاً إرهابية، حالات الكفاح بمختلف الوسائل، بما فى ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبى والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير، وفقاً لمبادئ القانون الدولى، ولا يعتبر من هذه الحالات كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأى من الدول العربية.

وأكدت حق السيادة للدول العربية ووحدة أراضيها، وعدم التدخل فى شئونها الداخلية، خط الدفاع الأول لمكافحة الإرهاب والتنظيمات الإرهابية، داعية فى الوقت نفسه إلى إيقاف الحملات الإعلامية المعادية بين الدول العربية، وتوثيق العلاقات بينها ضماناً للتعاون الجماعى وتوحيد الصف لمواجهة أسباب الإرهاب، ودرء المطامع الخارجية للتدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية.

وطالبت باتخاذ كافة التدابير العربية المشتركة لمنع تمويل العمليات الإرهابية أو الإرهابيين ووقف كل مصادر الإمدادات المادية والعسكرية أو تهديد أمن الدول الأخرى بأية وسيلة غير مشروعة. وحثت على اتخاذ كافة التدابير العربية المشتركة لعدم استخدام أراضي أى من الدول العربية فى إقامة منشآت أو معسكرات تدريب للمليشيات والتنظيمات الإرهابية، ومنع إيواء العناصر الإرهابية والمتطرفة أو

وتدعو الوثيقة لاتخاذ كافة التدابير الممكنة لحظر التحريض والتبرير والتحريض والتشجيع على ارتكاب أعمال إرهابية، وضرورة التعاون والتنسيق بين الدول العربية فى اتخاذ ما قد يكون ضرورياً ومناسباً ومتفقاً مع التزامات مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة وعلى المستوى الوزارى وعلى مستوى المجالس الوزارية المعنية وما هو متفق عليه بموجب القانون الدولى، بشأن مكافحة التحريض على الإرهاب.

ودعت الوثيقة إلى توحيد جهود الدول العربية، ضد كافة أشكال الإرهاب وفى مختلف بقاع العالم العربى، من أجل اجتثاث الإرهاب من جذوره والقضاء عليه نهائياً.

وأكدت ضرورة التصدي للأجندات المذهبية والطائفية والتدخل فى شئون الدول العربية، ووضع حد لتجاوزات الدول الإقليمية رعاة الطائفية والإرهاب والتطرف فى المنطقة العربية.

وطالبت بنشر مفاهيم الدين الإسلامى السامح بشأن التعارف والتسامح والحوار البناء بين مختلف الدول والأديان والثقافات، وحماية ونشر وترسيخ هذه المفاهيم والمحافظة عليها وتعزيزها لدى الأفراد والمجتمعات. كما دعت إلى تعزيز قدرة الأمة العربية السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية جنباً إلى جنب مع قدراتها الأمنية والعسكرية ضمن منظومة الأمن القومى العربى ومكافحة الإرهاب.

وأكدت الوثيقة أن التدخل الإيراني فى المنطقة العربية أدى إلى إذكاء الطائفية واستشراء الإرهاب، وتمدد الجماعات الإرهابية وتكوين ودعم مليشيات طائفية مسلحة، الأمر الذى يشكل تهديداً للتماسك المجتمعى فى الوطن العربى. كما أدانت

وأكد الموقعون على الوثيقة الرفض القاطع للقرار الصادر من الإدارة الأمريكية بالاعتراف بمدينة القدس المحتلة عاصمة للقوة القائمة بالاحتلال، ونقل السفارة الأمريكية إليها، لعدم مشروعيتها وفق القانون الدولي، والتأكيد أن القدس عاصمة أبدية لدولة فلسطين، والتصدي لكافة محاولات تغيير الوضع القائم في المسجد الأقصى، وفي مدينة القدس المحتلة.

ودعت الوثيقة لتفعيل الإعلان العربي لتنفيذ خطة التنمية المستدامة 2030 في الدول العربية «الأبعاد الاجتماعية»، المنعقد في القاهرة بتاريخ 7 إبريل 2016، والمعتمد من القمة العربية السابعة والعشرين في نواكشوط في يوليو 2016، وتأكيد إدراج أهداف التنمية المستدامة في خطط التنمية الإنمائية الوطنية في البلدان العربية. ودعت إلى الاستفادة من أدوات التمويل والدعم سواء العربية أو الدولية المتوفرة لإحراز تقدم ملموس بشأن قضية الفقر كقضية محورية على أجندة التنمية المستدامة 2015-2030.

ودعت الوثيقة لتعزيز الجهود الرامية لتنفيذ المبادرات العربية ذات الصلة بالتشغيل ومحاربة البطالة، خاصة تفعيل قرارات القمة العربية التنموية الأولى (الكويت: 2009) وخاصة القرار رقم (9) بشأن البرنامج المتكامل لدعم التشغيل والحد من البطالة في الدول العربية، والاستفادة من مبادرة الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح - أمير دولة الكويت - بشأن توفير الموارد المالية اللازمة لدعم وتمويل مشاريع القطاع الخاص والمشروعات الصغيرة والمتوسطة في الوطن العربي، كإحدى الآليات الاجتماعية للقضاء على الإرهاب. وطالبت بإنجاز مشاريع تنمية عربية مشتركة، ثنائية ومتعددة الأطراف، تكون بمثابة مشروعات قومية تعضد وحدة الشعب العربي، وتفتح المجال أمام استيعاب طاقات الشباب العربي، وعلى سبيل المثال: مشروع قومي بشأن التكامل الصناعي بين بعض الدول العربية، مشروع قومي لدعم التكامل الزراعي بين الدول العربية، مشروع عربي مشترك للاستخدام السلمي للطاقة النووية.

وتمنت الوثيقة دور دولة الكويت في إقامة مؤتمر إعادة إعمار الموصل وشمال العراق والذي سيعقد في فبراير 2018 في العاصمة الكويت وحث الدول العربية على

المشاركة فيه.

ودعت الوثيقة لتجديد الخطاب الديني ونبذ كل ما يدعو إلى التطرف والغلو والإقصاء وكراهية ومعاداة الآخر. كما طالبت بإنشاء مراكز لمكافحة الفكر المتطرف في الدول التي لا يوجد بها، على غرار المركز العالمي لمكافحة الفكر المتطرف «اعتدال» بالسعودية، لتعزيز ثقافة الاعتدال والتسامح وتقبل الآخر، والتصدي وتفنيد المتطرفين والمنظرين للإرهاب والمحرضين عليه، والعمل على مناصرة المغرر بهم، ومركز الاتصالات الرقمي «صواب» في دولة الإمارات العربية المتحدة بهدف استخدام شبكات التواصل الاجتماعي للرد على الأنشطة الدعائية للتنظيمات الإرهابية، وكذلك مركز «هداية» باعتباره مؤسسة دينية للتدريب والحوار. كما دعت الاستفادة من مبادرة الإمارات بإنشاء وزارة للتسامح، والاستفادة من برامج منتدى «حوار المنامة» بالبحرين، خاصة بشأن دراسة التهديدات الأمنية ومكافحة الإرهاب.

وكلفت الوثيقة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إنشاء مجلس تنسيقي عربي لمراكز مكافحة الفكر المتطرف في الدول العربية، وإنشاء قاعدة بيانات لهذه المراكز بغرض تسهيل التعاون والتنسيق وتبادل الخبرات بينها. ودعت الوثيقة إلى التزام وسائل الإعلام العربية بعدم بث الشائعات والأخبار الكاذبة والترويج لها بما ينال من وحدة واستقرار الدول العربية. وطالبت بسن التشريعات اللازمة لتجريم تحريض أو تشجيع أو تبرير أي من وسائل الإعلام على الفكر المتطرف ورعاية الإرهاب، ومراجعة قوانين الصحافة والإعلام في كل بلد عربي لرصد وتجريم هذه الممارسات. ودعت الوثيقة لدعم الكتاب والمفكرين في مجال نشر ثقافة الوسطية والاعتدال ومكافحة التطرف والإرهاب، ودعم المراكز المعنية بهذا المجال مثل مركز الوسطية بدولة الكويت. وثلّمت الوثيقة في الوقت نفسه دور الأزهر الشريف في العالم الإسلامي والاستفادة من قدراته وعلاقاته على المستويات العربية والإسلامية والدولية.

وكلفت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بإنشاء مجلس تنسيقي عربي لمراكز مكافحة الفكر المتطرف في الدول العربية، وإنشاء قاعدة بيانات لهذه المراكز بغرض تسهيل التعاون والتنسيق وتبادل

الخبرات بينها. وطالبت بسن تشريع وطني لمكافحة دعم وتمويل الإرهاب في كل الدول التي لا يوجد بها تشريع خاص بمكافحة الإرهاب، والعمل على تطويرها بشكل دورى دون المساس بالتشريعات الخاصة بحقوق الإنسان، وبما يحفظ سيادة الدولة. ودعت لاتخاذ التدابير اللازمة نحو تصديق الدول العربية، غير المصادقة، على الاتفاقيات العربية المشتركة بشأن مكافحة الإرهاب، وصولاً إلى تحقيق إجماع عربي على التشريعات الموحدة باعتبارها أحد الأركان المهمة لتعزيز العمل العربي المشترك في مجال مكافحة الإرهاب. ودعت إلى تحديث الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب بما يتلاءم مع التحديات المستجدة وتعدد التنظيمات الإرهابية واختلاف أساليبها وتطور عملياتها، بحيث تتضمن آليات لمنع وصول التمويل للتنظيمات الإرهابية وتجرى دفع الفدية، ورفض كل أشكال الابتزاز من قبل الجماعات الإرهابية، وتحديد آليات لتبادل المعلومات وتوثيق مجالات التعاون الأمني بين الدول العربية، وكذا التعامل مع وسائل التكنولوجيا الحديثة في الحد من مخاطر الفكر الإرهابي. وطالبت بتفعيل اتفاقية الرياض العربية للتعاون القضائي وألياتها التنفيذية، التي اعتمدها مجلس وزراء العدل العرب في أبريل 1983، ودخلت حيز النفاذ في أكتوبر 1985.

وأكدت ضرورة مواءمة التشريعات الوطنية في الدول العربية مع الاتفاقيات العربية المشتركة في مجال مكافحة الإرهاب وتجرى الفكر المتطرف، وتجرى الصور المستحدثة من الجرائم الإلكترونية، والإرهاب الإلكتروني.

ودعت الوثيقة للإسراع في إعداد اتفاقية أممية شاملة لمكافحة الإرهاب، تميز بين الإرهاب والحق المشروع للدول والمجتمعات في مقاومة الاحتلال. وطالبت بإنشاء آلية لتقديم المساعدة إلى ضحايا الإرهاب من خلال الجمعية العامة للأمم المتحدة، وكذلك على المستوى العربي.

وطالبت بمنع استخدام قوانين اللجوء السياسي والهجرة كماًوى آمن للإرهابيين، وتعزيز التعاون بين الدول العربية لتسليم المتورطين في الأعمال الإرهابية الذين صدرت ضدهم أحكام من دولهم، ومراعاة جميع دول العالم قواعد اللجوء السياسي وأدابه وفقاً لمبادئ القانون والعرف الدولي.

تل أبيب تسعى لتطويق الأمن القومي العربي

قارتنا الأفريقية كانت ولا تزال مطمئناً للقوى الاستعمارية
وذلك منذ حركة الكشف الجغرافية في القرن السادس عشر.

فاستقر الكثيرون منهم في معظم دول القارة وذلك بخلاف أن دولة إسرائيل كانت حريصة منذ نشأتها على حضور دعوات إعلان استقلال هذه الدول الأمر الذي أدى إلى التقارب المباشر بين القيادات الأفريقية والصهيونية في إطار رسم خطط التعاون بين الجانبين في المستقبل.

ومن هذا المنطلق قامت ليبيريا عام 1947 بالتصويت لصالح قرار تقسيم فلسطين وما تلا ذلك من قيام العلاقات الدبلوماسية وعقد معاهدة الصداقة والتعاون مع إسرائيل، كما تم افتتاح العديد من القنصليات الإسرائيلية في عدد من الدول الأفريقية مثل أثيوبيا وغانا ونيجيريا الاتحادية، وعندما حل عام 1967 وصل عدد البعثات الإسرائيلية في أفريقيا إلى 29 بعثة ولاسيما وأن تل أبيب كانت تحرص دائماً على تقديم نفسها لدول القارة على أساس أنها نموذج للدول النامية المتحفزة عن طريق تسويق تجربتهم التنموية المعروفة بتجربة التعاونيات الزراعية أو الكيبوتز واستمرت العلاقات الإسرائيلية الأفريقية تنمو باطراد حتى عام 1967 وهو العام الذي تعرضت فيه هذه



هادية الشربيني

sherfayez@yahoo.com

مربع، أما عن سكانها فيتجاوزون المليار نسمة وهم يبلغون ما يقرب من 15% من جملة سكان العالم، وعليه فإن القارة بمثل هذا الحجم وهذا العدد من السكان وبما لها من موقع استراتيجي مهم وما تحويه من ثروات طبيعية ومعدنية هائلة كان لابد وأن تكون هدفاً أساسياً من أهداف السياسة الصهيونية التي تسعى للتوسع وتأمين حدودها وضمان أمنها وتفوقها الاقتصادي والتقني.. ومنذ أواخر النصف الأول من القرن العشرين بدأت معظم الدول الأفريقية في نيل استقلالها. هذه الظروف جعلت الدول الأوروبية الاستعمارية تبحث عن يد أخرى لها داخل قارتنا الشابة وكانت اليد الجاهزة في ذلك الحين هي يد اليهود لذلك قامت كل من بريطانيا وفرنسا بإرسال اليهود الأوروبيين إلى الدول الأفريقية كخبراء وفنيين ورجال أعمال

وفي حقيقة الأمر فإن قارتنا السمراء كانت دائماً حاضرة في مخيلة وأفكار الرواد الأوائل للحركة الصهيونية وقبل تأسيس الدولة الإسرائيلية عام 1948 ورغم تعدد وتنوع الأهداف التي تسعى تل أبيب إلى تحقيقها من خلال تثبيت أقدامها في الساحة الأفريقية بعد نشأة دولة إسرائيل وهي القارة التي تمتلك مقومات لتحقيق النهوض الشامل في شتى المجالات، ولكن سيظل تطويق الأمن القومي العربي هو الهدف الأسمى الذي تسعى إسرائيل إلى تحقيقه من خلال تغلغلها في أفريقيا وفقاً لما اجتمع عليه الكثير من الباحثين والمراقبين السياسيين والذين يعتقدون أن إسرائيل هي العدو التاريخي والكلاسيكي للعرب ومن ثم فإن هذا يعد بمثابة رسالة تحذير لصانعي القرار بالمنطقة العربية بأهمية إيجاد استراتيجية عربية شاملة للتعاون والتنسيق مع دول قارتنا وأن تكون خطواتهم دائماً في السبق والصدارة عن الخطوات الإسرائيلية في القارة الأفريقية والتي يطلق عليها اسم قارة المستقبل الواعد.

تعد أفريقيا ثاني أكبر قارات العالم بعد القارة الآسيوية إذ تبلغ مساحتها 302 مليون كيلو متر

أيديولوجية.

الدافع الرئيسي

وجدت إسرائيل في الدول الأفريقية الأرض الخصبة لكسب تأييد سياسى لها من خلال تقديمها لهذه الدول مساعدات فنية واقتصادية وعسكرية وذلك فى إطار عملية يشوبها المنفعة المتبادلة بين الطرفين ولكن يجدر هنا التنويه بأن أهم الأسباب والدوافع التى تسعى إسرائيل إلى تحقيقها من خلال بوابة أفريقية هى محاولة تطوير الأمن القومى العربى بشتى السبل وبوسائل عدة منها على سبيل المثال:

أولاً: العمل على تحجيم النشاط العربى فى القارة السمراء والحد من قدرة الدول العربية على تطوير علاقاتها مع دول القارة، وذلك بخلق حزام أفريقى موال للدولة الإسرائيلية يمكن من خلاله تطوير الدول العربية والعمل المستمر على خلق وتعميق الخلافات العربية الأفريقية.

ثانياً: السعى للسيطرة على البحر الأحمر وذلك لأهميته الاستراتيجية والأمنية بالإضافة إلى أن التواجد الإسرائيلى فى البحر الأحمر يؤمن لها الحفاظ على أمنها القومى والوصول للعالم الخارجى لأن إسرائيل دائماً فى حالة خشية من تحوله إلى بحيرة عربية خالصة وقد تعددت الطرق والأساليب التى تحاول من خلالها السيطرة عليه فهى تعمل دائماً على توثيق علاقاتها ولاسيما علاقات التعاون العسكرى والأمنى مع دول شرق أفريقيا وبصفة خاصة كينيا وأثيوبيا وأريتريا مما يساعدها على إيجاد عمق استراتيجى



مليون دولار أصبح فى عام 1980، 110 ملايين دولار ومن ثم فإن التعامل الإسرائيلى مع ذلك الأمر بحنكة كان سبباً فى تعطيل دورها فى أفريقيا خلال السنوات التالية لذلك.

وكان لتوقيع اتفاقيتى كامب ديفيد فى سبتمبر 1978 ثم معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية فى مارس 1979 الأثر فى خلق مناخ جديد بالقارة مكن إسرائيل من استعادة علاقاتها مع عشر دول أفريقية ومنح انعقاد مؤتمر مدريد للسلام عام 1991 وتوقيع اتفاقية السلام مع الأردن عام 1994، وانطلاق المفاوضات الفلسطينية الإسرائيلية وتوقيع اتفاق أوسلو 1993. تمكنت إسرائيل من استعادة علاقاتها مع غالبية الدول الأفريقية وحتى وقتنا هذا ما زالت إسرائيل حريصة على دعم علاقاتها الأفريقية ونشاطها داخل القارة يزداد يوماً بعد يوم سعياً نحو تحقيق أهدافها المعلنة وغير المعلنة سواء كانت أهداف سياسية أم أمنية أم اقتصادية أم

العلاقة إلى التراجع والتدهور.

تراجع وانكماش ولكن

أسهم الصراع العربى الإسرائيلى فى تراجع النشاط الإسرائيلى فى أفريقيا وذلك على أثر العدوان الإسرائيلى على مصر والدول العربية فى يونيو 1967 ونتيجة للجهود الدبلوماسية الضخمة لمصر والمجموعة العربية فى أعقاب حرب 1967 تعلق سبع دول أفريقية علاقاتها مع إسرائيل ووصل عدد الدول الأفريقية التى تعلق علاقاتها مع تل أبيب عقب حرب 6 أكتوبر المجيدة عام 1973 إلى 42 دولة.

وبالرغم من هذا التراجع والتدهور فى العلاقات بين إسرائيل والدول الأفريقية إلا أن إسرائيل حرصت على انتهاج سياسة تتسم بالحذر والذكاء فى سعيها للحفاظ على مصالحها حيث قابلت كل هذه التطورات بهدوء واستمرت فى التركيز على زيادة التبادل التجارى مع دول القارة. وبينما كان التبادل التجارى لها مع هذه الدول عام 1973 يبلغ حجمه 30



تل أبيب تسعى لتطويق الأمن القومي العربي

لها في البحر الأحمر لرصد أي نشاط عربي في المنطقة وتأمين خطوطها البحرية والعسكرية ولاسيما وأن تل أبيب تدرك جيدًا أن البحر الأحمر نقطة قوة رئيسية في الأمن القومي العربي وبالتالي فإن السيطرة عليه تعتبر مركز قوة ونفوذ مهم لمن يمتلكه.

وفي حقيقة الأمر فإن الحفاظ على مصالح إسرائيل في البحر الأحمر يحظى دائما باهتمام بالغ من قبل حكومة تل أبيب منذ نشأتها وحتى وقتنا هذا وقد دلل على ذلك قول بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل الأسبق وأحد المؤسسين الأوائل للدولة الإسرائيلية وذلك حينما وصف ميناء «إيلات» بأنه بوابة إسرائيل نحو كل من أفريقيا وآسيا.

ثالثاً: السعى لإضعاف التأييد الأفريقي للقضايا العربية وكسب الرأي العام الأفريقي إلى جانبها ولاسيما في قضايا الصراع الساخنة وعلى رأسها القضية الفلسطينية خاصة وأن هذه الدول التي يبلغ عددها 54 دولة تشكل قوة تصويتية مهمة في الأمم المتحدة لا يستهان بها وذلك حتى يضمن قادة إسرائيل الحد من الإدانات الأفريقية للممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية الممتلئة في المحافل الدولية.

ما وراء الأهداف الاقتصادية

يعتبر الاقتصاد في عصرنا الحديث هو الدعامة الأولى في بناء الدول في الوقت الذي تراجعت فيه

بصفة عامة والحد من انطلاقة الدور المصري الرائد في القارة على وجه الخصوص. وهنا يجب ألا ننسى الدور المهم للأهداف الأيديولوجية الإسرائيلية في القارة الأفريقية حيث يسعى صانع قرار السياسة الخارجية الإسرائيلية إلى التعامل مع أفريقيا على درجة كبيرة من الخصوبة من خلال عملية الربط الأيديولوجي والحركي بين الصهيونية وحركة الجامعة الأفريقية ومحاولة التقرب من الجماعات الأفريقية التي تتمتع بثقل سياسي في دولها وفي نهاية الأمر فإن هذه الأهداف تصب في العمل على دعم التقارب مع هذه الدول شعوبا وحكومات وخلخلة التقارب بينها وبين دول الجوار العربي.

الأمن المائي وسد النهضة

التأثير في الأمن المائي العربي يعد واحداً من أهم الأهداف الذي تسعى حكومة تل أبيب لاستخدامه كوسيلة للضغط على الدول العربية الأفريقية وعلى رأسها مصر والسودان والتي تعد قضية

أهمية التدخلات العسكرية بسبب الارتفاع الباهظ التكاليف للإنفاق العسكري ومن ثم دعمت إسرائيل من خطوات التغلغل الاقتصادي في القارة السمراء وبصفة مستمرة من خلال توثيق الروابط مع المؤسسات الاقتصادية الأفريقية عن طريق منح القروض والمعونات وإنشاء المشاريع الاقتصادية المشتركة إلا أن إسرائيل ومن خلال هذه الأهداف ذات الصلة الاقتصادية كانت تسعى بصفة غير معلنة للعمل على فك الحصار الاقتصادي العربي وسد كافة الطرق أمام وجود تعاون عربي أفريقي بوسائل عدة وذلك بالعمل على فتح المزيد من الأسواق الأفريقية أمام منتجاتها وتشغيل الفائض من العمالة الإسرائيلية في أفريقيا والحصول على امتيازات للتنقيب عن البترول والعمل على احتكار بعض المحاصيل الأفريقية واعتماد سياسة الإغراق ومن ثم فإن التغلغل الاقتصادي في القارة السمراء في جزء كبير منه يهدف للإضرار بالأمن القومي العربي

للشعب المصري. ومن ثم جاءت هذه الخطوات المدروسة لتحذ من محاولات إسرائيل الإضرار بالمصالح المصرية في أفريقيا ومع دول حوض النيل وأثيوبيا بصفة خاصة.

وفى نهاية الأمر فإن الدول العربية عليها أن تدرك حقيقة مهمة مفادها أن الأهداف الإسرائيلية في أفريقيا متعددة ومتنوعة ولها آليات مختلفة لتنفيذها إلا أنها تصب في النهاية حول العمل على تطويق الأمن القومي العربى والإضرار به وهذه التدخلات مستمرة ومتطورة من فترة لأخرى ولن تتراجع عنها حكومة تل أبيب.

وهناك أيضاً حقيقة مهمة أخرى لابد وأن يتم إدراكها وعدم إغفالها وهى أن إسرائيل هى الحليف الاستراتيجى للولايات المتحدة وهى المنفذ للسياسات الأمريكية والغربية على أرض قارتنا، ومن ثم لابد وأن تحرص الدول العربية على التمسك والالتزام بأواصر التعاون العربى الأفريقى وإعطائه دفعة قوية تتيح له الفاعلية والاستمرار لأنه ثبت بالدليل القاطع ومن خلال التجربة الفعلية بأنه فى ظل غياب سياسة عربية موحدة ذات أهداف محددة وواضحة وقوية تجاه القارة السمراء فإن إسرائيل هى أول المستفيدين من هذا الفراغ وأن أول المتضررين من ذلك هو دعائم الأمن القومى العربى الذى تسعى تل أبيب دائماً إلى تطويقه والحد منه فى هذه القارة بالغة الأهمية من الناحية الاستراتيجية للمنطقة العربية.



المائى الذى تعاني منه إسرائيل دفعها للبحث عن مبتهاها فى نهر النيل وما زاد من تعقد هذه الأمور أن مصر تقف لإسرائيل بالمرصاد وتمانع أى محاولات منها لإيصال مياه النيل إليها بأى الطرق. ومما يفوت على إسرائيل فرصة استغلال علاقاتها المتميزة مع الجانب الأثيوبى هو حرص القيادة السياسية المصرية المتمثلة فى الرئيس عبدالفتاح السيسى على دعم أواصر العلاقات وتنميتها مع الدول الأفريقية بصفة عامة ودول حوض النيل بصفة خاصة فى كافة المجالات وجاء توقيع إعلان المبادئ حول سد النهضة فى مارس 2015 من قيادات الدول الثلاث مصر والسودان وأثيوبيا فى الخرطوم بمثابة خطوة مهمة تحدد اطار التعامل القانونى مع مسألة سد النهضة خاصة وأن مصر أكدت مراراً على أنها لا تمنع أى عملية تنموية فى أثيوبيا ولكن على أساس عدم الإضرار بحصة مصر من مياه النيل والتي تعد قضية حياة أو موت بالنسبة

المياه بالنسبة لهما قضية مصرية ومن هنا تتضح الدوافع الكامنة وراء الأهمية التى تمنحها إسرائيل للتنسيق مع دول منابع نهر النيل وبصفة خاصة أثيوبيا بما يشكل تهديداً للمصالح المصرية والسودانية بشكل لا يحتمل التأويل.

ومن هذا المنطلق أيضاً نتفهم زيارة بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى خلال عام 2016 لأربع دول من حوض النيل والتي شملت زيارة كل من أثيوبيا وأوغندا وكينيا ورواندا فإن هذه الزيارة التى وصفتها إسرائيل بأنها زيارة تاريخية ليست من قبيل المصادفة بل جاءت فى اطار المحاولات المستمرة الخفية لعرقلة سير المفاوضات المصرية الأثيوبية حول سد النهضة ولاسيما وأن العديد من المصادر الرسمية قد لوحت إلى أن جزءاً مهماً من التمويلات اللازمة لبناء سد النهضة الأثيوبى قادم من تل أبيب وحلفائها.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الشح

رؤية حول تطورات الأوضاع في أثيوبيا

في مفاجأة من العيار الثقيل أعلن هيلامريم ديسالين رئيس وزراء أثيوبيا استقالته ليس فقط من منصبه بل ومن الائتلاف الحاكم وكزعيم لحزب الحركة الديمقراطية لشعوب جنوب أثيوبيا ليفجر بذلك أزمة سياسية خطيرة بما لها من تداعيات ذات مغزى عميق واضح الدلالة على الأوضاع الداخلية بما لها من بعد قبلي وديني، وعلى الأمن القومي الأثيوبي في ارتباطه بالأمن القومي لدول المنطقة بل وبالقارة الأفريقية.

المتعاظمة والمنتشرة في أنحاء البلاد، خاصة وأن لها امتداداً كبيراً خارج أثيوبيا حيث تتواجد بجنوب السودان وكينيا وأوغندا، ولها علاقات تاريخية مع مصر، وهي من أصول حامية ومن سلالة سيدنا نوح عليه السلام.

يضاف إلى ما تقدم أن الأورومو لهم موقف من سد النهضة يتسم بالمعارضة من منطلق - في تقديرهم - أن الهدف منه سياسى، بجانب الجوانب السلبية العديدة التي ستترتب عليه بالنسبة لأثيوبيا ودولتي المصب بل وهو الأهم ما يتم نزعها من مساحات شاسعة من أراضي المزارعين من شعب الأورومو المسلم ومن بينهم بنى شنقول حيث موقع السد، وبتقدير إمكانية بناء بديل له في موقع آخر داخل أثيوبيا.

ويواجه النظام وشعب الأورومو معادلة صعبة، إذ أن أثيوبيا طبقاً للدستور المعمول به حالياً تأخذ بالنظام الفيدرالى على أساس عرقى، مع التمتع بقدر من الحكم الذاتى، مع إمكانية أن يتم الاستجابة لمطلب تقرير المصير لأى إقليم وعددهم تسعة (المادة 39) شريطة موافقة ثلثى البرلمان الفيدرالى، وهو أمر أقرب للفيتو على المطلب. هذا من جانب، ومن جانب آخر يطالب قادة الأورومو - حزب المؤتمر الوطنى - بنظام سياسى جديد بالكامل وحكومة تحترم مطالبهم التي تصل إلى حد تقرير المصير.

لقد جاء ديسالين إلى السلطة عام 2012 خلفاً لزيئاوى مهندس الطفرة



سفير د. صلاح حليلة

salah_halima@hotmail.com

الأورومو (أكثر من 40 ٪ من السكان وأكثر من 80 ٪ مسلمين) بجانب الصومالية أى منطقة الأوجادين (9 ٪) وهم من المسلمين) تعاني من التهميش السياسى والاقتصادى وانتهاكات لحقوقها المدنية وصراعات بينها وبين الحكومة على مساحات شاسعة من الأراضي التي يتم نزعها والاستيلاء عليها، خاصة الأراضي الأورومية التي سعت الحكومة مؤخراً لتوسيع دائرة العاصمة بها. وقد تصاعدت حدة الاحتجاجات والاضطرابات من جانب شعب الأورومو منذ عام 2015 على نحو أطلق عليها البعض انتفاضات الأورومو والتي تقودها جبهة تحرير الأورومو حيث تطالب بحق تقرير المصير ليحصل الشعب الأورومو على استقلاله.

وتجدر الإشارة إلى أن الأورومو ثانى أكبر قبيلة فى أفريقيا، ويخشى النظام الحاكم من كثافتها السكانية

ومن المفارقات أن ديسالين قد جاء إلى سدة الحكم استجابة لرؤية وتوصية رئيس الوزراء الراحل مليس زيناوى صاحب خريطة الثروة والحكمة والتوازنات العرقية والقبلية فى أثيوبيا، حيث كان يشغل ديسالين آنذاك منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية. وقد جاء اختيار زيناوى لـديسالين الذى ينتمى لأقلية عرقية فى الجنوب على خلفية ما يتمتع به من ذكاء وحكمة سياسية ونهج توفيقى فى الائتلاف الحاكم الذى يقوده حزب الحركة الديمقراطية (حزب زيناوى/تيجراي) ويضم مجموعة من الأحزاب الصغيرة تحت مسمى الجبهة الشعبية الأثيوبية الديمقراطية الثورية. تلك الجبهة التى تدار من خلالها شئون الدولة وكأنها دولة الحزب الواحد على نحو بدا أن نظام الحكم استبدادى ويحتل مرتبة متأخرة (بعد المائة) فى قائمة الدول المصنفة استبدادية، وذلك بسبب حملات النظام على أنشطة المعارضة ووسائل الإعلام والمجتمع المدني.

وواقع الأمر هو أن الائتلاف الحاكم يتشكل من تركيبة سكانية قبلية (أثيوبيا بها أكثر من 80 مجموعة عرقية)، تسيطر عليه قبائل التيجراي (7 ٪) وهى من الأقليات لكنها صاحبة السلطة الحقيقية سياسياً والنفوذ والسيطرة اقتصادياً، وتمتلك القوة عبر المؤسسات العسكرية والأمنية فى تحالف غير متكافئ مع قبائل الأمهرة (27 ٪). والقبائل ذات الأغلبية العرقية بل والدينية وعلى رأسها



وبقوة على أمن واستقرار أثيوبيا كأمر حيوى لارتباطه بالأمن والاستقرار فى منطقة القرن الأفريقى وبدول الجوار المباشر وغير المباشر ومن بينها مصر بل وعلى القارة الأفريقية ككل حيث مقر المنظمة الأم التى تجمع دول القارة وشعوبها.

ووفقاً للقانون ونظام الحكم القائم فى أثيوبيا فإن البرلمان يقبل أو يرفض استقالة رئيس الوزراء ويختار رئيس الوزراء الجديد. ومن المتوقع أن حزب الحركة الديمقراطية سيكون له اليد الطولى فى تسمية رئيس الوزراء الجديد وسيكون التحدى الأكبر خلال فترة انتقالية هو المحافظة على خريطة التوازنات العرقية والقبلية، وفى نفس الوقت السعى أمام الضغوط الداخلية والخارجية نحو إجراء إصلاحات أنية سياسية واقتصادية ولو محدودة لامتناس أية انتفاضات حالية أو مستقبلية، مع احتمال التحدث عن برنامج إصلاحى شامل على المدى البعيد يقلل من الخلل الجوهري فى توازن القوى بشكله الحالى، وهى أمور فى مجملها على ضوء المعطيات المشار إليها ستنعكس - فى التقدير - على الأرجح بشكل إيجابى على مستقبل العلاقات بين مصر وأثيوبيا وبالتالي فرص تسوية القضايا العالقة بشأن سد النهضة.

الاضطرابات والمطالب من المعارضة من منطلق أن الحكومة بدأت ترسخ لضغوطهم وتستجيب لبعض مطالبهم، بل إن زعيم المعارضة الأثيوبية ذكر أن الائتلاف الحاكم فقد سلطته وطالب كافة الأحزاب السياسية بأن تشارك فى رسم مستقبل البلاد. وقد أثار ذلك حفيظة القوى النافذة فدفع ديسالين إلى تقديم استقالته وتبريرها على أنها ضمن جهود تهدف إلى تقديم حلول نهائية للوضع الراهن فى البلاد وإجراء إصلاحات تؤدى إلى السلام الدائم والديمقراطية.

وعلى عكس ما كان مفترضاً أن يحدث تواصلت سلسلة إعلان حالة الطوارئ فى البلاد التى بدأت فى عام 2015، وهو إجراء قوبل بانتقادات من جانب قوى إقليمية ودولية، إذ كان الأمر يستوجب إعلانات للتهدة وبيانات عن خطط للإصلاح والتطوير والتحديث وتفعيل خطة إطلاق سراح السجناء السياسيين والتوجه نحو توسيع آفاق التوافق السياسى.

فى التقدير، وعلى ضوء ما تقدم، فإن الأزمة التى تمر بها أثيوبيا تتسم بالتعقيد الشديد، ولكنها شأن داخلى بامتياز، لمطالب مشروعة لشعب الأورومو من جانب وكذا أقليات أخرى من بينها قطاعات من الأمهرة من جانب آخر، كما أن هذه الأزمة تلقى بظلالها

الاقتصادية فى أثيوبيا، ونجح ديسالين فى بداية توليه السلطة فى أن يحافظ على النهج الزيناوى إلا أنه منذ عام 2015 بدا واضحاً أنه فقد السيطرة على مقاليد الحكم أمام مجموعة التيجراى المتحالفة نسبياً مع الأمهرة حيث تتبرم قطاعات منها من هذا التحالف. وتزايدت الاحتجاجات والاضطرابات من قوى المعارضة وخاصة من جانب الأورومو وبدرجة أقل من جانب الأمهرة، التى وجهت إلى قادتها تهم ممارسة الإرهاب واللجوء إلى العنف، ولجأت السلطات إلى العنف المفرط والاعتقالات وسقط المئات بل الآلاف من القتلى والجرحى وتنامى عدد النازحين، وتباطأ النمو وأصبحت أثيوبيا بحالات من الجفاف، وهى أمور فى مجملها دفعت العديد من الدول الغربية لممارسة ضغوط على النظام القائم لإحداث نوع من الانفتاح السياسى والتوجه نحو الحوار السلمى، وقد جاءت استجابة ديسالين للضغوط الداخلية والخارجية بإطلاق سراح المسجونين السياسيين والتوجه نحو إجراء الإصلاحات السياسية والاقتصادية المنشودة، ولكن يبدو أن الائتلاف الحاكم أصابه انقسام داخلى، حيث لم ترض القوى النافذة عن هذا التوجه أو أن يذهب بالإصلاحات بعيداً، خاصة وأن إطلاق سراح المعتقلين وقد بلغ عددهم ستة آلاف قوبل بمزيد من

يوم كانت موانئ البحر الأحمر من السويس لسواكن ومصوع وعصب حتى زيلع
وبريرة على المحيط الهندي وهرر بالداخل الأثيوبي أملاكاً مصرية

العلاقات الأثيوبية مع أوروبا ومع مصر عبر التاريخ

الأصل التاريخي لتكوين مملكة أكسوم الحبشية

نشطت مملكة أكسوم واستطاعت أن تكون حضارة وطنية متأثرة بالحضارة
السامية الوافدة من جنوب شبه جزيرة العرب بعد هجرة قبيلة حبشت إحدى قبائل
مملكة سبأ اليمنية بعد انهيار سد مأرب في القرن السابع قبل الميلاد، وأيضاً
بالحضارات الأخرى المعاصرة لها في أعالي النيل مثل حضارات ممالك كوش ومروى،
وكذلك حضارة البجة والشعوب النيلية الأخرى.

إلا أن ثقافتها وديانتها المسيحية
بقيت فيما بعد في أثيوبيا. وقد أدى
انتشار الإسلام في الساحل والداخل
والأفريقي إلى اضمحلال أكسوم شيئاً
فشيئاً، وإضعافها سياسياً وإبعادها
عن حليفاتها بيزنطة المسيحية عاصمة
الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فضلاً
عن تلاشي دورها التجاري براً وبحراً لا
سيما بعد سيطرة العرب على أرخبيل
جزر دهلك والطرق التجارية في البحر
الأحمر الذي تحول إلى بحيرة عربية ثم
اكتملت الحلقة باختفاء أكسوم بسبب
زحف القبائل من الشمال مما اضطر
الأكسوميين إلى الابتعاد نحو الجنوب
وتلاشي حضارتهم.

الإمارات الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطى

قامت في الشرق والجنوب الشرقي
عدة إمارات إسلامية بلغت حوالى
سبع إمارات عرفت باسم «إمارات
الطراز الإسلامي» نشأت نتيجة الهجرة
الإسلامية من الجزيرة العربية إلى
هذه المنطقة اعتباراً من القرن السابع
الميلادي. وجعلها موقعها متحكمة في
الطريق الذي يصل البحر الأحمر وخليج
عدن وباب المندب بداخل الحبشة.
هذه الإمارات كان يحكمها سلاطينها
المسلمون الذين اتخذوا مظاهر الملك
المختلفة على الرغم من التبعية الاسمية
لبعض ملوك الحبشة، وكان ينظر إلى
إمارة إفات على أنها أكبر هذه الإمارات
السبعة، وقد سعت أسرتها العربية



سفيرد. عادل السالوسى

dr.adelesaloussy@hotmail.com

العربي من كوش ومروى والأجزاء
الأخرى من قلب أفريقيا. ويتم الاتجار
في هذه السلع مع مصر واليونان
والرومان وبلاد فارس والهند وسيلان.
وقد سك ملوكها وأهمهم الملك انديبيس
227-235 ميلادية عملات من النحاس
والبرونز، وكانت مملكته تشمل الأماكن
الحالية من بحيرة تانا وأجزاء من نهر
عطبرة والنيل الأزرق والأجزاء الممتدة
شمالاً وجنوباً من ميناء مصوع. ويعتبر
أهم ملوك أكسوم في القرن 4 الميلادي
الملك عيزانا، والذي ترجع شهرته بأنه
أدخل المسيحية كديانة رسمية في
مملكة أكسوم. واستمر هذا الوضع
حتى جاء المسلمون في القرن السابع
الميلادي، حيث حالت الديانة الجديدة
بعد انتشارها دون الاتصال بين أكسوم
والروم البيزنطيين في شمال الشام
ما أدى إلى فقد أكسوم للقوة والنفوذ،

إلا أنه يظل أبرز عنصر في حضارة
أكسوم هو العنصر السبئي اليمني.
ومن القبائل التي أثرت بدرجة محدودة
في حضارة أكسوم أيضاً، إحدى قبائل
اليهود التي فرت بعد السبى البابلي في
586 ق.م. على عهد الملك نبوخذ نصر
البابلي الذي قام بتدمير القدس وسبى
اليهود، وتسمت باسم «بيت إسرائيل»،
وقامت بنشاط تجارى في أكسوم حيث
أقامت مستعمرة لها، وهى التى أدت
إلى اعتناق بعض قبائل الأجاو للديانة
اليهودية، إلا أن نفس القبيلة تحولت
فيما بعد إلى الديانة المسيحية في
القرن 4 الميلادي.

أثر الإغريق والحضارة الهيلينية

أما أثر الإغريق والحضارة الهيلينية،
فقد وصل أكسوم عن طريق البطالمة
في مصر 323 - 30 ق.م حيث لعبت
الموانئ التجارية على شاطئ البحر
الأحمر الأفريقي ومنها أدوليس دوراً
مهما في نقل الحضارة المصرية القديمة
وحضارة بلاد الإغريق إلى أكسوم. بل إن
البطالمة استخدموا عدداً من الأجناس
الملونة من ساحل أفريقيا الشرقي في
الخدمات الحربية بموانئ البحر الأحمر.

ملوك أكسوم في القرنين

الثالث والرابع الميلادى

يعود الفضل في ثراء أكسوم إلى
مينائها أدوليس الواقع على البحر
الأحمر بالقرب من ميناء مصوع الحالي،
حيث كانت تجارة هذا الميناء تتركز في
الذهب والعاج وريش النعام والصفصغ

عصور الفوضى السياسية فى أثيوبيا

مرت أثيوبيا بأخطر مرحلة فى تاريخها السياسى بما يسمى «عصر الفوضى الكبير» الذى امتد منذ منتصف القرن الـ17 الميلادى وتحديداً فى 1665 حتى عام 1855 (الذى توج فيه الشاب كاسا الذى استطاع هزيمة زعيم قبائل الأمهرا عام 1853، وأوى حاكم التيجراى فى 1854، فأصبح وسط البلاد خاضعاً له تماماً مما جعله يمثل إحدى القوى المهمة فى الحبشة، ثم توج فى 7 فبراير 1855 تحت اسم الإمبراطور ثيودور الثانى. وكان سبب اختيار كاسا لهذا الاسم، أسطورة أثيوبية قديمة ظلت متداولة حتى عهده، واعتقد الناس أن الوقت قد حان لتحقيقها، وقد آمن ثيودور إيماناً شديداً وراسخاً بهذه الأسطورة وأنه قد اختير لتحقيقها، وظلت هذه الأسطورة تقول إنه سوف يظهر ملك أثيوبى من سلالة سليمان، ويعترف به كأعظم شخص على الأرض، وتمتد سطوته على أثيوبيا ومصر، وسيكون سيقاً مسلطاً على الكافرين خارج فلسطين، ويظهر القدس ويخلصها من المسلمين، ويحتل عرش سليمان، ويدعى ثيودورس. ولذلك فقد كان ثيودور يطمح فى أن يوقع هزيمة بالمصريين فى السودان، ثم يحول مياه نهر النيل إلى مجرى آخر ليتم له إخضاع مصر.

كان من العوامل المؤدية لهذه الفوضى العزلة التى فرضها الإمبراطور فاسيلداس عام 1665 على البلاد بعد طرده للكاثوليك وشكه فى الأجانب بصفة عامة، فحضر سوراً حديداً حول أثيوبيا منذ منتصف القرن 17، ومنعت الثقافة والمدنية والاحتكاك بالعالم الخارجى، وزاد من أمر هذه الفوضى الحروب الكثيرة التى خاضتها وقاست منها البلاد لمدة ثلاثة قرون أنهكتها تماماً، وزاد الأمر سوءاً غزو قبائل الجالا (الأورومو) للبلاد وتحكمها فى أباطرتها، وأخيراً السيطرة القوية لرجال الدين المتعصبين من الكنيسة الحبشية الأرثوذكسية على كل مظاهر الحياة الأثيوبية، حيث أدى ذلك إلى تدهور المستوى الدينى وانتشار الخرافات والسحر والشعوذة، وازدادت

نشط البرتغاليون بعد حركة الكشف الجغرافية والالتفاف حول أفريقيا فيما يعرف بطريق رأس الرجاء الصالح عام 1497، ثم اصطدامهم بالممالك فى موقعة ديو البحرية عام 1509 ونجاحهم فى القضاء على النشاط البحرى والتجارى للممالك، فى نفس الوقت الذى يسجل فيه التاريخ مراسلات بين إحدى ملكات الحبشة وتدعى هيلانة عام 1510 ميلادية وملك البرتغال عمانويل بهدف القيام بعمل مشترك ضد القوى الإسلامية فى البحر الأحمر والمحيط الهندي، حيث أكدت هيلانة من خلال رسالتها إلى عمانويل حاجتها لمساعدة الأسطول البرتغالى فى القضاء النهائى على الممالك الإسلامية بالبر الأفرقى والمحيط الهندي.

الأسرة الزغوية فى الحبشة

تصور المصادر الأثيوبية - ويجارها الباحثون الغربيون - الصراع بين المملكة المسيحية الأثيوبية (بعد زوال مملكة أكسوم فى القرن الثامن الميلادى) وجيرانها من المسلمين والوثنيين حتى القرن السادس عشر على أنه صراع بين نظام شرعى وعصاة متمردين. ومع أن الحقائق التاريخية تثبت أن هذه المملكة المسيحية كانت طوال حقبة العصور الوسطى إحدى دول المنطقة تتحالف معها تارة وتقاتلها فى أوقات أخرى، وتتسع أو تضيق من عهد إلى آخر. فقد ذكر ابن حوقل المتوفى عام 977 ميلادية فى كتابه «صورة الأرض» بأن هذه المملكة المسيحية فى زمانه كانت تتحكم فيها امرأة اتصفت بالقسوة والعنف حكمت لمدة ثلاثين عاماً، حيث ثارت على ملكها المعروف باسم الحضانى وقتلته. ثم وصل إلى السلطة فى ظروف غامضة أمراء منطقة لاسا فى شمال ولاية والو الحالية، وتروى المصادر المسيحية المتأخرة أن هذه الأسرة كانت تسمى الأسرة الزغوية، ولم تكن ذات حق مشروع فى الملك، إلا أن سابع ملوكها المدعو لايبيلا شهد بناء مدينة مسيحية مازالت تحمل اسمه حتى الآن فى أحد جبال الإقليم المذكور تشمل إحدى عشرة كنيسة منحوتة فى الصخر، شارك فى صنعها بناؤون من الخارج، ما جعل الكنيسة الأثيوبية تعدد فيما بعد قديساً.

الحاكمة إلى التحرر من التبعية للحبشة ونشر الدين الإسلامى والتوسع فى الداخل، فبسطت سيطرتها على ميناء زيلع ثم وصلت إلى هرر فى الداخل وتزعمت إفات حركة الجهاد الإسلامى فى الحبشة، ولكن منذ وصول الأسرة السليمانية إلى الحكم فى الحبشة فى القرن الثالث عشر الميلادى حاولت تدعيم سلطتها على حساب الإمارات الإسلامية فكان الصدام. ولم يهدأ الصدام منذ القرن 7 الميلادى وحتى مجئ البرتغاليين فى القرن 16 حيث كانت أبرز مراحل الصراع بين نجاشى الحبشة المسمى «عمدة صهيون» 1313-1344 وسلطان إفات «حق الدين الأول» ومن بعده أخويه صبر الدين وجلال الدين بالتحالف مع الإمارات الإسلامية على الساحل، إلا أن الحرب انتهت بفوز النجاشى الذى نهب المدن الإسلامية وأحرق المساجد، ثم ثار سلطان إفات حق الدين الثانى مرة أخرى وهزم جيوش الملك سيف أرعد فى منتصف القرن 14، إلا أن الملك الأثيوبى حاول مرة ثانية وهاجم مدينة زيلع وتمكن من الاستيلاء عليها وتدميرها واستشهد سعد الدين فى 1415 ميلادية وكان هذا نهاية سلطنة إفات. ثم أسس أولاد سعد الدين إمارة جديدة إلى الجنوب الشرقى من هرر، وسموا أنفسهم ملوك عدل، وبدأت صفحة جديدة من الكفاح الذى استمر طوال القرن 15، وحتى منتصف القرن الـ16 حيث تسلم القيادة أحمد كران 1506-1543 واتخذ من هرر عاصمة له، وخاض حروباً مظفرة كادت تقضى على المملكة الأثيوبية لولا نجدة البرتغال بالسلح والجنود ما أدى إلى التغلب عليه وسقوطه شهيداً فى فبراير 1543 ميلادية بالقرب من بحيرة تانا، وبموته طويت صفحة مهمة من تاريخ إمارات الطراز الإسلامى فى العصور الوسطى فى الحبشة. وقد سجل لنا التاريخ مراحل متعددة من الصراع بين ممالك الطراز الإسلامى ومملكة الحبشة المسيحية، حيث طمع الأحباش فى مد سلطانهم من الداخل على المواقع الإسلامية على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي مثل مصوع وعصب وزيلع وبربرة وحتى هرر لدورها فى التجارة الخارجية بالمحيط الهندي، وقد

العلاقات الأثيوبية مع أوروبا ومع مصر عبر التاريخ

ثروات رجال الدين نتيجة امتلاكهم ثلث الأراضي والإنتاج في البلاد. وقد اعتبر المؤرخون اعتلاء ثيودور الثاني للعرش عام 1855 نهاية عصر الفوضى، حيث بدأ هذا الإمبراطور في تهديد الطريق لخلق أثيوبيا الحديثة وبداية مرحلة التوحيد للقوميات المختلفة وهو ما استمر فيه خلفاؤه الإمبراطور يوحنا الرابع 1872 - 1889، ومنليك الثاني 1889-1913. وتاريخياً يرجع سبب تسمية هذه الفترة بعصر الفوضى الكبير، إلى الفوضى والانحلال وتدهور الأحوال في الحبشة والتي فاقت غيرها من الفترات التاريخية السابقة، حيث أصبح زعماء القبائل والمجموعات العرقية هم أصحاب النفوذ المطلق، وبات أباطرة الحبشة ألعوبة في أيديهم يقومون بتعيينهم وعزلهم متى يريدون، ولم يكن في مقدور أى من هؤلاء الأباطرة أن يحوز عن جدارة لقب ملك الملوك Negusa Nagast بل كانوا جميعهم لا حول لهم ولا قوة. ولم يكن الإمبراطور مهدداً فقط من زعماء القبائل، بل حتى من جانب الملوك الذين حكموا من قبله وما زالوا على قيد الحياة. بل كان أحدهم يحكم في منطقة وآخرون في مناطق أخرى.

الأسرة السليمانية 1270 - 1529

استطاع ياكوبو أملاك حاكم أمهرا انتزاع السلطة من الأسرة الزغوية عام 1270 ميلادية إثر تحالفه مع الإمارات الإسلامية التي كانت تمتد من ميناء زيلع حتى منطقة باله شاملة قسماً كبيراً من الهضبة الأثيوبية، فقد ذكر الملك ياكوبو أملاك في رسالة بعث بها إلى الظاهر بيبرس في مصر أن جيشه كان يضم مائة ألف فارس مسلم، وبدأ عصر جديد يسيطر فيه الأمهريون على الحكم، وحظى الحكام الجدد بتأييد الكنيسة، فوضعت الكنيسة من مؤلفاتها كتاب «جلال الملوك» معلنة أنهم الورثة الشرعيون لمملكة أكسوم المنحدرين من نسل سليمان الحكيم، غير أن هذه الأسرة التي كان مقرها في

إقليم شوا وجدت نفسها طوال القرون الثلاثة التالية مهددة من خصمين قويين أحدهما على ساحل البحر وفي الشرق ممثلاً في المسلمين، والآخر في الجنوب والغرب حيث كانت الجماعات الوثنية تزحف بأعداد ضخمة باتجاه الهضبة رويداً رويداً. التفت العثمانيون بعد استيلائهم على سوريا في 1516 ومصر في 1517 إلى توسيع سلطانهم باتجاه جزيرة العرب، وإحكام سيطرتهم على الساحل الغربي للبحر الأحمر، فورثوا سلطة المماليك في مينائي سواكن وزيلع، وقدموا العون للإمام أحمد بن إبراهيم الملقب بأحمد كران صاحب الإمارة الإسلامية الكبرى في هرر، فشن حرباً على الملك لبنا دنكل 1508-1540 وأوشك على القضاء عليه لولا استعانة الأخير بالبرتغاليين الذين أمدوه بالسلاح والجنود المرتزقة، حتى استطاع خليفته كلاوديوس قتل أحمد كران في عام 1543 ميلادية، ثم سقط كلاوديوس نفسه 1559 في إحدى المعارك التي استمرت قرناً آخر حتى استقر الأمر أخيراً للمملكة المسيحية في الهضبة وبدأ العصر الجوندرى.

العصر الجوندرى 1632 - 1769

أراد البرتغاليون نظير مساعدتهم في القضاء على الإمارة الإسلامية، أن تتحول أثيوبيا إلى المذهب الكاثوليكي وتقطع صلتها بالكنيسة القبطية المصرية عن طريق إرسال بعثات تبشيرية لهذا الغرض، ولما اعتلى سوسينيوس العرش 1607-1632 رأى أن الأخذ بهذا المذهب سينهى عزلة بلاده ويقيها خطر المسلمين وحلفائهم العثمانيين الجدد، فضلاً عما يقدمه ذلك من فوائد اقتصادية وثقافية نتيجة ارتباطه بالكاثوليكية وأوروبا، فأعلن تحول مذهب كنيسة أثيوبيا إلى الكاثوليكية عام 1626، إلا أن رجال الدين أثاروا عليه الرعية ودعوهم إلى الرفض، فقامت حرب أهلية انتهت بعودة الملك عن قراره وتخليه عن العرش ليخلفه ابنه باسيلداس 1632-1667، وبدأ عصر جديد يسمى العصر الكوندرى حيث أسس عاصمة جديدة وهي جوندرا شمال بحيرة تانا، وطرده المبشرين الكاثوليك وأرسل إلى والى

مصر العثماني يرجوه تعيين مطران جديد، واتصل بحكام اليمن بعد خروج العثمانيين منها، فأرسل رسلاً محملين بالهدايا إلى الإمام المؤيد ثم أخيه الإمام المتوكل على الله. وأغلب الظن أن هذه الاتصالات كانت تهدف إلى الوصول إلى شكل من أشكال التحالف أو التعاون بين الدولتين اليمنية المسلمة والأثيوبية المسيحية ضد العثمانيين عدوهما المشترك، غير أن الأمر لم يتجاوز في تلك الفترة أكثر من تبادل الرسائل والهدايا عبر المبعوثين.

عصر الأمراء حكام الأقاليم 1769-1855

ولما انتصف القرن التاسع عشر كانت البلاد مفككة الأوصال يتنازع الحكم فيها حكام أقاليم شوا، والأمهرا والتيجراى. فاستغل قائد طموح يدعى كاسا هذا الوضع المضطرب وحارب الحكام المتنافسين واحداً وراء الآخر حتى قضى عليهم جميعاً، والتفت إلى قبائل الأورومو في محاولة لإخضاعها، ثم أعلن نفسه عام 1855 ملكاً باسم ثيودور الثاني لينتهى بذلك العصر الكوندرى الذى تسمى الحقبة الأخيرة منه بدءاً من عام 1769 باسم عصر الأمراء للدلالة على ما وصلت إليه الأمور من صراع وضعف واضطراب وفوضى.

عصر ثيودور 1855 - 1868

بدأت في عصر ثيودور الثاني حقبة توسيع رقعة المملكة الأثيوبية، وأعلنت الدول الاستعمارية تأييدها ودعمها لهذا الاتجاه نظير تحقيق مصالحها في القرن الأفريقى والمناطق الساحلية خاصة. ويبدو أن تلك المملكة فيكتوريا في الرد على رسالة سلمها ثيودور إلى القنصل البريطانى فى أديس أبابا، تعبر عن رغبته فى التعاون بين المملكتين المسيحيتين أدى إلى اعتقال ثيودور لعدد من الرعايا المسيحيين، كما قام أيضاً بقتل القنصل البريطانى نفسه. ما جعل بريطانيا ترسل حملة بقيادة اللورد نابيير، قدم لها الخديو إسماعيل المؤن والمساعدات عند رسوها فى ميناء مصوع الذى كان تحت الإدارة المصرية منذ عهد محمد على باشا، فطارت قوات الملك الأثيوبى ثيودور حتى اضطرت إلى الانتحار بعد حصاره فى قلعة مجدة عام 1868. وانتهى

والإسكندرية. وترجع أيضاً رواسب عداء يوحنا الرابع للخديو إسماعيل، أنه عقب تتويجه مباشرة في يناير 1872 إمبراطوراً باسم يوحنا الرابع تلقى رسالة من الخديوى مع أحد رجال الدين الأقباط يحثه فيها على التسامح الدينى المذهبى للبعثة التبشيرية الكاثوليكية الفرنسية، وأوضح له فيها أن هناك دولاً كاثوليكية قوية قد تكرر مأساة الإمبراطور ثيودور الثانى الذى مات منتحراً فى 1868 بسبب الحملة البريطانية عليه بعد أن قتله الرعايا البريطانىون والقنصل البريطانى، أى أنه قد يلقى نفس المصير إذا استمرت سياسته العدائية تجاه اتباع المذاهب الأخرى، واعتقد يوحنا أن الرسالة مجرد أوامر صادرة من حاكم إلى أحد أتباعه، وأنها تهديد له، إذ كان الخديوى يطلب فيها من يوحنا إعادة بناء الكنائس، وعودة التواجد الكاثولىكى، ورد الأملاك، ومعاملة المبشرين معاملة حسنة، ولذلك رفض يوحنا رسالة الخديوى.

ولقد تصاعدت حدة عداء يوحنا الرابع لإسماعيل بسبب إرسال إسماعيل لحملة حربية بقيادة الفرنسى منزجر الذى عينه حاكماً على مصوع، استولت على بعض المناطق ومنها بوغوص التى طلب أهلها حماية مصر فى نهاية عام 1873 وذلك فى الوقت الذى كان فيه يوحنا مشغولاً بالقضاء على ثورة قبائل الجالا الأورومو فى الجنوب والتى تفرقت عشائرها بين الوثنية والإسلام والمسيحية، إلا أنه عاد بسرعة إلى مقر إقامته فى عدوة وأرسل رسائل عن طريق مستشاره الإنجليزى كيركهام إلى بعض الدول الأوروبية فى أواخر أغسطس 1873 (النمسا- روسيا- ألمانيا- فرنسا- بريطانيا) بهدف أن تقنع هذه الدول الخديو إسماعيل بالانسحاب من المناطق التى احتلها، ومساعدة أثيوبيا فى الحصول على ميناء على البحر الأحمر، إلا أن تلك الدول لم تهتم بالموضوع، بل وقفت إلى جانب مصر، فى الوقت الذى أوضح فيه الخديو إسماعيل لبريطانيا والملكة فيكتوريا عدم نيته ضم أجزاء من أثيوبيا مستقبلاً. وازداد الخلاف بسبب رفض يوحنا مساعى السلام التى طرحها عليه إسماعيل وطالبه برد المناطق التى



البابا كيرلس السادس وعبد الناصر والسادات والإمبراطور هيلاسيلاسى فى يونيو 1968

حتى زيلع وبربرة على المحيط الهندى وهرر بالداخل الأثيوبى أملاً كماً مصرية، حيث تحكم المصريون فى التجارة بين الشرق الأدنى والأقصى وأوروبا وشرق أفريقيا. وقد ادعى يوحنا أن مصر تفرض رسوماً جمركية عالية على البضائع والسلع التى تصل أثيوبيا مما يساهم فى ارتفاع الأسعار، ولما كان يوحنا لا يستطيع أن يشن حرباً كبيرة ضد مصر المتواجدة على حدوده من خلال السودان المصرى، وذلك بسبب الاضطرابات التى تعانى منها بلاده فى ذلك الوقت، فقد أوعز إلى مستشاره الإنجليزى كيركهام بحاجة أثيوبيا إلى منفذ على البحر الأحمر حيث أوضح له أن المصريين يتحكمون فى كل الساحل الأفريقى للبحر الأحمر، ويفرضون رسوماً مضاعفة على التجارة، فضلاً عن منعهم اتصال أثيوبيا بالخارج، وعزلها فى الجبال والهضبة. وقد أدرك الخديو إسماعيل رغبة يوحنا الرابع فى إيجاد منفذ له على البحر الأحمر لاستيراد الأسلحة والذخيرة التى تساعد ضد التأثيرين عليه من حكام الأقاليم الأثيوبية التى تناوئه الحكم، فما كان من إسماعيل إلا أن أحكم رقابة مصر على كل الساحل الأفريقى لمنع دخول الأسلحة بجميع أنواعها وحتى أسلحة الصيد إلى أثيوبيا. وامتدت هذه الرقابة حتى جمر ك السويى

الأمر بالانسحاب الحملة بعد أن جهز البريطانىون حليفهم كاساى حاكم إقليم التيجراى بالمال والسلاح وتولى السلطة فى 1872 باسم يوحنا الرابع.

يوحنا الرابع 1872-1889

وقد تولى كاساى من التيجراى الحكم فى 1872 تحت اسم الإمبراطور يوحنا الرابع، وقد دخل فى صراع مع مصر، وشهد عهده القضاء على حملتين مصريتين أرسلتا فى عهد الخديو إسماعيل عام 1875 أعقبها صلح مع خديوى مصر بعد حملة راتب باشا فى 1876، إلا أن يوحنا خاض معارك متتالية مع جماعة المهدي وخليفته التعايشى الذى استطاع اجتياح جوندو العاصمة عام 1888 ثم التقى مع يوحنا فى معركة دامية فى القلابات انتهت بهزيمة الإمبراطور يوحنا ومصرعه فى 1889.

وتعود أسباب الخلاف بين الخديو إسماعيل والإمبراطور يوحنا الرابع إلى رغبة إمبراطور الحبشة فى إيجاد منفذ لأثيوبيا على شواطئ البحر الأحمر، فى الوقت الذى كانت الدولة المصرية فى عهد الخديو إسماعيل ومن قبله محمد على باشا وابنه إبراهيم باشا قد حققت لمصر خلال النصف الأول من القرن 19 فتوحات كبرى جعلت مياه وموانئ البحر الأحمر من السويى شمالاً مروراً بسواكن ومصوع وعصب

العلاقات الأثيوبية مع أوروبا ومع مصر عبر التاريخ

استولى عليها لأنها أقاليم أثيوبية، الأمر الذي جعل إسماعيل يهدد باحتلال إقليم هماسين لإطلاق سراح أسرى القبائل التي تغير عليها القوات الأثيوبية. وبذلك وضح أن تحقيق السلام بينهما أصبح أمراً مستحيلاً. فبالإضافة إلى توتر العلاقات كان احتلال مصر ليوغوص قد وضع في يدها معبراً سهلاً لشمال أثيوبيا تنطلق منه إلى إقليم هماسين الخصب ومناطق أثيوبيا الشمالية في الوقت الذي أعلنت فيه قبائل الهماسين رغبتها في الدخول تحت مظلة الحكم المصري. وإزاء هذا التوتر رأى حاكم مصوع أراكيل بك أنه أصبح على مصر حماية رعاياها من الغارات الأثيوبية، وحفظ مكانتها وهيبتها في السودان. وبالمثل رأى الخديو إسماعيل إرسال حملتين في وقت واحد، قاد الحملة الأولى الكولونيل الألماني أرندروب في سبتمبر 1875 ومعه مجموعة من الضباط الأجانب والضباط المصريين، وانضم إليهم محافظ مصوع أراكيل بك، وتقدمت نحو إقليم الهماسين لضمه إلى مصر كي ينفذ الخديو إسماعيل مشروعه بمد خط سكة حديد يربط مصوع والخرطوم عن طريق كسلا. وقد زحف أرندروب على أسمره في إقليم الهماسين وأخذ يتقدم يغريه انسحاب قوات يوحنا إلى داخل البلاد وكانت خطة الأثيوبيين استدراجه داخل البلاد حتى تطول طرق مواصلاته ويبتعد عن مراكز تموين حملته وينال منه التعب والاضطراب نتيجة المناطق الجبلية الوعرة. وكان أرندروب يجهل عدد القوات الأثيوبية التي جمعها يوحنا، حيث استطاع الأخير أن يثير النعرة القومية والدينية عند الأثيوبيين، فنجح في جمع كل رؤوس القبائل المعادية له، وجعل مطران أثيوبيا يعلن الحرب المقدسة، ويحرم كل من يرفض الاشتراك في الحرب، وأعلن أن المصريين يعتدون عليه، وأن الحرب قد أعلنت بينه وبين الحكومة المصرية، وعلى الأثيوبيين التجمع في عدوة، وبالفعل تجمع لديه

جيش ضخم فاق أرندروب بمراحل. وواصلت قوات أرندروب زحفها جنوباً نحو عدوة حتى وصلت إلى وادي جندب الذي يؤدي إلى نهر المأرب حيث شيد المصريون معسكراً. وفي 18 نوفمبر 1875 وقعت القوات المصرية في كمين أعده لها ودخل يوحنا في مفاوضات مع العسكريين انتهت بعودة من تبقى من الحملة إلى مصوع. وفي أثناء حملة أرندروب، أمر إسماعيل منزجر باشا بقيادة حملة عسكرية تتجه إلى أثيوبيا من ميناء تاجوره ثم أوسا ثم مملكة شوا وأخيراً إلى جوندرد وذلك لإقامة تحالف مع حكام شوا وجوندرد والأمهرا وجوجام وهي الأقاليم التي تعارض يوحنا، وبالتالي محاصرته في إقليم التيجراي. وقد دعم هذه الخطة أن منزجر باشا حصل على وعد من منليك حاكم شوا بمساعدة المصريين ضد يوحنا، وعلى ذلك كان الهدف أن تتحد حملة منزجر مع قوات منليك ويهاجمان معاً يوحنا من الجنوب عن طريق مقاطعة إيفات التي كانت أوسا جزءاً من ممتلكاتها الإسلامية، ويضم الجالا المسلمين في مقاطعة الوالو والياجو الذين كانوا يرغبون في الانتقام من مسيحي الأمهرا والتيجراي. إلا أن حملة منزجر تعرضت في 21 نوفمبر 1875 إلى غدر بعض القبائل التي اتحدت ضدها بإيعاز من يوحنا الذي أرسل بعض قواته للقضاء على هذه الحملة حيث أحدث فشل الحملتين تأثيراً سيئاً في مصر، وباتت الحكومة المصرية تخشى أثر هذه الهزائم على نفوذها في السودان. وبالفعل تكونت حملة ضخمة في عددها ومعداتاتها وأسندت قيادتها إلى راتب باشا قائد الجيش المصري. وبمجرد وصول راتب باشا إلى مصوع جاء العديد من حكام أقاليم أثيوبيا ليعلموا ولاءهم للخديو إسماعيل عارضين التحالف معه ضد طغيان يوحنا، وقد كان يوحنا على دراية تامة بخطورة تلك الحملة على ملكه، فأرسل كيركهام مستشاره الإنجليزي إلى الخديو إسماعيل برسالة يعرض فيها السلام، غير أن إسماعيل صمم على استرداد هبة مصر العسكرية في أملاكها أمام العالم. غير أن راتب باشا فشل في الاتصال بمنليك لتحديد

موقفه إزاء مصر وهل ما زال معها أو انضم إلى يوحنا، إلا أن يوحنا احتل كل الطرق الموصلة إلى منليك ملك شوا وبث جواسيسه في كل مكان لإحباط أى محاولة للاتصال به، كما أن راتب باشا لم ينجح أيضاً في الاتصال بأى من الحكام المناوئين ليوحنا بسبب سيطرته القوية على معظم حكام الأقاليم. وتقابل المصريون والأثيوبيون في 7 مارس 1876 حيث خروج المصريين من قلعة جورا بعد النصيحة الخاطئة من الجنرال الأمريكي لورنج، فأوقعهم يوحنا في فخ فساد من تبقى منهم إلى القلعة، وكان من هؤلاء الأمير حسن نجل الخديو إسماعيل وراتب باشا والجنرال لورنج الأمريكي، مع الضباط والجنود. وقرر يوحنا في 9 مارس 1876 معاودة حصار القلعة التي تحصن فيها المصريون، إلا أن الحامية أنزلت بالأثيوبيين هزيمة ساحقة تكبدوا فيها خسائر فادحة في الأرواح الأمر الذي جعل يوحنا ينسحب بقواته من المعركة ويخلي المنطقة المحيطة بالقلعة والرحيل عنها تماماً، ثم عرض الصلح على راتب باشا في 13 مارس 1876 وقد وافقت مصر على الصلح والتراجع إلى عدوة وبعد ذلك بشهر إلى مصوع وبدأت على الفور إجراءات تسوية النزاع المصري الأثيوبي.

منليك الثاني 1889 - 1913

خلف يوحنا الرابع الملك منليك حاكم شوا الذي تسمى بالإمبراطور منليك الثاني 1889 - 1913 الذي يعد المؤسس الحقيقي لأثيوبيا الحالية، فقد بنى العاصمة الجديدة أديس أبابا، وتوسع شرقاً وغرباً وجنوباً، فضم إلى دولته مساحات شاسعة لم تكن أجزاء من أثيوبيا من قبل، وحاول استغلال التنافس بين الدول الاستعمارية الثلاث: بريطانيا وفرنسا وإيطاليا لتحقيق ما يريد، فاعترفت ثلاثتها بالحدود الجديدة لمملكته مقابل موافقته على تقاسم المناطق الساحلية من أريتريا وجيبوتي والصومال، وإن كان هدفه النهائي، وفقاً لرسالة وجهها عام 1891 إلى الدول الثلاثة، وأيضاً إلى ألمانيا وروسيا، استعادة السيطرة على المناطق الساحلية، وكذلك على المنطقة الشمالية الغربية حتى الخرطوم، والجنوبية حتى

بحيرة فيكتوريا، لأنه كما زعم كانت مناطق أثيوبية فى الزمن القديم وهو زعم لا سند له من التاريخ لم توافقه عليه الدول الاستعمارية، التي كانت أشد دهاءً وبأساً من منليك فمضت فى سياستها من استعمار القرن الأفريقى بالسياسة تارة وبالقوة تارة أخرى، حيث استولت إيطاليا على ميناء عصب عام 1882، ثم شجعتها بريطانيا على الاستيلاء على مصوع عام 1885 بتنازل مصر عنها لتحقيق هدفين أولهما القضاء على الحركة المهدية، والثانى منع فرنسا التي حصلت على موطئ قدم لها فى ساحل العفر والعيس (جيبوتي) عام 1862 من التوسع إلى الداخل الأفريقى. كما احتلت بريطانيا مصر فى 1882، ثم زيلغ وبربرة فى 1884 التي سميت فيما بعد باسم الصومال البريطانى، فى الوقت الذى أقنعت فرنسا فى 1892 الإمبراطور منليك بالموافقة على مد خط سكة حديد بربط عاصمته الجديدة أديس أبابا بميناء جيبوتي. وكان هدف فرنسا الحقيقى هو امتداد هذا الخط فيما بعد ليصل إلى مستعمراتها فى غرب أفريقيا وهى الكونجو برازافيل.

كما لم تقنع إيطاليا بحصتها فى أريتريا ومصوع وعصب، وبالرغم من اعتراف منليك فى معاهدة أوتشالى عام 1889 بالسيادة الإيطالية على هذه الأجزاء، إلا أن الجيوش الإيطالية زحفت نحو الداخل فتصدت لها جيوش منليك وألحقت بها هزيمة فى عدوة عام 1896. إلا أن منليك عاد بعد ذلك ومنح الدول الأوروبية امتيازات كثيرة فى أثيوبيا من بينها استمرار السيادة الإيطالية على أريتريا.

معاهدة 15 مايو 1902 بين

الإمبراطور منليك الثانى وبريطانيا وقعت المعاهدة فى 15 مايو 1902 بأديس أبابا بين السفير هارينجتون نيابة عن الحكومة البريطانية والإمبراطور منليك الثانى عن أثيوبيا تم بمقتضاها تخطيط الحدود لأول مرة بين السودان وأثيوبيا، وذلك بعد صراع كبير امتد حوالى 100 عام من أيام محمد على وإبراهيم باشا والخيوى إسماعيل وخلفائهم أى طوال امتداد الإدارة المصرية للسودان الذى استمر طوال

القرن التاسع عشر حتى تم أخيراً فى أوائل القرن العشرين وبالتالى استقرت الأوضاع بين مصر وأثيوبيا. كان من أهم بنود الاتفاق المادة الأولى التى تعين الحدود بين أثيوبيا والسودان المصرى الإنجليزى ويسير خط الحدود من خور أم حجر على نهر ستيت إلى القلابات فالنيل الأزرق فأنهار بارو ونيبور، ومنها إلى نقطة تقاطع خط عرض 6 شمال خط الاستواء مع خط طول 35 شرق جرينتش، وبعبارة أخرى فإن الأجزاء السفلى من أنهار العظيرة والنيل الأزرق والسوبات تخضع للحكم المصرى الإنجليزى فى السودان، مع الأخذ فى الاعتبار أن منليك الثانى تمسك بمنطقة بنى شنقول وذلك للذهب الموجود بها، فضلاً عن أهميتها الاستراتيجية لمنطقة من السهل الوصول إليها ملاحياً عن طريق النيلين الأبيض والأزرق، كما أنها تتحكم فى جزء من تجارة السودان وقد وافقت بريطانيا على ضمها لمنليك (هى ذاتها المنطقة التى يشيد عليها الآن سد النهضة الأثيوبى الكبير)، بالرغم من تبعيتها التاريخية والعرقية والدينية والثقافية للسودان المصرى. كما تعهد منليك الثانى بعدم تشييد أو السماح بتشيد أى بناء على النيل الأزرق وبحيرة تانا ونهر السوبات يكون من شأنه منع جريان أو تدفق المياه إلى النيل إلا بالاتفاق مع حكومة جلاله ملك بريطانيا وحكومة السودان (أى الإدارة المصرية البريطانية المشتركة). كما وافق منليك أيضاً على منح الحكومة البريطانية وحكومة السودان الحق فى إنشاء خط حديدى عبر الأراضى الأثيوبية لربط السودان بأوغندا. وبهذه المعاهدة استقرت الأوضاع فى حدود السودان مع أثيوبيا، وانعكس ذلك على العلاقات بين مصر وأثيوبيا التى تحسنت كثيراً بعد انتهاء مشكلة الحدود التى كانت عاملاً أساسياً فى توتر هذه العلاقات. كما وضعت هذه المعاهدة أيضاً حداً للصراع الدولى بين الدول الأوروبية (بريطانيا-إيطاليا-فرنسا)، لصالح بريطانيا، فهى انتصار للسياسة الاستعمارية الإنجليزية، لم تستطع الحصول عليه إلا بسبب احتلالها لمصر والسودان، وادعائها بأنها ترعى مصالح مصر فى تعيين الحدود بينها وبين

أثيوبيا، وحقوقها الطبيعية والتاريخية فى مياه النيل. وبالرغم من أن الحكومة البريطانية تجاهلت حق مصر فى التوقيع على هذه المعاهدة، إلا أنها بطريقة أو أخرى أكدت حقوق مصر الطبيعية والتاريخية المكتسبة فى مياه النيل من منابعه الأثيوبية وحقوقها كشريكة فى حكم السودان.

الملك إياسو من 1913 - 1916

خلف منليك حفيده إياسو وكان عمره 16 عاماً، وتوود الحاكم الجديد إلى مسلمى أثيوبيا، بل أعلن إسلامه، فقام ضده تحالف مؤلف من الكنيسة، وزعماء الأقاليم، والدول الاستعمارية تمكنت من عزله فى 1916 قبل أن يتم تنصيبه إمبراطوراً.

الإمبراطورة زوديتو 1930-1916

بعد أن تمكنت الكنيسة والدول الأوروبية من عزل إياسو، تم تنصيب ابنة منليك الثانى زوديتو وأعطي لقب إمبراطورة وذلك حتى 1928 وهو التاريخ الذى ذهب فيه إلى الدير لقضاء بقية عمرها حتى عام 1930.

الإمبراطور هيللا سيلاسى الأول 1930-1974

أجبر الرأس تفرى ولى العهد، الإمبراطورة زوديتو على الاعتراف به ملكاً على شوا عام 1928، وما أن توفيت بالدير عام 1930 حتى توج إمبراطوراً باسم هيللا سيلاسى الأول، وشرع مباشرة فى إحكام قبضته على البلاد، وتقييد نفوذ الكنيسة، وإضعاف حكام الأقاليم، غير أن إيطاليا غزت أثيوبيا عام 1936 بالرغم من عقد معاهدة الصداقة بين الطرفين فى 1928، انطلاقاً من مستعمراتها فى أريتريا والصومال الإيطالى لتؤلف ما أسمته أفريقيا الشرقية الإيطالية، ولجأ الإمبراطور إلى بريطانيا ولم يستطع العودة للمستعمرات الإيطالية. وبعودة هيللا سيلاسى الأول عام 1941 قام بعقد معاهدات ضمنت للبريطانيين التحكم فى شئون البلاد السياسية والعسكرية والمالية عقداً كاملاً من الزمان، ثم حل محلها معاهدات مماثلة مع الولايات المتحدة، وقد ساعد الحلفاء المنتصرون نظير تحقيق مصالحهم، نظام هيللا

العلاقات الأثيوبية مع أوروبا ومع مصر عبر التاريخ

سيلاسى على البقاء، والأهم أنهم باركوا ضم إقليم الأوجادين الصومالى إلى أثيوبيا عام 1950، ثم أريتريا بالكامل المستعمرة الإيطالية ومنها مصوع وعصب والساحل إلى أثيوبيا عام 1962 فبلغت أقصى اتساع جغرافى لها عبر التاريخ.

الحرب الأهلية الأثيوبية 1974 - 1991

بدأت الحرب الأهلية الأثيوبية فى 12 سبتمبر 1974 حيث قامت قوات الدرك الماركسية بانقلاب على الإمبراطور هيليا سيلاسى، الذى أطاحت به «الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية الأثيوبية» التى استطاع منجستو هايل مريم أن يترأسها بعد ذلك نتيجة تغلبه على رفاقه، حيث أدت تداعيات الحرب الأهلية والفوضى والدمار إلى مقتل ما يزيد عن مليون مواطن أثيوبى. فيما تم إلغاء الملكية رسميا فى مارس 1975، والتخلص من هيليا سيلاسى وعائلته، وبمقتل هيليا سيلاسى فى 27 أغسطس 1975، عمل المجلس العسكرى على تحقيق شعاره الرئيسى «تمليك الأرض لزارعيها» من خلال إعادة توزيع الأراضي التى كانت مملوكة لأصحاب المزارع ويقوم الفلاحون بزراعتها. وقد اقترن سوء الإدارة والفساد بتأثيرات الاستنزاف للحرب المستمرة مع حركات العصابات الانفصالية فى أريتريا والتيجراى مما أدى إلى حدوث انخفاض حاد فى الإنتاجية العامة للمحاصيل الزراعية والنقدية، وفر مئات الآلاف من المأسى الاقتصادية والتجنيد والقمع السياسى، وتوجهوا للحياة فى الدول المجاورة، بل فى أوروبا والولايات المتحدة وكندا، وهو ما يعرف بالشتات الأثيوبى. وفى الواقع، ضربت سلسلة من المجاعات أثيوبيا مع بداية الثمانينات من القرن العشرين حيث توفى حوالى المليون بسبب المجاعة والجفاف وسوء التغذية، الأمر الذى أدى إلى زيادة حركات التمرد ضد الحكم الشيوعى فى المناطق الشمالية من

التيجراى وأريتريا. وقد استمر المجلس فى محاولاته لإنهاء الثورات باستخدام القوة العسكرية، وقد بدأ بسلسلة من الحملات ضد ثوار الداخل مثل جبهة تحرير الشعب الأريتري أدت إلى هزيمة الحكم العسكرى أمام الثوار فى فبراير 1989. ثم تلا ذلك الإطاحة بحكم منجستو فى النهاية على يد مسئوليهم بالتحالف مع ائتلاف قوات الثوار «الجبهة الديمقراطية الثورية الشعبية الأثيوبية» فى عام 1991 بعد نجاحهم فى الدخول إلى العاصمة أديس أبابا، ثم التدخل الأمريكى بإقناع منجستو بالهروب إلى زيمبابوى كلاجئ سياسى.

الدستور ومواد الانفصال فى 1994

ولعل أخطر وأهم مواد الدستور هى المادة 39 والتى سعت لمعالجة المشكلة العرقية التى منحت جميع القوميات والشعوب الأثيوبية الحق فى تقرير مصيرها بنفسها، بما فى ذلك الانفصال، مع تقييد ذلك بعدد من الإجراءات التى تستوجب تصويت ثلثى أعضاء المجلس التشريعى لصالح الانفصال، مع تعريف محدد لمصطلحات الأمة والقومية والشعب، وهى الفئات التى يحق لها الحصول على حق الانفصال، حيث يجرى بعد ذلك استفتاء خلال 3 سنوات. أما فيما يخص المسألة الدينية، فقد قرر الدستور مبدأ فصل الدولة عن الدين، حيث أوضح ذلك فى ثلاث فقرات تنص على عدم وجود دين للدولة، وعلى عدم تدخل الحكومة فى شئون الدين، وعلى ألا تتدخل الأديان فى شئون الدولة، حيث ظهر واضحا أن دستور 1994 يعبر عن حلقة جديدة فى سلسلة تطور النظام السياسى الأثيوبى الذى بدأ ملكياً ثم تحول إلى النظام الإمبراطورى، ثم تحول إلى نظام شمولى عسكرى فى عهد منجستو، وأخيراً ديمقراطى برلمانى فيدرالى فى عهد زيناوى، هذا الدستور الذى سعى من خلال تبني علمانية الدولة إلى خلق إجماع وطنى أثيوبى موحد تذوب فيه العصبية والانتماءات الدينية والمذهبية المتعددة والصراعات الإثنية المعقدة. فالقومية الأمهرية مثلاً بانتمائها إلى السلالة السامية ولغتها الأمهرية ذات الأصول

السامية وديانتها المسيحية الأرثوذكسية وتطورها التاريخى تعد مختلفة بشكل كلى عن قومية شعب الأورومو بأصولها السلالية الحامية ولغتها الأورومية وغالبيتها التى تدبى بالإسلام، وعلى هذا النمط أيضاً يمكن أن ينظر إلى بقية القوميات والأعراق الأثيوبية مثل التيجرانية والعفار الصومالية، والهويات فى هرر وبنى شنقول العربية الإسلامية، وإقليم الجنوب بالكامل وغيرها من عشرات الإثنيات التى يتكون منها الكيان الأثيوبى.

التقدير السياسى لنظام الحكم فى أثيوبيا عبر العصور

لم تكن سلطة حكام أثيوبيا منذ تسلم الأسرة السليمانية الحكم فى منتصف القرن الثالث عشر، وحتى معاهدة 1902 مع منليك الثانى تتجاوز الهضبة الأثيوبية، فقد تعاقب على حكم المنطقة الساحلية والتأثير الحضارى عليها المصريون فى عهد البطالمة، ثم الدولة الأموية، ثم الإمارات الإسلامية ذات الأصول العربية منذ القرن السابع الميلادى حتى القرن السادس عشر والتى امتد نفوذها حتى هرر وشوا بالداخل الأثيوبى، وكان هذا النفوذ بالتزامن مع حكم الممالك فى مصر، ثم العثمانيين الذين نافسهم البرتغاليون، ثم المصريون مرة أخرى فى عهد أسرة محمد على طوال القرن التاسع عشر، ثم الحركة الاستعمارية الحديثة للدول الأوروبية (إيطاليا-فرنسا-بريطانيا). وهكذا كانت المملكة الأثيوبية المسيحية حتى معاهدة 1902 والتى رسمت حدود أثيوبيا الحديثة مع بريطانيا محصورة فى ثلاثة أقاليم هى التيجراى والأمهرة وشوا. وكانت دائماً مراكز القوى بين ثلاث سلطات هي: الملك والكنيسة وحكام الأقاليم، فأما الملك أو ملك الملوك فكانت سلطته (استناداً إلى أسطورة انحداره من سلالة سليمان) مطلقة شريطة أن يكون قوياً وإلا فإنها تتقلص حتى تغدو شكلية تماماً. وأما الكنيسة فكانت تدعم الملك دعماً كاملاً إذا ضمن لها أمرين: الأول عدم المساس بنفوذها وثروتها وسيطرتها، والثانى عدم المساس بالمسيحية عامة وبمذهبها خاصة. فإن مس أحدهما أو كلاهما قاومت

الملك مقاومة شديدة، وقد ينتهى الأمر بعزله أو إجباره على التنحي، كما فعلت بزدانكل 1603 - 1604، وسوسينيوس 1607-1632، وإياسو 1913-1916. وكان حكام الأقاليم: «الرؤوس» (جمعاً لكلمة رأس التى تنطق فى اللغة الأمهرية راس بتسهيل الهمزة)، يؤيدون الملك ويدفعون له الضريبة، ولكنهم يديرون شئون أقاليمهم بأنفسهم، وقد يتخذ بعضهم لقب ملك، وربما انفصلوا عن ملك البلاد وساعدوا على الإطاحة به إذا لم ترق لهم سياسته، كما فعلوا بالإمبراطور ثيودور الثانى عام 1868، ثم إياسو عام 1916، ولم يكن ملوك أثيوبيا فى أغلب الأحيان قادرين على كسر شوكة هؤلاء الحكام بسبب جيوشهم الخاصة بهم وبسبب وعورة الطرق واتساع المساحات بين الممالك وبعضها. وقد اعتبر حكام أثيوبيا، وغالبيتهم من الأمهرة، سادة على الشعوب والقوميات الأخرى المجاورة التى خضعت لهم قروناً طويلة، فكانوا يبيعون جماعات من هذه الأقوام عبيداً إلى الجزيرة العربية ومصر والسودان، وكانوا يملكون الشعوب المغلوبة فى الحرب أرضاً وسلطاناً. فأما الأرض فكانت توزع على الكنيسة والقادة وحاشية الملك، وأما أصحابها الأصليون فكانوا يلزمون بعدم مغادرة الأرض والبقاء بها لاستغلالها وتقديم ريعها إلى أصحابها، وهكذا يتوارث هؤلاء العبودية جيلاً بعد جيل. وجرى العرف أيضاً على أن يتقاسم المنتصرون الأسرى والسبايا عبيداً فيما بينهم، وقد روى شاهد عيان فى النصف الثانى من القرن 19 أن حصة الملك منليك وحده بلغت 1800 من الأسرى العبيد، وروى آخر زار أثيوبيا فى العقد الثالث من القرن 20 أن بطريك الكنيسة الأثيوبية يعد من كبار مالكي العبيد. كما لم يكن حكام الأقاليم وجيوشهم وحاشيتهم حتى عهد هिला سيلاسى فى منتصف القرن 20 يأخذون رواتبهم من خزينة الملك، بل كان عليهم أن يضمنوا نفقاتهم بأنفسهم، فضلاً عن الضريبة التى ينبغى إرسالها إلى الملك. فجعلوا الأرض ومن عليها ملكاً لهم يسخرون من فيها وما فيها للحصول على ما يريدون، وكان الملك والحكام فى حاجة دائمة إلى تأييد الكنيسة

لتحقيق أغراضهم فأقطعوها مساحات واسعة من الأراضي حتى صارت تمتلك فى عهد هिला سيلاسى نحو ثلث أراضي الدولة كلها. وقد عمل هिला سيلاسى على إحكام قبضته على البلاد بعد عودته من المنفى فى بريطانيا عام 1941 بإجراءات متعددة، فأنشأ جيشاً نظامياً بمساعدة البريطانيين وأضاف إليه الحرس الإمبراطورى، وقوات المقاومة السابقة ضد الإيطاليين، فضمن بذلك تفوقاً ساحقاً على خصومه ومنافسيه. وهكذا ألغى جيوش الأقاليم، وعزل حكامها، وأعاد تقسيم البلاد إلى ولايات يدير شئونها موظفون تعيينهم حكومة الإمبراطور وتعزلهم وتدفع رواتبهم، وأصبح هिला سيلاسى بعد فصل الكنيسة الأثيوبية عن الكنيسة القبطية هو رأس الكنيسة الذى يعين وفقاً للدستور أساقفتها، فألغى حق الكنيسة فى جباية الضرائب والرسوم والغرامات من الناس، واستبدل بحق السلب والنهب الذى كان يمارسه حكام الأقاليم سابقاً نظاماً جديداً لجباية الضرائب، وأبطل كذلك نظام السخرة إلى حد ما، حتى قرر النظام العسكرى الذى أطاح به فى 1974 تحويل أثيوبيا إلى دولة اشتراكية ذات نظام ماركسى، واتبع منجستو نظاماً أوتوقراطياً عسكرياً الغلبة فيه للقومية الأمهرية، مما أدى إلى ازدياد نشاط المنظمات المعارضة فى البلاد، وخاصة جبهات تحرير أريتريا، والتيجراي، والأورومو، ثم كان سقوط الحكم الشيوعى واختفاء منجستو فى 1991، مع ظهور ميليس زيناوى فى نفس العام، واستقلال أريتريا بالساحل فى 1993، وأصبحت أثيوبيا جمهورية فيدرالية فى ظل دستور جديد فى 1994. وبالرغم من إعلان مبدأ الفيدرالية وعلمانية الدولة طبقاً للدستور، فإن هناك مثلاً يسيطر على السلطة يتمثل فى تحالف بين الديانة المسيحية، واللغة الأمهرية، والقومية المسيطرة فى تحالف ثنائى بين الأمهرة والتيجراي، وهذا المثلث الذى يعبر عن أقلية عديدة يظل هو الحاكم والمسيطر على بقية مكونات الطيف الأثيوبى، حيث ظلت منذ منتصف القرن التاسع عشر المسيحية الأمهرية والتيجرانية فى صراع دائم مع بقية المكونات العرقية

الأخرى التى تمثل هوية إثنية ودينية مختلفة كالأغلبية الإسلامية للأورومو والعفار والصوماليين من الأوجادين والهرريين (أهل هرر) وغيرهم، وهم يشكلون أكثر من 70%. فمن الواضح أنه وعبر التاريخ والقرون أن سيناريوهات ارتباط الدين بالسلطة وتأثير ذلك على المجتمع تعتبر واحدة من المشكلات والمهددات لعملية التعايش والاندماج الوطنى فى أثيوبيا. وتضم أثيوبيا العديد من القوميات والجماعات الإثنية ما يقرب من 80 جماعة إثنية وبالتالي فهى تتسم بتراث ثقافى على قدر كبير من التنوع الدينى واللغوى وتعتبر قومية الأمهرة 20% الأبرز والأكثر تميزاً إذ أن غالبية الحكام كانوا ينتمون إليها، وقومية التيجراي 12% والتى تلى الأمهرة فى سلم الرقى والنفوذ السياسى والاجتماعى مع صعود ميليس زيناوى الذى ينتمى إلى قومية التيجراي إلى سدة الحكم فى 1991. ومنذ ذلك الوقت أضحت قومية التيجراي تسيطر على كل مفاصل الدولة الأثيوبية حتى الوقت الراهن. أما القومية الثالثة فى الأهمية فى الأورومو وهى كبرى القوميات الأثيوبية وتتشكل أصلاً من قبائل الجالا الوثنية والتى يدين ما يزيد عن 50% منها بالإسلام، والنصف الآخر موزع بين المسيحية والوثنية والمعتقدات الأفريقية الأخرى. والأورومو لا تمارس دوراً سياسياً يتناسب مع الثقل العددي الذى يبلغ ما بين 40% إلى 50% من التعداد السكانى لأثيوبيا (ولقد ظل إقليم أوروميا مستقلاً بقبائله وممالكه الأفريقية حتى ضمته الحبشة قسراً فى عهد الأباطرة ثيودور الثانى 1855 - 1868، ويوحنا الرابع 1872 - 1889، ومنليك الثانى 1889 - 1913)، وقد بذلت مجهودات كبيرة من الأباطرة الثلاثة منذ منتصف القرن 19 حتى أوائل القرن 20 لإعادة صهر وتشكيل هذا الإقليم الشاسع مترامى الأطراف وإخضاعه للحكم الأثيوبى. وهذا عن طريق استيعاب الثقافة الأفريقية الخاصة به فى محاولة لطمس معالم الهوية الإثنية الأورومية وقد كان الاستيعاب الأمهرى للأورومو هو الاستيعاب الرئيسى عن طريق نشر المسيحية الأرثوذكسية.

تأملات في تطورات جنوب أفريقيا

يمكن اعتبار إقالة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي لرئيس جنوب أفريقيا جاكوب زوما من رئاسة الحزب ورئاسة الجمهورية، ومن ثم اضطراره للاستقالة واختيار نائبه سيريل رامافوزا رئيساً للجمهورية، بمثابة محاولة جديدة لإنقاذ مستقبل الحزب، على أن هذه التطورات يمكن النظر إليها من عدة زوايا، وإذ تناولت الأمر في منابر متعددة، فسوف أركز هنا على بعض الملاحظات المهمة بهذا الصدد:

سياساته الداخلية الحريصة على بناء هوية وطنية جديدة تجمع مكونات المجتمع، فضلاً عن ذلك كان بثقافته الواسعة وبعد نظره يهتم أكثر برفع أسهم بلاده الخارجية، ومن ثم كان دوره المشهود في تأسيس تجمع الأييسا المكون من بلاده والهند والبرازيل - في خطوة تتضمن نوعاً من المبالغة في حجم بلاده اقتصادياً وسياسياً - ولم تقبل مصر الدعوة للمشاركة في البداية ولم تنجح في الانضمام بعد ذلك - عموماً مكنت هذه الخطوة جنوب أفريقيا من أن تصبح طرفاً مؤسساً في البريكس لاحقاً. لكن مبيكي لم يملك - رغم نجاحاته الخارجية - ملكات زوما في مخاطبة الجماهير البسيطة ودغدغة مشاعر الفقراء بدعايات ديماجوجية كما أن صلابته في قضايا الفساد، وحرصه على الاقتداء بسلفه العظيم مانديلا في عدم التورط في الممارسات المشبوهة (كان انفصال مانديلا عن زوجته وينى أحد أبعاد



سفير د. محمد بدر الدين زايد
mbzayed8@hotmail.com

زوما بوصف هذا جزءاً من التقاليد الأفريقية. وكانت ترى في زوما الأكثر تعبيراً عن هذه التقاليد بشكل عام، ومتجاهلة أيضاً أن أبرز زوجاته الوزيرة زوما قد انفصلت عنه بسبب هذا البعد السلوكي. وعموماً لم يكن هذا هو المتغير الرئيسي، وإنما كانت قضية الفساد هي السبب الرئيسي لقرار مبيكي إقالة زوما، متحدياً شعبية ونفوذ زوما الكبيرة في أوساط الحزب. فقد كانت إشكالية مبيكي أنه رجل بعيد عن الشعبوية ودغدغة مشاعر الجماهير، لأنه كان أحد الذين مارسوا النضال من الخارج، ثم عمل نائباً لمانديلا متبنياً

إعادة الاعتبار للرئيس الأسبق ثابو مبيكي

كان الرئيس مبيكي قد تعرض لنفس المعاملة من حزبه، ولكن شتان المقارنة بين الحالتين، فقد بدأ الحزب إجراءاته العقابية ضد مبيكي في العام السابق على إقالته من رئاسة الجمهورية، وذلك باختيار زوما رئيساً للحزب بدلاً منه، وكان زوما قد تورط خلال عمله كنائب للرئيس في العديد من الممارسات التي عرضته لانتقادات واسعة من بعض مثقفي الحزب ومن الأقلية البيضاء، شملت شبهات فساد وفضائح جنسية، ثم تحولت الشبهات إلى اتهامات في صفقة أسلحة ضخمة اشترتها الحكومة، وتلقت وسائل الإعلام هذا بحملة هجوم شديدة ضد زوما، أكسبته تعاطف قواعد الحزب التي كانت تنظر إلى بعض هذه الانتقادات من خلال منظور عنصري، متجاهلة الفضائح الجنسية مستغلة التوقف عند تركيز الإعلام على مسألة تعدد زوجات

جديد. المذهل أن مبيكى تصرف بضبط نفس شديد ولم ينضم لحزب مؤيديه حرصاً على تماسك الحزب الأم. ولقد تصادف أنني وصلت إلى بريتوريا لاستلام عملي كسفير لمصر قبل يومين فقط من إقالة مبيكى، إلا أن استمرار توليه بناء على تكليف الاتحاد الأفريقي لملف السودان قد أدى إلى تكثيف التواصل بيني وبينه بشكل منتظم، ووجدت رجلاً مثقفاً وجاداً ومجتهداً في تناوله للمسألة السودانية وفي أى ملف يتولاه، يحرص على ترتيب أوراقه بنفسه، ويعد ملفاته ويفحصها بعقل باحث علمي، وكان مستوى تفاعلنا من العمق والانتظام بحيث كان حريصاً على إطلاعي على تفاصيل رؤيته لأوضاع السودان الشقيق، كما كان لديه صدق وحرص على الاستماع إلى تطورات الأوضاع الفلسطينية، (وهنا أسجل أنه كان لديه وضوح كامل في تأييد فتح والتحفظ ضد التيارات التي وظفت الدين في القضية في مقابل الخطاب الشعبوي في بعض أوساط الحزب المتعاطفة مع حماس ولهذا حديث آخر). كما يحضرني أنه دعاني للقاء في مكتبه بمنزله البسيط في جوهانسبرج - التي تبعد حوالي الساعة من العاصمة بريتوريا في أعقاب ثورة يناير - ليستمع إلي لفهم ما حدث، وآفاق المستقبل، ولاحظت دقة وعمق متابعته لما يجري في مصر خلال الثورة وبعدها بأسابيع - ولأننا اعتدنا حوار المصارحة فقد



سياسية، ورغم أن الحكم هذا لا يعني تبرئة زوما من التورط في صفقة السلاح التي تمت إقالته بسببها، فقد استغل الحزب ذلك للإطاحة بمبيكى. وقد سبب هذا في اغتراب قطاعات واسعة من الأجنحة المثقفة بما في ذلك السوداء داخل الحزب، وأعلنت ولاءها لمبيكى وتشكيل حزب

هذه الصورة) سبب في عدم ارتياح بعض أجنحة الحزب التي افترضت أن سقوط النظام السابق يعني حقها في اقتسام الثروة بأي طريق شرعي أو غير ذلك، من ثم استغل الحزب حكماً للمحكمة الدستورية بأن إقالة زوما من منصبه كنائب لرئيس الجمهورية شأبه اعتبارات



ازمة مياه قادمة فى كيب تاون!

تأملات فى تطورات جنوب أفريقيا

أبدى عدم ارتياح وقلق واضح من مسار الأمور ومن أن عدم وجود قيادة قوية وحكيمة لهذه الثورة - التى كان البعض يتوهم أنها مصدر قوة، سيصبح مصدر ضعف وتخبط شديد.

نعود إلى دلالات الحدث الخاص بإقالة زوما بتهمة الفساد وإضعاف الحزب وتراجع مكانته، فلا أظن أنه يمكن أن يكون هناك من رد اعتبار سياسى وتاريخى

لمبيكى مناظر لهذا، فقد عوقب لأنه اتهم زوما بالفساد، وثبت بعد نظره بقدر ما ثبت سوء تقدير من عزلوه وأهانوه، وإذا كانوا لم يفلحوا فى الإساءة إليه، فقد انتصر بتورط زوما فى أخطاء فاقت ما عاقبه عليه مبيكى، وأظن شخصياً أن الرجل أى مبيكى يستحق إنصاف التاريخ واحترامه بهذا الصدد.

قضية الحزب المهيمن فى أفريقيا

تعتبر قضية الحزب الواحد من كلاسيكيات الدراسات الأفريقية المعروفة بهذا الصدد،

ويمكن القول إن ديناميات التفاعلات الداخلية فى دول القارة ما بعد الاستقلال كانت تدور حول عدة أبعاد من أهمها إرث أحزاب الاستقلال والتحول الديمقراطى، وقضية الفساد التى نعود إليها لاحقاً، فمعروف أنه فى أغلب الأحوال تتحول أحزاب الحركة الوطنية إلى كيانات مترهلة، متشبثة بالسلطة، ولكل تجربة أفريقية سماتها الخاصة النابعة من تطورها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، وكذا السمات الشخصية للزعماء، وفى حالات ليست قليلة كان

ضعف القيادات إلى تسهيل فساد المستويات الأدنى، أو لأن السمات التي يجب توافرها في القيادات يجب أن يكون من بينها الالتزام الأخلاقي أيضاً ووازع الضمير الذي يترتب عليه الكثير من النتائج في إدارة العمل من حيث التوزيع والخطأ والصواب، وأحسب أنني لن أزيد في الحديث عن الحالة محل النقاش، والتي يضاف إليها معضلة أخرى وهي كيف تقبل الشعوب تعيين قيادات كانت محل اشتبهاء سابق، بدلاً من أن تتعظ من تجربتها تعاود الخطأ وعلى نطاق أكبر، وحالة رئيس وزراء إسرائيل الحالي تثير نفس التساؤلات. من ناحية أخرى يستعصى عليّ شخصياً فهم النفس البشرية التي تحصل على ما تصبو إليه من قيادة وشهرة ومكانة، وفي الحالات التي تكون أدنى بكثير مما حصلت عليه من مناصب، ليكون السؤال، ألم يكن يكفيكم فساد الحصول على ما لا تستحقونه، فتضيفون فساداً لآخر لا يقل سوءاً إن لم يزد، أما إذا كانت هذه القيادات قادرة على مهامها فكيف تهدر مكانتها وتاريخها من أجل هذا الأمر الزائل، الغريب في كثير من البشر أنهم يفعلون هذا ويخسرون دوماً حتى لو أخفوا جرائمهم. في النهاية تظل قضية الفساد أكبر تحديات القارة الأفريقية والعالم أجمع، وتشكل معالجتها أحد الشروط الرئيسية للنهضة وتحسين ظروف الحياة لأغلبية البشر.



الرئيس الجديد سيريل رامافوزا

من الآن ما إذا كان الرئيس الجديد والذي يتمتع بالفعل بمؤهلات تفوق سلفه زوما في إيقاف هذه التطورات التي أراها حتمية في ضوء طبيعة النسيج الوطني الجنوب أفريقي والذي إذا حافظ على سماته الديمقراطية سيفرز بالضرورة نظاماً سياسياً أكثر تعددية، وحتى إذا استمر المؤتمر الوطني الأفريقي أكبر الأحزاب وأهمها لبعض الوقت، فستصعد قوى سياسية جديدة تخفف من هيمنة هذا الحزب التي يتمتع بها منذ سقوط النظام العنصرى.

قضية الفساد

منذ عام تحديداً كنت أحد المتحدثين في ندوة بمعرض الكتاب بالقاهرة حول قضية الفساد، حيث ركزت في مداخلتي على بعد أرى ضرورة إعطائه قدراً كبيراً من الاهتمام في جهود مكافحة الفساد وهي أن من أخطر مظاهره وضع الرجل غير السليم في المواقع القيادية وإن كثيراً من حالات الفساد تنتج من هذا الخطأ، سواء أن يؤدي

الخطاب الديماجوجي والفساد وغياب الرؤية سبباً رئيسياً للتآكل التدريجي الذي يصيب هذه الأحزاب - خاصة وأن ما كان يجمع عناصرها كان الكفاح الوطنى، وبعدها إذا لم يتفق كافة أجنحتها على رؤية سياسية واحدة يبدأ التراجع المحتوم لهذه الأحزاب، وعموماً هذا البعد لم يكن غائباً عن تجارب سياسية عديدة خارج القارة، ومن أبرزها تجربة حزب المؤتمر الهندى بل وأيضاً تجربة حزب الوفد المصرى العريق الذى شهد انشقاقات كثيرة فى الفترة السابقة على عام 1952. وفى الواقع إن الأعراض والمسببات تختلف ولكنها تقود إلى نفس النتائج، فمن الواضح أن إقالة مبيكى أدت إلى اغتراب وانشقاقات بعض قيادات الحزب ولكن لم يكن هذا كافياً فى أول انتخابات تالية، أى التى تولى فيها الرئيس زوما ثم بدأت آثار قصص الفساد فى التأثير فى الانتخابات المحلية العام الماضى، وليس من السهل القطع

المنتدى الأفريقى الثالث للعلوم والتكنولوجيا والابتكار

القاهرة 10 إلى 12 فبراير 2018

افتتح الرئيس عبد الفتاح السيسى فعاليات المنتدى الأفريقى الثالث للعلوم والتكنولوجيا والابتكار، الذى نظمته وزارة التعليم العالى والبحث العلمى بالتعاون مع بنك التنمية الأفريقى، خلال الفترة من 10 إلى 12 فبراير 2018 بمشاركة د. اكينومى أديسينا رئيس مجموعة البنك الأفريقى للتنمية، و35 وزيرا أفريقياً للتعليم العالى والعلوم والتكنولوجيا والابتكار والبحث العلمى، وممثلين للقطاعين العام والخاص والعلماء والباحثين والمبتكرين والشباب وشركاء التنمية. وقد طالب الرئيس السيسى بتبنى مبادرة لتمكين شباب الباحثين الأفارقة من خلال زيادة عدد المنح لأفريقيا فى التعليم الجامعى والدراسات العليا، وإتاحة إمكانات جامعاتنا للدول الأفريقية الشقيقة، وإجراء أبحاث مشتركة بتمويل من الصندوق المصرى للعلوم والتكنولوجيا، ومضاعفة الجوائز المصرية التى تمنح للباحثين الأفارقة.

فرص عمل. وأكد أديسينا، دعم المشروعات الخاصة بمجال المياه، وهى التى ستؤدى لتغيير الكثير فى مجال المياه فى أفريقيا، مع دعم مشروع أبو رواش المتوقع أن يستفيد منه 8 ملايين نسمة. وأشار إلى أن قارتنا لديها 14 مليون طالب فى التعليم العالى، هذه النسبة كبيرة، لكن أقل من ثلثهم متخصص فى المجال العلمى والرياضيات. وأعلن أديسينا، أن البنك خصص 42 مليون دولار، لإنشاء جامعة عموم أفريقيا لتقود القارة فى مجال العلوم والتكنولوجيا، وتم تخصيص 13 مليون دولار لمعهد نيلسون مانديلا، المتخصص فى البحوث والابتكار، مشدداً على

التواصل والحفاظ على الفضاء الأفريقى الخارجى، فضلاً عن بناء المجتمع وخلق الثروة. وفى بيانه أشار رئيس البنك الأفريقى للتنمية، إلى أن مصر واكبت الابتكارات منذ عصر الفراعنة، والعالم مازال معجباً بالعلوم والتكنولوجيا فى مصر القديمة، مشيراً إلى أن استضافة مصر هذا المنتدى فرصة إضافية لرؤية ما حققته فى العلوم والتكنولوجيا والتقدم الاقتصادى الكبير، مضيفاً إن البنك الأفريقى للتنمية يقف بجانب مصر، وعلى أتم الاستعداد، لتقديم الدعم لمصر، وأنه خصص 500 مليون دولار للمشروعات، و400 مليون للقطاع الخاص، بهدف توفير

وكان هدف المنتدى هو تعزيز الاستثمارات فى مجال التعليم العالى والعلوم والبحث العلمى للوصول إلى الاقتصاد القائم على المعرفة، وتعظيم الاستفادة من الموارد الأفريقية، وإحداث نقلة نوعية فى مجال العلوم والتكنولوجيا والإبداع، وفقاً لأجندة الاتحاد الأفريقى لأهداف التنمية المستدامة لعام 2063، على عدة محاور، منها تشجيع الابتكار والارتقاء بدور القطاع الخاص فى مجالات التغير المناخى، التغذية، المياه، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والمستحضرات، دعماً لجهود أفريقيا للقضاء على الفقر ومنع انتشار الأمراض بالإضافة إلى



ضرورة الاهتمام بجودة التعليم. وأشار إلى أن البنك خصص 2 مليار دولار للاستثمار في التعليم العالي وتكنولوجيا الابتكار.

وانتهت الجلسة الختامية للمنتدى إلى إقرار عدد من التوصيات، في مقدمتها ضرورة دعم سياسات البحث العلمي والابتكار على المستويين القومي والإقليمي، من خلال تبني سياسات تدعم المساواة بين الجنسين في التعليم العام والعالي في مجالات العلوم، والتكنولوجيا، والهندسة، والرياضيات، وكذلك إطلاق حوار على المستوى القومي والإقليمي والقارى يضم كافة الفاعلين في منظومة الابتكار لمناقشة العلاقة بين الابتكار والبحث العلمى وبين مكونات المجتمع بصفة عامة وكيفية الارتقاء به، إلى جانب إعادة النظر فى خريطة أولويات الابتكار والبحث العلمى، خاصة

البحث العلمى التطبيقي، وتذليل كافة العقبات أمام رواد الأعمال والمبتكرين، والتركيز على أهمية حقوق الملكية الفكرية، وتبادل المعلومات. وأوصى المنتدى كذلك بضرورة الاهتمام بالموهب والبنية التحتية والقطاعات الواعدة، وذلك من خلال تمكين الشباب فى مجال الابتكار، ومنحهم الثقة لخلق مستقبل أفضل لهم، ودعم الشركات الصغيرة والمتوسطة الناشئة فى مجالات الابتكار، وتشجيع مشاركة القطاع الخاص فى تطوير قواعد هذه الشركات، وكذلك بناء القدرات فى مجال الإلكترونيات، والكمبيوتر، والعلوم الاجتماعية، لارتباطها بوسائل الإعلام الاجتماعية والبيانات الهائلة، والتكنولوجيا المتنقلة، وأمن الفضاء الافتراضي، والاستثمار فى نظم الزراعة والمياه، ودعم

البحوث لتحقيق الأمن الصحى العالمى. كما أوصى المنتدى أيضا بالتمويل المستدام وذلك بزيادة الاستثمارات فى التعليم العالى، وإعادة الهيكلة المالية للمؤسسات البحثية، وتحفيز أنشطة الابتكار فى القطاع الخاص بما يدعم أهداف التنمية المستدامة، ودعم كافة الأنشطة الداعمة للابتكار الشامل والقابل للتطبيق على نطاق واسع، ووضع استراتيجيات لتعبئة الموارد المحلية تماشيًا مع توصيات خطة عمل أديس أبابا، وتخصيص نسبة متفق عليها من الميزانيات الوطنية لتعزيز الابتكار والبحث، وخلق تحالفات تمويلية تضم الجهات الحكومية وغير الحكومية، وتخصيص نسبة من جميع القروض والمنح الإنمائية لدعم الابتكار وبناء القدرات البحثية.

دبلوماسية الأولمبياد فى شبه الجزيرة الكورية

لم تحل ظروف الطقس الشديد البرودة الذى يغلب دائماً على فصل الشتاء فى شبه الجزيرة الكورية دون تسلسل شعاع دفاء انفراجة لاحت مؤخراً فى علاقات الكوريتين المتجمدة منذ حوالى عامين، والتي وصلت إلى درجة غير مسبوقة من التوتر منذ انتهاء الحرب الكورية نتيجة تمادى الرئيس الكورى الشمالى فى إجراء التجارب النووية التى بلغت ست تجارب حتى الآن.

وهى المبادرة التى قبلت بترحيب من الرئاسة الكورية الجنوبية على لسان الرئيس مون جاي إن الذى صرح بأن على كوريا الجنوبية استثمار الفرصة والحفاظ على آلية الحوار مع الشطر الشمالى الكورى حفاظ من يحاول الإبقاء على ضوء الشمعة وسط الرياح العاصفة.

الثاني: إعلان كل من الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية تعليق مناوراتهما العسكرية الدورية المشتركة التى تقام سنوياً منذ عام 1967 طوال فترة إقامة أولمبياد بيونج تشانج «أولمبياد السلام» خلال الفترة من 9 إلى 25 فبراير 2018، وهى خطوة لطالما طالبت بها كوريا الشمالية وتأتى فى إطار دبلوماسية المسار المزدوج التى نادت بها الصين بحيث توقف كل من الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية المناورات العسكرية المشتركة فى مقابل وقف أو تعليق بيونج يانج برنامجها النووى وبرنامجها الصاروخى تمهيداً لاستئناف مباحثات السلام فى شبه الجزيرة الكورية. أدت هذه التطورات إلى



سفير رضا الطائفي

taifyreda@yahoo.com

انفراجة غير متوقعة للأوضاع المتفاقمة فى شبه الجزيرة الكورية ساهم فيها تطوران: الأول: خطاب الرئيس الكورى الشمالى كيم جونج أون بمناسبة العام الميلاى الجديد الذى مد فيه يد السلام للجنوب الكورى من خلال نبرته التصالحية حيث ذكر «إن تنظيم دورة الألعاب الشتوية بيونج تشانج فى كوريا الجنوبية سوف يكون حدثاً جيداً للدولة، نأمل بصدق فى نجاح الأولمبياد الشتوية، وإننا مستعدون لاتخاذ خطوات شتى لإنجاح الأولمبياد بما فيها إيفاد وفد كورى شمالى للمشاركة فى الدورة ولذلك يمكن للكوريتين عقد لقاء على الفور لمناقشة الترتيبات اللازمة لهذه المشاركة».

التجارب الصاروخية الباليستية التى فاقت ثلاثة أضعاف التجارب التى حدثت فى عهد جده كيم ايل سونج ووالده كيم جونج ايل، وهى التجارب التى قبلت أيضاً بردود أفعال دولية غير مسبوقة تمثلت فى توالى قرارات مجلس الأمن بفرض المزيد من العقوبات على كوريا الشمالية، هذا فضلاً عن سياسات وإجراءات إدارة الرئيس الأمريكى ترامب التصعيدية ضد الدولة الشيوعية المتشددة، والتى بدا تأثيرها واضحاً فى بيانات الدورة 54 لمؤتمر ميونخ للأمن 15 إلى 18 فبراير 2018 حيث جاءت إدانة كوريا الشمالية وتجاربها النووية والصاروخية قاسماً مشتركاً فى بيانات ومداخلات معظم المشاركين فى المؤتمر بما يوحى بأن الولايات المتحدة جادة هذه المرة فى التنسيق مع حلفائها وشركائها الدوليين لاستمرار ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية وغيرها على كوريا الشمالية لإجبارها على الجلوس إلى مائدة المفاوضات. وسط هذه الأجواء التصعيدية، شهدت بداية عام 2018 بوادر



الشمالية عرضين موسيقيين فى مدينتى سول وكانج رونج فى كوريا الجنوبية.

حملت مشاركة كوريا الشمالية فى أولمبياد بيونج تشانج التى افتتحت فى 9 فبراير 2018 أكثر من مفاجأة، الأولى أنه إلى جانب الوفد الرياضى، فقد شارك فى حفل الافتتاح كيم يونج نام الرئيس الفخرى ورئيس مجلس الشعب الأعلى فى كوريا الشمالية وهو دبلوماسى مخضرم وأحد القلائل من رفاق الزعيم الكورى كيم ايل سونج الذى مازال يتبوأ منصباً رسمياً، وكيم يو يونج شقيقة الرئيس الكورى كيم جونج ايل وهى نائبة رئيس اللجنة المركزية لحزب العمال الكورى.

أما المفاجأة الثانية أن الأخيرة حملت رسالة من شقيقها إلى نظيره الكورى الجنوبى ودعوة له

الجانبين فى المنطقة وصخب مكبرات الصوت على الجانب الشمالى التى تذيع أغانى حماسية وبيانات دعائية لمهاجمة الجنوب، فقد كنت أستشعر فى كل مرة أن الحرب يمكن أن تندلع فى أية لحظة حتى قبل أن أغادر المنطقة. وقد أسفرت لقاءات الدبلوماسية الرياضية عن الاتفاق على مشاركة كوريا الشمالية بوفد موسع يضم رياضيين ومشجعين ومراقبين وفريقاً استعراضياً للتايكوندو ومشاركة الكوريتين بوفد مشترك فى مراسم افتتاح الأولمبياد وفريق مشترك لهوكى الجليد، فضلاً عن ذلك فقد اتفق الجانبان على إعادة العمل بالخط الهاتفى العسكرى الساخن الذى سبق أن أوقفته كوريا الشمالية من جانب واحد منذ فبراير 2016، وكذا تقديم فرقة أوركسترا الوطنية الكورية

استئناف المفاوضات الرياضية بين الجانبين اعتباراً من 9 يناير 2018 فى القرية الحدودية «بان مونجوم» الواقعة عند خط 38 شمالاً والتى شهدت توقيع اتفاقية الهدنة فى نهاية الحرب الكورية فى يوليو 1953، وهى منطقة يبلغ طولها 255 كم2، وعرضها 4 كم2، وتبعد عن بيونج يانج بحوالى 120 كم وعن سول 40 كم ومزروعة بغابة من الألغام يفوق عددها المليون لغم، ويوجد بها منطقة أمنية مشتركة عند «بان مونجوم» مقام بها عدد من المباني الزرقاء لاجتماعات الطرفين بحيث يجلس كل طرف فى الشطر الخاص ببلاده، وبحكم خدمتى فى شطرى كوريا فلقد أتحت لى أكثر من فرصة لزيارتها من الجانبين، ولما كنت أشاهده فى كل مرة من حالة احتقان واستنفار بين قوات



دبلوماسية الأولمبياد في شبه الجزيرة الكورية

لزيارة كوريا الشمالية. كما التقى أعضاء الوفد الرسمي الكوري الشمالي برئاسة وزراء كوريا الجنوبية لي ماك يون الذي أعرب لهم عن تطلعه إلى عقد لقاء قمة بين الكوريتين بعد تهيئة الظروف المناسبة وتوفير دعم المجتمع الدولي مشيراً إلى ضرورة مواصلة الحوار في مرحلة ما بعد الأولمبياد معرباً عن أمله أن تكون زيارة الوفد الكوري الشمالي بمثابة فرصة لمستقبل مشرق في شبه الجزيرة الكورية.

في تقديرى أن دوافع الرئيس الكوري الشمالي للمشاركة في الأولمبياد الشتوية في بيونج تشانج، التي تختلف هذه المرة عن مشاركة الكوريتين في دورات أولمبية سابقة «أولمبياد سيدني 2000 وأثينا 2004

وتورينو 2006» لكونها تقام في الجنوب الكوري، تتمثل في الآتي:
- رغبته في إجراء حوار ثنائي مع كوريا الجنوبية لا تكون الولايات المتحدة - التي يعتبرها عدوه الرئيسي - طرفاً فيه حيث يردد دائماً أن برنامجه النووي وصواريخه الباليستية لا تستهدف كوريا الجنوبية وليست موجهة إليها، على أمل أن يؤدي ذلك إلى إحداث صدع في جدار العلاقات بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية ودق إسفين في مسار هذه العلاقات على الأقل إذا ما نجح في عقد قمة كورية ثالثة.

- حرصه على الإفلات من التأثيرات السلبية المتوقع أن يواجهها الاقتصاد الكوري الشمالي بفعل إحكام الحصار وتشديد العقوبات، حيث يتوقع أن يواجه خلال عام 2018 صعوبات كبيرة نتيجة تراجع صادرات وبالتالي إيرادات كوريا الشمالية من النقد الأجنبي وعدم توفر موارد لتغطية

إنفاقه العسكري المتزايد.

- محاولة منه لتغيير الصورة النمطية عنه في الإعلام والرأي العام الدولي بأنه داع للحرب ومهدد للسلم والأمن الدولي والإقليمي.

- توقع الرئيس الكوري الشمالي أن المفاوضات مع كوريا الجنوبية - هدفه التكتيكي - قد تساعد لاحقاً على فتح حوار مباشر مع الولايات المتحدة الذي يمثل هدفاً استراتيجياً كورياً شمالياً اعتقاداً بأن معظم أوراق حل المشكلة الكورية في يد الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالتزامن والتوازي مع هذه الأجواء التصالحية والانفراجة العابرة والمفاجئة في علاقات الكوريتين الناتجة عن المشاركة الكورية الشمالية في الأولمبياد الشتوية وما سبق هذه المشاركة من لقاءات وزيارات متبادلة بين سول وبيونج يانج، اتخذت الولايات المتحدة - أحد الأطراف الدولية



تكن مجرد حرب أهلية محلية بين الكوريتين فقط ولكن بين تحالف دولي تحت قيادة الولايات المتحدة من جانب وإلى جانب كوريا الجنوبية كل من المملكة المتحدة- أستراليا- الفلبين- بلجيكا- تركيا- فرنسا- كندا- تايلاند- كولومبيا- لوكسمبرج- اليونان- أثيوبيا- جنوب أفريقيا- نيوزيلندا- هولندا- إسرائيل- الدانمارك- النرويج- السويد- إيطاليا- أسبانيا- تايوان- السلفادور- اليابان، في مواجهة كوريا الشمالية- والصين- الاتحاد السوفيتي- بلغاريا- بولندا- رومانيا- المجر- منغوليا- تشيكوسلوفاكيا، حيث كانت حرباً متعددة الأطراف الأمر الذي أدى إلى تعقيدها وطول مدتها وتزايد خسائرها من الجانبين.

ولعل ما دفع بالولايات المتحدة إلى الدعوة لاجتماع فانكوفر الذي لم تدع إليه أطرافاً أخرى فاعلة في المشكلة الكورية مثل الصين

تضمن تشديداً جديداً للعقوبات الاقتصادية وحظر استغلال عمالة كورية شمالية وإعادة من يعمل منها في الخارج بنهاية عام 2018، فضلاً عن محاولات الإدارة الأمريكية التواصل مع بعض الدول لقطع أو تخفيض علاقاتها مع كوريا الشمالية بهدف تضيق الخناق على النظام الكوري الشمالي والحد من قدرته على المناورة أو الحصول على عملات أجنبية قد تساعده على استكمال تطوير برامج النووية والصاروخية.

- التنسيق والاشتراك مع كندا في الدعوة لعقد اجتماع في مدينة فانكوفر يوم 16 يناير 2018 حضره عشرون وزير خارجية لدول التحالف الدولي التي سبق أن شاركت إلى جانب الولايات المتحدة في الحرب الكورية، حيث أن الحرب الكورية التي دارت رحاها في شبه الجزيرة الكورية خلال الفترة من يونيو 1953 لم

الفاعلة في المشكلة الكورية- سلسلة من الإجراءات التصعيدية الموجهة ضد كوريا الشمالية والتي بدت وكأنها تسبب ضد تيار الانفراجة الكورية الأخيرة، لعل أهمها:

- التمدد في فرض المزيد من العقوبات الاقتصادية والمالية - بشكل ثنائي- على عدد من الشخصيات والشركات الكورية والصينية التي مازالت تتعامل مع كوريا الشمالية، هذا فضلاً عما تنفذه من عقوبات جماعية بموجب قرارات مجلس الأمن وآخرها القرار رقم 2375 بتاريخ 3 سبتمبر 2017 بعد تجربة كوريا الشمالية النووية السادسة، وذلك بتقليص واردات كوريا الشمالية من النفط بنسبة 30% وحظر صادراتها من النسيج، والقرار رقم 2397 بتاريخ 22 ديسمبر 2017 رداً على تجربة كوريا الشمالية للصاروخ الباليستي عابر للقارات بتاريخ 29 نوفمبر 2017، والذي

دبلوماسية الأولمبياد في شبه الجزيرة الكورية



وروسيا، هو حرصها على توجيه رسالة أكثر شمولية لكوريا الشمالية مفادها بأن عليها أن تتوقف عن الاستمرار في تطوير برامجها النووية والصاروخية وأن تتوقف عن التلويح بالخيار العسكرى لأنها فى هذه الحالة سوف تواجه ليس فقط من قبل الولايات المتحدة ولكن ستكون فى مواجهة جديدة مع دول التحالف الغربى الذى سبق وشارك فى الحرب الكورية، وأن هذا التحالف مازال فاعلاً ومازالت صلاحياته قائمة حيث عبرت الولايات المتحدة وحلفاؤها فى فانكوفر على الالتزام بمبدأ نزع الأسلحة النووية من شبه الجزيرة الكورية بشكل كامل يتم التحقق منه وعدم العدول عنه، مع تشديد إجراءات الحظر البحرى لمنع الالتفاف على العقوبات الدولية على كوريا الشمالية وإحباط أية محاولة للتهريب والنقل غير الشرعية التى قد تتم من سفينة إلى أخرى.

هذا مع الترحيب فى نفس الوقت بمشاركة كوريا الشمالية فى أولمبياد بيونج تشانج باعتبار أن ذلك قد يمثل اختراقاً لحالة الجمود فى المعضلة الكورية، ورغم تصريحات وزير الخارجية الأمريكى ريكس تيلرسون فى أعقاب المؤتمر لتدارك عدم دعوة الصين بأن الولايات المتحدة وحلفاءها سوف يسعون مع آخرين

باستخدام كافة قدراتها وترسانتها العسكرية، مع تسريبات من وقت لآخر باستعدادها لتوجيه ضربة استباقية محدودة ضد كوريا الشمالية.

وفى التقدير أن هذه الإجراءات والتصريحات التى تعكس مزيداً من التشدد الأمريكى رغم انفراجة الأولمبياد، لا تعنى بالضرورة سعياً من الولايات المتحدة إلى التصعيد العسكرى مع نظام يصعب التنبؤ بردود أفعاله، بقدر ما يعنى أعمال الضغط إلى أقصى حد ممكن على النظام الكورى الشمالى بهدف الحد من قدراته على الاستمرار فى تطوير برامجه العسكرية بتجفيف أو إضعاف منابع ومصادر التمويل من جانب، والوصول به من جانب آخر إلى مرحلة من الضعف تجعله يوقن بأن الجلوس إلى مائدة المفاوضات أصبح أسلم الخيارات أمامه لتسوية المسألة النووية والنجاة بنظامه من مخاطر الانهيار والسقوط.

وهو نفس التكتيك التفاوضى

فى المنطقة وخصوصاً الصين وروسيا لنزع فتيل الأزمة الكورية، إلا أن ذلك لم يمنع المتحدث باسم الخارجية الصينية من انتقاد اجتماع فانكوفر ليس فقط لأنه استبعد أطرافاً وجهات معينة أكثر أهمية فى القضية الكورية، ولكن لأن الاجتماع قد تم تنظيمه وإدارته - على حد قوله- بمفهوم وعقلية الحرب الباردة.

- إعلان وزارة الدفاع الأمريكية أن مناوراتها العسكرية الدورية مع كوريا الجنوبية التى تقرر وقفها خلال فترة إقامة فعاليات بيونج تشانج سوف يتم استئنافها بعد الأولمبياد، كما سيتم مواصلة الانتشار الدورى للأسلحة الإستراتيجية فى كوريا الجنوبية والمناطق المجاورة، بما يعنى استمرار تواجد حافلات الطائرات والغواصات التى تعمل بالطاقة النووية والقاذفات الإستراتيجية وطائرات الشبح المقاتلة، كما حددت وزارة الدفاع الأمريكية التزامها بالدفاع عن كوريا الجنوبية

جديدة بين الرئيس الكورى الشمالى والكورى الجنوبي لتكون فى حالة إتمامها ثالث قمة كورية بعد قمة بيونج يانج الأولى يونيو 2000 بين الرئيس كيم داي جونغ ونظيره الشمالى كيم جونغ ايل، وقمة بيونج يانج الثانية فى أكتوبر 2007 بين الرئيس الكورى الشمالى ونظيره روه موهيون، وقد تمهد لاحقاً لحوار كورى شمالى أمريكى.

ولا شك أن دبلوماسية الأولمبياد قد أحدثت حالة من التفاؤل فى شبه الجزيرة الكورية، إلا أنه يظل تفاؤلاً مشوباً بالحذر حيث أن النار مازالت تحت الرماد. فاللقاء الذى كان متوقعاً بين نائب الرئيس الأمريكى مايك بنس والوفد الكورى الشمالى قد أُلغى فى اللحظات الأخيرة. فهل تصمد الانفراجة الكورية فى ظل حزمة العقوبات الأمريكية الجديدة التى فرضها الرئيس ترامب فى 23 فبراير 2018 على كوريا الشمالية وطالت 28 سفينة و 27 شركة شحن وأفراداً من الصين وسنغافورة وتايوان وهونج كونج وبنما؟ وهى الإجراءات التى اعتبرتها كوريا الشمالية بمثابة إعلان حرب والتى عارضتها فى ذات الوقت الصين واعتبرتها تصعيداً أمريكياً وإبحاراً ضد تيار الانفراجة الكورية الأخيرة، والتى قد تدفع بالنظام الكورى الشمالى إلى العودة إلى استئناف برامجه وتجاربه النووية والصاروخية والتى لا يعدم الوسيلة على تمويلها حتى لو كان ذلك على حساب قوت شعبه.



لسنتين بين الكوريتين، وأسفر ليس فقط عن مشاركة كوريا الشمالية فى الأولمبياد، ولكن أيضاً زيارة رفيعة المستوى غير مسبقة لمسئولين كوريين شماليين لكوريا الجنوبية ودعوة للرئيس الكورى الجنوبي مون جاي إن من نظيره الشمالى لزيارة بيونج يانج، غير أن هذه الانفراجة تظل هشّة ما لم يعقبها لقاءات جديدة مباشرة بين الكوريتين لمناقشة القضايا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية العالقة وصولاً للملف النووى الكورى الشمالى آخر الحصون التى يتسلح بها النظام الشيوعى فى بيونج يانج.

وكما سبق وأن نجحت «دبلوماسية البينج بونج» فى تحقيق اختراق فى مسار العلاقات الأمريكية-الصينية التى مهدت للزيارة التاريخية للرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون لبكين فى يوليو 1971، فليس من المستبعد أن تمثل دبلوماسية أولمبياد بيونج تشانج تمهيداً لعقد قمة كورية

الذى لجأت إليه الولايات المتحدة فى الملف النووى الإيرانى، حيث ترى الإدارة الأمريكية أن الجهود الدبلوماسية سوف تستمر مع كوريا الشمالية لحين إسقاط الأخيرة لأول قنبلة.

وقد عكست تصريحات نائب الرئيس مايك بنس فى ختام جولته الآسيوية التى شارك خلالها فى مراسم افتتاح أولمبياد بيونج تشانج هذا الموقف الأمريكى حيث ذكر أن واشنطن مستعدة لإجراء محادثات مباشرة مع قيادة كوريا الشمالية لكنها ستستمر فى فرض عقوبات وضغوط على الاقتصاد الكورى الشمالى بما يعنى ممارسة أقصى ضغط مع الانخراط فى نفس الوقت مع الشركاء.

وختاماً فلا شك أن الدبلوماسية الرياضية حول أولمبياد بيونج تشانج قد أحدثت انفراجة ذات مدلول معنوى فى مجريات الأحداث فى شبه الجزيرة الكورية حيث نجحت على الأقل فى فتح باب لحوار مباشر كان مغلقاً

تصريحات ترامب تثير الأزمات في شرق آسيا

تعد الـ DMZ، أي المنطقة الحدودية منزوعة السلاح بين الكوريتين، شاهداً على مدى تدخل دول أخرى في الأزمة الكورية بدءاً بالولايات المتحدة مروراً بالصين وروسيا، وحلم التوحيد الذي لا يزال يسيطر على أذهان الكوريين.

إلى هاواي بالأراضي الأمريكية؟

**تثبيت النفوذ الأمريكي
كدولة حامية**

أسئلة لم أجد عليها إجابات قاطعة من المسؤولين والمتخصصين الذين التقيت بهم في كوريا الجنوبية واليابان اللتين زرتهما في يناير 2018 ضمن وفد إعلامي مصري، ولكن ما لاحظته هو أنه مع إدراك سول وطوكيو لمخاطر السلاح النووي لبيونج يانج، فإن هناك شعوراً أيضاً بعدم رغبة أمريكية في تحسن الأجواء ومحاولات من جانب الرئيس الأمريكي لاستثارة وتهديد



سوزي الجنيدى

نائبة رئيس تحرير مجلة الأهرام العربي

elgeneidy_suzy@yahoo.com

هل يهدد فقط أم ربما ينوى فعلياً استخدام صواريخه النووية الخطيرة التي باتت تهدد ليس فقط جارتها الجنوبية بل وقد تصل

كما أنها تعكس صعوبة إتمام التوحيد في القريب رغم مشاركة كوريا الشمالية في الأولمبياد الشتوية مع جارتها الجنوبية تحت علم واحد. فحقيقة نوايا بيونج يانج غامضة وهل فضلت فقط المشاركة في الأولمبياد على أمل تخفيف حدة العقوبات الاقتصادية التي تمت زيادتها في ديسمبر 2017 من مجلس الأمن بأغلبية الأعضاء الخمسة عشر الأعضاء في المجلس بما فيهم الصين وروسيا حلفاؤها بسبب استمرار تجاربها النووية، وما هي إذن نوايا الرئيس الكوري الشمالي كيم جونج أون؟





التي تستطيع أيضاً الوصول لليابان والصين.

الأولمبياد خطوة جيدة ولكن غير كافية

وأوضح كيم أن التفاوض بين الكوريتين حول المشاركة في الأولمبياد كان خطوة جيدة ولكن غير كافية لحل الأزمة. كما أن العقوبات الدولية التي تم فرضها مؤخراً من مجلس الأمن هي خطوة جيدة للضغط على كوريا الشمالية، مضيفاً إن تلك العقوبات ليست وحدها السبب في عرض كوريا الشمالية التفاوض للمشاركة في الأولمبياد ولكن هناك حواراً غير رسمي تم بين بيونج يانج مع الإدارة الأمريكية مؤخراً.

وأشار كيم إلى أن النظام في كوريا الشمالية يشترط تجميد المناورات العسكرية الكورية الجنوبية المشتركة مع أمريكا قبل تجميد برنامجها النووي غير السلمي، أو السماح بالتفتيش الدولي على مفاعلاتها النووية وهو أمر لن يحدث، ولن تقبل

تثير ردود أفعال قوية لدى الكثيرين»، مضيفاً «إننا نأمل في توحيد الكوريتين ولكنه موضوع معقد ولهذا لا بد من التركيز حالياً على الأمن والسلام»، مستدركاً «إن سول لديها نظام إنذار مبكر لتحديد المخاطر ومواجهتها خاصة الصواريخ بسبب التهديد النووي من جارتها الشمالية من أجل التأكد أن أي هجوم لن يحقق هدفه وهناك تعزيز للقدرة على الرد عسكرياً على أي هجوم».

وعندما سألت د. بيتر كيم أستاذ السياسة بجامعة كوكمين الكورية حول العلاقات بين سول وواشنطن أشار إلى أنها أساسية ولكن للأسف فإن الرئيس ترامب ليس لديه مستشارون متخصصون في الأزمة الكورية مما يؤثر على قدرة الإدارة الأمريكية للوصول لفكرة حقيقية عن الوضع الحالي في الأزمة الكورية، مضيفاً إن تلك الأزمة اكتسبت أهمية أكبر بعد تهديدات الزعيم الشمالي بضرب هاواي بالصواريخ بعيدة المدى

بيونج يانج لمزيد من تخويف كوريا الجنوبية واليابان من حجم مخاطر المشروع النووي لكوريا الشمالية، وبالتالي تثبيت النفوذ الأمريكي كدولة حامية للمنطقة أمام تزايد النفوذ الصيني، خاصة بعد تزايد المطالب بنقل القاعدة الأمريكية الأكبر في مدينة أوكيناوا اليابانية بسبب الحوادث المتكررة من الجنود الأمريكيين وكان آخرها اغتصاب طالبة يابانية، وهو نفس المنهج الذي اتبعه ترامب مع دول الخليج في الملف النووي الإيراني لعقد المزيد من صفقات الأسلحة. وقد أشار يا سوك جو، نائب وزير السياسات الدفاعية في كوريا الجنوبية عندما سألته حول تصريحات الرئيس الأمريكي العدائية تجاه كوريا الشمالية الأمر الذي يوجب الأزمة بأن «ترامب أثار غضب العديد من الكوريين عندما زار سول العام الماضي بسبب تصريحاته، وأنا أقرأ ما يكتبه ترامب يومياً على حسابه على تويتر وأدرك أن تصريحاته

تصريحات ترامب تثير الأزمات في شرق آسيا



به واشنطن ولا سول. واستبعد بيتر كيم إمكانية وقوع حرب بين الكوريتين لأن الخسائر ستكون كبيرة للغاية وبالتالي فكوريا الجنوبية ترفض أى سيناريو عسكري لحل الأزمة، مشيراً إلى أن كوريا هي التي تمتلك القرار في حالة السلم ولكن أمريكا هي التي سيكون لها الكلمة العليا في حالة الحرب.

وكذلك أشار لى مصدر مسئول بوزارة الخارجية اليابانية حول مدى علم اليابان بوجود حوار بين واشنطن وبيونج يانج «إننا نعلم أن هناك احتمال تواصل بشكل ما بينهما ولكن الحوار من أجل الحوار فقط سيكون بلا نتيجة حقيقية وغير هادف، ونحتاج لشرح وجهة نظرنا لكوريا الشمالية وأن نعرف نيتها الحقيقية من تطوير برامجها النووية والصاروخية من خلال حوار وتواصل هادف».

وحول دور الصين ذكر الياباني أنها أصبحت حذرة بعد التجارب النووية الأخيرة لكوريا الشمالية، وقد صوتت مع قرار زيادة العقوبات في مجلس الأمن. وحول تأثير تصريحات الرئيس الأمريكي المهددة لكوريا الشمالية أشار «إننا نشعر أنها قد تكون أحياناً مستفزة لكوريا الشمالية ولكن أفعال بيونج يانج أكثر استفزازاً بكثير من تلك التصريحات، فالمهم هو الأفعال وليس الأقوال».

التحالف العسكري الأمريكي الياباني لا غنى عنه

وبالنسبة لوجود رفض من

الشمالية في حالة نشوب حرب، أشار إلى «إننا لا نستطيع أن نكون أصحاب القرار وعلينا أن نراقب التوجه الأمريكي والذي لن يكون مناهضاً للقرارات الدولية والمهم الآن الاستمرار في الضغط على كوريا الشمالية وهو أمر مطلوب وضروري».

وتعكس تلك التصريحات حجم النفوذ الأمريكي وهو ما يظهر أيضاً واضحاً في المنطقة الحدودية بين الكوريتين حيث يطغى الوجود الأمريكي العسكري ويصطحب الزائرين جنود من القوات الأمريكية لشرح المنطقة وإعطاء الأوامر بعدم التصوير إلا في مناطق معينة وهو ما يعكس حجم الوجود الأمريكي وتأثيره.

وتعتبر الـ DMZ منطقة منزوعة السلاح يمنع وجود السلاح فيها باتفاق مشترك بين حكومتي الكوريتين، وتم إنشاء المنطقة في 27 يوليو 1953 بمشاركة الأمم المتحدة عند إعلان وقف إطلاق النار، وليس إنهاء حالة الحرب

بعض اليابانيين لاستمرار وجود القواعد الأمريكية بسبب الانتهاكات التي يقوم بها الجنود وحادثة سقوط طائرة، أشار مسئول بوزارة الدفاع اليابانية «إننا طالبنا الولايات المتحدة بالتحقق من مواصفات السلامة والأمان المناسبة، ونحن مستمرون في الاعتقاد أن الحلف العسكري الأمريكي الياباني مهم ولا غنى عنه لتحقيق الاستقرار في المنطقة ككل، ونحن نتواصل مع المواطنين اليابانيين لإطلاعهم على ما يتم»، مشيراً إلى أن لديهم ميزانية لا بأس بها للدفاع ولكن للأسف فإن اليابان غير قادرة على حماية نفسها بنفسها حالياً، والحوادث التي تمت من الجنود الأمريكيين أمر سيئ ولكن ذلك لن يؤدي لطلبنا بمغادرة القوات الأمريكية لأنه أمر غير واقعي، ونحن نتواصل مع المواطنين لنشرح لهم أهمية استمرار القواعد العسكرية الأمريكية». وحول ما إذا كانت اليابان قد توجه الضربة الأولى أم تنتظر الضربات الكورية

كوريا الشمالية والأخرى فى كوريا الجنوبية، حيث يجلس كل طرف مفاوض فى مكانه من الطاولة، وعقدت بالفعل عدة مفاوضات على تلك الطاولة استمر بعضها 11 ساعة متواصلة.

ويوجد فى المنطقة جزء من قطار قديم تعرض للتخريب إبان الحرب بين الكوريتين، وهو فى طريقه لكوريا الشمالية، يحتفظ به للتذكير بويلات الحرب، كما يوجد كوبرى اللاعودة الذى كان يربط البلاد، لكن تم تدميره. ورغم أنه تم بناء كوبرى جديد فى هذه المنطقة الحدودية، فإنه تم الإبقاء على جسر اللاعودة أيضاً، ووضع الكوريون العديد من الشرائط الملونة على الأسلاك الشائكة التى وضعت أثناء الحرب لفصل الدولتين، وهى تعكس رغبتهما فى التوحيد مع ذويهم بعد أن فرقتهما الحرب. كما وضعت أعمال فنية تعكس نفس الرغبة فى الاتحاد، ومنها نصب تذكارى يظهر دائرة منقسمة بداخلها خريطة كل من كوريا الجنوبية والشمالية، ويقف على أطرافها أشخاص يدفعونها للاكتمال مرة أخرى، ويوجد كذلك محطة قطار شهيرة تسمى «دروسان» أملاً فى أن تكون محطة الانطلاق إلى بيونج يانج، التى تبعد نحو 205 كيلومترات فقط من هذه المنطقة، ويحصل الزائرون على تذاكر رمزية، دليلاً على حسن نية كوريا الجنوبية تجاه الجارة الشمالية، والطريف أن المحطة افتتحها الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش عام 2002 كرمز للمصالحة.



فيها نظارات شمسية سوداء طوال الوقت لسبب معين، فجنود كوريا الشمالية اتهموا أحد الجنود التابعين للقوات الجنوبية على الحدود، أنه نظر بشكل سيئ إلى أحدهم فأوسعوه ضرباً وكادوا أن يقتلوه. ولمنع تكرار الحادث تم فرض ارتداء نظارات سوداء قاتمة بشكل موحد على جنود كوريا الجنوبية فى المنطقة الحدودية، والذين يتم اختيارهم بعناية شديدة، حيث يجب أن يكونوا طوال القامة ليعطوا انطباعاً بالقوة أمام الأشقاء الأعداء قصيرى القامة، بسبب سوء التغذية التى عانتها كوريا الشمالية.

ولقد قامت بيونج يانج من جانبها ببناء «سارى» لعلم كوريا الشمالية فى المنطقة الحدودية أكثر ارتفاعاً من جارتها الجنوبية، حيث يبلغ ارتفاعه 160 متراً، بينما حامل علم كوريا الجنوبية يصل إلى 100 متر فقط، ويوجد مقر للمفاوضات فى حجرة صغيرة بها طاولة على الحدود نصفها فى

بينهما، ويمنع وجود المدنيين فيها إلا بإذن خاص ومسبق، ويبلغ طول المنطقة 250 كيلومتراً وعرضها 4 كيلومترات، وتدار المنطقة من خلال قوات عسكرية مشتركة من الكوريتين والأمم المتحدة وتشارك فيها قوات أمريكية فى المقام الأول بجانب قوات رمزية من السويد وتركيا وكندا لتكون أكثر المناطق حشداً للعسكريين فى العالم. وقد زاد التأمين العسكرى خاصة بعد اكتشاف، بالمصادفة، لثلاثة أنفاق كبيرة، قامت الجارة الشمالية بشقها داخل الجبال الصخرية لغزو جارتها الجنوبية من خلالها، حيث تم اكتشاف أول نفق عام 1974 ثم فى العام الذى يليه تم اكتشاف النفق الثانى، وفى 1978 تم اكتشاف النفق الثالث، وأخيراً تم اكتشاف الرابع فى عام 1990 ولدى سول يقين أن هناك أنفاقاً أخرى لم يتم اكتشافها حتى الآن. والمنطقة الحدودية لها قوانينها الخاصة فيجب مثلاً أن يرتدى جنود كوريا الجنوبية

الصفقة النووية الإيرانية.. إلى أين؟

تفجر نزاع إيران مع المجتمع الدولي حول ملفها النووي منذ عام 2002، عندما قامت مجموعات المعارضة الإيرانية في الخارج بإبلاغ الوكالة الدولية للطاقة الذرية بأن حكومة طهران قامت ببناء مفاعلين نوويين في كل من ناتانز وأراك، وهو ما لم تكن طهران قد أبلغت الوكالة به (1).



سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

ومنذ عام 2003 بدأت عمليات التفاوض مع إيران، والتي شهدت شداً وجذباً وفترات توقف وضغوطاً عديدة مورست على حكومة تلك الدولة شملت عقوبات اقتصادية وتجارية. فبعد مفاوضات مكثفة استمرت نحو 20 شهراً، وقعت إيران ومجموعة دول 1+5 (الدول النووية الخمسة المعترف بها وهي الأعضاء الخمس الدائمين بمجلس الأمن وألمانيا) والاتحاد الأوروبي، في 14 يوليو 2015 في فيينا، ما يعرف بـ«خطة العمل المشتركة الشاملة» وذلك بعد اتفاق مؤقت بين الطرفين وقع في 24 نوفمبر 2013 في جنيف، وافقت إيران بموجبه على وقف بعض الأنشطة في برنامجها النووي مقابل تخفيف بعض العقوبات المفروضة عليها، وبدأ تنفيذ ذلك بالفعل في 20 يناير 2014، مدت بعدها المباحثات حتى 24 نوفمبر 2014 ثم إلى الأول من يوليو 2015، وبعد توصل الطرفين إلى اتفاق إطارى في 2 إبريل 2015 في لوزان، وهو الاتفاق الذى استندت عليه خطة العمل المشترك. وقد وصفت الصفقة بالتاريخية وبأنها نجاح كبير للدبلوماسية الدولية أمكن من خلالها تجنب شن الحرب. وقد أكد المفاوضون أن الصفقة، ارتكزت

بصفة أساسية على الأحكام التى تضمنها نظام منع الانتشار وفقاً لمعاهدة منع الانتشار النووى ، ونظم ضمانات الوكالة الدولية للطاقة الذرية ونعرض فيما يلى مضمون حقوق والتزامات الأطراف بموجب الصفقة، وتطورات الموقف الأمريكى منها وردود فعل أطرافها على هذا الموقف، ووجهة النظر الإسرائيلية فى هذا الشأن، وفرص استمرار العمل بالاتفاق. مضمون حقوق والتزامات الأطراف بموجب الصفقة وفقاً لبنود الصفقة، تحتفظ إيران بقدرات لتخصيب اليورانيوم، اكتسبتها بالمخالفة لالتزاماتها بموجب معاهدة منع الانتشار النووى وقرارات مجلس الأمن ذات الصلة التى صدرت نتيجة لذلك، وهى قرارات المجلس أرقام: 1969/2006

و1731/2006 و1747/2006 و1803/2008 و1835/2008 و1929/2010، والتى أوقف المجلس العمل بها بموجب قراره رقم 2231 الصادر فى 20 يوليو 2015، والذى أقر الصفقة. وفى المقابل تضع الصفقة البرنامج النووى الإيرانى بأكمله تحت نظام خاص للرقابة والتفتيش على أساس نصوص الصفقة ذاتها وخريطة الطريق والبروتوكول الإضافى للمعاهدة، الذى التزمت إيران بتوقيعه فيما بعد. وقد كلف فريق مفتشى الأمم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية بمراقبة كل عناصر ومراحل عملية التخصيب، ابتداءً من استخراج المادة الخام من المناجم ومروراً بتخزينها واستخدامها وإنتاج الوقود اللازم لتشغيل المفاعلات. ومما لا شك فيه أن احتفاظ إيران بالحق فى التخصيب، هو المكسب الأكبر الذى خرجت به من الصفقة النووية، فقد تمسكت إيران خلال المفاوضات بأن المعاهدة تقر للدول الأطراف الحق فى التخصيب وأنها لن تتنازل عن هذا الحق وكان لها ما أرادت، وإن كان ذلك بنسبة منخفضة (3.67٪). ومن المعلوم أن الولايات المتحدة لا تعترف بهذا الحق فى

المعاهدة. وفى الاتفاق المؤقت الموقع 24 نوفمبر 2013، وكذلك فى بنود الصفقة، اعترفت واشنطن وشركاؤها من مجموعة 1+5 بأن لدى إيران برنامج تخصيب وأنها ستحتفظ ببرنامج محدود فى هذا الشأن يغطى «احتياجاتها العملية» اللازمة لأنشطتها النووية السلمية، ويعنى ذلك أن الولايات المتحدة، وإن اعترفت بوجود برنامج تخصيب لدى إيران إلا أنها لم تعترف بحقها فى ذلك بموجب المعاهدة. وقد حرص وزير الخارجية الأمريكى السابق جون كيرى على التأكيد - سواء بعد توقيع الاتفاق المؤقت فى نوفمبر 2013 أو وقت توقيع الصفقة النهائية- على أن سياسة واشنطن لم تتغير فى هذا الشأن وأنه «لا يوجد حق موروث فى التخصيب». ولقد لقي موقف مجموعة 1+5 من المسألة - ولا يزال- انتقادات حادة لاسيما من اليمين المحافظ فى الولايات المتحدة وكذلك من إسرائيل، خاصة وأن قرارات مجلس الأمن السابقة ذات الصلة، التى أوقف قرار مجلس الأمن رقم 2231 العمل بها، كانت تحظر على إيران تخصيب اليورانيوم. ويشير هؤلاء إلى أن قرارات المجلس التى اتخذها بموجب صلاحياته فى إطار الفصل السابع من الميثاق ينظر إليها عادة كقواعد قانونية دولية ملزمة، على نحو ما تنص عليه المادة 25 من ميثاق الأمم المتحدة التى تؤكد أن جميع الدول الأعضاء فى المنظمة «اتفقت على قبول وتنفيذ قرارات مجلس الأمن». وتضيف الانتقادات أن إقرار الحق فى التخصيب

لإيران، (والتي لا تمنحها المعاهدة هذا الحق)، يشكل سابقة يمكن استخدامها من جانب دول أخرى، كما وأن هذا الحق سيجعل تلك الدول قريبة جداً من صناعة سلاح نووى .

ووفقاً للصفقة التزمت إيران بتخفيض مخزونها من اليورانيوم منخفض التخصيب من 10 أطنان إلى 300 كجم. كذلك لن تتمكن طهران من إنتاج رؤوس نووية تعمل بالبلوتونيوم للخمسة عشر عاماً القادمة على أساس أنها سوف تعيد تصميم مفاعلها النووى الذى يعمل بالماء الثقيل فى أراك، وأنه محظور عليها بناء مفاعلات مماثلة، كما ستتخلص من أى وقود مستنفد لمثل هذه المفاعلات. ومن المهم الإشارة إلى أن كل هذه الشروط الفنية كان قد تم الاتفاق عليها بالفعل فى 2 إبريل 2015 فى إطار الاتفاق الإطارى الذى وقع فى لوزان.

وفى مقابل الالتزامات السابقة، تنص الصفقة على رفع الجزاءات المفروضة على إيران تدريجياً، وبما يتماشى مع تنفيذ التزاماتها على مراحل ووفقاً لخطوات يتم التحقق منها من جانب الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

وجاءت الخطوة الأولى فى رفع الجزاءات مع بدء الموافقة على الصفقة من جانب مجلس الأمن - أو ما يسمى بيوم الاعتماد- بموجب قرار المجلس رقم 2231 فى 20 يوليو 2015، وهو اليوم التالى لمرور 90 يوماً على قرار المجلس، الذى نصت الفقرة العاملة (21) منه على إلغاء العمل بالعقوبات التى فرضت على إيران

بموجب قرارات ستة سبق للمجلس أن أقرها فى الفترة ما بين عام 2006 وحتى عام 2010، ضمن صلاحياته بموجب الفصل السابع من الميثاق. وقد سمحت مهلة الـ 90 يوماً، المشار إليها عالياً، لمجموعة 1+5 بمراجعة الصفقة داخلياً.

ويعد تاريخ 16 يناير 2016 هو يوم تنفيذ الصفقة وهو اليوم الذى أعلنت فيه الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن إيران اتخذت الخطوات المنصوص عليها فى الصفقة لتقييد برنامجها النووى والسماح لمفتشى الوكالة بمراقبة وتفتيش منشآتها ذات الصلة. وبحلول ذلك التاريخ دخل قرار مجلس الأمن رقم 2231 حيز النفاذ، وبالتالي فإنه فى يناير الماضى يكون قد مضى عامان على بدء تنفيذ الصفقة النووية الإيرانية. ومع ذلك، هناك جزاءات أمريكية ظلت نافذة، حيث تنظر الحكومة الأمريكية إلى إيران كدولة راعية للإرهاب ومنتهكة لحقوق الإنسان، كما تتهم إيران بالتدخل فى شئون حلفاء الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط . ووفقاً للاتفاق يتم رفع كامل العقوبات بشكل تدريجى على مدى عشر سنوات كما سيظل ممكناً إعادتها بشكل تلقائى على مدى (15 عاماً) فى حال أخلت إيران بالتزاماتها. وتشير القراءة المتعمقة لبنود الصفقة إلى أن الالتزامات التى تضمنتها هى التزامات من طبيعة سياسية، كما أنها تفتقد إلى الصفة الإلزامية، بل ويمكن التراجع عنها بالإرادة المنفردة بجانب كون بعضها مؤقتاً:

الصفقة النووية الإيرانية.. إلى أين؟

فهناك توافق بين الخبراء على أنه لا يوجد في الصفقة أى عنصر يمنع إيران من التوجه نحو تطوير سلاح نووى. ومع ذلك فإن قراءة عناصر الصفقة ككل، بما فيها القيود على الأنشطة النووية وصلاحيات الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مجال التحقق والرقابة، توضح إننا بصدد نظام شامل يضع الأسلحة النووية بعيداً عن متناول يد إيران لمدة خمسة وعشرين عاماً على الأقل. وقد أقر الجانب الأمريكى بحقيقة أن طموحات إيران النووية قد تم تجميدها لفترة تتراوح ما بين عشرة وخمسة عشر عاماً قادمة، مشيراً إلى أن ذلك بمثابة ميزة حقيقية للولايات المتحدة بموجب الصفقة، «التي أنجزت بفضل دبلوماسية صعبة وليس حرباً».

وفى المقابل، تؤكد قراءة بنود الصفقة أنها، أو قرار مجلس الأمن رقم 2231 الذى أقرها، لا تمنع - من الناحية القانونية البحتة - من قيام الولايات المتحدة الأمريكية أو أى طرف آخر من مجموعة الـ 1+5 من أن يعيد، بالإرادة المنفردة، فرض الجزاءات، التي تضمنتها قرارات مجلس الأمن الستة الملغاة بموجب القرار رقم 2231، على إيران مجدداً، وذلك إذا ما ارتأت أى من هذه الدول أن طهران لم تنفذ تعهداتها بموجب الصفقة. وفى هذه الحالة، ووفقاً للقرار 2231، سيكون على أعضاء مجلس الأمن التصويت على مشروع قرار جديد إما

بالاستمرار فى مد إلغاء القرارات الستة (الملغاة) أو استئناف العمل بها، وذلك خلال ثلاثين يوماً من تلقى المجلس إخطاراً «بمسألة يرى طرف من أطراف الصفقة أنها تشكل عدم امتثال جوهرى، للتعهدات التى التزمت بها إيران وفقاً للصفقة. وفى حالة عدم إصدار المجلس قراراً جديداً بمد الإلغاء، سيعاد العمل بالقرارات الستة تلقائياً فى غضون ثلاثين يوماً».

تطورات الموقف الأمريكى من الصفقة وردود فعل أطرافها:

فى 17 سبتمبر 2015 انتهى مجلس الشيوخ الأمريكى من عملية مراجعة الصفقة بعد شد وجذب بين أعضاء المجلس من الجمهوريين وإدارة الرئيس أوباما التى استخدمت عدداً من الحجج لحث المجلس على الموافقة على الاتفاق أبرزها أن رفض الصفقة من قبل مجلس الشيوخ يبعث برسالة للعالم مفادها أنه لا يمكن الاعتماد على الولايات المتحدة فى تنفيذ معاهدات منع الانتشار النووى التى تتفاوض عليها الإدارة. وبذلك سوف يقطع المجلس الطريق، ليس فقط على أوباما فى محاولته تأمين صفقة أفضل مع إيران، بل أيضاً أية مساع مستقبلية من الرئيس لمنع الانتشار النووى من خلال الوسائل الدبلوماسية. ولعل منع المجلس الحكومة الأمريكية من تنفيذ التزاماتها بموجب الصفقة، يحمل فى طياته مخاطر انهيار نظام الجزاءات الذى وقعت عليه إيران، حيث أن الدول الأخرى التى وقعت الصفقة والتزمت بها

تعهدت برفع هذه الجزاءات عن إيران بغض النظر عن موقف واشنطن، وفى هذا السياق أشير إلى أن السياسات الإيرانية، حتى قبل وصول الرئيس حسن روحانى للحكم عام 2013، قد ساهمت فى استمرار التوافق الغربى/الروسى حول استمرار العقوبات ضد إيران. كذلك فإن وصول روحانى بدبلوماسيةيته وتجاوب طهران مع ضغوط مجموعة الـ 1+5، التى أضيرت اقتصادياً وتجارياً نتيجة فرض عقوبات على طهران، بجانب شركاء إيران التجاريين ممن انضموا لنظام الجزاءات، بما فيهم العديد من دول الاتحاد الأوروبى وكوريا الجنوبية واليابان والهند. كل هذا بات عنصراً ضاعطاً على هذا التوافق، الذى زادت مخاطر انفراط عقده. فقد تحملت معظم هذه الدول أعباء الجزاءات فقط لأنها اعتقدت أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تتعامل مع الملف النووى الإيرانى وتتفاوض عليه بحسن نية لتسويته دبلوماسياً. وبالتالي فعدم توقيع واشنطن على الاتفاق يقوض الثقة فيها ويسقط نظام الجزاءات.

والواقع أن الحملة التى قادها - ولا يزال - المحافظون وأصدقاء إسرائيل فى الولايات المتحدة، بعد أن فشلت فى وقف الصفقة، ركزت جهودها فى اتجاه تجميد تنفيذ بنودها على أمل أن يقوم الرئيس القادم بإعادة فتح الملف. وبالتالي برزت الصفقة كإحدى القضايا الجدلية فى حملة الانتخابات الرئاسية، حيث وصفها المرشح الجمهورى ترامب «بالصفقة الكارثية»، كما لم يخف

ترامب رغبته في التخلص منها أو تقويضها من خلال إعادة النظر فيها. وفي خطاب تنصيبه في 20 يناير 2017 أشار ترامب إلى الشيء ذاته. ومع ذلك، امتنع ترامب عن المساس بالاتفاق، حيث صدق مرتين، كل 90 يوماً وفقاً للقانون الأمريكي، خلال الأشهر الثمانية الأولى من ولايته على امتثال إيران لهذا الاتفاق، وظل يعفيها من العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها، والتي وافقت الولايات المتحدة على رفعها كجزء من الاتفاق. وفي 14 أكتوبر 2017 قرر ترامب عدم التصديق على الاتفاق وإرساله إلى الكونجرس للنظر في فرض المزيد من العقوبات على إيران، كما هدد أعضاء الكونجرس والشركاء الدوليون في الصفقة، أنه في حال «لم نتمكن من التوصل إلى حل، فإن الاتفاق سيكون ملغياً». وفي منتصف يناير 2018، فعل ترامب الشيء ذاته رافضاً التصديق على الصفقة بدعوى أن ذلك يحقق مصالح الأمن القومي الأمريكي، وأنه بذلك يتيح للكونجرس إمكانية فرض مزيد من العقوبات على إيران بسبب برنامجها الصاروخي، وأن هناك عدداً لا يستهان به من الأعضاء على قناعة بأن الصفقة النووية الإيرانية أتاحت الفرصة لطهران للتوسع في الإقليم وتطوير قدراتها الصاروخية «ونشر الإرهاب في الشرق الأوسط» حسبما ذكر وزير الدفاع الأمريكي جيمس ماتيس. وفي خطابه حول حالة الاتحاد في مطلع فبراير 2018، أعاد ترامب دعوة الكونجرس إلى التعامل مع ما أسماه بـ«أوجه الخلل الرئيسية

في الصفقة النووية الإيرانية السيئة»، مردداً ما سبق أن ذكره من أنه سينسحب من الاتفاق ما لم يقيم الكونجرس وأوروبا بالاتفاق على فرض قيود جديدة على إيران. وقد أثار موقف ترامب خلافاً داخل إدارته ذاتها حيث أكد وزير الدفاع ماتييس ورئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال جوزيف دانفورد أن طهران ملتزمة بالاتفاق النووي مع الدول الكبرى محذراً من أن انسحاب واشنطن منه سيؤثر سلباً على مصداقية الولايات المتحدة ويثني الدول الأخرى عن إبرام اتفاقيات معها. بل إن المندوبة الأمريكية لدى الأمم المتحدة نيكى هايلي لفتت إلى أن بلادها «باقية في الاتفاق»، مضيفاً أن إدارة ترامب تريد التوصل إلى رد «متناسب مع تصرفات طهران»، مبررة متابعة الولايات المتحدة للاتفاق عن كتب بتصاعد التوتر مع بيونج يانج بسبب برنامجها النووي، وزادت: «ما نقوله الآن في ما يتعلق بإيران هو: لا تسمحوا لها بأن تكون كوريا الشمالية المقبلة». وأقرت بأن الإيرانيين «لا ينتهكون الاتفاق»، واستدركت: «علينا أن نحاسبهم، ولا يمكن أن يواصلوا دعم الإرهاب في العالم، ولا الاستمرار في اختبار صواريخ باليستية، ستؤدي إلى إيران نووية ولا يمكنهم مواصلة تهريب أسلحة».

وقد جاءت ردود فعل شركاء الولايات المتحدة في الاتفاق فوراً، حيث انتقدت فيدرিকা موجيريني المفوضة الأوروبية للسياسة الخارجية موقف ترامب، مؤكدة أن الاتفاق النووي مع

إيران «ليس اتفاقاً ثنائياً»، وهو لا ينتمي لأي بلد، وليس من حق أية دولة أن تنهى العمل به». كما أصدر قادة بريطانيا وفرنسا وألمانيا بياناً مشتركاً، أكدوا فيه أنهم «باتوا ينتبهون لقرار ترامب، ويخشون من الآثار المحتملة له» وأضافوا: «نشجع الإدارة الأمريكية والكونجرس على النظر في الآثار المترتبة على أمن الولايات المتحدة وحلفائها قبل اتخاذ أية خطوات من شأنها أن تقوض خطة العمل الشاملة المشتركة، مثل إعادة فرض العقوبات التي تم رفعها عن إيران بموجب الاتفاق». وأوضح بيان الدول الثلاثة أن خطة العمل المشتركة هي المحصلة النهائية لأكثر من عقد من المفاوضات، وأنهم سيواصلون الالتزام بالاتفاق. وفي هذا السياق، جاء رد الفعل الروسي والصيني، حيث رفضا الموقف الأمريكي، وأكدت الدولتان التزامهما الكامل بالاتفاق.

أما بالنسبة لإيران، فقد صرح المتحدث باسم الحكومة محمد باقر نوبخت إن «الولايات المتحدة وحيدة، والعالم الآن يؤيد موقف إيران التي تمثل إنجازها في فرض العزلة على أمريكا». وأضاف أن «اسم ترامب بات مرادفاً للعدائية والبذاءة، وبلادنا ليست في ظروف تعطى النفط مقابل الغذاء». وقد رفض كبار المسؤولين الإيرانيين في بياناتهم أي ربط بين الاتفاق النووي والملفات الإقليمية أو بالبرنامج الصاروخي الإيراني.

كذلك فشلت جهود السفارة الأمريكية في الأمم المتحدة في إقناع الوكالة الدولية للطاقة الذرية

الصفقة النووية الإيرانية.. إلى أين؟

بالمطالبة بزيارة منشآت عسكرية في إيران، واستغلال ذلك فيما بعد لرفض إيران المتوقع لهذه الزيارة بإعلان إلغاء الاتفاق النووي، وهو ما يؤكد إدراك الإدارة الأمريكية بأنها لا تملك دليلاً قاطعاً يمكن أن يساعدها. في الادعاء بخرق طهران للاتفاق، على خلاف ما تؤكد الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

الموقف الإسرائيلي

كما هو معلوم، سعت إسرائيل على مدى سنوات - استناداً إلى تقييمها للاتفاق النووي مع إيران بأنه ينطوي على خطر استراتيجي كبير لها على المدى البعيد - إلى إجهاد الاتفاق، مستخدمة في ذلك أصدقاءها داخل الولايات المتحدة والتهديد بتدمير المنشآت النووية الإيرانية، وغيرها من أساليب الضغط على إدارة أوباما، إلا أن هذا الضغط لم يسفر عن شيء، حيث نجح أوباما في تمرير الصفقة في الكونجرس على نحو ما سبقت الإشارة إليه. وقد عبر «معهد أبحاث الأمن القومي» الإسرائيلي بجامعة تل أبيب عن موقف إسرائيل الحالي من الاتفاق النووي مع إيران بدراسة الواقع الإستراتيجي الشامل إزاء هذه الدولة في الوقت الحالي، حيث خلص إلى القول بأن الضرر المترتب على قرار أمريكي بالانسحاب من الاتفاق النووي يفوق الفائدة المتوقعة من هذا القرار. وتضيف دراسة المعهد أنه يتعين على الولايات المتحدة اليوم قيادة جهود دولية لممارسة

الضغط على إيران، من خلال الإصرار على تطبيق الاتفاق بصورة كاملة ودقيقة، ثم معاقبة إيران على أعمالها وخطواتها المتحدية والاستفزازية في المجالات التي لا تشكل جزءاً من مشروعها النووي. ووفقاً للتحليل الذي أجراه المعهد الإسرائيلي فإنه رغم الاختلاف بشأن جودة الاتفاق ومدى قدرته على منع إيران من امتلاك سلاح نووي، إلا أن هناك توافقاً على أنه يشكل، في الوقت الحالي، حقيقة ناجزة وأن الشركاء الآخرين فيه يعارضون إعادة فتحه من جديد. ومن شأن خطوة أمريكية للخروج منه من جانب واحد في الوقت الراهن أن تسبب احتكاكاً وتوتراً بين الإدارة الأمريكية وحكومات تلك الدول وأن تتيح للنظام الإيراني استغلال انسحاب الولايات المتحدة لمصلحته.

ويؤسس معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي موقفه هذا على اعتبار أن انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق يشكل خطراً على القدرة الحالية على محاصرة وتقييد المشروع النووي الإيراني على امتلاك السلاح النووي تبعاً لذلك. وفي ضوء إمكان ممارسة الضغوط على إيران اليوم فيما يتعلق بتطبيق الاتفاق دون إعادة التفاوض عليه ومن دون انسحاب الولايات المتحدة منه، ومن الأجدر، بل من الحيوي استنفاد هذا المسار الآن.

في السياق عاليه، خلص تحليل المعهد الإسرائيلي إلى التوصية بعدم إعادة فرض العقوبات ضمن إجراء يعنى عملياً انتهاك الاتفاق، وإنما مطالبة إيران بتطبيق الاتفاق

كاملاً ومطالبة الوكالة الدولية للطاقة النووية بتشديد المراقبة والتفتيش على التطبيق ونشر جميع نتائج التفتيش والمراقبة كما كان متبعاً في الماضي، وذلك من أجل تعزيز الشفافية بشأن التطبيق الإيراني للاتفاق، ورفع الوعي الدولي للانتهاكات الإيرانية لقرارات مجلس الأمن الدولي ومطالبة جميع الدول الشريكة في الاتفاق النووي بالانضمام إلى العقوبات جرّاء هذه الانتهاكات. في هذا الإطار، العمل من أجل إصدار قرار جديد في مجلس الأمن الدولي يعيد تأكيد الحظر الوارد في قرارات سابقة على تنفيذ أي عمل، بما في ذلك التطوير، الإنتاج أو إجراء تجارب على صواريخ باليستية وصواريخ موجهة قادرة على حمل رؤوس نووية حربية، إلى جانب عزل النظام الإيراني وممارسة الضغوط عليه على خلفية انتهاكاته لحقوق الإنسان بصورة عامة، وقمع التظاهرات الأخيرة بصورة خاصة. في هذا الإطار، يجب على الولايات المتحدة استنفاد جميع العقوبات والأدوات التي يخولها إياها البندان 402 و 403 في قانون «تخفيض التهديد الإيراني وحقوق الإنسان في سوريا» ضد الجهات التي تساهم في انتهاك حقوق الإنسان في إيران، فضلاً عن فرض عقوبات ثنائية أمريكية على النظام الإيراني جرّاء هذه الانتهاكات، إلى جانب تجنيد الدول الأخرى المشاركة في الاتفاق وغيرها من الدول لتبني هذه العقوبات وتطبيقها. ومن المهم الإشارة إلى تأكيد العديد من الساسة الإسرائيليين أنه في

المدى البعيد يجب أن يكون تعديل الاتفاق وتطويل فترة التفكير في البديل المفضل، هدفاً إسرائيلياً أمريكياً، وأنه من أجل تحقيق هذا الهدف، ومواجهة التهديدات التي ينطوى عليها الاتفاق الحالي، هناك حاجة إلى معركة دبلوماسية مسبقة وتنسيق إسرائيلي-أمريكي محكم.

والخلاصة هي أن مصير الصفقة مرهون الآن بالكيفية التي ستتفاعل بها أوروبا مع الولايات المتحدة ومع إيران. وعلى حين يبدو الموقفان الروسي والصيني من الصفقة محسوماً برفض إعادة النظر فيها، سعت الدول الأوروبية إلى حث إدارة ترامب على عدم

الانسحاب من الصفقة، وذلك رغم انضمام بعض المسؤولين الأوروبيين إلى نظرائهم الأمريكيين في انتقاد برنامج إيران الصاروخي وسياساتها الإقليمية. ويتردد أن هناك مجموعة عمل تشاورية من الجانبين لمناقشة طلب ترامب في هذا الشأن. والواقع أن تهديدات ترامب بالانسحاب من الاتفاق تستهدف أساساً خلق توافق غربي حول فرض عقوبات جديدة متعددة الأطراف على إيران بسبب سياساتها الإقليمية وبرنامجها الصاروخي. وهناك تقديرات إيرانية عديدة تشير إلى أن الصفقة يمكن أن تسقط في حالة انضمام أوروبا إلى الولايات المتحدة في

فرض عقوبات اقتصادية جديدة على إيران. وفى تقديرى فإن شبكة العلاقات المضطربة القائمة بين إدارة ترامب والأوروبيين والروس لن تتيح الدفع قدماً ببلورة أى توافق حول إنشاء جبهة موحدة فى مواجهة إيران لإسقاط الاتفاق، والذي تعكس مواقف أطرافه بصفة عامة- بما فيها الموقف الرسمي الأمريكي- حرصاً واضحاً على استمرار العمل به رغم حملة الضغوط الأمريكية القوية على إيران بسبب برنامجها الصاروخي وسياساتها الإقليمية

المراجع:

- لمزيد من التفصيل راجع : Iran's strategic weaponry Programmer: A net Assessment, 16 (Gary samara ed.2005 .
- انظر في ذلك : Dan Joyner: Guest post: The joint comprehensive plan of action regarding Iran's Nuclear Program, July 15th , 2015 . <http://opiniojuris.org/2015/07/15/guest-post-the-hoint-comprehensive-plan-of-action-regarding-irans-nuclear-program/15/7/2015> . Iran, World powers reach historic nuclear deal <http://www.washingtonpost.com/world/national-security/iran-wants-right-to-enrich-uranium-recognized-as-part-of-agreement-western-powers-wary/2013/11/22/ee7e46a8-5370-11e3-9e2c-e1d01116fd98-story.html>
- انظر في ذلك : (George Perkovich and others: parsing the Iran Deal, Carnegie Endowment for International peace (August8,2015 - اعتمدها الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها رقم 2373 الصادر في دورتها الثانية والعشرين في 12 يونيو 1968 ودخلت حيز النفاذ عام 1970. حول الأعمال التحضيرية للمعاهدة والمبادئ التي قامت عليها . وما تضمنته من التزامات انظر: Shaker (Mohamed. I) The Treaty on the non-proliferation of nuclear weapons : A study based on five principles of UN general Assembly Resolution 2028 (xx) - I'Universite de Geneve, Imprimerie Aveni S.A.1976 .The Nuclear non-proliferation treaty, origin and implementation. 3 vols ocean publications, INC.1980 - David ER. Sanger Gladstone - راجع في ذلك : Arms Control Association: frequently asked questions about the Iran Deal-part One , Vol.7, No.10 August 31, 2015 - انظر : David s. JONAR: International law vs. The Iranin Nuclear Negotiations: salting a dangerous precedent , commentary (<http://waronthe-rocks.com/category-commentary>), May 15, 2015
- استمرت إيران على قائمة الدول الراعية للإرهاب الدولي، وفقاً لآخر تقارير الولايات المتحدة في هذا الشأن (تقرير عام 2016)، بجانب كل من السودان وسوريا. ويشير التقرير إلى دعم إيران لمنظمات مثل حزب الله في لبنان وحماس في فلسطين ومليشيات شيعية في العراق، إلى جانب دعمها نظام الأسد في سوريا. ويضيف التقرير أن رعاية الدولة الإيرانية للإرهاب في جميع أنحاء العالم مازالت مستمرة من خلال قوة فيلق القدس التابعة للحرس الثوري، ووزارة المخابرات والأمن وحزب الله.
- راجع في ذلك : (How Binding is the Iran Deal? – Arms control Association (<https://www.armscontrol.org.2015/08> - راجع في ذلك تصريحات نيكولاس بيرنز Burns Nicolas مساعد وزير الخارجية الأمريكي الأسبق، وأحد أعضاء فريق التفاوض الأمريكي مع إيران في : Rick Gladstone, William J. Board : Iran meets terms of Nuclear deal ending sanctions , the New York Times , Jan. 17, 2016, p.A1 - انظر في ذلك : How binding is the iran Deal? Interview with John B. Bellinger3, council of foreign Relations, July 23, 2015 - راجع: Peter Huessy : Will the Mullah's Missiles Boakfire ? the Begin – Sadat Center for Strategic Studies , Jan, 26, 2018- BESA Center Perspectives paper No 725 - راجع تقرير المعهد في : <http://www.palestine-studies.org/ar/daily/mukhtararview/22677#226777> -

انتفاضة إيرانية متعددة الأبعاد

لقد شهدت إيران انتفاضة شعبية قوية متعددة الأبعاد على مدى نحو ثمانية أيام بدأت في 28 ديسمبر 2017 وامتدت إلى يناير عام 2018. وقد كان لهذه الانتفاضة عدة أبعاد لعل أهمها وأقواها الأبعاد الداخلية التي أطلقت شرارتها ثم التقطتها الأبعاد الخارجية لعدة دول ولمنظمات وشخصيات إيرانية معارضة في الخارج وعملت على استثمارها، بل أضفت عليها آمالاً وتوقعات كانت في إطار من التسرع في الأحكام التي لم تتجاوز حدود التصريحات والكلام في معظم الأحيان، ولكنها عبرت بوضوح عن وجود حالة من الترقب الذي يقترب من التربص لأية بادرة تغيير في إيران.

ومدناً أخرى، وقد تعاملت الشرطة برفق مع المتظاهرين في البداية، واستطاعت أن تقض عدة مظاهرات ولم تعتقل إلا أعداداً محدودة من المتظاهرين الذين اتهمتهم بالقيام بأعمال عدوانية. وقد صدر أول اتهام من نائب رئيس الجمهورية، وجهه إلى الأصوليين، بأنهم وراء تدبير المظاهرات ضد الحكومة وسياساتها، وحذرهم قائلاً «إنهم سيحرقون أصابعهم».

وقد جاء في بيان صادر عن الحرس الثوري الإيراني، أنه لن يسمح بتعريض البلاد لمكروه. ودعا إلى وعي وطني لمواجهة ما أسماه مؤامرات جديدة من العدو، ولمح إلى تأمر خارجي على النظام، وأن الاحتجاجات - على محدوديتها على حد تعبير البيان - والشعارات التي أطلقت خلالها، تعبر عن مزاج شعبي غاضب من انخراط متزايد لإيران في أزمات المنطقة، بينها سوريا والعراق ولبنان واليمن، وأهمها حاجات الشعب الذي يعاني وضعاً معيشياً صعباً. وحذر من خطط مضمري الشر لإيران.

وقد طالب المتظاهرون في كرمينشاه في غرب إيران بإطلاق سراح السجناء السياسيين، وهتفوا «الحرية أو الموت» وأتلفوا بعض الممتلكات العامة، وكان بعض المتظاهرين يصرخ قائلاً «الناس تتسول ورجال الدين يتصرفون مثل الآلهة» وقد استطاعت الشرطة تفرقتهم.

وتناول خطيب الجمعة في مدينة مشهد وهو ممثل المرشد الأعلى في المدينة وعضو في مجلس خبراء القيادة - الأحداث في خطبته وقال إن الناس محقون في احتجاجاتهم على غلاء



سفير رخا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

حيث تدفق الاستثمارات الأجنبية أو من زيادة تصدير البترول والغاز والأحجار الكريمة، واستهلكت الحكومة جزءاً كبيراً من الأموال التي كانت مجمدة وأفرج عنها في تجديد وتحديث معدات إنتاج البترول، وأسطول الطيران المدني، والإنفاق العسكري، سواء الداخلي أو على انخراط إيران في أزمات امتدت لأكثر من 7 سنوات في سوريا واليمن. بل أكثر من ذلك فقد طلبت الحكومة زيادة أسعار الطاقة وفرض ضرائب جديدة على المواطنين لتخفيض عجز الموازنة العامة. وقد جاء ذلك بمثابة صب البنزين على النار بالنسبة للطبقات الفقيرة والمتوسطة ولم يكن أمامها إلا الخروج في تظاهرات تعبيراً عن احتجاجها على سياسات الحكومة. ووفقاً لمركز الإحصاءات الإيراني، فقد بلغت نسبة البطالة 12.4% في السنة المالية الحالية، بزيادة نحو 1.4% عن العام الماضي، وأن عدد المتعطلين عن العمل قد بلغ نحو 3.2 مليون شخص من إجمالي عدد السكان 80 مليون نسمة. وقد اتسع نطاق التظاهرات في اليوم الثاني ليشمل العاصمة طهران،

انطلاق الانتفاضة وتطوراتها:

انطلقت الانتفاضة الإيرانية يوم 28 ديسمبر 2017 في مدينة مشهد، وهي ثاني أكبر المدن الإيرانية، حيث شارك في التظاهرات مئات الإيرانيين للاحتجاج على ارتفاع الأسعار، ورددوا شعارات معادية للحكومة. ثم اتسعت الاحتجاجات لتشمل مدناً أخرى. وقد هتف المتظاهرون صائحين «الموت لروحاني»، و«الموت للديكتاتور» كما هتفوا «غادروا سوريا.. فكروا بنا».

وتدل هذه الشعارات على انتقادات لسياسات الحكومة والرئيس حسن روحاني، والمرشد الأعلى للثورة الإسلامية الإيرانية على خامنئي، وتشير إلى أن ضلوع إيران في سوريا يأتي على حساب الاهتمام بحياة ومعيشة الشعب الإيراني الذي يعاني من ضائقة اقتصادية شديدة، بينما تقدم الحكومة الإيرانية دعماً اقتصادياً للنظام السوري، وحزب الله في جنوب لبنان والحوثيين في اليمن.

وقد كتب أحد المراقبين الإيرانيين أنه من غير الواضح من هو الشخص أو الجماعة التي نظمت هذه الاحتجاجات، وإن كانت معظم الشعارات موجهة ضد الرئيس روحاني، وقد تم تداول رسالة تدعو إلى عدم التظاهر بسبب ارتفاع الأسعار.

ويلاحظ أن غالبية الشعب الإيراني توقعت أن تشهد البلاد حالة من الانفراج الاقتصادي وخفض للبطالة بزيادة الاستثمارات وزيادة فرص العمل، نتيجة رفع العقوبات الاقتصادية عن إيران عقب توقيعها الاتفاق النووي مع الدول الكبرى. ولكن ما تحقق لم يرق إلى مستوى هذه الطموحات سواء من



الإقامة الجبرية منذ عهد الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد.

وقد أبدى الرئيس روحاني ثقته بأن الإيرانيين يتفهمون الموقف الحساس لإيران والمنطقة، وأنهم سيعملون على أساس المصالح الوطنية، وأكد أمام مجلس الوزراء، أن الانتقاد والاحتجاج حق للشعب، لكن يجب ألا يؤدي إلى العنف، وأن الذين ينعنون الإيرانيين بأنهم إرهابيون لا يستحقون أي تعاطف.

ويلحظ أن الحكومة اتبعت سياسة «العصا والجزرة» في محاولة لاستعادة المبادرة في الشارع. إذ توعدت المتظاهرين بدفع ثمن باهظ لمشاركتهم فيما اعتبرته مؤامرة أجنبية مناهضة للنظام، ولكنها عمدت في الوقت ذاته إلى تلبية بعض المطالب الشعبية، مثل التراجع عن خطة لزيادة أسعار الوقود، ووعدت بزيادة معونات نقدية لمن هم أكثر حاجة، وتوفير مزيد من الوظائف، حيث قال الناطق باسم الحكومة إنه يتوقع توفير نحو 830 ألف وظيفة على الأقل في العام الجديد.

وكان وزير الداخلية الإيراني - عبد الرضی رحمانی فضلی - قد صرح بأن الذين يبادرون إلى هدم الممتلكات العامة وإثارة الفوضى وانعدام القانون والمساس بأمن الشعب مسئولون أمام القانون عن تصرفاتهم ويجب أن يدفعوا ثمن هذا السلوك، مؤكداً أن وزارته ستتحرك ضد أعمال العنف والذين يثيرون الخوف والرعب، وأن عددهم في

أن الناس يتعاونون مع القوات المكلفة بحفظ الأمن والنظام في غالبية مناطق إيران، مرجحاً انتهاء الاضطرابات في عدة مواقع بشكل سريع جداً.

وقال سكرتير المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني - علي شمخاني - إن التدخل الخارجي المنظم يستهدف منع إيران من النهوض، وتحطيمها من الداخل لأنها لا تتراجع عن سياساتها، وأكد أن ما يحصل سينتهي في غضون أيام، وأنه لا يساوره القلق.

أما الناطق باسم الحكومة الإيرانية - محمد باقر نوبخت - قال: إن الحكومة تضمن حق الشعب في التظاهر أو الانتقاد استناداً إلى الدستور وحقوق المواطنين، وأن الحكومة تفرق بين مثيري الشغب والمحتجين، وشدد على ضرورة احترام القانون، ولو من جانب الذين يريدون التصدي لمثيري الشغب والفوضى.

وبالرغم من كل ذلك فقد انتشرت الاحتجاجات والمظاهرات في نحو 70 مدينة إيرانية بحلول اليوم الرابع لبدء المظاهرات. وقد ردت الحكومة بتنظيم مسيرات في طهران ومدن أخرى، شارك فيها عشرات الآلاف إحياء لذكرى القضاء على ما يعرف بـ «فتنة 2009» وهي التي قامت فيها مظاهرات عنيفة ضد تزوير الانتخابات الرئاسية وقتها، وقد رفع المتظاهرون أعلاماً وصوراً للمرشد الأعلى للثورة على خامنئي، كما دعوا إلى محاكمة كل من الزعيمين موسوي وكروبي الموضوعين تحت

المعيشة، ودعا المسؤولين إلى الاهتمام بمطالب الشعب تجنباً لاستغلالها من جانب الأعداء. وحذر من أنه إذا تركت أجهزة الأمن مثيري الشغب وشأنهم فسيقول الأعداء إن النظام الإيراني فقد قاعدته الثورية في مشهد.

أما مرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي خامنئي، فقد اتهم من أسماهم أعداء بإثارة اضطرابات في إيران أوقعت نحو 25 قتيلاً، وأنه على السلطات أن تنهي هذه المظاهرات خلال أيام. وقد هددت السلطات بأنها قد تلجأ إلى إعدام بعض المخربين لأن هدف الأعداء هو تحطيم إيران من الداخل.

وقال رئيس المحكمة الثورية في طهران - موسى غضنفر آبادي - إن جريمة الموقوفين تزداد مع كل يوم جديد، وتشدد عقوبتهم، وأنه لم يعد يعتبرهم محتجين يطالبون بحقوقهم بل أشخاصاً يستهدفون النظام، وأنهم سيحاكمون قريباً لاتهامهم بالعمل ضد الأمن القومي، وتدمير ممتلكات عامة، منبهاً إلى أن قادة المحتجين سيواجهون اتهامات خطيرة، من بينها «الحرابة» - أي شن حرب على الله، وعقوبتها الإعدام.

واتهم قائد الحرس الثوري - رسول سنائي راد- حركة «مجاهدي خلق» المعارضة ومجموعات مؤيدة لعودة الملكية، متمركزة في الخارج بالوقوف وراء الأحداث من أجل إثارة عدم الاستقرار في البلاد. وأكد نائب وزير الداخلية الإيراني



انتفاضة إيرانية متعددة الأبعاد

كل مرة كان أقل من ألف شخص، وقد انتهزوا «الانضباط» لدى قوات الأمن. وميز الوزير بين الذين لديهم مطالب مشروعة، والمعادين للثورة.

وقد ازدادت التظاهرات حدة وبدأت صورة الوضع العام متداخلة ما بين من يحتجون على الأوضاع الاقتصادية، ومن يهاجمون سياسات الحكومة وإخفاقاتها في تحقيق الأهداف التي سبق أن أعلنت عنها. وهو ما دعا الرئيس حسن روحاني إلى التحدث أكثر من مرة، وقد أقر الرئيس روحاني بأن الاقتصاد الإيراني يحتاج إلى عملية جراحية كبرى، مؤكداً أن الحكومة عازمة على تسوية مشكلات المواطنين، ونبه إلى أن العدو يسعى إلى إثارة فوضى عبر تحريض من أسماهم «مغفلين»، تسللوا بين المحتجين، ورددوا هتافات مخالفة للقانون وإرادة الشعب، كما تعرضوا للمقدمات ومبادئ الثورة، ودمروا ممتلكات عامة، وأضاف قائلاً إنه «سيتعامل مع هذه الأقلية»، وأن الانتقادات والاحتجاجات فرصة للتعبير وليست للتهديد، وأن الشعب سيرد على مثيري الاضطرابات ومخالفى القانون. وتحدث المرشد الأعلى للثورة على خامنئي فقال: إن الأحداث الأخيرة في إيران أظهرت أن أعداء إيران قد استخدموا عدة أدوات من بينها المال والسلاح والسياسة للتغلغل وتسديد ضربة للأمة الإيرانية، وأن الرادع في مواجهة العدو وأفعاله العدوانية هو روح الشجاعة والتضحية وإيمان الشعب. وقد اعتبرت جمعية رجال الدين المناضلين «روحانيون» بزعامة محمد خاتمي، أن أعداء الشعب الإيراني وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية وعملاؤها، يدعمون مثيري الشغب وأعمال العنف ويشجعونهم، وهو ما يثبت الخداع الكبير من الذين يدعون الدفاع عن الديمقراطية والشعب الإيراني، وطالبت الجمعية القادة الإيرانيين باتخاذ إجراءات لحل المشكلات الاقتصادية والاستجابة لمطالبهم العادلة.

ويشير هذا الموقف إلى أن الاحتجاجات توزعت ضد الإصلاحيين

والأصوليين على حد سواء، ووضعوا التيارين في إطار واحد وذلك في سياق تنديدهم بالوضع المعيشي في إيران، وبتفشى الفساد، وهدر النظام مبالغ طائلة على حلفائه في المنطقة.

وهذا هو ما دعا نائب الرئيس روحاني إلى أن يعلن بأن الإصلاحات التدريجية في إطار القانون، هي السبيل لتحسين الأوضاع والتي لا تستغنى عن مشاركة نشطة من كل فئات الشعب والنخبة والمؤسسات، وأن هذا هو السبيل الذي يولد أملاً وحركة.

ويلاحظ أنه كان هناك تفاوت في مضمون تصريحات لمسؤولين إيرانيين فضلوا عدم ذكر أسمائهم لأجهزة الإعلام، ومنها:

- تصريح لمسئول قال فيه، إن استمرار الاحتجاجات سيؤدي إلى أزمة شرعية، وأن للناس مطالب اقتصادية يجب التعامل معها بجدية، وأن على النظام أن يستمع إلى الناس، وأنه يمكن مناقشة كل ذلك في أجواء هادئة.

- ولفت مسئول آخر الانتباه إلى أن سلطة الرئيس روحاني محدودة في نظام الحكم الإيراني، وأن الاستياء الشعبي في ازدياد، وأن الشعب يفقد الثقة في النظام، وأن القادة يدركون جيداً هذه الحقيقة وعواقبها الخطرة.

- بينما اعتبر مسئول ثالث، أن الاحتجاجات وحدت القيادة في إيران، وإن كان الأعداء قد خططوا هذه الاحتجاجات، ولذلك اتحدت كل الفصائل من أجل حماية الجمهورية الإسلامية.

- وأشار مسئول إيراني سابق من تيار الإصلاح إلى أن الموقف سيتغير إذا دعا المرشد الأعلى خامنئي إلى إنهاء احتجاجات الشوارع، رغم تحدى المتظاهرين دعوته إلى وقف المظاهرات.

- وقال أحد رجال الدين الإيرانيين - إن ما حدث هو بمثابة انقلاب على إنجازات الرئيس حسن روحاني للنيل منه.

وإن هذا التفاوت في مضمون كل من هذه التصريحات يعبر بوضوح عن عدة اتجاهات تداخلت مع بعضها البعض وأثارت حالة من الارتباك والالتباس في سياق تطور المظاهرات ومطالب

المتظاهرين.

وقد عبر عن هذا الموقف المعقد المستشار الثقافي للرئيس حسن روحاني، وهو حسام الدين اشنا، حيث كتب على موقع تويتر، إن البلاد «إيران» تواجه تحديات كبرى، بينها البطالة، والتضخم، والفساد، والغلاء، ونقص المياه، والفوارق الاجتماعية. مقرأ بأن للناس حقاً في إسماع صوتهم، وأن على مسئولى الأمن والشرطة التعامل مع الاحتجاجات برحابة صدر. وأنه يتعين التنبيه إلى أن أياً من الأزمات في أى دولة لم يتم حلها في الشارع وعلى قاعدة العنف. واتهم تيار الرئيس السابق محمود أحمدي نجاد، بأنه يعمل من وراء ستار ويدعم الأحداث، منبهاً إلى أن نيران فتن نجاد ستثير تحدياً للنظام لفترة طويلة. أما رجل الدين المتشدد أحمد خاتمي، فقد صنف المشاركين في الاحتجاجات ضمن ثلاث فئات، الفئة الأولى، تضم مواطنين خسروا ودائعهم في مؤسسات مالية متعثرة.

والفئة الثانية، تشمل سذجاً لا يدركون عمق القضايا.

والفئة الثالثة، معادين للثورة يحاولون استغلال الاحتجاجات. واتهم موقعاً يديره البهائيون من الخارج بالتحريض على إثارة الاضطرابات.

وقد أعلن الجنرال محمد علي جعفرى، قائد الحرس الثورى الإيراني، بعد نحو أسبوع من المظاهرات، انتهاء الفتنة في إيران، ووجه انتقاداً ضمنيّاً للرئيس روحاني، وقال جعفرى إن الحرس الثورى قد تدخل في شكل محدود للتصدى للفتنة الأخيرة في ثلاث محافظات فحسب هي أصفهان، ولرستان، وهمدان، وأن عدد من تجمعوا في مكان واحد خلال المظاهرات لم يتجاوز 1500 شخص في أية مرة، وأنه لم يتجاوز عدد مثيري الاضطرابات نحو «15» ألفاً في كل البلاد. وقال إن أعداء الثورة تدخلوا في شكل كبير على مواقع التواصل الاجتماعي، وأن عدم تدخل السلطات لكبحهم أدى إلى زيادة المشكلات. وانتقد الأمريكيين قائلاً إنه لو كان تعاطفهم مع الإيرانيين حقيقياً لما فرضوا عقوبات قاسية على إيران. ونبه إلى أن الصداقة الكاذبة التي عبرت

عنها أمريكا والغرب والصهاينة للشعب الإيراني، ومجاراتهم مثيري الفتنة تعبر عن حقيقة مواقفهم، وأنه قد يتصور بعضهم أن الصداقة مع أمريكا ستحسن الوضع الاقتصادي، ولكن عليهم التطلع إلى دول مثل مصر التي قدمت الكثير من أجل الصداقة مع أمريكا. وهو يقصد بذلك الرئيس الإيراني روحاني.

وقال قائد الجيش الإيراني، إنه رغم أن هذه الفتنة العمياء كانت من الصغر بحيث تمكن جزء صغير من قوات الشرطة من وأدائها في المهد، إلا أنه يطمئن الشرطة إلى أن رفاقهم في الجيش سيكفون على استعداد لمواجهة من غرر بهم «الشيطان الأكبر» (يقصد الولايات المتحدة الأمريكية).

بينما قلل وزير الداخلية من شأن الاحتجاجات الأخيرة، وقال إن عدد الذين شاركوا في جميع التظاهرات خلال فترة امتدت لأسبوع لم يتجاوز نحو 42 ألف شخص، مشيراً إلى أن هذا استناداً إلى معلومات مؤكدة ودقيقة.

وقد أعلن أحد أعضاء مجلس الشورى الإيراني «البرلمان» أنه لن يتم زيادة أسعار الكهرباء والمياه والغاز، وطالب الرئيس روحاني بسرعة معالجة مشكلة عدم تلقي أعداد من العمال رواتبهم منذ أشهر. وطالبت الشرطة الإيرانية الأهالي بالإبلاغ عن المتظاهرين الذين هددوا الأمن وقد نشرت الداخلية الإيرانية صوراً لمتظاهرين طلبت التعرف عليهم وإبلاغ الشرطة عنهم. واتهم المدعي العام الإيراني، محمد جعفر منتظري الولايات المتحدة وإسرائيل بالوقوف وراء أعمال العنف، وأن مشروع زعزعة الاستقرار وإثارة الاضطرابات في إيران بدأ قبل أربعة أعوام، وأن العقل المدبر له هو مايكل داندريا، المكلف بشئون إيران في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية.

وقد عرض التلفزيون الإيراني مظاهرات ضخمة مؤيدة للحكومة في طهران وفي تسع مدن أخرى من بينها مدينة مشهد التي انطلقت منها أولى الاحتجاجات في 28 ديسمبر 2017، وهتفت هذه الحشود المؤيدة بحياة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية وهتفوا «كلنا وراء القائد» و«الموت لأمريكا»

و«الموت لإسرائيل» وهتفوا أيضاً «الموت للمنافقين» في إشارة إلى حركة مجاهدي خلق المحظورة في إيران والتي كان يحرض قادتها على استمرار التظاهر من بعض العواصم الأوروبية. وقد رفعت الحكومة الحظر الذي كان مفروضاً على بعض وسائل الاتصال الاجتماعي خاصة انسجرام في اليوم السابع من المظاهرات بعد أن كان قد تم حجبها عدة أيام. وصرح محمد صديقي، وهو عضو إصلاح في البرلمان، بأن عدد المعتقلين قد بلغ نحو 3700 شخص، وأنه حصل على هذا الرقم من مصادر في الداخلية الإيرانية. أصداء الانتفاضة الإيرانية في الخارج:

كان للانتفاضة الإيرانية أصداء واسعة في الخارج سواء لدى الدول الصديقة أو دول الجوار، أو الدول التي تتخذ مواقف معادية للنظام الإيراني. ويمكن تناول هذه الأصداء بإيجاز على النحو التالي:

- الولايات المتحدة الأمريكية: وقد تدرج الموقف الأمريكي تدريجياً بتصاعد الاحتجاجات في إيران على الصورة التالية:

- حض السيناتور الجمهوري توم كوتون الإدارة الأمريكية على دعم الاحتجاجات في إيران، وأصدر بياناً جاء فيه أنه رغم حصول الحكومة الإيرانية على بلايين الدولارات عقب رفع العقوبات عنها بعد الاتفاق النووي، فإنها لاتزال عاجزة عن توفير الاحتياجات الأساسية لشعبها، وذلك ربما لأن كثيراً من تلك الأموال أنفق في حملة عدائية إقليمية في سوريا ولبنان والعراق واليمن، واعتبر أن الاحتجاجات تظهر أن النظام الذي تقوده أيديولوجيا الكراهية لا يمكنه الحفاظ على تأييد شعبي واسع إلى الأبد، وأنه يجب تقديم الدعم للشعب الإيراني الراغب في المخاطرة بحياته للتعبير عن معارضته.

- دعا الرئيس الأمريكي ترامب الحكومة الإيرانية إلى احترام حقوق شعبها بما في ذلك حق التعبير عن أنفسهم، وأشار إلى احتجاجات سلمية لمواطنين إيرانيين سئموا الفساد من النظام وإهداره ثروات الأمة من أجل

تمويل الإرهاب في الخارج. وأثنى ترامب على المظاهرات في إيران وقال إن الشعب الإيراني أصبح أخيراً يعي أن أمواله وثرواته تسرق وتهدر على الإرهاب. وأن الشعب الإيراني العظيم مقموع منذ سنوات، ومتعطش إلى الغذاء والحرية، وأن ثروات إيران تنهب، وكذلك حقوق الإنسان، وأنه قد حان وقت التغيير. وأن إيران تفشل في كل الأصعدة وذلك رغم الاتفاق النووي الرهيب الذي وقعته إدارة أوباما «الرئيس السابق» مع الدول الأخرى. وكتب ترامب على موقع تويتر «كل الاحترام للشعب الإيراني وهو يحاول إقصاء حكومته الفاسدة، وستحصلون على دعم كبير من الولايات المتحدة في الوقت المناسب»، وأن زمن التغيير قد حان في إيران.

وقد ردت الخارجية الإيرانية على الرئيس ترامب وقوله إن الشعب الإيراني متعطش إلى الغذاء والحرية، بأن على الرئيس الأمريكي الاهتمام بالقضايا المحلية في بلاده مثل القتل اليومي لعشرات الأشخاص الأمريكيين ووجود ملايين المشردين والجوع في أمريكا. - وقال نائب مساعد وزير الخارجية

الأمريكي لشئون العراق وإيران: إن واشنطن تسعى إلى تغيير في سلوك إيران، لا إلى تغيير النظام. وقال إن المظاهرات هذه المرة تمتد على مساحة واسعة من إيران، وأن دافعها الأساسي اقتصادي، وقال إن كلاً من الانتفاضة الخضراء في إيران 2009 والمظاهرات الأخيرة تتعلقان بالعلاقة بين المواطن الإيراني والنظام. وهدف واشنطن هو عدم حدوث عنف ضد المواطنين. ولم يوافق المسئول الأمريكي على الرأي الذي يطالب أمريكا بالتزام الصمت حتى لا تستخدم تغريدات الرئيس ترامب وغيره من المسؤولين الأمريكيين لاستفزاز وتشديد المتطرفين الأصوليين الإيرانيين، وقال إنه يتعين على الإدارة التعبير عن رأيها، ولحماية المتظاهرين، وإحداث توازن بين النظام الإيراني والمواطن العادي. وأن الإدارة قد تلجأ إلى فرض عقوبات على النظام لحماية المتظاهرين.

- وقالت السفارة الأمريكية لدى الأمم

انتفاضة إيرانية متعددة الأبعاد

المتحدة نيكي هابلي في تحذير لها من أن الاحتجاجات في إيران قد تصبح نزاعاً شبيهاً بما حصل في سوريا حيث شهد العالم فظائع وبذاءات نظام قاتل يحرم شعبه حق التظاهر السلمي، وأن على واشنطن ألا تسمح بحدوث ذلك في إيران. وقالت إنها ستدعو إلى عقد اجتماع لمجلس الأمن بشأن إيران.

- وقال نجل شاه إيران الراحل رضا بهلوي، إنه يجب على الإدارة الأمريكية أن تشجع شركات التكنولوجيا الأمريكية على توفير خدمات اتصالات للإيرانيين الذين يحتجون ضد حكاهم من رجال الدين، وأنه يريد أكثر من مجرد الكلام، يريد رؤية أفعال ملموسة، ويجب أن يحدث ذلك سريعاً في مواجهة محاولات النظام حجب أي شيء سواء انستغرام أو تلجرام.

- وقد وجه مندوب إيران لدى الأمم المتحدة رسالة إلى مجلس الأمن، والأمين العام للأمم المتحدة، اتهم فيها الولايات المتحدة بالتدخل في الشؤون الداخلية لإيران وذلك بعد تأكيد الرئيس ترامب دعمه الاحتجاجات ضد الحكومة الإيرانية، والتحريض على أعمال مخلة بالنظام العام، وأن الخارجية الأمريكية أقرت بأن الإدارة الأمريكية تريد أن تشجع المحتجين في إيران على تغيير حكومتهم عبر موقعي فيس بوك وتويتر.

- روسيا: وقد نبهت وزارة الخارجية الروسية إلى أن ما يحدث في إيران هو مسألة داخلية، وأعربت عن الأمل بالألا يتطور الوضع إلى سيناريو من العنف وسفك دماء، ورفضت تدخلاً خارجياً يزعزع استقرار الأوضاع في إيران.

وحذر نائب وزير الخارجية الروسي من تدخل واشنطن في شؤون إيران الداخلية، وأنه على الرغم من المحاولات العديدة لتشويه ما يجري فعلاً في إيران، أعرب عن ثقته في أن إيران ستتغلب على صعوباتها الحالية. وانتقد دعوة السفيرة الأمريكية لدى الأمم المتحدة بالدعوة إلى عقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن لمناقشة العنف في إيران. وقد أوضحت روسيا أن موقفها

يستند إلى ثلاث ركائز:

الأولى: محاولات واشنطن ممارسة مزيد من الضغوط على الإيرانيين باستخدام الوضع الداخلي في إيران والذي لا يجب أن يكون محور نقاش دولي.

الثانية: اقتناع روسيا بأن السلطات الإيرانية تعاملت بتوازن مع الاحتجاجات التي تحولت بفعل التدخل الخارجي للسعي لزعزعة الوضع في إيران.

الثالثة: اقتناع روسيا بأن مزيداً من الضغوط على إيران من شأنه تهديد الاتفاق النووي، وهذا أمر تسعى إليه واشنطن. وتعتبر روسيا أن دعوة واشنطن لعقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لبحث الوضع في إيران، اعتداء سافر على سيادة إيران، وأن واشنطن مستمرة في انتهاج سياسة التدخل المعلن والسري في الشؤون الداخلية للدول بشكل سافر وبلا حرج، كما تتعدى على سيادة الآخرين صراحة تحت ذرائع الديمقراطية وحقوق الإنسان.

- إسرائيل: تمنى وزير المخابرات الإسرائيلي كاتس النجاح للشعب الإيراني في كفاحه من أجل الحرية والديمقراطية، وقال إن إسرائيل ملتزمة بعدم التدخل في شؤون داخلية.

- ألمانيا: ناشد وزير خارجية ألمانيا الحكومة الإيرانية احترام حقوق المتظاهرين في التجمع والتعبير عن آرائهم بسلامية. وحض جميع الأطراف على الامتناع عن العنف.

وكانت ألمانيا قد أكدت على ضرورة عدم استغلال الصراع الداخلي في إيران على المستوى الدولي.

- تركيا: دعت إلى تغليب المنطق لمنع أي تصعيد، وأنها تعلق أهمية كبيرة على الحفاظ على السلم والاستقرار في إيران «الصديقة والشقيقة». وقال وزير خارجية تركيا أن حكومته ضد التدخل الخارجي في الشؤون الإيرانية، وأن استقرار إيران وأمنها مهم بالنسبة لتركيا، وأن الشعب الإيراني هو الذي له الحق في تغيير قيادته إن أراد ذلك. وقال إن كلاً من الرئيس الأمريكي ترامب ورئيس وزراء إسرائيل نتنياهو يؤيدان المظاهرات في إيران.

وقد اتصل الرئيس التركي أردوغان بالرئيس حسن روحاني وأعرب له عن الأمل أن تنتهي المظاهرات خلال أيام، وضرورة حماية السلم والأمن في إيران، وأنه يتفق في الرأي مع الرئيس الإيراني روحاني بأن الحق في التظاهر يجب ألا يؤدي إلى انتهاكات للقانون، وقد أكد روحاني ثقته في أمن واستقرار إيران، وأن الشعب الإيراني له الحرية في الاحتجاج في إطار القانون.

- الإمارات العربية المتحدة: قال وزير الدولة للشؤون الخارجية أنور قرقاش، إن الاحتجاجات التي تشهدها إيران في عدة مدن، فرصة للمراجعة العاقلة، وتغليب مصلحة الداخل الإيراني على مغامرات طهران العربية. وأن مصلحة المنطقة وإيران في البناء الداخلي والتنمية، لا استعلاء العالم العربي.

- سوريا: أبدت ثقة في أن إيران ستتمكن من إفشال المؤامرة والاستمرار في مسيرة التطور والبناء.

- فرنسا: أبلغ الرئيس الفرنسي الرئيس الإيراني روحاني تليفونياً بقلقه حيال عدد الضحايا، داعياً إلى ضبط النفس والتهدئة، وأكد وجوب احترام الحريات الأساسية خصوصاً حريتي التعبير والتظاهر، واتفق الرئيسان على إرجاء زيارة وزير الخارجية الفرنسي إلى إيران لوقت لاحق.

وقد طلب روحاني من الرئيس الفرنسي اتخاذ إجراءات ضد أنشطة مجموعة إرهابية إيرانية في فرنسا، وهو يشير إلى تنظيم مجاهدي خلق.

حديث الرئيس روحاني

في ذكرى الثورة الإيرانية:

تحدث الرئيس روحاني في الذكرى 39 للثورة الإيرانية الإسلامية، وأهم ما ذكره:

- الإقرار بوجود تقصير ونقص في الشفافية، داعياً إلى إعادة من أقصاهم النظام إلى المسيرة مجدداً. كما طالب بالاحتكام إلى استفتاء شعبي وفقاً للمادة 59 من الدستور عند حدوث خلافات حول السياسات العامة لإيران، والعمل بما تسفر عنه نتيجة الاستفتاء. وقال إن إيران حققت خلال 39 عاماً تقدماً في مجالات كثيرة، ولكن كان

هناك تقصير في بعض النواحي، وربما كان هناك تأخير في ما يتعلق بصنع القرار، وربما لم تتسم مخاطبة الشعب بالشفافية.

- طالب أن تكون السنة الأربعون للثورة العام المقبل سنة وحدة ونضج في أعقاب التظاهرات والصدمات بين الشرطة والمتظاهرين والتي أدت إلى مقتل 25 شخصاً.

وطالب باتحاد جميع الأعراق الإيرانية وكل الأديان، الشيعة والسنة، المسلمين والمسيحيين واليهود والزرادشتيين، وكل من يؤمن بالديستور، وأن هذا هو المعيار الثوري الواجب احترامه.

- عدم التدخل في الشؤون الخاصة للناس، «كان مكتب الرئيس روحاني قد نشر دراسة في يناير 2018 تفيد بأن نصف سكان طهران لا يؤيدون الحجاب الإلزامي للنساء».

- فشل محاولة أمريكا التدخل في شؤون إيران بسبب وعى الأمة الإيرانية ووحدتها.

- إن أسباب الاحتجاجات والمظاهرات الاقتصادية وسياسية، وحرية استخدام الإنترنت التي لم تتم مراعاتها، وأكد عزمه على رفع المزيد من القيود على الإنترنت ومعالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي كانت وراء المظاهرات.

- أشار روحاني إلى مؤسسات الدولة الموازية، ودورها في اضطراب توجيه السياسة الخارجية. وهذا إشارة إلى الحرس الثوري، والمخابرات الإيرانية وهما تابعان للمرشد الأعلى للثورة، واتجاههما إلى تصدير الثورة الإيرانية وتمدد إيران في المنطقة وتقديم الدعم لبعض الدول والفصائل في دول أخرى وهو ما دعا المتظاهرين إلى الهتاف «لا غزة ولا لبنان روحى فدا إيران».

وهذا يدل على الخلافات في إدارة شؤون إيران بين رئيس الدولة والسلطة التنفيذية من ناحية، والمرشد الأعلى للثورة والمرجعيات الدينية المقدسة، والحوزات الشيعية من ناحية أخرى.

ملاحظات عامة:

لقد تبين من سياق العرض السابق كيف بدأت وتطورت الانتفاضة الإيرانية وتناول تطوراتها الداخلية بشيء من

التفصيل لإبراز مواقف كافة الأطراف والقيادات الإيرانية، ثم تناول أصداء الانتفاضة خارجياً مع إبراز مواقف طرفين رئيسيين، هما الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والتفاوت الكبير في موقفيهما من الانتفاضة الإيرانية.

وفيما يلي بعض الملاحظات العامة:
1- دلت الانتفاضة على أن المجتمع الإيراني قد فاض به الصبر من كثرة ما تحمل من صعوبات في المعيشة والحريات العامة. فإذا كانت الانتفاضة قد بدأت بمطالب اقتصادية، إلا أنها سرعان ما جمعت بين الاقتصادية والسياسية وانتقادات للحكومة والرئاسة والمرشد الأعلى للثورة الإيرانية والإعراب عن عدم الرضا عن السياسة الخارجية والتمدد الإيراني في المنطقة على حساب مطالب الشعب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

2- اعتقد التيار الأصولي في بداية المظاهرات أن الاحتجاجات الاقتصادية واجتماعية موجهة ضد الحكومة وسياسة الرئيس روحاني واعتبروا ذلك تأكيداً لموقفهم المعارض لسياسات الإصلاحيين بزعامة روحاني، ولكن سرعة تصاعد المظاهرات والاحتجاجات ومهاجمة المرشد الأعلى للثورة الإيرانية والقادة الدينيين، بل ورفع البعض شعارات تمتدح حكم الشاة وتترجم عليه، جعل الأصوليين يدركون أن الغضب الشعبي ينصب على الجميع وأنه إذا لم يتم تدارك الأمر واحتواء الموقف بسرعة فقد تتطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه من عدم الاستقرار وطول مدة الاضطرابات.

3- لا شك أن تغريدات الرئيس الأمريكي ترامب المؤيدة للمظاهرات والمهاجمة لنظام الحكم الإيراني وسياساته وقوله إنه قد حان وقت التغيير، إلى جانب مواقف مسئولين أمريكيين آخرين قد استفزت مشاعر المسئولين الإيرانيين وشرائع من المتظاهرين سواء منتقمين للتيار الأصولي أو التيار الإصلاحى وهو ما ساعد على احتواء الموقف بأقل خسائر ممكنة لشعورهم بأن ثمة حالة من التربص الأمريكي ببلدهم.

4- أظهرت روسيا موقفاً قوياً مؤيداً

لنظام الحكم في إيران ومعارضاً تماماً للموقف الأمريكى الذى تصدت له فى الأمم المتحدة وحالت دون تحقيق الطلب الأمريكى بعقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لبحث الوضع فى إيران، حيث أكدت روسيا على أن ما يحدث فى إيران شأن داخلى لا علاقة للأمم المتحدة به وهو موقف أيدتها فيه أغلبية الدول.

5- حرص الرئيس الإيرانى حسن روحانى على التأكيد منذ بداية الانتفاضة على أنه من حق الشعب التعبير عن رأيه ولكن سلمياً، وأنه والحكومة يدركون الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى يعيش فى ظلها الشعب وأنهم سيعملون على الاستجابة لمعظم مطالب الناس.

6- لا شك أن ما حدث فى إيران سيكون له تأثير كبير على الأوضاع العامة وسياسات إيران الداخلية والخارجية، خاصة وأن نحو نصف الشعب الإيرانى دون سن الثلاثين سنة، ومن ثم لم يتشربوا أفكار الثورة الإسلامية الإيرانية، كما يؤثر فيهم تواصلهم مع الخارج عن طريق التواصل الاجتماعى. كما أن رفع العقوبات عن إيران وتخفيف الحصار عليها، جعل الشباب والطبقات الفقيرة والمتوسطة يتطلعون إلى حياة أفضل حيث لم يعد لدى الحكومة من أعذار قوية لعدم تحقيق مطالبهم وتحسين مستوى حياتهم والسماح لهم بمزيد من الحريات.

وقد يتواكب ذلك مع الضغوط الأمريكية والدول العربية الخليجية على إيران سواء بشأن الأزمة السورية ووضع إيران فى سوريا بعد تسوية الأزمة سلمياً، أو الأزمة اليمنية وتعاون إيران مع الحوثيين، ويجعل إيران تتبع سياسات إقليمية تميل نحو التعايش والتعاون مع دول المنطقة.

وقد يتواكب ذلك مع الضغوط الأمريكية والدول العربية الخليجية على إيران سواء بشأن الأزمة السورية ووضع إيران فى سوريا بعد تسوية الأزمة سلمياً، أو الأزمة اليمنية وتعاون إيران مع الحوثيين، ويجعل إيران تتبع سياسات إقليمية تميل نحو التعايش والتعاون مع دول المنطقة.

الصين ضمن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي

تصدر وثيقة «استراتيجية الأمن القومي الأمريكي» وفق قانون أقره الكونجرس عام 1986 سمي قانون «جولد ووتر نيكولس» والذي يلزم الرئيس الأمريكي بتقديم تقرير سنوي للكونجرس عن استراتيجية الأمن القومي الأمريكي- وتكون هذه الإستراتيجية معدة لأربع سنوات مقبلة- يوضح بها أهداف ومصالح الدولة، واقتراحات استخدام عناصر القوة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية والسياسية وغيرها، وبالتالي رصد الميزانيات اللازمة لعمل الجهات المعنية بتنفيذ الإستراتيجية، من وزارة الخارجية، والدفاع، والأجهزة الأخرى.

تمكنها بعد من لعب دور شامل ومؤثر على مستوى العالم. فلقد كانت رؤية الرئيس الأمريكي محقة في التفوق الاقتصادي الصيني، إذ بلغ حوالى 115٪ من حجم الاقتصاد الأمريكي، وبلغ حجم الناتج المحلى للصين عام 2017 حوالى 80 تريليون يوان (حوالى 12 تريليون دولار)، وتم خلق 13 مليون فرصة عمل جديدة فى المدن والريف، وتنفخر الصين بأنها صاحبة أكبر احتياطي للنقد الأجنبي فى العالم. وأنها الدولة الأكبر فى تجارة السلع والبضائع فى العالم، وأكبر شريك تجارى لأكثر من مائة دولة ومنطقة حول العالم.

وفى مجال الابتكار العلمى والتكنولوجى والهندسى، يتخرج من الجامعات الصينية أكثر من مليون وثلاثمائة ألف مقابل ثلاثمائة ألف فى أمريكا (أى أربعة أضعاف عدد الخريجين فى الولايات



د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

بنفسه يوم 18 ديسمبر 2017 أمام الإعلام والرأى العام، بقوة المنافسة من قبل روسيا والصين لأمريكا. وهما لاعبان أساسيان على المستوى الدولى، ويعملان على تحويل موازين القوى لخدمة مصالحهما، والحد من النفوذ الأمريكى وزعزعة سيطرته على العديد من المناطق حول العالم. ففى تقييمها للصين، تبرز الإستراتيجية امتلاك بكين لقوة اقتصادية متفوقة تولد فوائض مالية كبيرة، ولكن من حيث القوة العسكرية فإنها تتصور أنها لا

وتدور الإستراتيجية حول أربعة محاور من أجل تحقيق المصالح الأمريكية، مطبقة هذه المرة لشعار «أمريكا أولاً»، وهى: أولاً، حماية الولايات المتحدة وشعبها من التهديدات، وخصوصاً من أخطار الإرهاب والهجرة غير الشرعية. وثانياً، تعزيز الاقتصاد والازدهار الأمريكى. وثالثاً، استعادة دور أمريكا ونفوذها فى العالم. ورابعاً، ضمان السلام من خلال القوة العسكرية المتفوقة. وقد صدرت وثيقة «استراتيجية الأمن القومي الأمريكى» فى خضم المواجهة بين الولايات المتحدة والعالمين العربى والإسلامى بخصوص القدس، بمكانتها العظيمة فى قلوب الشعوب العربية والإسلامية. وأمام تحد سافر وتهديدات من قبل الجانب الأمريكى وممثليه فى الأمم المتحدة.

اعترفت الإستراتيجية التى أعلنتها لأول مرة الرئيس الأمريكى

المتحدة)، وبدأ القمر الصناعي «هوى يان» يخلق في الفضاء، كما حلقت في السماء طائرة الركاب الكبرى سي 919، وتم ابتكار الحاسوب الكمي، وجرى الاختبار على زراعة الأرز بالمياه المالحة، وتم تدشين أول حاملة طائرات محلية الصنع، وأنجزت منزلقة «هاى يي» مهمة الرصد في عمق البحار، ونجحت العملية التجريبية الأولى لاستخراج الجليد القابل للاحتراق من البحر، وبدأ بشكل رسمي بناء المرحلة الرابعة من ميناء يانجشان الأوتوماتيكي، واكتمل المشروع الأساسي لجسر هونج كونج- توهاي- ماكاو، وجرت القطارات فائقة السرعة على الأراضي الشاسعة للصين، كما عبر عن ذلك الرئيس الصيني شي جينبينج في كلمته بمناسبة حلول السنة الجديدة.

وتفاخر الرئيس الأمريكي ترامب ببلوغ الإنفاق العسكري الأمريكي 700 مليار دولار لعام 2018. في حين أن الإنفاق العسكري الصيني أقل من 140 مليار دولار. ونسى ترامب أن الصين تؤمن بأن العالم أسرة واحدة ولا مناص عن سياسة الفوز المشترك والاستفادة المشتركة والسعى إلى التعاون لبناء مجتمع يسوده الخير لكافة شعوب العالم. وتدافع عن سلطة الأمم المتحدة ومكانتها، وتنفذ بشكل إيجابي واجباتها ومسئولياتها الدولية- فقد قدمت مساعدات خارجية تجاوزت أربعمئة مليار يوان، وأكثر من أحد عشر ألف دورة تدريبية لصالح الدول النامية- وتلتزم بتعهداتها الخاصة بمواجهة تغيرات المناخ، وتدفع لتحقيق مبادرة الحزام

والطريق من أجل مستقبل أكثر ازدهارا وأمنا للبشرية جمعاء. وتسعى الصين نحو المزيد من المساواة والتكافؤ في علاقاتها مع واشنطن بما يحقق المصالح العليا للدولتين. وهناك شك في إمكانية حدوث صدام بين الدولتين في المدى القصير، وإنما يسعيان نحو تخطي الصعاب، والتعاون وحل القضايا الخلافية. وسوف تظل استراتيجية الأمن القومي الأمريكي فيما يتعلق بالصين محك اختبار للقيادة الأمريكية، وتطلعاتها ومعتقدات الرئيس ترامب الشخصية. وتقديرنا هو أن هذه القيادة لن تعيد المجد والنفوذ لأمريكا كقوة عظمى وحيدة، وإنما ستشاركها الصين وربما روسيا في القيادة لفترة قادمة.

U.S. trade with China

Billions of dollars, 1985-2017 annually



شنغهاي مدينة أعمال ومركز مالي عالمي

تتمتع شنغهاي بأهمية كبرى كمركز اقتصادي ومالي للصين، حيث تتسم المدينة بالنشاط والنمو والديناميكية. كما تعد أكبر المدن الصينية من حيث تعداد السكان والذي يصل لنحو 25 مليون نسمة، في حين أن مساحتها تبلغ نحو 6340 كيلو متراً مربعاً (أي مرتين ونصف قدر مساحة دوقية لكسمبورج)، وهي عاصمة الصين الاقتصادية، وبها أطول خط لقطارات الأنفاق بالعالم بطول 670 كم.

والحديد والصلب) وسنغافورة (في صناعة تكنولوجيا المعلومات والسفن).

وتعرف شنغهاي منذ ثلاثينات القرن الماضي بأنها من أكبر وأسرع مدن شرق آسيا تطوراً ونموً، في حين بدأ تطور شنغهاي الحالي منذ تسعينات القرن الماضي بإدخال إصلاحات اقتصادية على المدينة، أهمها إنشاء حي بودونج المالي الجديد.

وتعمل الحكومة الصينية على تحويل شنغهاي إلى مدينة عالمية ومركز مالي عالمي بحلول عام 2020، حيث ترى الحكومة المركزية أن شنغهاي هي قاطرة التقدم الصناعي والخدمي للصين، لاسيما أن المدينة تعد مركزاً للصناعات المنتجة للسلع ذات التكنولوجيا الفائقة، كما تصنف بورصة شنغهاي بأنها رابع أكبر بورصة على مستوى العالم. ومن جهة أخرى أنشأت الحكومة الصينية منطقة تجريبية للتجارة الحرة نهاية عام 2013 على مساحة 28 كيلو متراً مربعاً شرق شنغهاي بهدف تعزيز وضع شنغهاي كمركز تجاري ومالي مهم في شرق آسيا وغرب المحيط الهادي.

والحضور المصري كبير وظاهر في تلك المدينة المحورية التي تتمتع بقدرات اقتصادية واستثمارية



سفير خالد يوسف

قنصل مصر العام في شنغهاي

kfyoussef@hotmail.com

التضخم 2,7٪، وفيما يتعلق بنسبة مساهمة القطاعات في الناتج المحلي الإجمالي، فقد كانت أكبر مساهمة لقطاع الخدمات بنحو 62٪ ثم قطاع التصنيع حيث ساهم بنحو 37٪ ثم قطاع الزراعة 0,6٪، في حين بلغ حجم تجارة شنغهاي الخارجية مع العالم 900 مليار دولار. وبلغ حجم الاستثمار الأجنبي المباشر المتدفق إلى شنغهاي 50 مليار دولار خلال عام 2017 في حين كان أهم شركاء شنغهاي التجاريين هم اليابان وألمانيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ودول الآسيان، وأكبر المستثمرين هونج كونج (في الخدمات المصرفية والفندقية)، وتايوان (في الخدمات المصرفية وصناعة الآلات والمعدات) واليابان (في صناعة تكنولوجيا المعلومات

وتقع في شرق الصين عند مصب نهر اليانجتسي على بحر الصين الشرقي، وتعد مركزاً للشحن البحري وللابتكار والتجارة، كما تعد أكبر المدن الصينية من حيث تعداد الأجانب المقيمين بها والذي يصل إلى نحو 250 ألفاً مما يجعلها مدينة صينية عالمية، مدفوعة بتاريخها العريق ومبانيها الأثرية المتميزة التي تعود إلى الحقبة الكولونيالية والتي تضم العديد من المباني ذات الطابع الأوروبي، فضلاً عن ناطحات السحاب ومبانيها الحديثة شاهقة الارتفاع، وخاصة تلك المقامة على الواجهة البحرية للمدينة عند ضفتي نهر خوانجيو - والذي يعد أحد روافد نهر اليانجتسي - بمنطقة بودونج وباند، كما يضم الحي الفرنسي بها المبنى الذي ضم بين جنباته الاجتماع التاريخي الأول الذي شهد انطلاقة الحزب الشيوعي الصيني، الذي برز في شنغهاي عام 1921 بأبائه المؤسسين وعلى رأسهم الزعيم الصيني ماو تسي تونج.

وقد وصل حجم الناتج المحلي الإجمالي لشنغهاي خلال عام 2017 إلى نحو 700 مليار دولار أمريكي، بنمو قدرة 7٪، في حين بلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي هذا العام 20 ألف دولار أمريكي، ويبلغ معدل البطالة 4,5٪، ونسبة



مجموعة Shanghai Electric لتنفيذ المشروع المتكامل لتوليد الكهرباء من الفحم فى منطقة «الحمراوين» على ساحل البحر الأحمر، والذي يتضمن إقامة عدد من محطات توليد الكهرباء وميناء ومخازن للفحم وخطوط كهرباء لربط إنتاج المحطات بشبكة الكهرباء المصرية، وهو من المشروعات الكبرى ذات الأولوية فى إطار هذا البرنامج والفترة المقدرة لتنفيذ المشروع تبلغ حوالى 46 شهراً، وتقدر تكلفته الإجمالية بحوالى 7 مليارات دولار، كما تدرس المجموعة أيضاً القيام بمشروع لتحلية مياه البحر شرق بورسعيد، كما تنخرط فى مشروع لتوليد الكهرباء بالفحم فى منطقة «عيون موسى» بالتعاون.

وجدير بالذكر أن شنغهاى والمقاطعات المحيطة بها التى تغطيها القنصلية (وهى Zhejiang و Anhui و Jiangsu) تشكل نحو نصف حجم علاقات مصر الاقتصادية مع الصين ككل، حيث يستحوذ حجم التبادل التجارى بين مصر وبين كل من شنغهاى وتلك المقاطعات الثلاث وحدها على 47% من إجمالى حجم التجارة الثنائية الكلية بين مصر والصين، كما أنها تساهم بأكثر من نصف حجم الاستثمار الصينى المباشر الوارد إلى مصر.

وتعد شركة Jushi لإنتاج الألياف الزجاجية، التى يقع مقرها فى مقاطعة Zhejiang أكبر مستثمر صينى فى مصر، حيث استثمرت الشركة من خلال مشروعها بمنطقة العين السخنة نحو 430 مليون دولار أمريكى، كما تصدر 90% من إنتاجها فى مصر إلى الخارج مستفيدة من اتفاقيات التجارة التفضيلية التى تجمع مصر بشركائها الاقتصاديين الرئيسيين، مما يشكل مصدراً مهماً

صادرات مصر من الموالح إلى الصين بنسبة 600 فى المائة فى الفترة من 2014 إلى 2016، فضلاً عن بدء دخول العنب المصرى إلى السوق الصينية للمرة الأولى العام الماضى، وعلاوة على قرب دخول البصل والرمان والتمور المصرية إلى هذا السوق المهم هذا العام. ويضاف إلى ذلك الفرص الاستثمارية المهمة التى يتيحها موقع مصر الجغرافى، وتتيحها منطقة التعاون الاقتصادى المصرى الصينى بالسويس، وما تتيحه من تسهيلات عديدة للشركات الصينية.

كما يساهم فرع البنك الأهلى المصرى فى شنغهاى بشكل كبير فى تسهيل التعاون التجارى والاستثمارى بين مصر والصين ودول الشرق الأوسط والدول الأفريقية، أخذاً فى الاعتبار أن البنك حصل على موافقة الجانب الصينى للبدء فى التعامل بالعملة الصينية، ليكون بذلك أول بنك مصرى وعربى وأفريقى ينضم إلى قائمة البنوك الأجنبية التى تستخدم اليوان الصينى فى المعاملات الدولية. ومن جانب آخر تتعاون مع مصر

وتمويلية هائلة، من حيث المشاركة فى الأنشطة والفعاليات الاقتصادية والتجارية والاستثمارية، لاسيما تلك المتعلقة بمبادرة الحزام والطريق باعتبارها فرصة لتعزيز التعاون المصرى مع الصين فى مختلف المجالات، خاصة فى ضوء تناغمها مع خطط مصر الرامية إلى تطوير المحور الاقتصادى لقناة السويس، كما يتم تسليط الضوء بشكل مستمر على إقرار قانون الاستثمار الجديد والذي يهدف لدمج الاقتصاد المصرى بشكل أكبر فى الاقتصاد العالمى، وإلى جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية المباشرة من خلال إعطاء مجموعة من الامتيازات والتسهيلات للشركات الأجنبية العاملة فى مصر، وبما يجعل مصر أكثر انفتاحاً للاستثمار، لاسيما فى ضوء ما تمتلكه من سوق ضخم مؤلف من أكثر من 100 مليون مستهلك، فضلاً عن اتفاقياتها التجارية التفضيلية مع كل من دول الاتحاد الأوروبى والكوميسا والدول العربية. كما أن إمكانيات مصر التصديرية، خاصة فى مجال منتجات الغزل والجلود والفواكه، تعتبر واعدة حيث نمت

شنغهاي مدينة أعمال ومركز مالي عالمي



للعملات الحرة.

ويعزز من الجهود المبذولة على الصعيد الاقتصادي بطبيعة الحال التنامي الحاصل في العلاقات المصرية الصينية بشكل عام خلال السنوات الأربعة الأخيرة وما تم خلالها من ارتقاء بالعلاقات إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية الشاملة، ومشاركة السيد رئيس الجمهورية في قمتي العشرين والبريكس.

أما على الصعيد الثقافي والتعليمي والعلمي والسياحي والشعبي، فإنه يتم جلب المزيد من الأنشطة الثقافية والسياحية المصرية إلى مدينة شنغهاي والمنطقة المحيطة بها، خاصة وأن تلك المنطقة هي الأكثر ازدهاراً في الصين، كما أنها الأعلى في متوسط دخل الفرد في الصين، وبالتالي يصبح من التركيز على هذه المنطقة ثقافياً وسياحياً أمراً مهماً، لاسيما مع اهتمام الصينيين الذين يقطنون تلك المنطقة من ذوى الدخل المرتفع بالثقافة والحضارة المصرية القديمة.

وقد شاركت فرقة معهد «قيثارة» للموسيقى في أول مشاركة مصرية في مهرجان شنغهاي الدولي للسياحة، والذي تشارك فيه كبريات الفرق الفنية العالمية، وتجوب خلاله تلك الفرق شوارع شنغهاي الرئيسية مؤدية عروضها الفنية، ومستعرضة ثقافات الدول التي تمثلها، وهو ما جعل من المشاركة المصرية في المهرجان ترويجاً سياحياً مهماً في هذه المدينة المهمة. فضلاً عن مشاركة الفرقة في الاحتفال بمبادرة إحياء طريق الحرير، بمشاركة فرق فنية من بلغاريا وإندونيسيا

الإسكندنافية. كما شاركت مصر في المهرجان الثقافي الذي أقامته كلية الدراسات الشرقية بجامعة شنغهاي للدراسات الدولية بمشاركة العديد من الدول الآسيوية والأفريقية بعدد من المعروضات التي تعبر عن حضارة مصر الفرعونية، حيث حظي الجناح المصري في المهرجان باهتمام لافت من الجمهور الصيني الذي التف حول المعروضات المصرية مبدياً إعجابه بها، الأمر الذي عكس ولع الجمهور الصيني بالحضارة والثقافة المصرية. وشاركت مصر كذلك بعدد من الأعمال الفنية المصرية في المعرض الدولي الثاني للفنون الإبداعية للأطفال الذي أقيم في مدينة شنغهاي بتنظيم من متحف شنغهاي للفنون، ومشاركة ٢٠ بلداً، أبرزها الصين وبريطانيا والولايات المتحدة وروسيا وألمانيا وفرنسا واليابان وكوريا الجنوبية والمجر والنمسا وبولندا وسنغافورة وتايلاند وأوكرانيا.

وعلى صعيد الترويج السياحي، يجري طرح المزيد من المبادرات لزيادة أعداد السائحين، حيث تنامت أعداد السائحين الصينيين بنسبة 95 في المئة على أساس سنوي منذ عام

وإيطاليا وكينيا وليتوانيا وماليزيا والفلبين وروسيا وصربيا وإسبانيا وسيريلانكا وتايلاند وأوزباكستان والصين، والذي تم في إطار مهرجان الصين الدولي لفنون الشباب. وهناك أيضاً مشاركة ممثلى محافظة الإسكندرية في «المنتدى الدولي الخامس لحماية التراث الثقافي غير المادي» و«المعرض الدولي السابع للفنون الجميلة التقليدية» في شنغهاي، كما تم افتتاح الجناح المصري في المعرض الدولي للفنون الجميلة والتقليدية في شنغهاي الذي شارك فيه الفنان التشكيلي المصري الكبير الدكتور عبد السلام عيد، وقد ضم الجناح العديد من أبرز أعمال الفنان الشهيرة، لاسيما الجداريات، وبمشاركة أعمال فنية لفنانين من الصين واليابان وكوريا الجنوبية وألمانيا وروسيا والنمسا والمجر وبولندا وأوكرانيا وسلوفاكيا والتشيك، وكانت مصر الدولة العربية والأفريقية الوحيدة المشاركة في المعرض. وهناك كذلك تنسيق مع متحف شنغهاي للفنون لإطلاق مجلد باللغة الصينية حول أوراق البردي المصرية، فضلاً عن ترتيب معرض للفن الصيني المعاصر بمكتبة

مع وسائل الإعلام الصينية للترويج لمصر ثقافياً وسياحياً، من خلال الإدلاء بالعديد من الأحاديث الصحفية والإعلامية، لاستعراض الإنجازات التي شهدتها العلاقات المصرية الصينية خلال الفترة الأخيرة والعمل الجارى على صعيد جذب المزيد من الاستثمارات والشركات الصينية، لاسيما فى منطقة المحور الاقتصادى لقناة السويس، وكذلك على صعيد زيادة حجم السياحة الصينية الوافدة إلى مصر، خاصة مع تبسيط إجراءات منح التأشيرات للرعايا الصينيين بميناء الوصول. كما أطلقت القنصلية حساباً على موقع Weibo - الذى يرتاده مئات الملايين من المستخدمين الصينيين يومياً- باللغة الصينية، وضعت عليه القواعد المتعلقة بمنح التأشيرات، وبعض المواد الدعائية للترويج للثقافة المصرية، وأبرز المواقع السياحية والأثرية، فضلاً عن إبراز أنشطة القنصلية على الحساب.

وعلى صعيد الاتفاقيات ومذكرات التفاهم فإنه يوجد اتفاق التآخى مبرم بين الإسكندرية وشنغهاى تم توقيعه عام 1992، كما تم عام 2016 توقيع مذكرة تعاون بين القاهرة وشنغهاى، ومذكرة تفاهم بين المتحف المصرى ومتحف شنغهاى، واتفاقية صداقة وتعاون بين السويس ومدينة Ningbo، واتفاق تعاون بين مهرجان القاهرة السينمائى الدولى ومهرجان شنغهاى الدولى للأفلام. كما تم التوقيع مؤخراً على اتفاقية صداقة وتعاون بين الأقصر ومدينتى Hangzhou و Yangzhou الصينيتين، وجارى التوقيع على مذكرة تفاهم بين جامعة الإسكندرية وجامعة شنغهاى للدراسات الدولية.



طويلة الأجل ترمى لتسليط الضوء على العلاقة بين الثقافة والسياحة. وقد تم توظيف هذا الحدث لعمل عرض ترويجى خلال افتتاح المؤتمر، بحيث تناول العرض أبرز المواقع الأثرية والثقافية وملامح الجذب السياحى التى تتمتع بها مصر والتسهيلات المقدمة للسائحين بهذا الصدد، وذلك بحضور عدد كبير من المسؤولين الصينيين وحشد من الجمهور الصينى ومنظمى الرحلات الصينيين وممثلى شركات الطيران فى شنغهاى، كما تم تقديم عرض شامل خلال المؤتمر ألقى من خلاله الضوء على مصر بوصفها مهد الحضارات القديمة، وأكثر الوجهات السياحية شعبية على مستوى العالم، واستعرض امتلاك مصر لمجموعة واسعة من الشواطئ الواقعة على البحرين المتوسط والبحر الأحمر وما تمتلكه مصر كذلك من شعاب مرجانية وأسماك نادرة ومرافق متعددة لممارسة الرياضات البحرية، وهو ما يجعل منها مكاناً ممتعاً للسياحة التاريخية والدينية والطبية والترفيهية، كما عرض فيديو قصير حول أبرز المواقع الثقافية والسياحية المصرية.

وعلى صعيد التواصل مع وسائل الإعلام الصينية، فإن التواصل قائم

2014، كما أن الإحصاءات تشير إلى زيارة أكثر من 350 ألف سائح صينى مصر خلال 2017، وتوقعات بجذب المزيد من السائحين الصينيين، لاسيما مع تبسيط إجراءات منح تأشيرات الدخول، والتى تسمح بالحصول على تأشيرات الدخول بموانئ الوصول، فضلاً عن تشغيل العديد من رحلات الطيران المنتظمة والعارضة بين الصين ومصر، وتوفير مجموعة متنوعة من البرامج لهم بما فى ذلك الرياضات المائية والجولف وجولات السفارى، فضلاً عن تمكينهم من زيارة الدول المجاورة لمصر خلال نفس الرحلة. وتتسق القنصلية حالياً مع مصر للطيران لتسيير ثلاث رحلات طيران أسبوعية مباشرة بين القاهرة وشنغهاى، الأمر الذى من شأنه أن يشكل دعماً كبيراً لحركة السياحة، خاصة من شنغهاى ومنطقة شرق الصين والتى تعد مصدراً أساسياً للسياحة الصينية تتنافس عليه مختلف دول العالم. وقد أتاح المؤتمر الدولى الثالث لتعزيز السياحة الثقافية منصة عالمية مهمة للغاية للترويج السياحى للوكالات الحكومية والمنظمات والشركات العاملة فى مجال السياحة من جميع أنحاء العالم، ويهدف لإنشاء آلية تعاون

الفرانكوفونية.. مشروع للمستقبل

يعتبر البعض أن اللغة الفرنسية تنتمي للماضى، وأن الفرانكوفونية لن تكون أكثر من مجرد خطاب عفا عليه الزمن. كما يرى هؤلاء الأشخاص أنفسهم أنه ينبغي الاكتفاء الآن باللغة الإنجليزية كلغة «الإسبرنتو» الجديدة. إلا أن هذا الكلام الذى يقلل من شأن اللغة الفرنسية يتعارض مع الحقائق الديموجرافية. فوفقاً للمنظمة الدولية للفرانكوفونية، احتلت اللغة الفرنسية في عام 2015 المرتبة الخامسة من بين اللغات الأكثر تحدثاً في العالم بواقع 270 مليون متحدث يمثلون 4% من سكان العالم. وفي عام 2050 ستكون اللغة الفرنسية هي رابع اللغات الأكثر تحدثاً في العالم.

تهدد الخصائص الثقافية الوطنية والإقليمية. فنحن نحرص على احترام حقوق المصنفات، وعلى بث القنوات الإعلامية الناطقة بالفرنسية مثل قناة «تى فى سي نك موند» TV5 Monde أو قناة فرنسا 24 التى تبث باللغة العربية والإنجليزية والأسبانية بخلاف الفرنسية.

وأخيراً فالفرانكوفونية هى إرادة سياسية، فهى إرادة لضمان مكانة اللغة الفرنسية في المؤسسات الدولية وفي القانون الدولى. وهى أيضاً إرادة لاستعادة الفخر بالتحدث باللغة الفرنسية. لقد استقبلت باريس يومى 14 و15 فبراير 2018 مؤتمراً دولياً للغة الفرنسية والتعددية اللغوية في العالم، كما جعل رئيس الجمهورية إيمانويل ماكرون من الفرانكوفونية إحدى القضايا الكبرى لسنوات ولايته الخمس، وأيضاً سيقدم الرئيس ماكرون يوم 20 مارس 2018، وهو اليوم العالمى للفرانكوفونية، خطة كبيرة من أجل تنمية اللغة الفرنسية والتعددية اللغوية والتى عهد بإعدادها إلى السيدة ليلي سليمانى.



ستيفان روماتيه

سفير فرنسا لدى مصر

stephane.romatet@diplomatie.gouv.fr

لغير الناطقين بالفرنسية من أجل القيام بجمع أفكارهم بهدف تنمية تعليم اللغة الفرنسية.

كما تعتبر الفرانكوفونية معركة من أجل التعددية والتنوع الثقافى. وإذا كانت المنظمة الدولية للفرانكوفونية تعزز من عالمية اللغة الفرنسية فهى تدافع أيضاً عن شرعية جميع اللغات الأخرى بما فيها اللغات الإقليمية والمحلية. لذلك فقد حشدنا جهودنا طوال فترة إرساء اتفاقية اليونسكو حول حماية تنوع أشكال التعبير الثقافى وتعزيزها. كما حشدنا جهودنا ضد مخاطر تحويل اللغة الإنجليزية إلى اللغة المقياس وبالتالي ظهور لغة عالمية «جلوبيش» globish

إن عدد الناطقين بالفرنسية يقترب من الـ 700 مليون شخص، حيث سيكون 85% من هؤلاء من سكان أفريقيا، وبالتالي فإن مستقبل الفرانكوفونية سيكون في القارة الإفريقية.

وإذا كانت الفرانكوفونية تاريخاً وميراثاً إلا أنها تمثل أيضاً المستقبل. ولضمان هذا المستقبل يجب ألا نعتد فقط على الديناميكية الديموجرافية للبلدان الفرانكوفونية بل على العكس من ذلك، يجب خوض معركة تشمل عدة مجالات.

أولاً: مجال التعليم، فمن الضروري، حتى تتأكد التوقعات الديموجرافية، أن تكون هناك إجراءات قوية وفعالة لإعطاء اللغة الفرنسية مكانة مهمة في النظام التعليمى للبلدان الفرانكوفونية. وأن جميع الأفكار في هذا الشأن هى موضع ترحيب. وهذا هو المعنى لمصطلح «التشاور مع المواطن» الذى أطلق في فرنسا في نهاية شهر يناير 2018، وهو موجه ليس فقط للفرنسيين والأجانب الناطقين بالفرنسية، بل أيضاً



الكندية جين مخايل
السكرتير عام للمنظمة 2015



السنگالي عبده ضيوف
ثاني سكرتير عام للمنظمة 2014-2013



د. بطرس بطرس غال
أول سكرتير عام مؤسس لمنظمة الفرنكوفونية 1998

التعبير عن فخر فرنسا بتلقى أجيال من المصريين تعليمهم في المدارس الفرنسية أو المدارس التي تُدرس اللغة الفرنسية. وسوف تواصل هذه المدارس تطويرها في مصر واستقبالها للمزيد والمزيد من الطلاب. كما تود فرنسا إعادة تنشيط الجامعة الفرنسية في مصر حتى تصبح جسراً بين الطلاب الفرنسيين والمصريين. أصدقائى الفرنكوفونيين في مصر، ليكن لديكم الفخر بهذه اللغة وهذه الثقافة التي نتقاسمها!

1983، الأمين العام العظيم لهذه المنظمة في شخص الدكتور بطرس بطرس غال في الفترة من (1997 - 2002). كما تدين الفرنكوفونية لمصر بالعديد من الكتاب الفرنكوفونيين مثل ألبير قوميرو وايدوموند جابس وجورج حنين، بالإضافة إلى أنه بفضل اللغة الفرنسية، استطاع آلاف الأشخاص قراءة أعمال كبار الكتاب المصريين وعلى رأسهم الكاتب نجيب محفوظ، الحائز على جائزة نوبل في الأدب. إننى أود، بصفتي ممثلاً عن الجمهورية الفرنسية بمصر،

ويا له من رمز بالغ أن يعين رئيس الجمهورية هذه الكاتبة الشابة الفرنسية-المغربية، الحاصلة على جائزة جونغكور الأدبية عام 2016، لتكون ممثله الشخصية للفرنكوفونية! إن المعركة من أجل مستقبل الفرنكوفونية يتم خوضها أيضاً في مصر، إذ أنه لا يمكن تصور الفرنكوفونية بدون مصر كما أن الفرنكوفونية لا يمكن أن تنسى ما قدمته لها مصر. لقد أعطت مصر، وهى عضو في المنظمة الدولية للفرنكوفونية منذ عام



الفرانكوفونية في مواجهة الهيمنة الأمريكية

تحتفل مصر ودول منظمة الفرانكوفونية في 20 مارس من كل عام باليوم العالمي للفرانكوفونية. وهو مناسبة سنوية لتأكيد مبادئ هذه المنظمة القائمة على تشجيع تعلم اللغة الفرنسية في إطار من احترام التنوع الثقافي واللغوي والدفاع عن الهويات الوطنية ورفض هيمنة لغة أو ثقافة واحدة. ويحتفل أعضاء منظمة الفرانكوفونية بهذا اليوم، الذي تم تدشينه عام 1988، من خلال تنظيم فعاليات ثقافية وفنية متنوعة تمتد عادة لمدة أسبوع بهدف إبراز الميراث الثقافي والفني لكل منها.

الاستوائية وغينيا بيساو وفيتنام ولاوس وكمبوديا وغيرها. والواقع أن شروط الانضمام للفرانكوفونية طرأ عليها تطور كبير بمرور الزمن في اتجاه تخفيف القيود بهدف تسهيل عملية الانضمام. فلم يعد شرطاً أن تكون الفرنسية لغة رسمية أو أن تكون هي اللغة الأجنبية الأولى، بل يكفي أن تقرر الحكومة المعنية تدريس الفرنسية في المدارس الحكومية وأن تهتم بتطبيق ذلك. ولا يشترط أن يكون تدريس الفرنسية كلغة أجنبية أولى، بل يكفي أن تكون من ضمن اللغات الأجنبية التي يتم تدريسها بجوار الإنجليزية أو الإسبانية أو البرتغالية أو غيرها. وقد فتح هذا الباب أمام اتساع عضوية المنظمة بدرجة كبيرة. وتلك سياسة أرادتها فرنسا وهي القوة الرئيسية وراء الفرانكوفونية والممول الرئيسي لها بجانب كندا. كما أنها لقيت استحساناً من كثير من الدول التي انضمت لاحقاً للمنظمة. ويشير ذلك للأهداف السياسية



أ.د. هشام مراد

أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة
mouradh890@gmail.com

وباستثناء فرنسا ومنطقة كيبيك في كندا والمناطق الفرانكوفونية في بلجيكا وسويسرا، فهناك تفاوت كبير بين دول ينتشر فيها استخدام الفرنسية وهي أساساً دول أفريقيا التي كانت مستعمرات فرنسية في السابق، بما في ذلك تونس والمغرب (والجزائر التي ترفض الانضمام لمنظمة الفرانكوفونية لأسباب تتعلق بالتاريخ الاستعماري الفرنسي)، وبين دول يتضاءل فيها عدد المتحدثين بالفرنسية مثل فيتنام ومصر وبلغاريا ورومانيا واليونان ومقدونيا وألبانيا ومولدافيا وغينيا

ويشير 20 مارس إلى يوم تأسيس أول تجمع للدول الناطقة بالفرنسية في نيامى عاصمة النيجر عام 1970 وهو «وكالة التعاون الثقافي والفني» والتي كانت تضم 21 عضواً معظمهم من الدول الأفريقية. وقد تحولت عام 1998 للوكالة الحكومية للفرانكوفونية، ثم للمنظمة الدولية للفرانكوفونية في 2005. وتضم المنظمة اليوم 54 دولة كاملة العضوية وثلاث دول منتسبة و23 دولة بصفة مراقب.

وغنى عن الذكر أن هذا العدد الكبير من الدول الذي يمثل نحو ثلث أعضاء الأمم المتحدة ويضم نحو 500 مليون نسمة، بما يعادل 10% من سكان العالم، لا يتكلم سكانه الفرنسية بصورة متساوية. إذ يبلغ عدد المتحدثين بالفرنسية في العالم كلغة أولى أو ثانية 220 مليون نسمة، 55% منهم في أفريقيا. ومن المتوقع أن يبلغ عدد الناطقين بالفرنسية في أفريقيا 85% من عددهم في العالم بحلول عام 2050.



بالتنوع الثقافى واللغوى. وهذا الإيمان بأهمية ترسيخ التعددية الثقافية هو أكثر ما يهم القائمين على الفرنكوفونية كما سنوضح فيما بعد. وهو يلبي كذلك مصلحة وطنية أساسية لمصر، وهى تنويع علاقاتها الخارجية وعدم الارتكان لقوة خارجية واحدة، خاصة الولايات المتحدة التى تنحو بفضل قوتها السياسية والاقتصادية والعسكرية الهائلة للهيمنة الدولية. فتعظيم هامش حرية الحركة الدولية والقدرة على المناورة السياسية الخارجية يتطلب من مصر كقوة إقليمية العمل على الحد من هيمنة طرف دولى واحد على علاقاتها الخارجية أو على التفاعلات الإقليمية والدولية. وبالتالي، فإن تنشيط التجمعات الإقليمية والدولية التى لا تهيم عليها الولايات المتحدة، ومنها منظمة الفرنكوفونية، يصب

وأجهزتها المهمة وخاصة مجلس الأمن الدولى.

مصر وحرية الحركة الدولية

ولعل انضمام مصر للفرنكوفونية ليعبر عن تلك الأهداف خير تعبير. فقد انضمت مصر للتجمع الفرنكوفونى عام 1983 بفضل جهود وزير الدولة الأسبق للشئون الخارجية د. بطرس بطرس غالى رحمه الله والذى أصبح فيما بعد أول أمين عام للفرنكوفونية فى نوفمبر 1997 خلال القمة التى عقدت فى هانوى. وإذا كانت مصر ليست دولة فرانكوفونية بالمعنى الدقيق للكلمة، فإن لها ثقلًا سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا مهمًا فى أفريقيا والعالم العربى ومنطقتى الشرق الأوسط والبحر المتوسط. وهى تلبي شروط الانضمام الخاصة بتدريس اللغة الفرنسية فى مدارسها والاهتمام

للفرنكوفونية. فمن الخطأ الاعتقاد أن نشر اللغة الفرنسية هو الهدف الأساسى الوحيد للمنظمة. إذ أن هناك أسباباً سياسية واقتصادية لا تقل أهمية، وربما تزيد، خاصة منذ استحداث منصب الأمين العام فى 1997 ثم إنشاء المنظمة فى 2005. إذ تسعى الفرنكوفونية منذ ذلك الوقت للقيام بدور سياسى فعال فى القضايا العالمية الملحة كمكافحة الإرهاب وظاهرة الهجرة غير النظامية لأوروبا والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتطور الديمقراطى لدول الجنوب. ويفسر ذلك سعى الأمينة العامة للمنظمة، ميكائيل جان، لزيادة التأثير والوزن الدولى للفرنكوفونية من خلال اتخاذ مواقف سياسية واضحة تجاه قضايا دولية مهمة والحضور المستمر والمشاركة الفعالة فى أنشطة المنظمات الدولية الكبرى مثل الأمم المتحدة

الفرانكوفونية فى مواجهة الهيمنة الأمريكية

مباشرة فى تلك المصلحة الوطنية. كما أن العمل على ترسيخ التعددية والتنوع الثقافى واللغوى يصب فى نفس الاتجاه، بل ويساعد على تحقيق مصلحة وطنية أساسية هى الدفاع عن الهوية والتراث الثقافى واللغة العربية كأحد مكونات تلك الهوية. فخلافاً للشائع، فإن الهدف الأساسى للفرانكوفونية لا ينحصر فقط فى نشر اللغة الفرنسية وإنما يمتد ليشمل مساعدة اللغات والثقافات الأخرى فى الحفاظ على ذاتها فى مواجهة زحف اللغة الإنجليزية. فقد أدركت منظمة الفرانكوفونية، وفرنسا تحديداً، أن مقاومة الهيمنة الزاحفة للإنجليزية هى معركة خاسرة إن شنتها فرنسا أو اللغة الفرنسية وحدها، وأن تكاتف اللغات والثقافات الأخرى مع بعضها البعض هو وحده الكفيل بتشكيل أفضل حائط صد أمام الإنجليزية. وأدركت الفرانكوفونية أن ذلك لن يتم إلا إذا عملت المنظمة على الدفاع عن تلك اللغات وعن التعددية الثقافية واللغوية. إذ أن تلك السياسة من شأنها شحذ هم الدول الأخرى غير الناطقة بالفرنسية التى انضمت للمنظمة. ولا عجب إذن أن نجد دولاً لغتها العربية كمصر أو لغتها الرسمية الإسبانية كغينيا الاستوائية أعضاء فى منظمة الفرانكوفونية. ولا شك أن انخراط مصر فى

الأنشطة الداعية والداعمة للتعددية الثقافية واللغوية، وما يرتبط بهما من ضرورة مواصلة وتنشيط الحوار بين الثقافات والحضارات، من شأنه المساهمة فى تصحيح الصور المغلوطة التى تنشرها وسائل الإعلام الغربية عن جهل أو عمد، عن الدول العربية والإسلام. كما أنه يساعد على نشر مبادئ التسامح وقبول الآخر والانفتاح على الثقافات الأخرى. وكلها مصالح مصرية وعربية وإسلامية مهمة.

وبالإضافة لذلك، فإن انضمام مصر للفرانكوفونية يحقق لها سلسلة من المصالح المهمة السياسية والاقتصادية والجيوسياسية، ومنها التقارب مع دول أفريقيا الناطقة بالفرنسية وعددها 31 دولة وبعضها من أقوى الاقتصادات فى أفريقيا مثل كوت ديفوار التى تلتقب بالقاطرة الاقتصادية لغرب أفريقيا. وبفضل انضمام مصر للفرانكوفونية، فإنها أصبحت مقر الجامعة الفرانكوفونية الدولية للتنمية الإفريقية المعروفة باسم «جامعة سنجور» «ليو بولد سيدار سنجور الرئيس الأسبق للسنغال وأحد الآباء المؤسسين للحركة الفرانكوفونية»، والتى أنشئت بقرار من مؤتمر قمة الفرانكوفونية فى داكار فى مايو 1998 وافتتحت فى أكتوبر 1999 فى الإسكندرية. وهى المؤسسة التعليمية الأساسية لمنظمة الفرانكوفونية التى تستقبل سنوياً مئات الطلاب الأفارقة الحاصلين على شهادات

جامعية بهدف صقل قدراتهم فى المجالات الضرورية لدفع التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى دولهم مثل الحوكمة وإدارة المشروعات والتغذية والصحة والحفاظ على البيئة وعلوم الاتصال والإعلام والصناعات الثقافية.

ولا ريب أن اختيار مصر كمقر للجامعة يدعم دورها فى أفريقيا ويعطيه بعداً تنموياً مهماً. وغنى عن البيان الأهمية الكبرى التى تمثلها دول القارة لمصر فى قضايا متنوعة سياسية واقتصادية ومائية ترتبط بحوض نهر النيل. وقد أدركت القيادة السياسية الأهمية الكبيرة لقارة أفريقيا وضرورة توجيه القدر اللازم من الاهتمام بها لما فى ذلك من مصالح مصرية مباشرة. ولاشك أن تواجداً ودوراً مصريراً فاعلاً فى إطار منظمة الفرانكوفونية يساعد على تحقيق مثل تلك الأهداف. كما أن عضوية وفاعلية مصر فى الفرانكوفونية تزيدان من ثقلها وأهميتها الإستراتيجية على الساحة الدولية نظراً للدور السياسى المتعاظم للمنظمة.

تساؤلات حول هوية المنظمة وقد انعكس التطور التدريجى للفرانكوفونية من تجمع للدول الناطقة بالفرنسية، تجمعها وشائج تاريخية ولغوية وثقافية، إلى تجمع سياسى أكثر منه ثقافى، على شكل العضوية وطبيعة الدول الأعضاء. فما لبثت أن انضمت للمنظمة دول لا يمكن تصنيفها كدول فرانكوفونية. وقد بدأ هذا التوجه على استحياء فى ثمانينات



نشر تعليم اللغة الفرنسية وزيادة الوزن الدولي للفرانكوفونية. إلا أنه يطرح في الوقت ذاته إشكالية أساسية تتعلق بهوية المنظمة. فكثير من الدول الفرانكوفونية الإفريقية، وأصوات عديدة داخل فرنسا، باتت تتساءل عن الطبيعة الحقيقية للمنظمة وتخشى أن تكون فقدت هويتها بسبب التوسع الكبير في عضويتها باتجاه دول غير فرانكوفونية. والواقع إن تلك التساؤلات ترتبط بحقيقة أن الدول الإفريقية باتت تشهد تراجع المساعدات الاقتصادية والتقنية التي تحصل عليها من دول الشمال الفرانكوفونية الغنية لصالح الدول حديثة العضوية، خاصة دول شرق أوروبا، التي تربطها علاقات تاريخية واستراتيجية بدول غرب أوروبا الفرانكوفونية، وهي فرنسا وسويسرا وبلجيكا. وهي تخشى عن حق من طغيان تلك المصالح الأوروبية على الفوائد الاقتصادية التي تسعى لأن تجنيها من انضمامها لمنظمة الفرانكوفونية.

كى تحافظ وتطور علاقاتها بتلك الدول القوية اقتصادياً. ومن ناحية أخرى، تسعى دول شرق أوروبا من خلال انضمامها لمنظمة الفرانكوفونية إلى الخروج عن هيمنة روسيا. وكانت تلك الدول تنتمي لحلف وارسو الذى كان يهيمن عليه الاتحاد السوفييتى سابقاً. ومنذ انهيار النظام الشيوعى وتفكك الاتحاد السوفييتى فى ديسمبر 1991، سعت تلك الدول إلى اللحاق بدول غرب القارة الغنية بوسائل شتى، منها الانضمام للفرانكوفونية. ويمثل ذلك بالنسبة لبعضها مرحلة انتقالية تمهد للانضمام لاحقاً للاتحاد الأوروبى و/أو حلف شمال الأطلسى. وتلك وسائل من جانبها لمواجهة النفوذ الروسى وإيجاد حلفاء جدد يمكنهم المساعدة فى التصدى لمحاولات موسكو استعادة نفوذها فى منطقة هيمنتها السابقة. ومن جانبها، ترى فرنسا إن هذا التمدد للمنظمة من شأنه

القرن الماضى وازداد وضوحاً واتساعاً فى التسعينات والسنوات العشر الأولى من الألفية الجديدة، إذ انضمت دول مثل رومانيا (1991) وبلغاريا (1991) وكمبوديا (1991) والرأس الأخضر (1996) ومولدوفا (1996) واليونان (2001) وأرمينيا (2004) وأندورا (2004) وأرمينيا (2008). وإذا كانت الأسباب التى حدثت بالمنظمة لقبول هذا التوجه باتت معروفة، فإن دوافع الدول الأعضاء غير الفرانكوفونية تتنوع وفقاً لمواقعها الجغرافية وظروفها التاريخية والاقتصادية والسياسية. فبعض الدول الإفريقية الصغرى غير الناطقة بالفرنسية فى غرب القارة مثل غينيا الاستوائية (الإسبانية) وغينيا بيساو والرأس الأخضر وساو تومي وبرنسيب (البرتغالية) محاطة بدول ناطقة بالفرنسية، وترتبط معها بعلاقات اقتصادية قوية. ولذلك انضمت للفرانكوفونية واهتمت بتعليم الفرنسية فى مدارسها كلغة ثانية

غاز شرق المتوسط بين التعاون والصراع

يتسارع نمو استهلاك الطاقة، وخاصة الأقل تلويثاً للمناخ، في عالم يتضاعف فيه معدل النمو الاقتصادي والسكاني، حيث يعتبر كثيرون أن العقد القادم بمثابة العصر الذهبي للغاز الطبيعي، حيث تتوقع بعض السيناريوهات المستقبلية احتلاله المركز الأول بين مزيج الطاقة المستخدمة خلال العقود القادمة، باعتباره يتناسب مع جهود مكافحة ظاهرة الاحتباس الحراري، ومصدرًا أسهل وأقل كلفة لتحريك مولدات الكهرباء التي يتصاعد الاعتماد عليه، تلك الأهمية الاستراتيجية للغاز تمخضت عنها حالة من التنافس بين القوى المتحكمة في سوق الغاز - مصدري ومستهلكين - بهدف تأمين مصادره، كالصراع الدائر بين روسيا ودول الاتحاد الأوروبي، وبين تركيا وقبرص بصورة مباشرة، وتركيا ومصر بشكل غير مباشر ليصبح الغاز من العناصر الرئيسية في رسم الخرائط السياسية والاقتصادية، كما كان الحال بالنسبة للنفط في الماضي القريب.

المحركات الكهربائية الصناعية التي ستمثل ثلث الزيادة في الطلب على الطاقة وفق سيناريو السياسات الجديدة لوكالة الطاقة الدولية.

ومن هذا المنطلق سيرتفع معدل نمو استهلاك الغاز الطبيعي رغم ارتفاع نسبة الطاقة المتجددة حيث ترى بعض المؤسسات المعنية بشئون الطاقة أن نسبة النمو السنوي للطلب العالمي على الغاز الطبيعي ستكون الأعلى بين الوقود الأحفوري حتى عام 2040م.

أما على جانب العرض، فيملك العالم احتياطات كبيرة من الغاز الطبيعي فعلى سبيل المثال يبلغ احتياطي العالم من النفط حوالي 240 مليار طن مقابل 171 مليار طن نفط مكافئ من الغاز و890 مليار طن فحم حجري.. فتتوقع وكالة الطاقة الدولية نمو إمدادات الغاز بمعدل 1.4% سنوياً خلال



أمل عبد اللطيف

amalabdeltif2006@gmail.com

استهلاك الفحم، ونحو 1% ارتفاعاً في استهلاك النفط، وهو ما يعنى ارتفاع حصة الغاز في إجمالي الاستهلاك العالمي من الطاقة من 22% إلى 23% خلال هذا العقد. وفي ظل تواصل معدل النمو الاقتصادي بمتوسط قدره 3.4% سنوياً، وتوقع ارتفاع عدد سكان العالم من 7.4 مليار اليوم إلى أكثر من 9 مليارات في عام 2040، وتسارع الجهود الدولية لتخفيف وطأة تحدى الاحتباس الحراري، من خلال الاعتماد على أنظمة

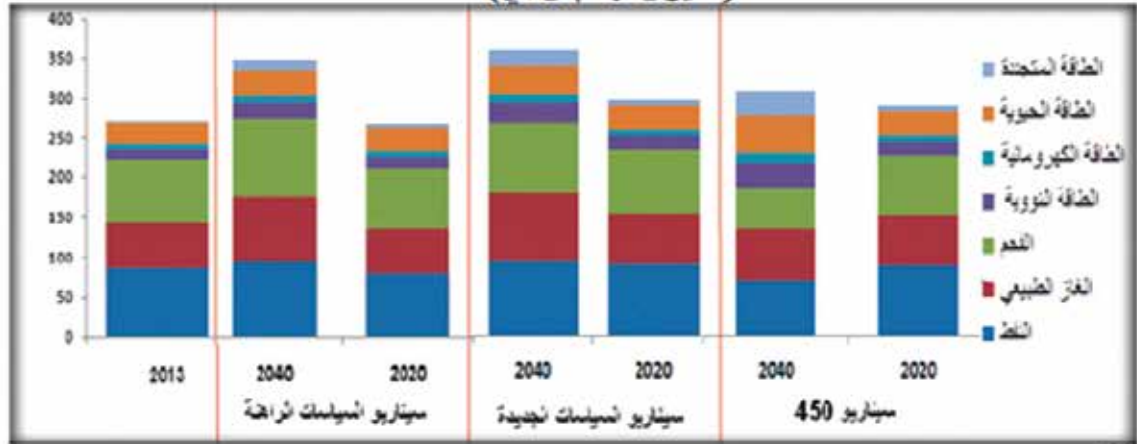
ويتوقع أن يكون للاكتشافات الجديدة من الغاز الطبيعي في منطقة شرق البحر المتوسط دور كبير في تحديد الجيوبوليتيكا بين الدول المتشاطئة، والتي بين بعضها خلافات حول ترسيم الحدود البحرية وحقوق الاستكشاف والتنقيب والنقل والتوزيع. ونتناول هنا موقع الغاز من الاتجاهات المستقبلية المتوقعة لإمداداته، والأهمية الجيوستراتيجية لاكتشافات غاز شرق المتوسط وأشكال الصراعات والتحالفات القائمة، وموقف مصر من تلك التطورات وكيفية استثمارها لتحقيق هدف التحول إلى مركز إقليمي لتصدير الطاقة.

العقود القادمة..

عصر الغاز الذهبي

شهدت الفترة من (2005-2015) تصاعداً في استهلاك الغاز الطبيعي بمعدل 2.3% سنوياً، مقابل 2.1% ازدياد في

توقعات الطلب العالمي على الطاقة حسب تقديرات وكالة الطاقة الدولية (مليون ب م ن/ي)



International Energy Agency, World Energy Outlook 2015.

المصدر:

لاستغلاله من الجانب الروسي كسلاح سياسى على خلفية الأزمة الأوكرانية، ولكنها لم تتمكن حتى الآن من استبداله بآخر، حيث أعلنت مجموعة «جازبروم» الروسية أن إمداداتها إلى أوروبا وتركيا سجلت مستوى قياسياً عام 2017 بلغ 193 مليار متر مكعب، فى زيادة حوالى 8% عن آخر مستوى قياسى حققته عام 2016. وهنا يلعب فى الأفق الدور المستقبلى الذى يلعبه غاز المتوسط، وضرورة استباق التحركات القطرية والأمريكية للإحلال محل روسيا، حيث صرح وزير الخارجية الأمريكى «ريكس تيلرسون» خلال زيارته لبولندا فى يناير 2018 إن «مشروع مد أنبوب جديد لنقل الغاز الروسى إلى ألمانيا مباشرة عبر قاع بحر البلطيق «السيلى الشمالى-2»، بمثابة تهديد لأمن واستقرار الطاقة فى أوروبا»، واعتبر نظيره البولندى، جاسيك تشابوتوفيت، إن «روسيا يمكن أن تستخدم الطاقة (المشروع) كأداة سياسية». وهو ما قوبل بتحذير من شركة الطاقة

«تمار» الإسرائيلية باحتياطى 10 تريليونات قدم مكعب، وحقل «أفروديت» القبرصى واحتياطيه 7 تريليونات قدم مكعب، وحقل «غاز قبرص أ» باحتياطى 7 تريليونات قدم مكعب. وقد مثلت تلك الاكتشافات أهمية استراتيجية وطوق نجاة للدول صاحبة الاكتشافات التى يعانى معظمها من أزمات مالية وتراكم للديون، وترغب فى استغلال ثروات الطبيعة من الغاز للتحويل إلى دولة مصدرة للطاقة، فيما يطمح بعضها كإسرائيل فى التحول إلى قوة تصدير ترفع مكانتها الإقليمية. أما على جانب السوق الكبير، أى السوق الأوروبى الأقرب جغرافياً، وحيث تعتبر الدول الأوروبية أكبر المناطق ذات العجز ضمن الدول الصناعية فسوف تستورد 360 مليار متر مكعب عام 2040. فبالنسبة للدول الأوروبية تبدو منطقة شرق المتوسط بديلاً جيداً للغاز الروسى، الذى يمثل ثلث استهلاكها من الغاز، ولكنها تسعى لتقليص اعتمادها عليه، نظراً

الفترة (2013-2040) ليصل إلى 5160 مليار متر مكعب (أى 45532 مليار برميل مكافئ نفطى يومياً) بزيادة قدرها 1647 مليار متر مكعب، وستبلغ حصة الدول النامية من هذه الزيادة 1308 مليارات متر مكعب، بينما ستصل حصة الدول الصناعية إلى 339 مليار متر مكعب.

غاز شرق المتوسط.. طوق نجاة

ساعدت تقنيات الاستكشاف والتنقيب الحديثة على العثور على كميات هائلة من الغاز فى منطقة شرق المتوسط قبالة سواحل قبرص وإسرائيل ولبنان وغزة ومصر وسوريا، قدرتها دراسة لهيئة المساحة الجيولوجية الأمريكية فى 2010 بنحو 345 تريليون قدم مكعب.

وقد بدأ الإنتاج فى عدة حقول أبرزها حقل «ظهر» المصرى باحتياطى يقدر بـ 30 تريليون قدم مكعب، وحقل «ليفياثان» الإسرائيلى باحتياطى 20 تريليون قدم مكعب، وحقل

غاز شرق المتوسط بين التعاون والصراع

توقعات إنتاج الغاز الطبيعي حسب تقديرات وكالة الطاقة الدولية
(مليار متر مكعب)



مع الجانب اللبناني:

إسرائيل التي سبقت دول تلك المنطقة في الاكتشافات والإنتاج، وجدت نفطها يفتقد إلى سبل النقل للسوق الأوروبي، وفي ظل ارتفاع تكلفة وطول فترة مد أنابيب مباشرة إلى أوروبا، لم يكن أمامها إلا توقيع اتفاق مع قبرص يتيح التعاون في أعمال التنقيب عن الغاز والنقل قبالة سواحل قبرص، ويتضمن تحول قبرص إلى مركز يستقطب صناعة الغاز الإسرائيلية بهدف توزيعه من أراضيها. وبالتوازي مع هذا أعادت علاقاتها مع تركيا حتى تكون الأخيرة منفذاً لتصدير الغاز الإسرائيلي لأوروبا. كما استغلت غازها لتحسين علاقاتها مع دول الجوار حيث وقعت إسرائيل صفقات تصدير بقيمة 1.7 مليار دولار مع الشركات الأردنية والفلسطينية. وفي هذا الشأن قال عوزي لاندوا، وزير المياه والطاقة في إسرائيل، إنه يعتقد أن «تصدير الغاز الطبيعي إلى الدول المجاورة لإسرائيل، سوف يعزز الثقة التي يمكن بدورها أن تعزز السلام في المنطقة». وفي المقابل

أشعل الخلاف مع الجانب اللبناني على ترسيم الحدود البحرية النار النائمة بين الطرفين، حيث قال وزير الخارجية اللبناني، جبران باسيل «إن الغاز اللبناني بات مهدداً بالفعل بعدما اكتشفت إسرائيل حقل كاريش الذي يبعد عن المياه الإقليمية للبنان بنحو 4 كيلومترات». وبعثت كل من لبنان وإسرائيل بخطابات إلى الأمم المتحدة لإعلامها بالحدود البحرية لكل منهما، لكن الدولتين لم تتفقا فيما بينهما على ترسيم للحدود رغم طلب الطرف اللبناني من إسرائيل ذلك.

سراب الحلم التركي في زعامة سوق الغاز

مع إبرام اتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين مصر وقبرص عام 2013 والتي سمحت بالتنقيب عن الغاز في المنطقة، والتي أتت ثمارها باكتشاف مصر لحقل «ظهر» العملاق، الذي يعد أكبر كشف للغاز تحقق لمصر ومنطقة البحر المتوسط، ويمثل إضافة قوية لدعم احتياطات وإنتاج مصر من الغاز الطبيعي، ودخوله في مرحلة التشغيل في مطلع

الروسية العملاقة «جازبروم» بأن أوروبا ستشهد قريباً نقصاً في الغاز وارتفاعاً في الأسعار، إذا سعت للاعتماد على واردات الغاز من الولايات المتحدة لتغطية الطلب المتزايد بدلاً من زيادة مشترياتها من روسيا. وتقع الفرص الواعدة لغاز المتوسط، الأقرب جغرافياً وتوفر ممرات التوريد مما يعني من الناحية الاقتصادية سهولة نقله وقلة تكاليفه بالمقارنة بالغاز القطري والأمريكي. ومن الناحية الاستراتيجية فإن تلك المنطقة ستكون بمثابة خزان احتياطي هائل للغاز يمكن الاعتماد عليه في حالة الهجوم على أوروبا. وهذه الخصائص الاستراتيجية التي ينفرد بها غاز المتوسط هي التي تفسر مدى اهتمام دول العالم بتلك المنطقة وبالأخص الدول الصناعية الأوروبية التي تعتبره منطقة حيوية استراتيجية لاقتصادها وأمنها القومي.

غاز المتوسط..

يوقظ الخلافات النائمة

في ظل الأهمية الاستراتيجية التي حملها غاز المتوسط، والأوضاع السياسية بين دول المتشاطئة، ظهرت تحالفات المصالح وكذلك الخلافات، بما يخطّ معادلات جديدة في موازين القوى بالمنطقة.

- إسرائيل.. بين تحسين علاقاتها الإقليمية ومزيد من التوتر

لذا فلا يمكن فصل الدور الروسى العسكرى والاقتصادى فى سوريا، والتي تعد شريكاً مهماً فى احتياطات الغاز المكتشفة بالبحر المتوسط، عن مساعى روسيا للسيطرة على صناعة الغاز فى تلك المنطقة. كما تتعاون مع مصر عن طريق بناء خطوط أنابيب للغاز وتصديره للسوق العالمى وإلى أوروبا، لاسيما وأن شركة «روسنفط» الروسية تمكنت من شراء 30% من اتفاقية الامتياز لحقل «ظهر»، بالإضافة إلى 15% من مشغل المشروع بقيمة إجمالية 2.8 مليار دولار.

صراع الشركات النفطية

لم تتوقف المنافسة بين الدول وحسب، بل امتدت بين الشركات العالمية أيضاً للاستحواذ على حقول المتوسط واحتكار إنتاجها لما يمثله الاستثمار فى تلك الحقول من أرباح وعوائد مالية كبيرة تعزز مراكزها فى الأسواق. وأهم الشركات التى تعمل فى حقول الغاز بالمتوسط (ENI) الإيطالية، التى لها وجود فى أكثر من 80 بلداً، من ضمنها دول أوروبا الشرقية وأفريقيا، إضافة إلى إيران وكازاخستان والعراق، وهى من الشركات التى تعمل على استكشاف الغاز فى لبنان ومصر وقبرص. وتملك الحكومة الإيطالية 30% من أسهمها. و(Total) الفرنسية، التى تملك 30% من حصص التنقيب عن النفط فى السعودية، وينحصر نشاطها فى البحر المتوسط من خلال حصولها على امتياز البلوك



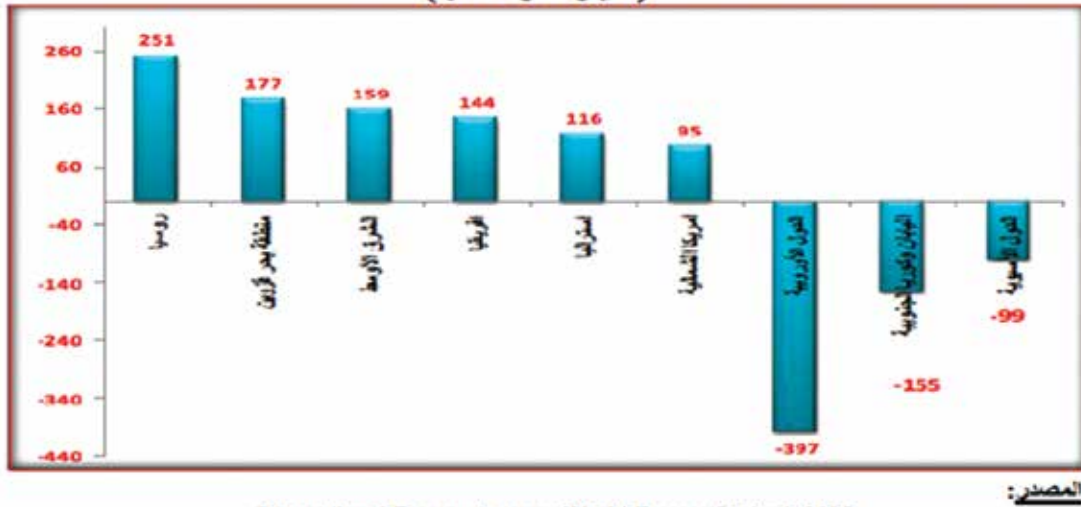
بدأت تركيا فى إثارة المشاكل والتحرش السياسى بقبرص بشكل مباشر، ومصر بصورة غير مباشرة، من خلال الادعاء بعدم قانونية اتفاقية ترسيم الحدود بين الدولتين وأنه لا يمكن لأية جهة أجنبية أو شركة أو حتى سفينة إجراء أى أبحاث علمية أو التنقيب عن النفط والغاز فى تلك المنطقة. واعترضت البحرية التركية سفينة تابعة لشركة «إيني» الإيطالية للتنقيب عن الغاز كانت تتحرك من جنوب قبرص باتجاه الشرق، وتطالب أنقرة بحصة القبارصة الأتراك من ثروات جزيرة قبرص.

الغاز.. ذريعة تدخل روسيا فى سوريا

تحاول الدولة الروسية المحافظة على حصّتها فى أسواق الطاقة والدفاع عن احتكاراتها،

2018 بمعدل إنتاج 350 مليون قدم مكعب يومياً يصل إلى أكثر من مليار قدم يومياً قبل منتصف عام 2018، ويرتفع إلى 1.7 مليار قدم يومياً بنهاية العام. كما تفاوضت وزارة البترول المصرية مع الشركات العاملة بحقول غاز شرق المتوسط لربط الحقول المنتجة بمصانع الإسالة المصرية فى إدكو ودمياط، للقيام بتسييلها والتصدير لأوروبا وآسيا، أرق هذا الوضع الحكومة التركية، التى كانت تبني آمالاً للتحويل إلى مركز إقليمى لتصدير الغاز لأوروبا من خلال مشروع «السيلى التركى» الذى جرى توقيعه فى أكتوبر 2016، لمد خط أنابيب لنقل الغاز الروسى عبر تركيا وإنشاء مجمع للغاز، لتوريده فيما بعد لمستهلكى جنوب أوروبا. ومن هذا المنطلق،

الصادرات والمستوردات الصافية من الغاز الطبيعي في عام 2040
حسب تقديرات وكالة الطاقة الدولية
(مليار متر مكعب)



غاز شرق المتوسط بين التعاون والصراع

مصر.. مركز إقليمي لتصدير غاز المتوسط

حققت الدولة المصرية العديد من اكتشافات الغاز وأصبحت على خريطة الطاقة العالمية. وبرزت كقوة كبيرة في إنتاج الغاز المسال وتصديره للعالم. ومن أهم حقول الغاز المصرية المكتشفة حديثاً: وقد أشارت إحصاءات شركة BP البريطانية أن احتياطات الغاز المقدرة في نهاية العام 2016 بلغت نحو 1.8 تريليون متر مكعب (65 تريليون قدم مكعب)، والتي تمثل أكثر من 1% من الاحتياطي العالمي. وفي ظل احتمال الصراعات بين الدول المتشاطئة، والتي لا تقتصر على اكتشاف الغاز وإنتاجه للاستهلاك والتنمية الصناعية والاقتصادية المحلية، بل التنافس على إنشاء طرق للتوزيع والتصدير من أجل الوصول إلى الأسواق الدولية، لم يعد أمام دول شرق المتوسط إلا خياران، الأول: إنشاء محطات لإسالة الغاز ومن ثم تصديره عبر السفن، ولا يبدو

11 القبرصي، إضافة إلى توقيعها بروتوكول تعاون مع قبرص لإعداد دراسة جدوى حول مشروع بناء مصنع لإنتاج الغاز الطبيعي المسال. وائتلاف شركتي (Nobel Energy) الأمريكية فقد حصلت على امتياز حقل «ليفيتان» و«تامار» الإسرائيليين، ولديها عقود استيراد مع مصر لتصدير الغاز الإسرائيلي إليها من خلال أنبوب من حقل «تامارا» إلى مصر، كما تستثمر الشركة في حقل «أفروديت» القبرصي بنسبة 70٪، بائتلاف مع شركتي (Delek) للحفرو (Avner) للتنقيب. بينما يشكك محللون في مدى عزم شركات الطاقة على استثمار المليارات لتطوير الغاز اللبناني والقبرصي في غياب خطة لتفادي المخاطر السياسية حيث لم يتم تطوير حقل «أفروديت» منذ اكتشافه قبل ستة أعوام.

هذا الخيار مجزياً حيث تضاف إلى تكاليف الإنتاج المرتفعة تكاليف إنشاء محطات إسالة الغاز، والخيار الثاني هو: إنشاء خط أنابيب لنقل الغاز من الحقول للمستهلكين، وهذه العملية أيضاً مكلفة اقتصادياً. وفي ظل التوجه العالمي للاعتماد على الغاز الطبيعي المسال، لتجنب المشاكل السياسية التي تحيط بمد خطوط أنابيب الغاز وارتفاع تكلفتها وصعوبة وصولها لمناطق الاحتياج البعيدة عن مناطق الإنتاج، فقد شكل الغاز الطبيعي المسال ما يقرب من 90% من النمو المتوقع في تجارة الغاز لمسافات طويلة حتى عام 2040.

وفي هذا الإطار تبرز الأهمية المصرية في ظل ما تمتلكه من بنية تحتية جيدة تدعم طموحها لتصبح مركزاً إقليمياً للطاقة يسيطر بشكل خاص على غاز منطقة شرق المتوسط لقربها الشديد منه، فبالإضافة إلى امتلاكها خط أنابيب غاز يربط بينها وبين إسرائيل، وآخر بينها وبين الأردن، وخططاً

الحقل أو البئر	الاحتياطي	الإنتاج الحالي	الشركة المستثمرة	حجم الاستثمارات
حقل ظهر	30 تريليون قدم مكعب	12 مليار دولار	إيني الإيطالية 60%+ شركتي "بي بي" البريطانية و"روس نפט" الروسية، بحصتين قدرهما 10 و30%	
حقل نورس	3 تريليونات قدم مكعب	1.066 مليار قدم مكعب	إيني الإيطالية	
حقل اتول	1.5 تريليون قدم مكعب	300-250 مليون قدم مكعب	بي بي البريطانية	3.8 مليار دولار
بئر سلامات	1.6 تريليون قدم مكعب		بي بي البريطانية	
حقل روزيتا		40 مليون قدم يوميا	بي بي البريطانية	
حقل دنيس		1.1 مليار قدم مكعب		

محطة الإسالة المصرية، وهو ما يعزز من فرص إنجاز الاتفاق، حيث من المنتظر إنهاء إجراءات التنفيذ ليكون الخط جاهزاً للعمل في 2019 - 2020.

وأخيراً فإنه يتعين على دول غاز المتوسط التخلي عن خلافاتها السياسية واحتواء الصراعات على ترسيم الحدود البحرية ونزع فتيل الأزمات قبل تطورها إلى صراعات إقليمية، والتعاون من أجل تأسيس كارتيل للغاز لفرض مصالحها إنتاجاً وتسعيراً، حماية لمصالح مصدري الغاز أسوة بما تلقاه صناعة الفحم والنفط من حماية ودعم من أطراف متعددة، والمطالبة بأسعار غاز أكثر عدلاً والعمل بجميع الوسائل لتحقيق هذا المطلب. فللتعاون الإقليمي في مجال الغاز منفعة للجميع، ويساعد على تجاوز المصاعب الاقتصادية الملحة خصوصاً وأن الهامش الزمني أمام الوقود الأحفوري ليس بالكبير، وبعده لن تكون هناك ضمانات كافية حول أسعار مقبولة للغاز.

الحكومة من المقابل المادى لتشغيل البنية التحتية الخاصة بعمليات تهيئة الغاز وشبكات النقل. وبناء عليه عقدت شركة «دولفينوس» المصرية الخاصة اتفاقاً مع الشركات العاملة في حقل الغاز الطبيعى الإسرائيليين تمار ولوثيان، يتضمن تصدير الغاز لمصر لمدة عشر سنوات بما قيمته 15 مليار دولار، ومن المتوقع أن يكون المردود المالى على الخزنة المصرية كبيراً من خلال رسوم المرور فى أنابيب الغاز والمقدرة بـ 5 دولارات لكل مليون وحدة حرارية، ورسوم على الإسالة والبالغة 6 دولارات لكل مليون وحدة حرارية. كما وقعت مصر وقبرص فى العام قبل الماضى اتفاقية مبادئ لنقل الغاز من قبرص إلى مصر عبر خط أنابيب بحرى، لإسالته وإعادة تصديره إلى الأسواق الخارجية. ويأتى ذلك فى ظل وجود شركة شل العالمية الشريكة فى الحقل القبرصى بنسبة 35 ٪، بالإضافة لكون الشركة نفسها شريكة فى

لمد أنابيب مع قبرص، فإنه لدى القاهرة ما يمكنها من بيع غازها لأى مكان فى العالم عبر محطتى إسالة الغاز الطبيعى فى إدكو ودمياط، وبما يمكنها من تصدير الغاز للسوقين الأوروبى والآسيوى، اللذين يحتلان الصدارة فى الأماكن الأكثر طلباً، ويساعدها على ذلك أهميتها الاستراتيجية فى تجارة الطاقة العالمية بسبب تشغيلها لقناة السويس وخط سوميد للأنابيب (الذى يربط بين السويس والبحر المتوسط)، وهما من طرق مرور صادرات النفط الخليجية. وفى إطار هذا التوجه، أبدت القاهرة الاستعداد لاستقبال الغاز من الدول المجاورة وتسييله وبيعه إلى السوق الدولى؛ حيث منحت الحكومة من خلال قانون تنظيم تجارة الغاز، الذى أقر فى العام 2017، الفرصة إلى القطاع الخاص لاستيراد الغاز بعد تحرير سوق تداول الطاقة، فى شكل يحق معه للقطاع الخاص استيراد الغاز وضخه فى الشبكة المحلية أو إعادة تصديره، لتستفيد

مصر مركز لتوزيع الطاقة

أدت زيادة النمو في العديد من البلدان إلى دفع زيادة الطلب على الطاقة، فأصبحت مصدر اهتمام عالمي. وتتزايد الحاجة لأن يتوافق المنتجون والمستهلكون مع احتياجات النمو. حيث يحدد التحرك في موضوعات الطاقة عدة عوامل من أهمها:

أمام مؤتمر الطاقة العالمي في روما في 2007، وحدد موقف المنظمة وقواعد التجارة من قضايا الطاقة، وحرص أطرافها في المستهلكين ومستوردي الطاقة في أوروبا، أو خارج حدودها، والبلدان المصدرة، والشركات التي تزاول تجارة الطاقة.

أما الاتحاد الأوروبي فقد تبني إستراتيجية - بعد ارتفاع أسعار الطاقة التقليدية مع ثورة أسعار البترول الأولى في السبعينيات من القرن العشرين - لضمان استقرار إمدادات الطاقة، وتنمية علاقات متوازنة مع الأطراف الدولية ذات الصلة. وتدور الإستراتيجية الأوروبية حول تسعة محاور:

- إعادة ترتيب البيت من الداخل بتنسيق سياسات الاتحاد الأوروبي ككتلة إقليمية مع سياسات الدول الأعضاء، وتعزيز الاحتياطي الاستراتيجي للطاقة.

- ترتيبات المستوى الثنائي للتفاوض حول اتفاق شامل مع روسيا حول الطاقة. وتنمية الحوار مع الدول المستهلكة الرئيسية للطاقة كالصين والهند. واتباع نهج مماثل للتعاون مع الجزائر وأوكرانيا. ودول الجوار الأوروبي ومنظمة الأوبك ودول الخليج العربي.

- ترتيبات المستوى الإقليمي:



سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

الصادرات من الطاقة. بحيث لا تمارس الدول المنتجة للبترول حق منع الصادرات البترولية إلى دول بذاتها.

- وترى الدول المنتجة والمصدرة للطاقة وللبنترول - في المقابل - أنه يجوز لأعضاء منظمة التجارة من المنتجين فرض قيود استثنائية - في ظروف معينة - تتعلق بحماية مواردها الطبيعية القابلة للنفاذ، أو اتخاذ إجراءات تراها ضرورية لحماية مصالحها الأمنية الأساسية.

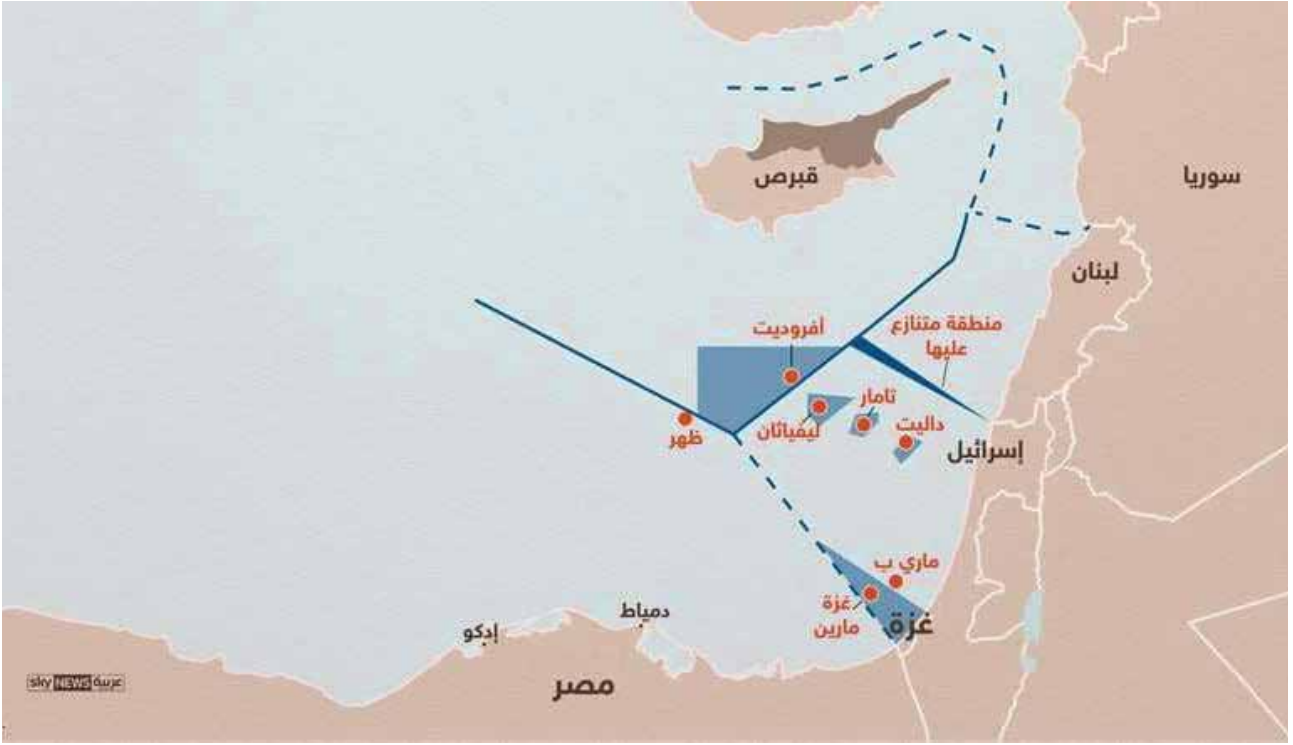
وتسعى منظمة التجارة العالمية لوضع قواعد أكثر مرونة وشفافية وقابلة للتنبؤ، وتعود بالنفع على كل من البلدان المستوردة والبلدان المصدرة والشركات التي تعمل في تجارة الطاقة، وتأثير ذلك على مصالح المستهلكين. وقد تحدث «باسكال لامي» وقت توليه منصب المدير العام لمنظمة التجارة العالمية

أن بعض الدول المؤثرة في إنتاج الطاقة وسياساتها، ظلت لفترة غير أعضاء في منظمة التجارة العالمية، مثل روسيا (التي انضمت في مطلع 2012)، وإيران، وكازاخستان، وأوكرانيا، والعراق، والجزائر، وليبيا، والسعودية التي انضمت في نهاية عام 2005.

- عندما عقدت الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات (جات) سنة 1947، كان الطلب العالمي على الطاقة يمثل جانبا متواضعا من حجم التجارة العالمية. وكان برميل البترول يباع بأقل من دولارين. وبالتالي لم تكن للتجارة في مجال الطاقة أولوية.

- تعهد أعضاء منظمة التجارة العالمية بفتح أسواقهم أمام المشغلين الأجانب في مجال خدمات الطاقة، والخدمات التابعة للتعدين في حقول النفط والغاز، بالإضافة للغاز والكهرباء وخطوط الأنابيب والنقل للوقود.

- ظهر اتجاه في منظمة التجارة العالمية تقوده جماعات المصالح الغربية المستوردة للبترول، للتأكد من أن قواعد التجارة الدولية سوف تنطبق على جميع أشكال المعاملات. حتى تفرض على حكومات الدول المنتجة للبترول الالتزام بالقواعد المنظمة لحرية التجارة. بمعنى حظر فرض قيود أو التمييز في



بنوك المعلومات في القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، التي تربط بين مشغليها في الاتحاد ومصر.

- مساندة تحديث وتنمية شبكات الطاقة وربطها بشبكات الجماعة الأوروبية.

ويلفت النظر ثلاث زوايا تحدد الموقف العالمي والأوروبي (والغربي) تجاه حركة تجارة الطاقة وبخاصة تلك المستخرجة من البترول والطاقة الذرية، وتجاه «تنظيم» توزيع وتجارة الطاقة:

- الزاوية الأولى: أسعار الطاقة من مصادر البترول.

- الزاوية الثانية: الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية، وإنتاج الوقود.

- الزاوية الثالثة: الديمقراطية والاستخدامات السلمية للطاقة الذرية.

الزاوية الأولى: أسعار البترول - منذ حقبة الاكتشافات البترولية

اختارت الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

- الترويج لاتفاقيات فعالية الطاقة energy efficiency والاستخدام الأمثل لها. وخفض اعتماد الاتحاد على الواردات، والحد من نمو الطلب العالمي بتحسين فعالية استخدام الطاقة.

- تحسين قدرات الإنتاج والتصدير في البلدان المنتجة للطاقة، وتحديث البنى التحتية للنقل. وتحسين ظروف التجارة.

الطاقة بين الاتحاد الأوروبي ومصر

ينظم اتفاق المشاركة المصرية الأوروبية، التعاون بين الجانبين في مجال الطاقة، فأفرد الباب الخامس لموضوع التعاون الاقتصادي. والمادة (53) لتنظيم التعاون في مجال الطاقة، ومنح الأولوية لمجالات:

- تطوير الطاقة المتجددة، وترشيد ورفع كفاءة الطاقة.

- البحوث التطبيقية في شبكات

بتوسيع نطاق معاهدة مجتمع الطاقة لتشمل دول الجوار الأوروبي، وتعزيز فكر أسواق الطاقة المفتوحة، والمنافسة، وحماية البيئة.

- المستوى متعدد الأطراف: بالتوصل من خلال منظمة التجارة العالمية إلى اتفاقيات مناسبة، والاستفادة من سياسات مجموعة الدول الثمانية الصناعية.

- تنويع مصادر الطاقة وتشجيع مشروعات الغاز الجديدة أو التي بلغت مرحلة متقدمة من التخطيط (شمال إفريقيا، الشرق الأوسط، بحر قزوين وروسيا والنرويج).

- استخدامات وتنمية الطاقة الجديدة والمتجددة، وتشمل طاقة الرياح والمياه والشمس، والوقود الحيوى. مع الاستفادة بنسبة 20% من الطاقة المتجددة.

- التوصل لنظام دولى لتوريد اليورانيوم المخصب إلى الدول التي

مركز لتوزيع الطاقة

وحتى ثورة أسعار البترول الأولى في سنة 1974 دارت مفاوضات غير متكافئة مع الشركات المستغلة، والدول المستوردة الرئيسية. حاولت خلالها الدول المنتجة الوصول بسعر برميل البترول إلى 12 دولاراً بدلاً من سعر 2.5 دولار السائد في السوق حتى عام 1973. وكان ذلك السعر يمثل وقتها نسبة من 20 - 25% من سعر البرميل تسليم ميناء الوصول. وكان الفارق يذهب لشركات الشحن والتكرير والتوزيع.

وأقصى ما قبلت به الشركات المستغلة للحقول والدول الصناعية الكبرى وقتها، هو النظر في قبول سعر 6-8 دولارات للبرميل. وظل هذا الوضع حتى يوم 6 أكتوبر سنة 1973. ووقتها كان سعر تثبيت الدولار لأوقية الذهب يساوي 35 دولاراً للأوقية. وأخذوا في الاعتبار أن سعر الذهب صار يدور بعد ذلك حول 1500 دولار للأوقية، فبحسبة بسيطة نصل للاستنتاج الآتي:

- أن السعر المجحف للبترول عام 1974 (2.5 دولار) صار يساوي اليوم 107 دولارات.

- والسعر الذي قبلت به الشركات وقتها (6-8 دولارات) صار يساوي اليوم 300 دولار.

- أما السعر الذي طالب به المنتجون (12 دولاراً) فأصبح يساوي اليوم 514 دولاراً.

الزاوية الثانية: الاستخدامات السلمية للطاقة النووية وإنتاج الوقود

تنظم معاهدة منع انتشار

الأسلحة النووية في موادها الرابعة والخامسة والسادسة استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، فتمنح الدول غير الحائزة للأسلحة الذرية الحق في تنمية بحث وإنتاج واستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية. وتلتزم أطراف المعاهدة بتيسير تبادل المعدات والمواد والمعلومات التقنية لاستخدام تلك الطاقة في الأغراض السلمية.

ووفقاً للمعاهدة تتعهد الدول الحائزة للأسلحة الذرية باتخاذ التدابير المناسبة لتأمين حصول الدول - أطراف المعاهدة غير الحائزة - على نتائج التطبيقات السلمية للتجارب الذرية، على أساس من عدم التمييز، في ظل المراقبة الدولية المناسبة. ومع ذلك نلمس تراجعاً عاماً في شأن تطبيق التزامات الدول الحائزة للأسلحة الذرية الأطراف في المعاهدة، وبخاصة في الآتي:

- عدم التراجع عن سباق التسلح ونزع السلاح الذري الكامل في ظل مراقبة دولية.

- عدم تزويد دول المعاهدة غير الحائزة للأسلحة الذرية بنتائج التطبيقات السلمية للطاقة الذرية.

- إنكار حق الدول في أن تنتج الوقود اللازم لتشغيل المفاعلات النووية للأغراض السلمية.

وبالتالي صار العالم يقر أمراً واقعاً يقوم على النحو التالي:

- هناك دول تمتلك برامج نووية معلنة تشمل استخدامات عسكرية (النادي الذري).

- ودول تمتلك برامج نووية للاستخدامات العسكرية، ولا تعلن عنها (إسرائيل)، وتساندها الولايات المتحدة والغرب في استمرار موقف

الغموض لبرامجها.

- ودول تسعى لاستخدام الطاقة الذرية للأغراض السلمية وتنضم للمعاهدة، ومع ذلك ينكر عليها حق إنتاج الوقود. ومطلوب منها أن تمنح خصومها فقط حق تزويدها بالوقود (إيران).

والتحدى القائم هو أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي

يعملان في اتجاهين:

- الأول لتحرير التجارة في البترول، المملوك في الأغلب لأطراف غير عربية.

- والثاني لاحتكار وتقييد التجارة في الوقود الذري المملوك أغلبه لدول الغرب.

الزاوية الثالثة: الديمقراطية والاستخدامات السلمية للطاقة الذرية

شهدت القاهرة عام 2007 احتفالية تحدث فيها مسئول أمريكي رفيع المقام (وزير الدفاع). وانطلق سؤال: «ما هو موقفكم من الاستخدامات السلمية للطاقة الذرية؟ فأنتم تتعاملون بعدة سياسات. وفي الحالة الكورية لديكم صبر على التفاوض السلمي حتى بعدما أقدمت كوريا الشمالية على تفجيراتها الذرية للأغراض العسكرية. وفي حالة إسرائيل تمنحونها غطاءً كاملاً لخروجها على الشرعية، وتعترضون في المحافل الدولية حتى على مجرد السؤال عن موقف إسرائيل من المعاهدة. أما في الحالة الإيرانية فصبركم ينفد بسرعة، بينما صواريخكم جاهزة للانطلاق في أي وقت. فما هو موقفكم بالتحديد؟ وما تفسيركم لهذه المعايير واللغة المزدوجة؟» وكان رد المسئول رفيع

المستوى: إن الأمر يتعلق أساساً بالديمقراطية. وهى تعتبر الضمان الحقيقى لحسن استخدام الأسلحة النووية. فالنظام الديمقراطى الذى يمتلك أسلحة نووية (يقصد إسرائيل) لا يمثل تهديدا للدول العربية، بعكس نظام دكتاتورى يمتلك تلك الأسلحة (يقصد إيران). وكان الرد المنطقى المقابل: إن الضحية لن تشعر بفارق فى حالة (اغتيالها) بسلاح دكتاتورى أو سلاح ديمقراطى. علما بأن المرة الوحيدة التى استخدم فيها السلاح الذرى كان أمريكيا ديمقراطياً. والدرس من هذا كله هو أن نحترس من وضع نقاد إليه، عندما تنهال علينا العروض من كل مصادر إنتاج وبيع المفاعلات النووية، ترحب بشدة بمساعدتنا على شراء ما نريد من مفاعلات سلمية للطاقة بمليارات الدولارات، على أن تحجب عنا تكنولوجيا إنتاج الوقود. ووقتها سنخضع بترولنا ووقودهم الذرى لكامل سيطرتهم، ونبقى - فى الحاليتين - رهينة لمزاج الآخرين. وبالتالي فإقدام مصر على عصر الطاقة الذرية يتعين أن يتم كالتالى:

- اشتراط أن تكون نسبة - ولو محدودة - من المكونات «التكنولوجية» للمفاعلات النووية، من منشأ وطنى مصرى. بما يكفل نقل جانب من تلك التكنولوجيا للأيدى والعقول المصرية.
- التمسك بحق إنتاج الوقود اللازم للمحطات النووية.
- العمل على اكتساب مهارات الأمان النووى والاستخدام الآمن، وسبل التخلص من النفايات.

الحاجة إلى دبلوماسية مصرية نشطة تأخذ بالمبادأة بأكثر من

الدفاع ويتطلب الأمر أن نأخذ الأمر بجدية لنتابع التحولات الجارية فى موضوعات الطاقة، فقد نستطيع التعايش مع بعضها. وربما تكون لنا مصلحة فى اكتساب تكنولوجيات الحد من حرق الوقود والاستهلاك المفرط للبترو، والبحث عن مصادر جديدة للطاقة البديلة والجديدة والمتجددة. ولعلنا نتفق مع بعض توجهات المحور السابع من الإستراتيجية الأوروبية الذى يدعو إلى التوصل لنظام دولى لإنتاج اليورانيوم المخصب فى الدول التى اختارت استخدام الطاقة النووية السلمية، تمشياً مع الالتزامات المتعلقة بعدم الانتشار. لكن نختلف إذا كان المقصود بذلك إدارة نظام دولى يقنن احتكار إنتاج وبيع الوقود النووى ويقصره على دول الغرب. كذلك قد نتفق مع المحور الثامن من الإستراتيجية الأوروبية الخاص بتخفيض الاعتماد على الطاقة التقليدية، وتبنى اتجاه دولى لتحسين فعالية استخدام الطاقة، والكشف عن مصادر جديدة وبديلة.

وعلينا أن «نشتبك» فى حوار علمى وعملى حول السعر العادل للبترو. لأن السعر الحالى ما زال سعراً مجحفاً بالمنتجين. وعلينا أيضاً التربص باتجاهات دول الغرب لإخضاع التجارة فى البترو، لقواعد التجارة الدولية، وإنكار إخضاع الوقود النووى لنفس القواعد.

وسوف يلقى كل ذلك بأعباء جديدة على الدبلوماسية المصرية، لتستخدم مستويات وطبقات مختلفة من لغة الحوار والتفاوض.

فنحن لا ندعو للمجابهة وإنما إلى دبلوماسية نشطة، وربما «مشاغبة» لا تقبل بموقف الدفاع وإنما تأخذ بزمام المبادرة، لرصد والكشف عن السياسات المضادة، وتواجهها فى حوار لإقناع الأطراف بالتوصل لحلول لصالح الجميع، ولا تقبل بمعادلة الصفر فى التفاوض التى يجنى فيها طرف كل الأرباح على حساب الأطراف الأخرى، فهى فى النهاية معادلات خائبة وقصيرة النظر ولا تبني المصالح والصداقات، بقدر ما تثير من نزاعات غير مبررة.

استراتيجية مصر والتطورات الأخيرة

تحولت مصر منذ 2011 من مصدر إلى مستورد للغاز الطبيعى نتيجة تراجع الإنتاج وعدم القدرة على سداد مستحقات شركات الغاز الأجنبية. وعندما بدأت فى تسديد هذه الديون منذ 2014 ورفعت سعر شراء حصة الشريك الأجنبى عاد الإنتاج لارتفاع مرة أخرى. واعتباراً من 2015 تم اكتشاف وتشغيل حقول غاز المتوسط وتشمل: سلامات، وظهر، ونورس، وأتول، وشمال الإسكندرية، فارتفع إنتاج مصر من الغاز الطبيعى. ويتوقع أن تحقق مصر اكتفاء ذاتياً من الغاز فى 2018 وبعدها وتحقق فائضاً بالتزامن مع بدء تشغيل حقل «ظهر» بنهاية عام 2018. وقد شهد شرق المتوسط فترة تحول تاريخية مع ظهور تقنيات تنقيب بحرى حديثة تحت مياه عمقها يفوق 2000 متر، وتوالت أنباء اكتشافات.

حروب الغاز وآثارها المدمرة

بعد نجاح الولايات المتحدة في إسقاط الاتحاد السوفيتي وتحول روسيا إلى دولة فاشلة في عهد الرئيس بورييس يلتسن، جاء الرئيس فلاديمير بوتين إلى الحكم وأخذ على عاتقه إعادة أمجاد الإمبراطورية الروسية من جديد ونجح في لمة دولة يلتسن الواهنة لتعود دولة جديدة تنافس على زعامة العالم، وهو ما أعاد القلق إلى الولايات المتحدة وبدأت في محاولات جديدة لتفتيت الدولة الروسية عن طريق خلق الأزمات لها ومحاصرتها اقتصاديا، واستخدمت في سبيل ذلك حلفاءها في أوروبا وعملاءها في الشرق الأوسط وأهمهم قطر.

يمر من خلالها 80 % من الغاز الروسى إلى أوروبا. وهناك العديد من المصانع المشتركة بين البلدين، بمعنى أن يتم تصنيع محركات الطائرات في أوكرانيا ويصنع باقى أجزاء الطائرة في روسيا. وأوكرانيا هى البلد الوحيد خارج روسيا الذى كان يعتمد اللغة الروسية لغة رسمية وتدرس إجباريا في المدارس حتى 2014 والثقافة الروسية كانت جزءاً أساسياً من الثقافة الأوكرانية.

وبدأت خطوات إسقاط الرئيس الأوكرانى السابق يانوكوفيتش عن طريق تدريب عدد كبير من الشباب في صربيا وأمريكا وسلوفينيا على خطوات إسقاط الدولة ومولت تهريب أسلحة خفيفة وبدأت إضرابات في معظم قطاعات الدولة واعتصامات في ميدان الاستقلال وهو الميدان الرئيسى في كييف. وقام عملاء بقتل بعض المتظاهرين وقتل رجال الأمن على التوازي واضطر يانوكوفيتش للهرب بعد الهجوم على مقر



سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

البتروولية التى مولت عملية إسقاط الأسد وكادت هذه المؤامرة أن تنجح لولا أن تدخلت روسيا للدفاع عن نظام الأسد الموالى لها وعن الاقتصاد الروسى نفسه الذى كان معرضا للانهيار.

وعلى التوازي وفي إطار محاولات إسقاط الدولة الروسية عملت الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبى على حرمان روسيا من أوكرانيا أهم دولة استراتيجية حليفة بالنسبة لروسيا - بعد أن فقدت أغلب دول حلف وارسو السابق - من حيث أنها الدولة التى

قررت الولايات المتحدة أن أفضل ما تقوم به هو نزع أهم سلاح اقتصادى تملكه روسيا وهو الغاز والبتروول الذى تعتمد موسكو أساسا فيه على الأسواق الأوروبية، ولذلك عمدت إلى إيجاد مصدر آخر لإمداد أوروبا بالغاز ليكون بديلا عن الغاز الروسى، ورأت أن إيصال الغاز القطرى إلى أوروبا عن طريق أنابيب تمر عبر سوريا إلى تركيا فباقى الدول الأوروبية كفيل بتكبيد روسيا خسائر فادحة وحدث انكماش روسى سريع ومصاعب اقتصادية جمة قد لا يتحملها النظام الروسى، إلا أن الرئيس الأسد رفض مرور الغاز القطرى عبر أراضيه حتى لا يوجه ضربة إلى أقوى حلفائه على الإطلاق. ومن هنا بدأ التخطيط لإسقاط الأسد عبر محاولة إحداث انشقاقات في الجيش السورى وتمويل تنظيمات القاعدة وداعش والإخوان والمتطرفين والأكراد وتسليحهم لإسقاط الدولة وقيام دولة جديدة عميلة للغرب وللدول

سوريا من بئر شمال قطر إلى شمال السعودية مروراً بسوريا وتركيا ويتم وصوله إلى أوروبا بعد ذلك وذلك طبقاً لمخطط 2010.

ثانياً: خط الغاز الإيراني البديل من بئر جنوب إيران مروراً بالعراق فسوريا فالبحر المتوسط فأوروبا عام 2014.

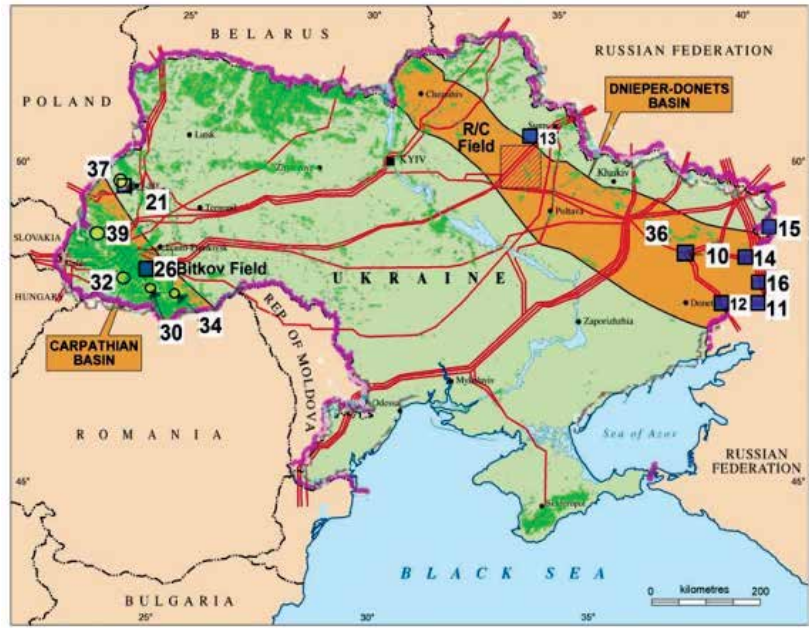
ثالثاً: في تعديل تال مطلع عام 2017 تم الاتفاق بين قطر وإيران على توصيل الغاز القطري مسافة بسيطة إلى بئر الجنوب الإيراني واستخدامه الأنبوب الإيراني للوصول إلى أوروبا.

رابعاً: في سبتمبر 2017 تم توقيع اتفاق ثلاثي بين روسيا وإيران وتركيا وبمقتضاه يتم تعديل خط الغاز الإيراني ليمر بتركيا بدلاً من البحر المتوسط وتحتفظ روسيا لنفسها بموضع قدم في هذا الخط.

- في محاولة من روسيا للاحتفاظ بتواجدها في سوق الغاز لأوروبا تنبّهت لأهمية الغاز المصري المزمع تصديره إلى أوروبا خلال 2019 أو 2020 فقامت بالاستحواذ على 30 % من حصة شركة إيني الإيطالية.

جدير بالذكر أن تدمير ليبيا أيضاً قد جاء أساساً في إطار استراتيجية حروب الطاقة.

وهكذا يتضح أن اكتشاف البترول والغاز في منطقتنا بقدر ما هو نعمة، فقد أصبح نقمة بعد أن تحولت المنطقة إلى مطمع لدول عديدة وأدى إلى تدمير العراق وسوريا وليبيا وأوكرانيا.



Note: numbers in figure represent nature reserves in Ukraine
Map of Ukraine with Dnieper-Donets and Carpathian Basins Identified

إلى بلغاريا ولكنه توقف بسبب الضغوط الأمريكية والأوكرانية على بلغاريا.

2 - خط السيل الشمالي 2 إلى ألمانيا عبر بحر البلطيق وما زال هو الآخر يواجه الضغوط والعقبات الأمريكية الأوكرانية.

ولتفادي آثار تحويل روسيا لإمدادات الغاز عبر أراضيها قامت أوكرانيا بالاتفاق مع بعض جيرانها على الحصول منها على الغاز بطريق الضخ العكسي.

وفي سبيل محاصرة روسيا اقتصادياً عمدت إدارة أوباما إلى رفع العقوبات الاقتصادية عن إيران حتى تستخدمها في إمداد أوروبا بالغاز بدلاً من اعتمادها على الغاز الروسي بعد فشل مد خط الأنابيب القطري إلى تركيا لفشل خطة إسقاط سوريا طبقاً للتسلسل التالي:

أولاً: خط الغاز الذي أفضلته

إقامته. وبعد سقوط يانوكوفيتش تكونت حكومة من عناصر موالية للغرب ورئيس ملياردير صاحب أكبر مصانع للشيكولاتة ومصانع للأسلحة وتم قطع كل الروابط مع روسيا وبالتالي قامت روسيا بضم القرم الذي كان يتبعها حتى 1954 كما قامت بتحويل جزء كبير من إمدادات الغاز إلى خط السيل الشمالي «نوردستريم» لتتفادي المرور بأوكرانيا التي تتهمها بسرقة الغاز.

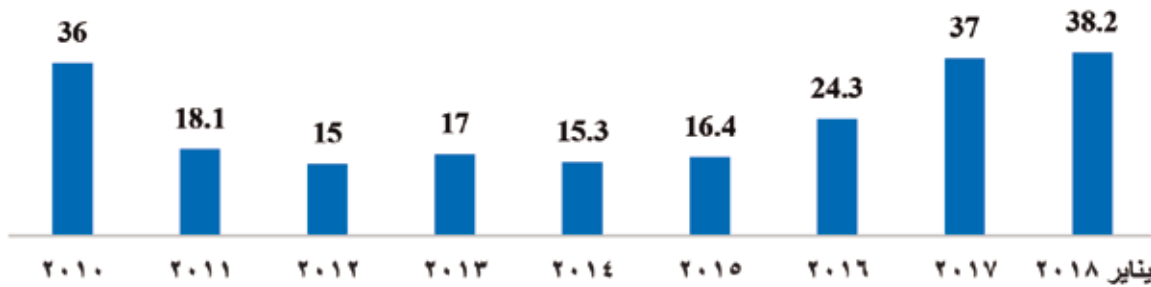
واستغلت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فرصة ضم القرم لفرض عقوبات اقتصادية على روسيا فنقرر روسيا حرمان أوكرانيا من مرور أنابيب الغاز عبر أراضيها وبحث عن خطوط بديلة تمر ببحر البلطيق والبحر الأسود على الوجه التالي:

1 - خط السيل الجنوبي «ساوث ستريم» عبر البحر الأسود



النمو الاقتصادي وجذب الاستثمارات إلى مصر

احتياطي النقد الاجنبي بالمليار دولار



موفقة ادت الى توفير العملة الاجنبية بالبنوك وإعادة بناء ما فقدته مصر من احتياطي أجنبي، حيث ارتفع احتياطي النقد الأجنبي بالبنك المركزي الى أعلى معدلاته منذ يناير 2011، مسجلاً 42 مليار دولار بنهاية فبراير 2018.

(2) تطبيق قانون الاستثمار الجديد، والذي من شأنه تبسيط الإجراءات لإنشاء الشركات ووضع حد أقصى للفترة الزمنية لإنائها، حيث ألزام الهيئات الاستثمارية بالبت في طلبات تأسيس الشركات خلال يوم عمل واحد فقط مع قيام الهيئة العامة للاستثمار والمناطق الحرة بمكنة خدماتها والتي تقدمها من خلال مركز خدمة المستثمرين (المسمى الجديد للشباك الواحد). هذا بالإضافة الى وضع حوافز خاصة لجذب الاستثمار في مناطق وقطاعات التنمية المستهدفة (يتم منح

أبرمته مع صندوق النقد الدولي. وكانت وكالة «ستاندرد آند بورز» للتصنيف الائتماني، قد حسّنت هي الأخرى في نوفمبر 2017 نظرتها المستقبلية لمصر ورفعتها من مستقرة إلى إيجابية. ودلالة أخرى على ثقة المستثمرين الأجانب في الاقتصاد المصري هي بيع وزارة المالية في فبراير 2018 سندات دولية بقيمة 4 مليارات دولار ببورصة لوكسمبورج، وسط طلبات شراء تخطت حاجز ال 12 مليار دولار.

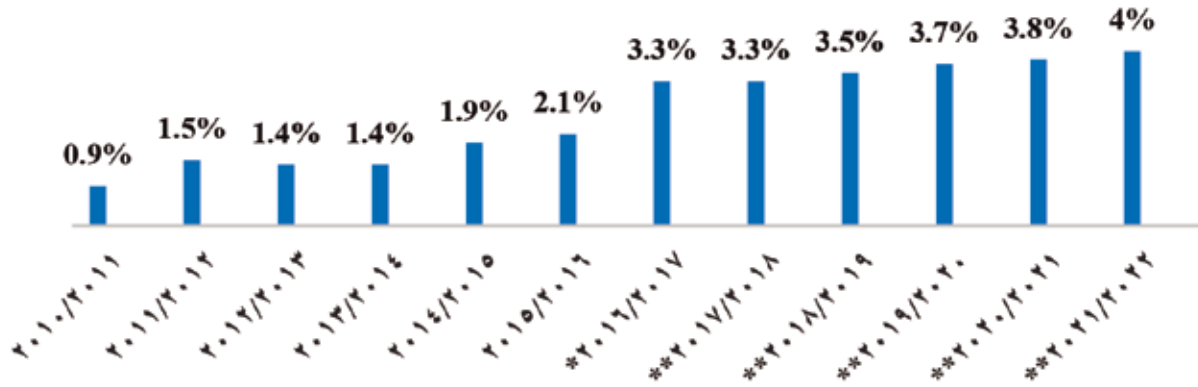
وإيماناً من الحكومة بأهمية توفير بيئة استثمارية جذابة للحفاظ على معدلات نمو مرتفعة وجذب استثمارات خارجية، اتخذت الحكومة عدد من الخطوات التي من شأنها تعزيز هذا التوجه مثل:

(1) تحرير سعر الصرف في نوفمبر 2016، حيث كانت خطوة

لصندوق النقد الدولي. وللدلالة على ذلك، يتوقع البنك الدولي أن يرتفع الناتج المحلي إلى 4.8% في 2018/2017 و5.5% على المدى المتوسط، مدعوماً بالمشايير المختلفة قيد الإعداد والتنفيذ مثل العاصمة الإدارية الجديدة، مشروع تطوير محور قناة السويس وتحويله لمنطقة لوجستية، حقل غاز ظهر والذي بدوره سيشكل مصدر كبير للنقد الأجنبي.

وبناء على المعطيات السابق ذكرها، حسّنت وكالة «فيتش» الدولية للتصنيف الائتماني نظرتها المستقبلية لمصر ورفعتها في يناير 2018 من مستقرة إلى إيجابية، حيث أوضحت ان مصر حققت تقدماً كبيراً في برنامج الإصلاح الاقتصادي في 2017، فضلاً عن أنها تسير على الطريق الصحيح لاتفاق القرض الذي

صافي الاستثمارات الى إجمالي الناتج المحلي



3.3% مقارنة ب 2.1% في العام السابق.

وفى ضوء هذه المعطيات والقرارات، مع استقرار السياسات النقدية والتضخم، أصبحت مصر قادرة على جذب مزيد من الاستثمارات الأجنبية للبلاد والوصول، إن لم يكن تخطي، توقعات صندوق النقد الدولي بوصول نسبة صافي الاستثمارات الى إجمالي الناتج المحلي الى 4% بحلول العام المالي 2022/2021، مدعومة بقرارات حكومية لمساعدة المستثمر الأجنبي والمحلى على حد سواء، خاصة مع وجود اطمئنان لدى المستثمر بخصوص سعر الصرف وتوفير العملة الصعبة مع عدم وجود قيود على تحويل الأرباح للخارج، مما سينعكس إيجابيا على البيئة الاستثمارية وعلى تحسّن الجدارة الائتمانية للاقتصاد المصرى وبالتالي معدلات النمو.

* ارقام مبدئية

** توقعات صندوق النقد

الدولي

صناعية تشمل 4136 فرصة استثمارية فى 8 قطاعات هي: الصناعات الهندسية بواقع 1265 فرصة، والصناعات الكيماوية 861 فرصة، والغذائية 649 فرصة، والنسيجية 605 فرصة، والتعدينية 395 فرصة، والدوائية 183 فرصة، والمعدنية 122 فرصة، والجلدية 56 فرصة. وتم تحديد هذه الفرص اعتماداً على الميزات التنافسية والمقومات الاستثمارية لكل محافظة، والتي يتركز معظمها بعيداً عن القاهرة والجيزة، حيث تصدرت محافظة الإسكندرية الخريطة يليها محافظتا المنوفية وبني سويف.

وفى ظل هذه القرارات والتوجهات الحكومية لتشجيع وتسهيل إجراءات الاستثمار، بدأ صافي الاستثمار الأجنبي المباشر فى مصر بالتعافى، حيث وصل إلى 7.9 مليار دولار فى السنة المالية 2017/2016 وفقاً لبيانات البنك المركزى، بنسبة ارتفاع 14.5%، لتصل نسبة صافي الاستثمارات الى إجمالي الناتج المحلي الى

المشروعات الاستثمارية التى تقام بعد العمل بهذا القانون خصما من صافى الارباح الخاضعة للضريبة والتى تشمل 50% خصما من التكاليف الاستثمارية للقطاع (أ) الذى يشمل المنطقة الاقتصادية لقناة السويس والمثلث الذهبى (القصر / سفاجا / قنا) و30% خصما من التكاليف الاستثمارية للقطاع (ب) الذى يشمل باقى انحاء الجمهورية، على الا تتجاوز مده الخصم سبع سنوات ولا تتعدى 80% من راس المال المدفوع حتى تاريخ بدء مزاولة النشاط. هذا بالإضافة الى وضع إطار تشريعى يضمن المساواة بين كافة المستثمرين، وتأكيد ضمان الاستقرار فى السياسات الاستثمارية، وسرعة تسوية المنازعات الاستثمارية.

وتهدف الدولة من تطبيق القانون الجديد واللوائح الحكومية المذكورة أعلاه الوصول إلى عدد أكبر من المستثمرين الأجانب فى المشاريع الكبرى الحالية والذى على اساسه قامت وزارة التجارة والصناعة بوضع خريطة

الاستخدام السياسي للشبكات

شهد الإعلام العربي وتحديدًا الصحافة العربية خلال الفترة الأخيرة تحذيرات عديدة مؤخرًا من ميل الشباب إلى شبكات التواصل الاجتماعي، وخاصة شبكة الفيسبوك، وذلك بدعاوى عديدة منها مثلاً أن جميع مستخدمي هذه الشبكات تحت رقابة صارمة من مؤسسي الشبكات لدراسة نفسياتهم تمهيداً لتجنيدهم ضد بلادهم من قبل أجهزة مخابرات أجنبية ولاستغلالهم في نقل معلومات من وإلى بلادهم لتحقيق أهداف سياسية، وأن تحركاتهم واتصالاتهم وما ينشرونه على هذه المواقع موضع تحليل دائم من الشركات المؤسسة لهذه المواقع بل ومن أجهزة مخابرات بعض الدول.

هناك تأثيرات سلبية على الهوية العربية الآن؟ وإن وجدت ما هي العلاقة بين هذه النتائج واستخدام الشبكات من قبل المواطنين من ناحية واستخدام الدول لها؟ المقال الحالي يستهدف الموضوع الأمني أما موضوع الهوية فيعالج مستقلاً.

المواطن ناشط سياسي في عصر الشبكات

الشبكات ليست سوى هياكل اتصالية جديدة في متناول يد كل مواطن في أي مكان، وهي وسيلة مرنة للغاية ويمكن استخدامها في أي وقت، وغير مكلفة على الإطلاق مع استمرار انخفاض أسعار الحاسبات والتليفونات المحمولة المتصلة بشبكة المعلومات، كما أنها في متناول يد الدولة بكل مؤسساتها، وهذه الشبكات بالرغم من تعدد أنواعها وأهدافها ووظائفها إلا أنها تتفق جميعاً في أنها شبكات تعيد تشكيل اقتصاديات الدولة، وتعيد تشكيل ضرورات استخدام الدولة للعنف أي تعيد تشكيل السياسة، كما أنها تعيد تشكيل أولويات انتماء الإنسان أي الهوية، متفقة في ذلك مع نمط مهم من الشبكات يطلق عليها شبكات الهيمنة العالمية، وهي الشبكات



سفير د.عزمي خليفة

azmyhkhalfi@gmail.com

المعلومات المتداولة عليها، وضرورة الالتزام بالمعلومات الواردة من مختلف جهات الدولة الرسمية فقط. وكانت رابع حجة أن العلاقة بين تمسك الشباب بالهوية وعدد الساعات التي يقضيها هذا الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي هي علاقة عكسية، كما أن الآثار السلبية لفكرة الانتماء إلى مفهوم الإنسان العالمي والهوية العالمية ذات تأثير سلبي أيضاً على الهوية الوطنية بما في ذلك الانتماء إلى الدين بغض النظر عما إذا كان إسلاماً أم مسيحياً أم يهودية وهي مسألة تدعو إلى القلق بالفعل. فهل هذه المبررات حقيقية؟ وهل هناك تأثيرات سلبية فعلاً من المعلومات المتداولة على الشبكة العالمية للمعلومات؟ وهل بالفعل

كذلك رأى الإعلام العربي أن استخدام الشباب لوسائل التواصل الاجتماعي تؤدي إلى حالة من الإدمان بين الشباب مما قد يؤثر على صحتهم ونفسياتهم وبالتالي على معدل أعمارهم في المستقبل أسوة بإدمان السجائر والكحوليات ومختلف المكيفات الأخرى، خاصة وأن التليفونات المحمولة من الجيل الثالث والرابع هي كمبيوترات محمولة متصلة بشبكة المعلومات العالمية طوال اليوم، في عصر تنقل فيه هذه الأجهزة عدداً لا بأس به من المؤشرات الصحية والاجتماعية والجغرافية لهذه الشبكة بصفة فورية، مثل مواقع التواجد على مدار اليوم، وكافة تفضيلاته الشخصية مثل الأقارب والأصدقاء والموسيقى والأفلام والألعاب والكتب المفضلة لديه، كما يمكن رصد عدد ساعات كل منهم على مواقع التواصل الاجتماعي وكلها معلومات مهمة لأي أجهزة استخباراتية.

وكانت ثالث الحجج أن عدداً من كبار المسؤولين العرب قد لفت الانتباه إلى عدم صحة المعلومات التي تبث على الشبكة العالمية للمعلومات مما يستدعي ضرورة الحذر من

الدافعة للعلومة ومتطلباتها.

تغيير قيم النخبة لدعم المشاركة والتنوع الثقافي والعرقي

هنا يثور تساؤل هل شبكات الهيمنة العالمية متاحة للأفراد أم للدول باعتبارها تشكل البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة ونظامها السياسي أساساً؟ الإجابة أن هذه الشبكات تستهدف كلاً من الدول ومؤسساتها والنخب الحاكمة والمواطنين ولكن الأهداف لكل فئة منهم تختلف، فاستهدافها للدول للتأكد من قيام هذه الدول باتخاذ الإجراءات اللازمة لإنجاز العولمة لأن كل هذه الإجراءات لا بد وأن تضمن في القوانين الداخلية ولا بد من تنفيذها رسمياً وهو ما يفسر أن جميع عمليات العولمة تتم داخل مؤسسات الدولة الوطنية أساساً وكلها عمليات تستهدف حرية انتقال الأفراد والبضائع والخدمات ورؤوس الأموال والمعلومات وعناصر القوة والثروة وإسقاط كافة الحواجز السياسية والزمنية والجغرافية، أى أن الهدف تغيير توجهات الدول نحو مزيد من الحرية والشفافية على مستوى العالم، أما استهدافها للنخب فهذه تغيير قيم النخبة لدعم قيم التحرر والتشاركية والديمقراطية وإجراءات الحكم الرشيد والتمسك بحوكمة الإنترنت ومكافحة الفساد أى تغيير القيم الدافعة نحو مزيد من العولمة، بينما تستهدف المواطنين لبث القيم المناسبة لتحقيق العدالة الاجتماعية والحرية والديمقراطية والتعبير عن الذات ويتم انتشارها في العالم عبر استخدام الشبكات بمختلف أنواعها لأن الشبكات بطبيعتها عالمية، لأنها مفتوحة النهايات والعضوية فيها متاحة لأي فرد ما لم ينص بروتوكول الشبكة على خلاف ذلك مثل شبكات

معينة كمجموعة العشرين وشبكة مجموعة الثمانية مثلاً، إلا أنه حتى هذه الشبكات ذات العضوية المحدودة عادة ما تفتح مواقعها للجمهور لمتابعة أعمالها والتعرف على إنجازاتها، بل وتتيح له التفاعل مع الشبكة ومع الجمهور المتفاعل معها، بمعنى أنه محروم من اتخاذ القرار فقط ولكنه له رأى موضع احترام فيما يناقش فيها.

إنسان عصر المعلومات تحول إلى ناشط سياسى واجتماعى

إذن إنسان عصر المعلومات تحول إلى ناشط سياسى واقتصادى واجتماعى فى مجال عام معلوماتى أساساً، وهذا النشاط والتفاعل على المستوى العالمى يدفعه ليكون أكثر نشاطاً فى المجال العام الإقليمى والمحلى، خاصة وأن وعيه السياسى يتشكل عبر مختلف أنماط الشبكات ومن ضمنها شبكات التواصل الاجتماعى حتى وإن كان غالبية أعضائها ينتمون لدولة واحدة، وحتى وإن كان هدفه لقضاء الوقت والتسلية، وهذا يفسر لنا فى المنطقة العربية عدة ظواهر سياسية فاجأت النخب السياسية مثل تغيير مفهوم الشرعية السياسية لدى المواطنين، ومثل تغير قيم المواطنين إلى ما يسمى بالقيم الذهنية مثل العلمانية والحرية والعدالة الاجتماعية وقيم التعبير عن الذات، وهى قيم تحتل قمة هرم ماسلو فى احتياجات الإنسان، أى أن هذه الاحتياجات انتقلت من الاحتياجات المادية القابلة للإشباع المادى إلى الاحتياجات الذهنية مثل الأمن الإنسانى ومتطلباته، وإعطاء كل نى حق حقه، والتشاركية فى الحكم، وفصل الدين عن المجال العام، والشعور بالذات، ورفض الدولة الأبوية، وحق العمل.

إذن الشبكات بكل أنواعها ترفع مستوى التفاعل السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الدولة الوطنية الحديثة، وهذه الشبكات عالمية بطبيعتها وتوجه نحو القيم العالمية والإنسانية والاهتمام بالبيئة والاهتمام بالآخر، وهذا التفاعل ساهم بقسط كبير فى إزالة الحواجز السياسية والجغرافية والزمنية بين الدول وبعضها، وإزالة الحواجز فى عصر الثورة الرقمية بين الإنسان والآلة (الماكنة) مما أدى لإنجازات هائلة علمية وتكنولوجية تزيد رفاهية الإنسان وترفع متوسط عمره، وهو ما أدى بالتالى إلى توسع الجميع دولاً ونخباً ومواطنين فى الاستخدام السياسى للشبكات كل لتحقيق هدفه، مما أدى بدوره لخلط المعلومات الحقيقية وغير الحقيقية، والحل هنا لا يكمن فى حظر الشبكات أو تقليل الاعتماد عليها أو الخوف منها ولكن فى حوكمة المعلومات والتعرف على نوع المعلومة المطروحة عبر أساليب عديدة مثل استخدام أساليب علمية متاحة، والتأكد من صحة المعلومة من مصادر أخرى، وهدف المعلومة مثلاً.

مؤشرات الاستخدام السياسى للشبكات

تأكد الاستخدام السياسى للشبكات فى وقت اتضح فيه سلبيات هذه الشبكات من قبل مؤسسيها، ففى سابقة لفتت انتباه مستخدمى فيس بوك مع نهايات 2017 غير الموقع خوارزميات أو معادلات تصنيف المنشورات التى توضع على حوائط الأعضاء ليعطى أهمية أولى للمنشورات المتبادلة بين العضو وأسرته وأقاربه على المنشورات التى تنشرها الشركات والمواقع الإخبارية، وحقيقة الأمر أن هذه الخطوة كانت أساساً لمواجهة ما يسمى بـ «انهيار

المضمون» الناتج عن تراجع الأعضاء عن نشر أى معلومات شخصية وتفضيلهم نشر أخبار عن أنشطتهم وروابط عن موضوعات إخبارية فى وقت يكبر فيه هؤلاء الأعضاء سناً، ويتجه الشباب إلى مواقع اجتماعية بديلة أكثر حداثة، وهو ما يعنى تقويض الأساس الاقتصادى للفيسبوك الذى يستند إلى بيع المعلومات الشخصية لشركات الدعاية والإعلان والشركات الإخبارية بما تشمله من تفضيلات فكرية وشخصية ونفسية وترفيهية وهى ثروة ثمينة، ومن ثم فهذه الخطوة تتيح لأصحاب فيسبوك والعاملين فيه الاطلاع على معلومات الأعضاء أولاً وتحديد نوعية المعلومات التى تنشر والتى تمنع، ولعل فى محاولات حذف صورة الشابة الفلسطينية عهد التميمي فى مواجهة الجندي الإسرائيلي مجرد مثال على انهيار المضمون فى فيسبوك.

فيسبوك يستلَب عقول المستخدمين

كذلك فإن الخيارات على الفيسبوك ليست حرة كما تبدو، فقد خرج ثلاثة من مطوري وممولي الموقع عن صمتهم مع مطلع العام الحالى، حيث أكد جستن روزنشتاين مطور زر الإعجاب فى الموقع أن هذه الشبكة تستلَب عقول المستخدمين من خلال تطوير علامة الإعجاب التى أكسبت الموقع تفاعلية أقوى وزادت من إدمان المستخدمين للموقع، وهو ما أكدته أيضاً ليا بيرلمان إحدى مسئولى التسويق فى الموقع باعتبار أن الأساس الاقتصادى للشبكة هو الربح المادى وجذب المستخدم لبيئة المنصة وجعله مهتما بمضمون ما

ينشر واستهلاك المحتوى لأطول مدة ممكنة، وهو ما يعرف باقتصاديات الانتباه Attention Economy بحيث يعامل فيه التركيز العقلى للإنسان وكأنه سلعة نادرة للربح المادى، من خلال تقديم مقترحات تتناسب مع المستخدم وذوقه وبحيث تتكون لديه نظرة أحادية للأمور والأخبار، كما أن أيقونة الإعجاب تعمل كمخدر «الدوبامين» وهى مادة كيميائية تتفاعل فى المخ لتؤثر على كثير من السلوكيات والمشاعر من خلال نشر الشعور بالمتعة والسعادة والإدمان، وكلما زاد عدد اللايكات على المادة المنشورة كلما ارتفع هذا الشعور بالمتعة حتى يصل الإنسان للترجسية والغرور، وكلما زاد هذا الشعور كلما استمرت مدة بقاء العضو على الموقع لمعرفة عدد اللايكات المتزايد.

ويؤكد ذلك أيضاً شون باركر أول رئيس تنفيذى لشركة فيسبوك الذى صرح بأن الموقع «استثمر الهفوات الموجودة فى سيكولوجيا العقل البشرى لجنى المال»، وأضاف «إننا ساهمنا فى خلق شئ لا نعرف ما هو، وما مدى تأثيره على عقول أطفالنا»، والخلاصة أن الاستخدام المنتظم للشبكات بمختلف أنماطها يؤدي إلى إدمان حقيقى، بل إنه كلما زادت درجة تفاعلية الموقع كلما زادت درجة إدمانه، مما دفع العلماء لإثارة تساؤلات حول تأثير هذا الإدمان على متوسط عمر الإنسان فى المستقبل. المواطن ورفاهيته أساس التطوير المعلوماتي

لقد مر التطور العلمى عبر التاريخ بثلاث ثورات كبرى غيرت حياتنا وأسلوب تفكيرنا ونظرتنا للعالم ولأنفسنا بإحدى طريقتين: انبساطية أو منفتحة وأخرى انطوائية أو مغلقة، قاد الثورة الأولى كوبرنيكس (1473

- 1543) الذى أكد أن الشمس مركز الكون وليست الأرض، وقاد الثانية داروين (1809 1882-) الذى أوضح أن الإنسان ليس أكمل كائن ولكنه قمة التطور الذى يتم بالانتخاب الطبيعى، وقاد الثالثة ديكارت (1596 - 1650) وفرويد (1856 - 1939) فالأول عبرت مقولته «أنا أفكر إذن أنا موجود» عن ارتباط مكانة الإنسان فى الكون بحالته الفكرية، وفرويد أكد أن السلوك مرتبط باللا وعى، والنتيجة أن الأرض مجرد كوكب صغير وأنا كبشر نتيجة الانتخاب الطبيعى، وحتى سلوكنا الشخصى لا نملك السيطرة عليه تماماً.

هذا الإدراك الإنسانى غير كثيراً من المفاهيم فى القرن العشرين ومنها مفهوم الثورة العلمية، فالثورة العلمية تعنى تغيير أسلوب تفكيرنا وأسلوب عملنا وليس التوصل إلى قانون جديد، كما تعنى أن طريقة التفكير الجديدة أنها ستصنع تقنياتها الخاصة فى عالم الكمبيوتر بحيث أنها استغنت فعلاً عن استخدام السوبر كمبيوتر واعتمدت على شبكة من الكمبيوترات المتوسطة لرسم صور بيانية كنوع من التمثيل الرقمى للمعادلات الرياضية. ومن هنا كان لا بد من إعادة النظر فى مقولات الفيزياء التقليدية مثل إمكانية التغاضى عن الحركة الصغيرة أو الاعتماد على التقريب (لورنزو) فى بناء النموذج، وجاء استخدام الليزر بأجهزة القياس ليؤكد أن بعض التفاعلات الكيميائية تتصرف بعشوائية (حركة غير منتظمة) وكذلك ضربات القلب، وامتدت الاحتمالات أيضاً إلى الطب النفسى والجسدى والتنبؤات الاقتصادية.

هويتنا أصبحت رقمية

وهذا تطور حضارى

هذا هو جوهر الثورة العلمية



COMPUTERS
SO POWERFUL
THEY COULD
REPLACE EVERY
DATA CENTER ON
EARTH

من الجهات الأمريكية، كما أن لجوء دول لحماية بعض الشخصيات وسيلة أخرى لحماية الخصوصية. باختصار، فإننا أمام بدايات طور جديد من أطوار الحضارة الإنسانية لا علاقة له بما قبل إنشاء شبكة الإنترنت، وهذه الحضارة تفرض تكنولوجيتها وأسلوب حياتها وقيمها، وتفرض نظاماً سياسية جديدة تستند إلى الديمقراطية التشاركية، والتعددية، والتنوع الثقافي والعرقى والدينى والاعتراف بالآخر والحرية والشفافية والمساءلة السياسية وحقوق المواطن فى الرفاهية التى تعنى صون كرامته، وحماية خصوصيته، وحقه فى المعرفة وهى حقوق أساسية تضاف لحقوق الإنسان والعهد الدولى لحقوق الإنسان، وهى حقوق منصوص عليها فى قوانين إتاحة المعلومات فى دول عديدة، ولكن الأهم أنها حقوق تأخذ بها جميع أنواع الشبكات بما فيها شبكات النفوذ أو الهيمنة العالمية التى تدفع العالم نحو مزيد من العولمة الأكثر إنسانية، وهى قدر المستقبل الذى لا فكاك منه.

لأن هويتنا أصبحت رقمية وهذا ليس إدمانا وإنما تطور حضارى لا بد منه. فى هذا المجال العام الرقمى يتم تمكيننا نتيجة تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال التى تتجه لحماية المعلومات وليس لمجرد معالجتها وسرعة استرجاعها فقط، فمستوى تأمين المعلومات زاد زيادة رهيبة، مما أدى لمزيد من الخصوصية، فحماية خصوصية أعضاء أى شبكة هى حماية للمجتمع ككل، باعتبار أن المجتمع مكون من مجمل المواطنين، والخلاصة أن تكوين شخصية المواطن تلزمننا بمساواة حماية الخصوصية مع حماية الهوية الشخصية باعتبارهما حقوقاً أساسية وهو ما نتجه نحوه بسرعة شبكات الهيمنة العالمية لإقراره. ولحين إتمام ذلك ظهرت عوامل مساعدة لتحقيق هذه الغاية فأصدرت المحكمة العليا الأوروبية حكماً برفض طلب أمريكى برفض الرقابة على بعض المشتبه بهم، وهو ما لجأت إليه المحكمة العليا الأمريكية أيضاً برفض طلب مماثل

الرابعة التى نعيشها اليوم، فجوهر الوجود الإنسانى قدرته على التفكير ومن ثم تطوير العلم نفسه ومنتجاته من تكنولوجيا فى إطار مجال عام معلوماتى أساساً. وأهم إيجابيات هذه الثورة أن الإنسان أصبح كائناً معلوماتياً. فالبيئة المعلوماتية أهم منجزات الثورة العلمية الحالية، وتشعرنا بالتواضع والتنوير أيضاً لأنها تمكننا من فهم أنفسنا أكثر ككائنات معلوماتية حية. فالمعلوماتية هى قوى تغير جوهر عالمنا فتعيد هندسة البيئة المحيطة بنا. فشبكة المعلومات ومواقع التواصل الاجتماعى وجميع الشبكات ليست سوى بوابات فقط ندخل من خلالها إلى منطقة من المجال العام المعلوماتى ويمكننا الحياة فيها ونضيف إليها وننهل منها، بل يمكننا فتح فضاءات وشبكات جديدة وطرح معلومات جديدة، ويمكن تشبيه ذلك بالهجرة من المجال العام المادى إلى مجال عام معلوماتى كبيئة جديدة، ومع زيادة معارفنا سنشعر بالحرمان والجهل والفقر كلما خرجنا من المجال العام المعلوماتى،

التحول الرقمي ودعم الإبداع والابتكار عند الشباب

ما تبذله الدولة من وضع سياسات لدعم التحول الرقمي يأتي في إطار إدراك القيادة السياسية لحجم التحديات التي تفرضها الثورة المعلوماتية إلى جانب الفرص التي يمكن أن نعمل على توظيفها بما يخدم عملية التنمية المستدامة، والتي باتت تشغل العديد من دول العالم، وأصبحت هناك أهمية في دعم الاستخدام النافع لتلك الثورة الرقمية وبخاصة التطبيقات الإلكترونية، وذلك من قبيل أن ما نجده في أيدينا من تطبيقات تكنولوجيا بطبيعتها محايدة، ولكن ما يعمل على بلورة نمط الاستخدام لها ثقافة المستخدم وبيئته التي يعيش فيها وربما تبعاً لذلك لحالته النفسية، وإلى نمط العلاقات الصراعية أو التعاونية التي يرتبط بها، والتي تلعب دوراً في التأثير على الإدراك ونمط التفكير ثم التأثير في السلوك سواء أكان سلوكاً خيراً أو عدوانياً.

وتبقى مسألة الحكم على القيم التي تتغير والأخرى التي لا تتغير أو تقع ضمن النسق العقيدى للجماعة متوقفة في الأخير على درجة تماسك النخبة ومستويات التعليم والثقافة داخل المجتمع، وحالة رأس المال الثقافي أو الإعلامي وموقفه من قيم المجتمع. وذلك مع حرية انتقال الأفكار والمعلومات والرموز ما بين الداخل والخارج، وتبقى في المواجهة المؤسسات الأهلية المحلية، ودرجة التعامل الإيجابي لها مع تلك الثورة المعرفية وقدرتها على تسويق قيمها وتطوير خطابها في ظل السيل الجارف من المعلومات والرموز من الخارج. وبقيت مناعة المجتمعات من التأثير المتصاعد لذلك التيار متوقفة على إدراك القيادة السياسية والنخبة ومؤسسات المجتمع لمعطيات الثورة المعرفية الجديدة، فأصبحت كلما امتلكت القدرة على التحديث والسرعة والاستجابة للتحديات كلما كانت لها القدرة في حفظ الأمن الثقافي والسيطرة على المحاور الرئيسية للتوافق



د. عادل عبد الصادق

مدير مشروع المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني
adelsadek@hotmail.com

انعكاس ذلك في عنصرين مهمين في البناء الاجتماعي وهما عنصرا الشباب والنسق القيمي للمجتمع، وذلك من خلال ما يتم رصده من علاقة بين الشبكات الاجتماعية، كمتغير مستقل والنسق القيمي الأخلاقي كمتغير تابع، إلى جانب علاقة ذلك بمتغيرات وسيطة تتعلق بدوافع تعرض الشباب والفجوة الديموغرافية ومعدل ثقته في المؤسسات الحكومية.

ورغم أن الإعلام بطبعه قد يكون عاكساً للقيم المحلية الأصيلة فإنه في حالات أخرى يكون هو الذي يملك الريادة في تغيير القيم،

الاستخدام النافع للثورة الرقمية ومن ثم يمكن أن يتم توظيف الشبكات الاجتماعية كـ«أداة لتغيير السلوك» لدى الشباب، ولتصبح أدوات لتحقيق التنمية الاجتماعية التي تركز على اعتبار الفرد هو الوسيلة والغاية. وبخاصة أن العلاقة بين الشباب والشبكات الاجتماعية أصبحت ذات طبيعة مزدوجة فهي كاشفة من ناحية لحجم التحديات التي يواجهها الشباب - وهم الأكثر تعرضاً واستخدماً ومعاناة- وتكشف من جهة أخرى عن فرص للاستفادة وإمكانية توظيفها بما يخدم الشباب على مستوى التفكير والإبداع والابتكار والمشروعات الناشئة.

وباتت تلعب الشبكات الاجتماعية دوراً في التأثير في القيم والسلوك لدى كافة فئات المستخدمين من المجتمع وبخاصة فئة الشباب، وذلك لما تتميز به تلك الشبكات من عناصر جذب ذاتية، ومنها ما يرجع إلى طبيعة التحولات التي يمر بها المجتمع، وهو ما يتعلق بخطورة

المجتمعى على الأقل.

وعلى النقيض فإنه فى حالة العجز وفقدان الصلة بين حجم التغييرات على الأرض وملاءمة السياسات المتبعة من الحكومات تحدث القطيعة الثقافية بين المواطن والمؤسسات ذاتها وتعزيز حالة الانعزال والغربة الثقافية وتدهور القيم المحلية وتراجعها فى مقابل إدخال أنماط جديدة لا تعمل على استقرار المجتمع بل على تفككه بنيوياً وقيماً، وعجز المجتمع عن التوصل إلى بوصلة توجهه نحو الطريق الصحيح فى ظل موجات العولمة الثقافية العاتية، والتي تعمل على الاستفادة الإيجابية مع المعطيات الجديدة والتخلى عن القيم السلبية وتبنى قيم جديدة تركز على الانفتاح والتسامح والإبداع والعمل وغيرها.

الشباب هو منصة الانطلاق

إن تنمية ثقافة الحوار والتسامح وحل الخلافات لمن الأهمية بمكان يجعلها هى أساس معالجة ما يعترى مجتمعنا من مشكلات ووقف تدهور الطاقة البشرية وقيمة الوقت للعمل على استخدام الشبكات الاجتماعية فى إحداث تغيير قيمي ثم سلوكي على النحو الذى يؤدي إلى تعزيز القيم المحفزة على التنمية مثل قيمة العمل والإنجاز والتطوع والتسامح وغيرها. ولا شك أن العامل الاقتصادي لا يمكن تجاهله وبخاصة أن الضغط المادي يؤثر نفسياً على المواطن وعلى الجماعة بشكل عام، ومن ثم فإن العمل على تحسين الدخل والمستوى المعيشي جزء مهم فى عملية الحد من تدهور القيم الاجتماعية ولا ينفصل ذلك عن أهمية مكافحة الفقر والبطالة وخاصة بين

الشباب وهم الكتلة الحرجة داخل المجتمع وهم الأكثر استخداماً لها والأكثر ناشطية ومعاونة فى نفس الوقت من ظروف الواقع المعاش. إن عملية حماية الفرد والمجتمع والدولة من تدمير القيم الأصيلة عبر تلك الوسائط الإعلامية الجديدة تتطلب أن يكون الشاب هو منصة الانطلاق فى تلك المواجهة وتعزيز ثقافته العامة والتقنية وتشجيع التوجه لديهم إلى الكليات العملية، ورفع مستويات الخطاب الثقافي للمؤسسات الدينية والثقافية والإعلامية ليكون لها الدور الحاضن للشباب، وتشجيع روح التسامح والحوار والابتكار والإبداع، وذلك لأن ثقافة المستخدم هى السبيل الوحيد للوقاية الذاتية من مخاطر الاستخدام السلبي للشبكات الاجتماعية.

ويمثل الشباب قوة نسبية للدولة فى سبيل البحث عن فرص للاستحواذ على اقتصاد المعرفة وبخاصة أهمية الإبداع والابتكار فى النمو الاقتصادي، وبخاصة أنه يتم تصنيف الدول وفق مؤشرات الابتكار والإبداع ويتم احتساب مؤشر الابتكار العالمي بتحديد متوسط مؤشرين فرعيين. وأولهما مؤشر المدخلات الذى يقيس عناصر الاقتصاد التى تجسد الأنشطة المبتكرة والتى يتم رؤيتها وفق خمس ركائز هى قدرة المؤسسات الفاعلة، وحجم رأس المال البشرى والبحوث، ومدى توافر البنية التحتية، وحجم التطور فى السوق، وفى الأعمال. وثانى تلك المؤشرات ما يتعلق بالمرجعات الخاصة بطبيعة المعرفة والتكنولوجيا و المخرجات الإبداعية والتطبيقات المرتبطة بها.

ضرورة إنتاج المعرفة

وأصبح ذلك توجه من الدول الفقيرة والغنية فى الموارد معاً فى محاولة للتأقلم مع الثورة العالمية فى مجال الاقتصاد الرقمي، وبخاصة مع كون المنطقة العربية ومصر تحتوى فى هيكلها السكاني نسبة تقل عن 60% من السكان من الشباب وهم ثروة بشرية تشكل ميزة نسبية إذا ما تم توظيفها على نحو جيد بشكل يجعل هؤلاء الشباب مؤهلين للدخول إلى سوق الاقتصاد الرقمي والذي يستطيع أن يحقق عدداً من المكاسب لعل أهمها، العمل على زيادة معدلات النمو الاقتصادي بالانتقال من الاعتماد على الموارد الطبيعية إلى إنتاج المعرفة. وزيادة فرص العمل، وزيادة معدلات الإنتاجية حيث تتميز الصناعات الرقمية بأنها عالية الإنتاجية وتمنح القدرة للمشروعات الصغيرة والمتوسطة بأن تنمو بسرعة. والعمل على مكافحة الفقر، ودمج المهمشين، وتحسين جودة الرعاية الصحية وتوفير النفقات على الأمراض المزمنة وزيادة صحة وإنتاجية العامل. وانخفاض تكلفة العملية التعليمية وتحسين الجودة واستخدام تطبيقات التعليم الإلكتروني.

وأخيراً، أهمية تعزيز التحول من الطابع الاستهلاكي إلى الدور المنتج والفاعل فى صناعة التكنولوجيا كجزء من تحرير الإرادة الوطنية وتعزيز المكانة الدولية. ولعل توافر الإرادة السياسية إلى جانب غنى مصر بطاقات بشرية هائلة من أهم عناصر النجاح فى طريق المستقبل وتعزيز التنمية المستدامة وتحقيق الأهداف الإنمائية للأمم المتحدة وأجندة 2030.

الاستقرار السياسي وتطوير الإدارة الحكومية العربية

ترتبط عملية تطوير وانطلاق الإدارة الحكومية العربية ارتباطاً وثيقاً بالمجال السياسي، نظراً للمسئولية السياسية عن القرارات الإدارية التنموية، وكذلك لأن كفاءة الإدارة تعد مصدراً مهماً في تقييم السياسات العامة للدولة، حيث تعتبر الإدارة الحكومية أداة تنفيذ هذه السياسات، وفي ضوء ذلك تتضح أهمية عامل الإدارة الحكومية وأداء الحكومات، والذي أصبح يرتبط بكفاءة أجهزتها الإدارية ومدى إنجازها، حيث يناط بها دور رئيسي في تحقيق التنمية المستدامة.

تأتى من منطلق الحرص على تصحيح الانحرافات، ومكافحة الفساد الإداري، وتفعيل أداء المؤسسات، وزيادة الالتزام بالدقة، والموضوعية، والجودة، وذلك لتلافى السلبيات الإدارية، وتعظيم العائد الإنتاجي، وحسن استغلال الموارد المتاحة، وتفعيل الشفافية والمساءلة، وتحقيق التنسيق والتعاون والتكامل بين التخصصات المختلفة، حتى تتمكن الدول العربية من تحقيق التنمية المستدامة، فالإدارة تعد المفتاح الرئيسي لإطلاق قوى التنمية، والتنمية لا تتعلق فقط بزيادة معدلات النمو الاقتصادي، بل ترتبط بإنشاء مؤسسات تتمتع بالاكفاءة الذاتية.

العوامل المؤثرة على تطور الإدارة الحكومية في الواقع العربي

تعدد العوامل المؤثرة على تطور الإدارة الحكومية في الدول العربية، أخذاً في الاعتبار أن هذه العوامل ترتبط وتؤثر وتتأثر ببعضها البعض، وهو ما يتضمن عوامل سياسية تشتمل على ثلاثة أبعاد:

البعد المؤسسي: فرغم أنه من المفترض أن كل جيل يخلق مؤسسات جديدة استجابة لمطالب



د. إسماعيل إسماعيل

خبيرة في الدراسات السياسية والأمنية

الجغرافية والزمنية بين الدول بسبب الثورة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وبدأ الناس ينظرون إلى التجارب الدولية المختلفة في صيانة الحقوق والحريات، وتوفير الخدمات والمرافق، مما فتح الباب أمام البحث عن سبل مقاومة حالة "الركود الإداري" التي تعاني منها الدول النامية، خاصة في ضوء قيام بعض الدول المتقدمة بعمليات إصلاح وتطوير إداري ناجحة، مثل نيوزيلندا التي أطلقت على برنامجها "قص الأطراف"، وتمكنت من احتلال صدارة الترتيب العالمي في تقرير ممارسة أنشطة الأعمال 2017.

وبالتالي يمكن القول أن أهمية تطوير الإدارة الحكومية العربية

ومن أهم العوامل التي تضمن تحقيق التنمية المستدامة، نجاح الإدارة الحكومية وفعالية المؤسسات وتمكُّنها من أداء الدور المنوط بها، وتمتعها بشرعية حقيقية تعتمد على الإنجاز، حيث أظهرت التجربة في دول مثل مصر وتونس وغيرها من الدول التي أطلق عليها "دول الربيع العربي" أنه قد يتمكن النظام السياسي من النجاح في الاستمرار بالاعتماد على الشرعية التاريخية لفترة زمنية معينة، ولكن إذا لازمتها شرعية الإنجاز المرتبطة بكفاءة الأداء الحكومي، والتي تتضمن تحسين الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وتعمل على حفظ الحقوق والحريات، أما إذا استمر تصاعد منحنى الاعتماد على الشرعية التاريخية، وتدنى منحنى شرعية الإنجاز مع ما يعنيه ذلك من إخفاق مؤسسات الدولة في أدائها لدورها، وتأخرها في الاستجابة لمتطلبات الشعوب، فهنا تحدث المواجهة، وتفقد الشرعية التاريخية وزنها، وتتصاعد المطالبات بإصلاحها وتغييرها.

لقد أصبح العالم في ظل انتشار مظاهر العولمة بمثابة قرية صغيرة، مع تلاشي الحواجز

وحاجات الشعوب المتغيرة والمتطورة، إلا أن العديد من الدول حديثة الاستقلال ظلت محتفظة بمؤسسات أوجدها الاستعمار، وحتى تؤدي عملية إقامة المؤسسات إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي لا بد أن يكون لدى الأفراد والجماعات استعداد للمشاركة في عملية التنمية، ولكن تفتقد العديد من الدول العربية الإمكانيات الإدارية للحكم، حيث الأجهزة الإدارية (البيروقراطية) متوفرة سياسياً ولكنها ليست ذات فاعلية إدارياً، مما يتسبب في عجز الدولة عن توصيل خدماتها إلى المواطنين، مما يؤدي إلى إثارة السخط وعدم الاستقرار، وتهتز قدرة الدولة في الحفاظ على النظام واحترام القانون وتبدأ في استعمال أساليب الإكراه والقسر مع المواطنين، وهنا تتضح أزمة السلطة في الواقع العربي.

والقيادة السياسية: إذ يحتاج البدء في عملية التنمية إلى اتخاذ قرارات سريعة، وإلى وجود إرادة سياسية حقيقية لتحقيق التنمية المستدامة، وفي هذا الإطار يحمل الجانب السياسي للإدارة الحكومية شكلاً من التناقض، يتمثل في أن المراحل الأولى في الإدارة الحكومية عادة تعتمد بشكل محدود على مبدأ التشاور أو المشاركة السياسية، في حين أن المراحل الإدارية التنموية التالية لا يمكن أن تحقق النجاح والإنجاز المطلوب إلا من خلال الاعتماد على أكبر قدر من المشاركة، وهنا تظهر الفجوة، إذ أن الأسلوب العلمي للإدارة يتضمن عنصر المشاركة منذ البداية، إلا أنه في

حالات عدم الاستقرار السياسي وخلال المراحل الانتقالية مثل التي شهدتها مصر وبعض دول المنطقة قد يكون من الصعب تحقيق هذا الشرط، لأن القرارات التنموية قد تتضمن إحداث تغييرات اجتماعية كبيرة، فلو تم طرح كل قرار للتشاور والمشاركة، فإن ذلك قد يواجه مقاومة من النخب التقليدية المنتفعة من الوضع القائم، ومن ناحية أخرى قد يستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم الاتفاق عليه، وهو ما سيؤخر تحقيق التنمية المنشودة. وتعتبر مقاومة الإصلاح والتغيير من أبرز التحديات التي تواجه تحقيق التنمية المستدامة في الوطن العربي، فبالإضافة إلى خوف بعض النخب السياسية والاقتصادية من التغيير حفاظاً على وضعها ومصالحها، يرجع الخوف من التغيير والإصلاح على المستوى الإداري بالمؤسسات إلى العديد من الأسباب، منها خوف القائمين على الإدارات من ارتفاع مستوى مهارات العاملين لديهم وعدم قدرتهم على مواكبة تلك التطورات، أو الخوف من المستقبل وبالتالي التمسك بالطرق التقليدية للإدارة.

والبعد النفسي: الذي يرتبط بالاستقرار السياسي والاجتماعي والذي يرتبط بدوره بشرعية النظام السياسي، وهو نتيجة لكيفية قيام النظام الحاكم بعمله، وأدائه للدور المنوط به، فهو محصلة وليس سبباً، فالاستقرار السياسي والاجتماعي يعتبر مطلباً أساسياً لأي حكومة ديمقراطية، وهو يعتمد على عدد من الدعام، يأتي في مقدمتها مدى فاعلية

الأداء الحكومي، وفاعلية الأداء تعني لأية درجة تستطيع مؤسسات النظام القيام بالوظائف الأساسية المنتظرة منها، أما الشرعية فتعني ببساطة شيوع فكرة معينة لدى المجتمع وهي أن المؤسسات السياسية الموجودة هي الأمثل بالنسبة لهذا المجتمع، والقبول والرضاء العام عن أداء النظام ومؤسساته، وبذلك ففي حين تعد فاعلية الأداء أداة أساسية بالنسبة للنظام السياسي، تعد الشرعية أداة تقييمية مهمة بالنسبة له، وإذا لم يتوفر الرضاء العام عن الإدارة الحكومية ففي هذه الحالة تمثل عبئاً على القيادة السياسية. وهناك عدد من المصادر التي استمدت منها النظم السياسية في الدول العربية شرعيتها: الشرعية العصبوية (القبلية والعشائرية والطائفية)، والشرعية الدينية، والشرعية الوطنية (التاريخية)، وقد اعتمدت النخبة الحاكمة في العديد من الدول حديثة الاستقلال على تاريخها النضالي في حركات التحرير والمقاومة ضد الاستعمار، وذلك بهدف بناء شرعية سياسية تعمل على تعبئة الجماهير خلف سياستها القومية، إلا أن فشل الأنظمة في الاستجابة لمطالب الجماهير أدى إلى اهتزاز شرعيتها ودفع إلى الرغبة في تغييرها، وهو ما أدى إلى نشوب ما أطلق عليه ثورات الربيع العربي.

العوامل الاجتماعية والثقافية

فرغم تمكّن الدول العربية التي عانت من الاستعمار خلال القرن العشرين من نيل استقلالها، إلا أن رواسب التبعية السياسية والثقافية مازالت تؤثر على منظومة العمل

الإدارى، وينعكس ذلك فى سلبية القائمين على الجهاز الإدارى، حيث أصبحت العديد من العقلية الإدارية عقلية سلطوية غير تنموية، وبالتالي يمكن القول أن المشكلات والتحديات الاجتماعية فى ظل الإدارة الحكومية العربية لا يمكن حلها دون توافر الإطار الثقافى الملائم والمشجع على التطوير والإصلاح الإدارى. كما تجدر الإشارة فى هذا الإطار إلى أهمية عنصر تجانس الثقافة السياسية السائدة، حيث يوجد فى أى مجتمع نوعان من الثقافة السياسية على الأقل، هما الثقافة السياسية للنخبة، والثقافة السياسية للجماهير، وقد عانت العديد من الدول العربية خلال السنوات الأخيرة من خلل مزدوج يتمثل فى وجود فجوة بين الثقافة السياسية للنخبة والثقافة السياسية للجماهير من ناحية، ومن ناحية أخرى ضعف وجود ثقافة سياسية مشتركة للجماهير، خاصة بعد ثورات الربيع العربى، حيث أصبح هناك العديد من الثقافات السياسية الفرعية والتي تختلف وفقاً للدين أو المذهب .. وغيرها، ويثير ذلك ما يعرف بأزمة التكامل.

ويشكل تعدد الثقافات السياسية إحدى المشاكل التنموية الأكثر خطورة، حيث يصبح الولاء الأساسى للأفراد تجاه الوحدة الفرعية (القبيلة مثلاً أو الطائفة أم المذهب) وليس للدولة، وهو

ما يتسبب فى تشتيت الخطط والجهود التنموية.

العوامل الاقتصادية

فالمشكلات الاقتصادية المرتبطة بالإدارة الحكومية تتعدد فى عدد من الدول العربية وخاصة مصر، وذلك نظراً لارتباط الجهاز الإدارى بالأنشطة الاقتصادية الإنتاجية من ناحية، ومن ناحية أخرى زيادة عدد العاملين فى الجهاز الإدارى مما يتطلب الاهتمام بإنتاجية العمل واقتصاديات الإدارة، حيث أن نقص الموارد الاقتصادية للدولة يؤدى لانخفاض مستوى الأجور، وقد دفع تراجع مستوى الأجور فى بعض الدول، القائمين على الجهاز الإدارى إلى محاولة زيادة الدخل من العمل بطرق إضافية، وهو ما قد أصبح بمرور الوقت بمثابة "عرف إدارى"، وتسبب فى انتشار الفساد واقتطاع عنصرى النزاهة والموضوعية، وذلك إلى جانب تراجع القوى الإنتاجية فى مقابل ارتفاع معدل الزيادة السكانية، وانكماش دور الأفراد والمؤسسات الأهلية فى عملية التنمية وزيادة الاعتماد على الدولة التى تصبح عاجزة عن تقديم الخدمات المطلوبة.

عوامل خارجية

فنظراً للتطورات العالمية المتسارعة والتي شملت التطور التكنولوجى وثورة المعلومات وتقدم شبكات الاتصالات، إضافة إلى التكتلات الاقتصادية وتحرير التجارة العالمية، وزيادة ارتباط التأثير المتبادل بين الدول العالم والخارج فى كل دول العالم بفعل ظاهرة العولمة، فقد ظهرت مفاهيم وعوامل جديدة

مثل الحوكمة وجودة الخدمات والتحسين المستمر، والتي كان لها انعكاسها على الإدارة الحكومية فى الدول العربية، حيث فرضت ضغوطاً عليها لى تطبق قيماً ومعايير إدارية جديدة تتضمن عنصرى الشفافية والمساءلة، وتستطيع من خلالها التكيف مع التطورات العالمية الجديدة، ومن أبرز هذه العوامل استقلال الإدارة وظهور طبقة أخذت الإدارة كمهنة مستقلة لها آدابها المهنية وتقاليدها، وكذلك التقدم التكنولوجى السريع الذى انعكس على أدوات وأساليب الإنتاج ونظم المعلومات، وزيادة التدخل الحكومى فى المشروعات حتى فى الدول التى نادت بالحرية الاقتصادية، وذلك بهدف حماية الطبقة العاملة، وتحرير التجارة العالمية وظهور تكتلات اقتصادية بين الدول، وأيضاً الانتقال من مرحلة الاقتصاد المحلى إلى الاقتصاد الكونى أو العالمى، إلى جانب تبنى القطاع الحكومى لممارسات الإدارة المطبقة فى القطاع الخاص والتي تشمل قياس الأداء والحوافز وخدمة العملاء، وتفضيل الملكية الخاصة أسلوب التعاقد للخدمات العامة واتباع أسلوب المنافسة لتقديم الخدمات.

مستقبل الإدارة الحكومية

فى الواقع العربى

لا يتطلب انطلاق الإدارات الحكومية العربية لتحقيق التنمية المستدامة تطوير عملية التصميم الإدارى فقط، بل أيضاً تصميم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً،

فمن أبرز التحديات مشكلة تطوير الجهاز الإدارى لتصبح عملية التطوير هدفاً فى حد ذاتها وليست وسيلة لتحقيق التنمية، بحيث يتحول الجهاز الإدارى إلى جهاز بيروقراطى يعيق الإنجاز بدلاً من أن ينظمه ويطوره؛ وفى ضوء ذلك يوجد عدد من المحددات السياسية والمؤسسية والاقتصادية والاجتماعية التى تعد منطلقات لتطوير الإدارة الحكومية العربية، أخذاً فى الاعتبار أن هذه المحددات لا تعمل بمعزل عن بعضها البعض بل تتداخل وتتشابك فيما بينها، ويمكن توضيحها فى محددات سياسية:

إذ يعد الاستقرار السياسى مطلباً مهماً لتحقيق التنمية المستدامة، ويتوقف استقرار النظام السياسى واستمراره على قدرة مؤسساته على التكيف مع حركة التفاعلات فى المجتمع الذى تعبر عنه، ومواجهة التحديات الخارجية الرامية إلى استغلاله أو فرض أوضاع غير مقبولة على المجتمع، حيث ينطوى الاستقرار على عدد من الخصائص المميزة للأداء الحكومى وهي: استمرار نجاح أداء الأبنية والمؤسسات الحكومية فترة طويلة من الزمن، وقدرة الحكومة على إصدار قوانين أو تعهدات إيجابية، وتخفيض العنف السياسى إلى أدنى حد ممكن، واتخاذ القرارات التى تتناسب مع المطالب المقدمة إلى النظام السياسى، واحترام وإنفاذ القانون. وبالإضافة إلى ما سبق يوجد عدد من المحددات المرتبطة بنمط انتقال السلطة وتطبيق الديمقراطية، حيث تعتبر

عملية انتقال السلطة بشكل سلمى ودورى داخل النظام السياسى مؤشراً لاستقراره، ونجاح مؤسساته فى العمل، كذلك تعد الممارسة الفعلية للديمقراطية وإتاحة الفرصة للجماهير للمشاركة السياسية والاجتماعية من مؤشرات الاستقرار السياسى والاجتماعى، ولا بد من الأخذ فى الاعتبار دور القيادات فى تقديم نموذج إدارى يعكس قيماً إيجابية لتحقيق التنمية المستدامة..

ومحددات مؤسسية إذ يساهم اتساع حجم الجهاز الإدارى فى تضخيم مشكلاته وعرقلة مشروعات التنمية، الأمر الذى يتطلب التطوير والإصلاح الإدارى بشكل مستمر، وأن تعتمد عملية التطوير والإصلاح على الإدارة الحكومية بأسلوب قطاع الأعمال، ويتضمن هذا التوجه "إعادة اختراع الحكومة"، ويرتكز على عدة عناصر مستمدة من اقتصاديات السوق مثل المنافسة والتركيز على النتائج وليس على المدخلات؛ إلى جانب إشراك الموظفين العاملين فى المؤسسة بمستوياتها الإدارية المختلفة فى عملية اتخاذ القرارات؛ واستمرار التطوير والتحديث الإلكتروني للمؤسسات الحكومية، وقد بدأت العديد من الدول العربية بإنشاء مواقع لمؤسساتها على شبكة الإنترنت، ولكن مازالت تواجه مصاعب فى توفير البنية التحتية التقنية، وتحديث قوانينها وأنظمتها إضافة إلى توفير التدريب لموظفيها. بالإضافة إلى أهمية "لامركزية" تنفيذ الخدمات والعمليات مع الإبقاء على مركزية اتخاذ القرار، ويتم بموجب هذا

التوجه منح صلاحيات أوسع فى تنفيذ الأنشطة وتقديم الخدمات عبر فروع المؤسسة.

وكذلك محددات اقتصادية واجتماعية تتمثل فى توفر الرؤية الإستراتيجية وتحديد فلسفة وأهداف الاقتصاد الكلى، ونجاح السياسات الاقتصادية للنظام التى تساهم فى رفع مستوى المعيشة ومعدلات الرفاهية للأفراد، مما يخلق نوعاً من الأمن والطمأنينة والرضا الشعبى تجاه النظام السياسى والسياسات الحكومية، وبالتالي يدعم من استقرار هذا النظام ويعد أحد مؤشرات استقراره. كما أنه لا بد من الأخذ فى الاعتبار أهمية تفعيل المؤسسات الاجتماعية القائمة، ومن أهمها المؤسسات الدينية وكذلك الأسرة، حتى تصبح أدوات إيجابية فى مواجهة الجمود الثقافى بهدف تحقيق التنمية.

ولقد توطدت العلاقة بين الاستقرار السياسى وتطوير الإدارة الحكومية، وفى ضوء ذلك أصبح تطوير وإطلاق طاقات الإدارة الحكومية مطلباً ضرورياً فى ظل الدور الذى تقوم به لتحقيق التنمية المستدامة ودعم شرعية النظام السياسى، فالأجهزة الإدارية التى تنشئها الحكومة عليها القيام بعملية الربط بين مكونات التنمية المختلفة، وتسهيل وتفعيل برامج تنمية محددة، حتى يمكن تحقيق وإنجاز الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، وحتى يصبح التغيير والتطوير جذاباً وممكناً، وبالتالي لا بد أن تتسم هذه الأجهزة بالإيجابية والانفتاح المدروس، وتشجع على الابتكار والتطوير المستمر.

الفاعلية السياسية عبر المجال الافتراضي

أتاحت شبكة الإنترنت بأدواتها المختلفة كثيرًا من الفرص لتمكين الشباب اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا، ولعل النشاط السياسي من أبرز تلك الفرص، حيث استطاع الإنترنت خلق أنشطة سياسية عديدة ساهمت في كسر حاجز الإحجام عن المشاركة السياسية للشباب في العالم، وذلك كله بفضل أدواته المتجددة، وخلق مجتمعات شبكية يسمح بمزيد من التواصل بسهولة وبطرق مُستترة بعيدة عن القبضة الأمنية، وهو الأمر الذي لا يزال يشهد تطورات تحتاج معها إلى محاولة التأمل واستشراف شكل المشاركة السياسية في ظلها داخل المجتمعات.

السياسية، والمشاركة في حملات انتخابية، والتصويت في الانتخابات، والنقد السياسي، والتنظيم والتنسيق والتعبئة لأعمال الاحتجاجات والاعتصامات، والدخول في مرحلة تفاوض مع السلطة، وكان لذلك النمط الجديد من المشاركة أدواته المتمثلة في: البريد الإلكتروني، والتعليقات، وغرف الدردشة، وإنشاء صفحات ومواقع سياسية، وتحميل فيديو أو ملفات صوت سياسية، والمواقع الاجتماعية، ومواقع التوقيعات الإلكترونية، والمدونات، والمنديات، ومواقع الإنترنت الخاصة، واستطلاعات الرأي الإلكترونية، والاستفتاءات، وغيرها من الأدوات، وهو ما أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة تخص مشاركة المواطن السياسية مثل مفهوم الفاعلية السياسية. وظهر مفهوم «المشاركة الديمقراطية» عبر الإنترنت الذي أطلقه ريتشارد كان. ومفهوم «ذخيرة المشاركة السياسية»، وغيرها من المفاهيم الجديدة التي عبّرت عن اندماج المواطن في العملية السياسية.

هذا النمط أو الشكل الجديد من المشاركة السياسية (الافتراضية) تجلّى فيما يُسمى بالسياسة



سارة يحيى
باحثة في العلوم السياسية

الافتراضية» التي تُعرّف في أبسط معانيها على أنها «تمكين المواطنين للتعبير عن آرائهم ووجهات نظرهم من خلال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، والتي منحت للأفراد فرصًا متساوية وأكبر من الشكل التقليدي للمشاركة السياسية، من خلال: التحدث مع آخرين حول الأمور السياسية، والتعبير عن الرأي ووجهات النظر المتعلقة بالأمور السياسية، والتعبير عن الاهتمامات والميول والأيديولوجيات والاتجاهات السياسية، والحصول على المعرفة السياسية بسهولة ويسر، والدخول في حوارات مع آخرين، والالتقاء مع من هم من منظورات فكرية مختلفة، والقدرة على بث الأخبار وظهور ما سُمي بصحافة المواطن، والانضمام إلى عضوية الأحزاب

لقد أحدثت الإنترنت تغييراً كبيراً في مفهوم المشاركة السياسية الذي دار حوله جدل كبير في وضع تعريف مُوحد لها، والتي حددها المنظرون في سبعة مبادئ رئيسية - كانت عاملاً مُشتركا بين كل التعريفات، هي: المشاركة السياسية نشاط أو فعل، يقوم به المواطنون من مُنطلق دورهم كمواطنين وليس كسياسيين أو غيرهم، ونشاط تطوعي وغير مُجبر، ويتم من خلاله التعامل مع أو التأثير في الحكومة أو السياسة أو الدولة من مُنطلق تلك المصطلحات: نظام سياسي، عملية سياسية، سياسة عامة، مؤسسات حكومية، ممثلو العامة/ الرسميون، إلخ، ونشاط يستهدف مجال الحكومة أو السياسة أو الدولة، ويهدف إلى حل المشكلات المجتمعية أو الجماعية، ونشاط له نوايا أو أهداف سياسية، حيث تجلّت تلك المبادئ عبر المجال الافتراضي للدرجة التي جعلت البعض يعتبر أن المشاركة السياسية ظهرت بشكل مواز لتلك التي تحدث في الواقع، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل استحدثت أنشطة سياسية أخرى لم تكن لتحدث لولا وجود المجال الافتراضي، وهو ما أطلق عليه - إجمالاً - «المشاركة السياسية



التشاركية، والتي لجأ إليها الأفراد نتيجة استيائهم من المؤسسات السياسية التقليدية وعدم مُلاءمتها لطبيعة المناخ السياسى الذى أصبح أكثر تعقيداً. ويعتمد النمط الجديد من المشاركة السياسية أو السياسة التشاركية بشكل رئيسى على شبكة العلاقات الاجتماعية، والتي كانت سبباً في تنمية ثقافة المشاركة والتشارك، وهو ما يوضح التحول في جملة الممارسات السياسية.

وللمشاركة السياسية التي تتم عبر الإنترنت العديد من السمات التي تميزها عن المشاركة السياسية التقليدية، والمتمثلة في: القدرة على الوصول إلى عدد كبير من الجماهير والقدرة على الحشد، ومُمارسة الأنشطة السياسية بحرية وفاعلية ودون وجود هيراركية، وتشكيل أجندات سياسية من خلال عقد حوارات عبر الإنترنت، والتي يُمكن أن تتم مع بعض القادة أو المسؤولين السياسيين، بل والحصول على تغذية عكسية منه، وتمكين المشاركين وحصولهم على قوة أكبر من خلال تداول أو إعادة توجيه المعلومات السياسية ومن خلال إنتاج المحتويات السياسية، وتسمح للأفراد بالعمل بطريقة مُستقلة في المجال السياسى، فأصبح من السهل على أى شخص كتابة تدوينة، أو التعليق، أو وضع صورة أو فيديو دون رقابة، وهو ما وفر للأفراد - وخاصة الشباب - فرصة في تشكيل المعلومات السياسية واستهلاكها وإعادة إنتاجها باستمرار، والتي أعطت الفرصة أيضاً لظهور جانب سلبي، وهو بث معلومات مُضللة، وتُسهل من عملية التفاوض السياسى بشأن السُلطة السياسية والدخول في حوارات ومفاوضات قد تصل لرجال السُلطة، وساعد على

الحملات، والمواقع الإخبارية، والبريد الإلكتروني، والمنتديات، والمسوح التي تتم عبر الإنترنت، وغرف الدردشة.

كما ظهرت الشائعات السياسية الإلكترونية كأحد الاستخدامات السياسية السلبية للإنترنت، والتي تُعد انعكاساً للرأى العام وقت الأزمات المجتمعية والسياسية والاقتصادية؛ حيث اعتبرها بعض العلماء المُنصرين لذلك التفسير أنها ممارسات استطرادية عامة يتم تداولها بين الناس نظراً لأهمية الموضوع بالنسبة إليهم. حيث أنه بعد ظهور الإنترنت حدث تحول كبير في إطلاق الشائعات التي اكتسبت مزيداً من القوة بفضل ظهور الإنترنت، وهو الأمر الذى غيّر في مفهوم الشائعات وفي كيفية انتشارها التي أصبحت أسهل وأسرع ودون قيد أو شرط، وهو الأمر الأخطر على الإطلاق؛ كما أنها تستمر لفترات زمنية أطول من الشائعات التقليدية. كما أن التشبيك الذى ينشأ عبر الإنترنت أقوى وأسرع في نقل المعلومات والشائعات من أية

الإبداع والابتكار في السياسة وإنتاج محتويات سياسية أصلية، وهو ما أدى إلى تغيير الخطاب السياسى.

ويُمكن القول أن هناك العديد من الاستخدامات السياسية للإنترنت والتي تراوحت بين الإيجابية والسلبية، والتي تتجلى في: المعلومات والوعى السياسى، حيث استطاع الإنترنت أن يخلق فضولاً لدى الناس بجميع فئاتهم حول الأمور السياسية؛ حيث زاد طرحهم للأسئلة، وهو ما يُشير إلى وجود علاقة طردية بين استخدام الإنترنت وزيادة الوعى السياسى الذى يخلق لدى الأفراد الحس الجدى والفضول المعرفى للاتجاه نحو المزيد من المعرفة. هذا الوعى قابله مزيد من إنتاج المحتوى السياسى، حيث أن الإنترنت يُساهم باستمرار في زيادة التمكين السياسى للأفراد من خلال المعلومات التي يحصلون عليها، ومن ثم زيادة وعيهم، تلك العملية التي تتم من خلال أدواته وأوعيته الإلكترونية المختلفة: المدونات، ومواقع الشبكات الاجتماعية، والمواقع السياسية، ومواقع



شبكة علاقات أخرى، كما أنه يُمكن إعادة إنتاج الشائعة مرة أخرى في وقت لاحق لغرض ما، فشبكة العلاقات تضيف على الشائعات قوة، وتجعلها ذات مصداقية أكثر من عامل منطقية المعلومات التي يتم بثها عبر تلك الشائعة.

كذلك ساهم الإنترنت بأدواته في ظهور النقد والسخرية السياسية من خلال تيسير عملية التفاعل الاجتماعي وتداول الخطاب السياسي الناقد، والذان يتم استخدامهما بقوة للإشارة إلى السلبيات الموجودة في المجتمع؛ مما ساهم في خلق منظورات سياسية مُختلفة تتقابل مع بعضها البعض في الفضاء الافتراضى، وخلق ما يُسمى بالاجتماعات السياسية، وعقد مناقشات حرة، وما نتج عنه حوارات سياسية تجمع كل التيارات والأطياف السياسية؛ مما كان له الفضل في توسيع رقعة الناقلين والمُشتركين وخلق مواطن يُسمى بالمواطن «الجدلى الصحفى». ومن ثم فتحول الإنترنت ليس فقط أداة للنقد، ولكنه أداة فعالة أيضاً لفهم المجتمعات ومظالمها؛ فثورات الربيع العربى خير مثال لذلك؛ حيث كان من أهم أسبابها إساءة استخدام السلطة، والتعذيب، والفساد، وهى نفس الأسباب التى كان الشباب يوجّهون النقد بسببها للحكومات العربية عبر الإنترنت، حيث إنه استطاع كسر وتخطى ما كان يُسمى بالمحرمات السياسية. على الجانب الآخر تُستخدم السخرية في تجسيد بعض الرموز السياسية، وإرسال رسائل سياسية خفية، والتى كانت غير واضحة في وسائل الإعلام

للعلمية الانتخابية.

كما كان الاحتجاج الإلكتروني أحد نواتج التطور التكنولوجى داخل بعض المجتمعات الذى واكبه إحكام القبضة الأمنية على التعبير الحر عن الرأى السياسى، حيث استطاع النشطاء والمهتمون أن يجدوا أشكالاً جديدة للمقاومة ويتبنوها، تُمكنهم من الخروج عن ذلك الإطار الذى وضعتة الدولة لنفسها لحماية أركانها، فتمكّن المواطنون من إيجاد البديل أو المتنافس للمقاومة.

كل ذلك جعل من الإنترنت مجالاً أو ساحةً مُمتدة سمحت للمواطنين بالتعرف والاستجابة تجاه القضايا التى يتردد صداها في المجتمع، والقدرة على تشكيل الآراء، وتوصيل الأصوات، وزيادة نفوذ المواطنين؛ مما كانت له نتائج إيجابية على ظهور حالة من الحراك السياسى شملت كل الأطياف والفئات الاجتماعية والاقتصادية، فالشباب الذين انخرطوا في الأفعال غير السياسية كالاقتحامات والهوايات، انضموا إلى أنشطة السياسة التشاركية، على الرغم من أنهم ليس

التقليدية، بهدف الإصلاح.

كما ظهر استخدام سلبى آخر للإنترنت وهو البلطجة الإلكترونية التى تعنى «ذلك العنف الذى يُمارس عبر البريد الإلكتروني، والرسائل النصية، وغرف الدردشة، والمواقع الإلكترونية، أو من خلال الرسائل الرقمية أو تلك التى يتم إرسالها عبر الهاتف المحمول». والذى لوحظ انتشاره بقوة عبر منصات الإنترنت خلال مراحل تطور الصراع السياسى بين مُختلف القوى السياسية بعد 25 يناير 2011، وكانت 2012 و2013 أعلى فترات الصراع السياسى، والتى شهدت تزايداً في ممارسة البلطجة الإلكترونية في مصر.

كذلك تُعد الدعاية السياسية عبر الإنترنت أحد أهم الاستخدامات التى ظهرت في دول العالم المُتقدمة والأكثر تأثيراً من أية وسيلة أخرى؛ ولذلك أصبحت من أبرز الاستخدامات السياسية للإنترنت، والتى أصبح يتم استخدامها بشكل رئيسى في الانتخابات السياسية، وقد لجأ لها معظم المرشحين وأصبح للنت الفضل في متابعة جمهور أكبر

لهم ميول سياسية، حيث جعل الإنترنت لديهم احتمالاً خمس مرات في أن يشتركوا في مثل تلك الأنشطة السياسية، ومن ثم فالإنترنت يخلق فرصاً جديدة للمشاركة السياسية. فقد أتاح التعبير الحر عبر صفحاته، وكذلك الاتصال بسياسيين؛ فخلق شبكة انخرط فيها الجميع، الأمر الذى عمل على تحفيز المواطنين للمشاركة السياسية وقدرتهم على كسر حواجز الرقابة التى فرضتها الحكومة على النمط التقليدي للمشاركة السياسية.

ورغم الاتجاه العام نحو قدرة الإنترنت على تعزيز المشاركة السياسية، فإن هناك اتجاهاً يذهب إلى العكس، وأن الإنترنت يعمل على تعزيز المشاركة السياسية لهؤلاء المشاركين القدماء في الحقل السياسى، وأنه ليس له تأثير على أنماط النشاط السياسى الموجود، وأن من يقومون بالتفاعل عبر الإنترنت هم في الأصل نشطاء على أرض الواقع، وأن الإنترنت بمثابة تأكيد لممارستهم نشاطهم السياسى على أرض الواقع. ومن هذا المنطلق، فإن الإنترنت يعمل على تعزيز نشاط النشطاء السياسيين، وليس استقطاب نشطاء جدد. ليس هذا فحسب، بل توصلت الدراسة أيضاً إلى أن الإنترنت يعزز مشاركة من يمتلكون موارد محددة، وهذا معناه أن المشاركين الواقعيين والقدامى الذين عزز الإنترنت من مشاركتهم كانت بينهم اختلافات كبيرة في كثافة وفرص مشاركتهم تبعاً للموارد المتاحة لكل منهم؛ فكلما زادت تلك الموارد كلما كانت الفرصة أكبر في المشاركة، تلك الموارد تتمثل في المهارات الخاصة بالدخول على الإنترنت، ووجود وصلات للإنترنت، وغيرها، وهذا من أهم مبادئ نظرية

تعبئة الموارد؛ مما يؤثر حالة من الجدل حول مدى فاعلية وجدوى الإنترنت في تشجيع أفراد جدد على الانضمام للمشاركة السياسية.

ولعل هناك العديد من الشواهد التى تؤكد على تغلغل تلك الاستخدامات السياسية في مجتمعات العالم التى وصلت إلى المجتمعات الأقل ديمقراطية، فنجد أنه مع التطور الملحوظ لمواقع التواصل الاجتماعى خلال الفترة 2010 - 2014، تم استخدام الفيسبوك في حملات الدعاية للانتخابات الرئاسية لأول مرة في مصر - وتحديدًا في فبراير 2010، كما تم استخدامه في يونيو من نفس العام لإمداد المستخدمين بنقد قانون المعاملات الإلكترونية في لبنان. وفي سبتمبر أعرب المواطنون السوريون عن عدم التسامح على سياسة العقاب البدنى في المدارس عبر الفيسبوك واليوتيوب. وفي أكتوبر رفعت الإمارات الحظر على موقع فليكر لأول مرة منذ 5 سنوات من ذلك التاريخ نظرًا للأهمية التى اكتسبتها مواقع التواصل الاجتماعى. وفي ديسمبر وضعت وزارة الثقافة والإعلام السعودية مجموعة من اللوائح على وسائل الإعلام الاجتماعية نظرًا للإقبال على استخدامهما، وفي نفس الشهر أصبحت مواقع التواصل الاجتماعى بكل أشكالها مصدراً لتغطية الأحداث في تونس.

وبعد ذلك، وتحديدًا خلال عام 2011، تجلّى استخدام مواقع التواصل الاجتماعى بقوة في مصر بنسبة 85% من إجمالى 43% كانوا يستخدمون الإنترنت في ذلك الوقت، ثم ما لبث وأن عاود الانخفاض مرة أخرى بعد انتهاء أحداث الثورة، وفي عام 2013 عاد الإقبال والنشاط مرة أخرى لمواقع التواصل الاجتماعى،

والذى يُعد هو عام ذروة الاستخدام في مصر والعالم العربى والعالم، وكانت مصر في ذلك العام أعلى دولة على مستوى العالم من حيث نسبة مستخدمى موقع التواصل الاجتماعى يليها الفلبين وروسيا بنسبة 86% لكل منهما، وهو ما يدل على الدور الحيوى الذى لعبته مواقع التواصل الاجتماعى في أحداث الثورات التى اجتاحت مصر والعالم العربى.

لقد استطاع الإنترنت أن يلعب دوراً مهماً في الحياة السياسية وفى الفعل السياسى، حيث تمكّن من خلق ساحة تعبيرية وفضاء افتراضى حر يسمح بالمشاركة والتعبير دون التقيد بشروط، ودون وجود أية عوائق تذكر سوى القدرة على استخدامه؛ مما أدى إلى مزيد من الانخراط في الحياة السياسية لمن لم يكن لهم القدرة على المشاركة لأسباب كثيرة، والتى في غالبها تتعلق بالقيود الأمنية وعدم الاهتمام. هذا بطبيعته خلق فرصاً متساوية، وأتاح موارد متكافئة للأفراد ليقوموا بعملية المشاركة السياسية والمشاركة في الشأن العام، فالمعلومة والمعرفة والثقافة والقدرة على المشاركة والنقد أصبحت في متناول الجميع دون أى تمييز. وذلك كله بفضل إمكانيات التشبيك بفعل تقنيات البرمجة واللوغريتمات المعززة للتواصل بين المستخدمين، حيث أنه يُعزز بدوره حشد وتعبئة العديد من الأصوات داخل مواقع التواصل الاجتماعى وخارجها. ولكن هل سيظل الإنترنت والمجال الافتراضى أداة فاعلة في المجال السياسى؟ وهل سيتم استحداث أدوات عبر الإنترنت تُعين على مزيد من المشاركة بسهولة أكبر ودون قدرة على تعقب الشبكات الخاصة بالإنترنت؟

جولة في معرض القاهرة الدولي للكتاب

تقليد جميل منذ ستينيات القرن الماضي حين بدأ انتظام معرض القاهرة الدولي للكتاب، ولأول مرة في تاريخ المعرض يتم تشكيل لجنة وزارية بقرار من مجلس الوزراء تضم ممثلين عن الوزارات المعنية بالمعرض حتى تضمن الدولة نجاحه وتذلل كافة العقبات أمامه، فاشتركت عدة وزارات في تنظيمه بدلا من أن يقتصر الأمر على وزارة الثقافة فقط كما كان يحدث في السابق.

وطريقة عرض الكتب اختلفت أيضا فبدلا من أن كانت مفهرسة ومقسمة ومتنوعة وكثيرة لدرجة أن دور النشر الكبيرة كان لها سرايا من ثلاثة أدوار، اقتصرت هذه الدور على خيام ودور واحد وقراءات محددة حصرت الرواد فيها وهي عادة الكتب الدينية والروايات القصصية التي تضيقت أقسامها على حساب أقسام العلوم والتنمية البشرية واللغات. وكما اختفى التنوع من المعرض تلاشت إمكانية التوصل إلى أساسيات الكتب التي يبحث عنها رواد المعرض مثل الكتب الجديدة والتي تقيم أسعارها بالدولار ويصعب شراؤها بعد تعويم الجنيه حتى من المكتبات والمراجع والمخطوطات القديمة أو حتى كتب محو الأمية وتعليم الأبجدية لكبار السن فلا تجد بدور النشر جميعها - وليس بالمعرض فقط - أي كتب لتدريبات تعليم القراءة والكتابة وأساسيات الحساب لكبار السن كما كان الحال في الماضي، وهي ملحوظة أتمنى أن يلتفت لها.

الملاحظة الأساسية الأخرى هي أن العديد من الأسر حضرت المعرض لأنه لأول مرة هذا العام يضم مخيماً خاصاً بكتب الأطفال على مساحة 2000 متر، إلى جانب أنشطة خاصة بالطفل منها «ركن مجدى عبد الرحيم» المخصص لإقامة ندوات وحفلات توقيع، وركن المسرح «مسرح محمد فوزي»، و«ركن بابا شارو» وجدول لورش الفنون التشكيلية، وركن «أبلة فضيلة» وجدول ورش الحكى والألعاب والمسابقات. كما أن وجود حدائق ومتنزهات في أرض المعرض اعتبرته الأسر ميزة كبيرة، خاصة مع الاهتمام بها من قبل المسؤولين عن أرض المعارض في الفترة الأخيرة. فحرصت العديد من الأسر على التواجد بالحدائق مع إحضار المأكولات والمشروبات الساخنة، مع لعب الأطفال لكرة القدم، مستغلين أيام المعرض للنزهة لكل أفراد الأسرة.

وفي تقليد أصبح مستديماً بمعرض الكتاب من دعوة المؤلفين لتوقيع إصداراتهم مع إقامة ندوات مفتوحة للجمهور مع المؤلفين، دعتني دار المعارف لندوة نظمها



سفيرة د. عبير بسيوني

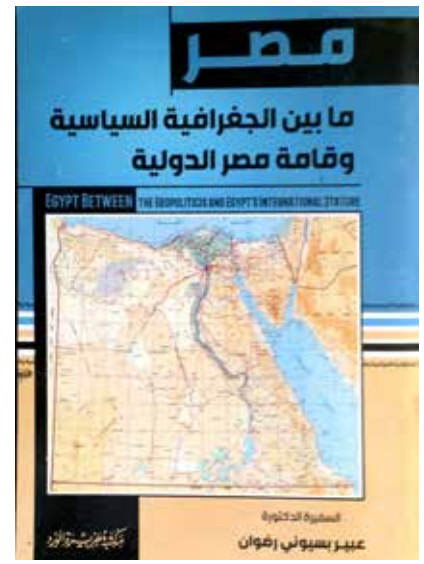
abassiouny@hotmail.com

وبالنظر إلى أنني من عشاق زيارة المعرض السدى أرى فيه تقليداً جميلاً زرعه فينا والدئ الأستاذ الجامعى رحمه الله وطيب مثواه، فلقد زرت المعرض كالعادة لتفقد الجديد وكضيفة - لأول مرة - على ندواته التي أصبحت من سماته والذي تحول لتظاهرة ثقافية شاملة من الطراز الأول. ولقد لفت انتباهى أعداد وسمات الحضور خاصة وأننى - كما أسلفت - من الرواد الدائمين. فبالرغم من أن الأعداد - خاصة فى الأسبوع الأول الذى تزامن مع إجازة نصف العام الدراسي - كانت كبيرة وبلغت مليونين ونصف المليون زائر، وفقاً لرئيس هيئة الكتاب ومن المرجح أن عدد الزائرين تجاوز خمسة ملايين خلال فترة المعرض بزيادة مليون عن العام الماضى. وبالإحصاءات شهدت الدورة 49 للمعرض مشاركة 27 دولة، منها 15 عربية، و10 أجنبية، ودولتين إفريقيتين، بعدد ناشرين 848 ناشراً، منهم 481 ناشراً مصرياً، و367 ناشراً عربياً، و10 أجانب، و2 أفارقة.

لماذا تراجع تنوع المعرض وتلاشت إمكانية التوصل إلى أساسيات الكتب؟ ورغم العدد الذى قد يبدو ضخماً إلا أن طبيعة الزوار وغرضهم من الزيارة اختلف. فبينما كنا إلى عهد قريب نزور المعرض لتزود بالثقافة وشراء الكتب ونخرج محملين بأعداد منها، فمن النادر الآن أن تجد من اشترى كتابين من المعرض رغم التخفيضات الحقيقية فى أسعار الكتب.

وقد وضحت بوادر الاختلاف عن الدورات الماضية بالنظر لاستضافة اللجنة الوزارية المعنية بالمعرض لعدد من نجوم الثقافة العالميين، وتنظيم جناح خاص بكتب وأنشطة الطفل، وطرح استثمارات على مواقع التواصل الاجتماعى لتلقى أفكار جديدة من الشباب يمكن للجنة التنفيذية لمعرض الكتاب مناقشتها وتنفيذها قبل انطلاق المعرض، وهى تتضمن أهم الشخصيات التى يتطلع الشباب لرؤيتهم فى ندوات وأسميات المعرض، وأهم خمسة أسماء لشخصيات يرشحها الشباب لإدارة المعرض ولها مصداقية لديه فى مجالات الأدب والفن والفكر والعلم والسياسة. وفى النهاية أقيمت الدورة الـ 49 للمعرض تحت شعار «القوى الناعمة.. كيف؟ وكان أبرز الضيوف الحاضرين عز الدين ميهوبى وزير الثقافة الجزائرى، وعلى بن مخلوف من المغرب، وصلاح الدين بوجاه من تونس، إلى جانب محمد فايق رئيس المجلس القومى لحقوق الإنسان، والدكتور مصطفى الفقى مدير مكتبة الإسكندرية، والكابتن محمود الخطيب رئيس النادى الأهلى، والدكتورة مايا مرسى رئيسة المجلس القومى للمرأة والفنان التشكيلى أحمد مصطفى، والشاعر أحمد عبد المعطى حجازى، والدكتور أحمد خالد توفيق، والكاتب الإيطالى جوليو تشيبولوني، وغيرهم.

وكانت «الجزائر» ضيف الشرف هذا العام، واختير الكاتب الراحل عبدالرحمن الشرقاوى، كشخصية للمعرض، وقد جاء اختياره وفقاً لتصريحات د. هيثم الحاج على رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، ورئيس معرض الكتاب - بعد دراسة متأنية لكونه أقرب الكتاب إلى الجزائر ونوع من أنواع المجاملة للجزائر، لأنه كتب مسرحية وسيناريو فيلم «جميلة»، كما أنه ضيف شرف متعدد المواهب لديه محاور مختلفة ناقشتها فعاليات المعرض عن الشرقاوى فهو أديب وصحفى ومحام وكاتب مسرحى ومجدد وهذا هو الجديد الذى ركزت عليه الفعاليات خلال المعرض.



كتابى «بلدنا فى كلمتين: بلدنا هى نفسها، كل حاجة وعكسها».

أما أ. سمية عبد الحليم عويس فقد قدمها أ. محمد نجيب بإنتاجها الأدبى الذى تعدى 15 عملاً ما بين الرواية والقصص القصيرة وهى خريجة كلية آداب قسم اللغة العربية، وقد تحدثت عن كتابها الأخير الذى نشرته دار المعارف فى إطار سلسلة «اقرأ» وهى سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن دار المعارف يقدم لها عميد الأدب العربى الأديب العظيم د. طه حسين بما يلى «إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها لم يفكروا إلا فى شيء واحد، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية، وأن ينتفعوا، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحيها».

وقد عرضت أ. سمية كتابها «تأصيل مفاهيم عفا عليها الزمن» من خلال عناوين فصول الكتاب مشيرة إلى أن هناك العديد من الإشكالات التى تعترض القيم مما أدى لتغير أخلاق الناس، فحاولت عن طريق كتابها التذكير بمعانى القيم العليا فى المجتمع مثل الصدق وأهمية الوقت والضمير والأخلاق ومعنى السعادة والحب الإلهى... إلخ.

وقدم الشاعر إسلام ملاك ديوانه الشعرى - باللغة العامية - المعنون «الناس» حيث كان يكتب أشعاره على اليوتيوب ولكن هذه المرة تظهر للنور بشكل رسمى. وشكر دار المعارف على نشرها لديوانه الذى يصفه بأنه «ديوان اجتماعى يسرد من خلاله أحوال الناس ومشاكلهم فى حياتهم اليومية، فهو نابع عن تجارب عديدة فى الحياة سواء كانت بشكل عام أو خاص، ومن بين تلك الأبيات أنقل « فيه ناس بتطرح وبا والرك ع الإقبال .. وناس تحارب غبا وبتضرب الأمثال.. فى ناس رماد الدوم.. يطفى بريق الماس، وناس الحياة تموتها.. وتموت الإحساس».

العولمة وحافظت على هويتها بالرغم مما تعرضت له من هزات داخلية وخارجية، وما زالت مستمرة بقياداتها الشابة المتجددة وبتقديرها لدور المرأة بشكل لا يتوافر فى دول العالم الأخرى.

ضرورة نشر الثقافة من حيث هى ثقافة

أما أكثر الكتب التى لقيت اهتماماً من الحاضرين وانشغلت أنا شخصياً بها كثيراً وأقربها إلى قلبى فهى قصة وسطية مصر والذى صدر باسم «مصر ما بين حتمية الجغرافيا السياسية وقامة مصر الدولية» حيث يقدم الكتاب نظرة على حضارة مصر من خلال قراءة بحثية فى إمكانياتها أو مقدوراتها وتطلعاتها من خلال التحليل السياسى لبعدي الزمان والمكان، لروح المكان، لمساحة فيما وراء الماديات، وكذلك الأبعاد الغائبة من تفاعل الأرض مع الإنسان مما يشكل خصوصية بيئة النظام وإطاره الفكرى وذلك من خلال استعراض بعض ملامح مصر الجيوستراتيجية والناجمة عن تاريخها وميراثها وخبراتها. والدراسة تستفيد من مناهج التحليل الجغرافى- السياسى- الأنثروبولوجى وطبائع الشعوب، والنظريات المتعلقة بقلب الأرض والأطراف ودور الطاقة. وتؤكد الدراسة تميز التجربة المصرية بعناصرها الفريدة التى لم تتوفر لمصر من الأمصار، والتى جعلت لمصر سحراً لا يدركه بشر ويرتفع فوق الحتميات الجغرافية والسياسية ويحفظها قامة دولية فى كل العصور. ولا يقتصر الكتاب على التحليل الأكاديمى بل يجمع كذلك ويشرح أصول كلمات اعتدناها مثل «مصر المحروسة» حيث وفقاً لبعض الكتب السماوية فإن مصر لا تحرسها الملائكة ولكن يحرسها الله، وكذلك المنزل الخاصة لمصر فى قلوب الناس ليس لمكانتها فى الديانات السماوية فقط ولكن لكونها تجمع بين متناقضات ترحال الصحارى واستقرار المزارعين مما جعلها كما وصفت فى إهداء

الدار شاركتنى فيها الأدبية الأستاذة سمية عبد الحليم عويس والشاعر أ. إسلام ملاك، وقد أدار الندوة أ. محمد نجيب من مسئولى دار المعارف ومفكرها وأشار لدور دار المعارف المشهود كمؤسسة حكومية راسخة استمرت منارة للنشر والتوزيع رغم ما واجهته من ظروف ومجابهات ومحاولات لوأدها مثل غيرها من مؤسسات الدولة التى فقدت ريادتها. ومع ذلك كافحت دار المعارف حتى تستمر فى دورها التنويرى.

بدأت الندوة بتقديم مجموعتى القصصية «حكايات الصباح» التى نشرتها دار المعارف العام الماضى وهى فى إجمالها إطلالة على حياة المرأة المعاصرة، من خلال حكاوى ترويها سيدات وفتيات عن مشاعرهن من مواقف تعرضن لها وأثرت فيهن حتى صارت حكايتهن كل صباح. وتتطرق - من خلال 24 قصة قصيرة- إلى مشاعر العشق والهيام، والشوق وآلام الهجر وأطماع الدنيا ودروب الشقاء. وعرض محمد نجيب لبعض مقاطع من المجموعة. وأشادت من جانبى إلى أهمية القصة / الحكاية فى حياتنا وكيف أنها فرصة لنا لنعيش خبرات جديدة ونواجه حياتنا الصعبة بحيوات ذات خبرة لنستطيع أن نعيش يومنا الجديد ونخرج كل يوم جديد من حالنا لتكون لنا حاجة جديدة وانشغالة مختلفة.

وقمت أيضاً بعرض إصداراتى الأخيرة، وبدأت بأحدثها وهو كتاب «التجربة النرويجية» وهو قصة شعب استثمر فى الطبيعة وتحلى بالعزيمة فحقق الثراء، فالتجربة النرويجية تجربة مليئة بالدروس والعبر، هى تجربة حياتية تحمل كل متناقضات البشرية وصراعتها من أجل البقاء، لكنها تتميز بوجود رؤية مستقبلية لها وتخطيط لمجابهة كل الظروف المحتملة وكذا الاستفادة من الفرص والتحديات بشكل يحقق المنفعة لشعبها ويحافظ فى نفس الوقت على مقدراته وتراثه وتميزه. فالنرويج تمكنت من الصمود فى عصر

ثورة المصريين بين الاقتصاد والسياسة وطريق التنمية

صدر أخيرًا كتاب د. عثمان محمد عثمان، وزير التخطيط الأسبق، بعنوان: «ثورة المصريين - بين الاقتصاد والسياسة وطريق التنمية»، وقدم له السفير د. مصطفى الفقى، مدير مكتبة الإسكندرية بقوله: لقد بهرتنى لغة الكتاب وتسألاته العميقة وإجاباته الصادقة إذ يتعرض فى سطره لكثير مما علق بالأذهان فى عقود مضت ويضع نصب عينيه فى كل سطر من كتابه أهمية قضية «العدالة الاجتماعية» من منظور مصرى خصوصًا وأن المصريين فى ثوراتهم التاريخية قد انطلقوا دائمًا من مفهوم تلك العدالة التى تمس حياة الإنسان المصرى وتؤثر فى الأسرة والمجتمع.



د. عثمان محمد عثمان
وزير التخطيط الأسبق

osmanmmosman@gmail.com

العلم الاقتصادى والتنمية والسياسة الاقتصادية والإحصاءات لا تتعامل مع علاقات بين متغيرات اقتصادية مجردة ولكنها تعكس وتعبّر عن علاقات بين أطراف المتعاملين داخل المؤسسات الإنتاجية والاستهلاكية والاقتصادية وغيرها، وهى علاقات اجتماعية بصفة عامة.

ويضيف د. عثمان: إن ما تعلمه يعصمه دومًا من إزجاء النصح - فى مجال السياسة الاقتصادية ومتطلباتها - بما «ينبغي» أن يتم وإنما بما «يمكن» أن يتحقق. لم أتوقف - فى الفكر والممارسة - عند حدود التمنيات بحدوث ما أراه صحيحًا وإنما رؤية اشتراطات تحقيقه وإمكان توفرها، والعمل على إدراك معوقات محتملة حتى يمكن درء تأثيراتها. لم تقيده فى الفكر والممارسة - شعارات أيديولوجية طوباوية أو زاعقة. لم أتحمس لاستهداف ما يطلق عليه التنمية المستقلة فى مواجهة التنمية

وقد تناول د. عثمان ستة مبادئ مهمة تعتبر أساسية من أجل تحقيق التنمية المستدامة للوطن والرفاهية والاستقرار للمواطنين، وهى:

1 - الاقتصاد علم الاختيار بين بدائل، وهو علم يقوم على معيار التكلفة/العائد. لا يمكن الحصول على سلعة أو خدمة دون سداد سعرها، ولا تحقيق منفعة بغير تحمل نفقة توفيرها. فى الاقتصاد، كما فى الحياة عمومًا، لا يوجد شيء بلا ثمن. وكما يقول المثل الشائع ليس هناك عشاء مجاني.

2 - أدوات السياسات الاقتصادية الرشيدة هى وسائل ضبط الحساب الاقتصادى.

3 - التنمية هى - فى النهاية - توسيع خيارات الناس بما يضمن لهم دخلًا مناسبًا، وتعليمًا ومعارف جيدة، ورعاية صحية كاملة.

4 - تخطيط التنمية هو آلية إدارة الاقتصاد الكلى، لتحقيق الأهداف وتعظيم العائد «من استخدام الموارد والإمكانات المادية والبشرية المتوفرة لدى المجتمع»، وحسن توزيعه بعدالة بين فئات المجتمع وأقاليم الدولة وبين الأجيال الحالية وفى المستقبل.

5 - الحقائق والمتغيرات الاقتصادية يمكن قياسها بدقة مناسبة ويستحب التعبير عنها بالإحصاءات وقواعد البيانات والمؤشرات الرقمية كلما أمكن ذلك، لم أقتنع أبدًا بما يردده البعض أحيانًا من أن الأرقام تكذب أو أنه يمكن التلاعب بالإحصاءات.

6 - وتتبقى أخيرًا حقيقة أن

التابعة، جرياً على تقاليد مدرسة التبعية فى أمريكا اللاتينية، إما تنمية أو لا تنمية لا يرى جدية فى دعوة الاعتماد على الذات فى عالم تشابكت فيه المصالح وتتسارع فيه قوى المنافسة على غزو الأسواق، وكما ينصح تقرير حديث للبرنامج الإنمائى للأمم المتحدة على الدولة التنموية - حتى تنجح - أن تنتج وتصدر ما يحتاجه العالم، لم تقنعنى دعوات الدفاع عن القطاع العام بالحق وبالباطل، ونحن نرى الخسائر المتزايدة لشركاته ولا نقرب من محاولة إصلاحه وترشيده وقصر أنشطته على مجالات محددة على غرار ما تضمنته مؤخرًا مقالة رصينة لمختار خطاب «خطاب، 2017» لا يرى الموضوعية ولا الالتزام بالمناقشة العلمية فى وصف التشاور أو تطبيق برنامج إصلاح اقتصادى بتمويل ومساندة صندوق النقد الدولى بأنه تنفيذ لروشة «وصفة» الصندوق الذى ينفذ مؤامرة إمبريالية على مصر، لا يعرف طائلاً من الإصلاح الآن فى المطالبة بالعدالة الاجتماعية، فى ظل حالة الركود وتوقف نمو الاقتصاد، إذا كانت لم تتحقق - كما ردد كثيرون - بينما كان الاقتصاد فى أوج نشاطه. هل توجد آلية اقتصادية رشيدة لا نعرفها تعيد توزيع الدخل، الذى لا يزيد وربما ينقص، سوى التأميم والمصادرة؟ فهل يحبذ أحد ذلك؟

بعد اندلاع أحداث يناير 2011 اقتصر الحديث لفترة غير قصيرة على مطالب الثورة فى الديمقراطية والعدالة، ولم تنل المشكلات الاقتصادية اهتمامًا كافيًا،

وظل غائبًا التحليل الشامل للإصلاحات الاقتصادية الضرورية لاستمرار التحول الذى أحدثته الانتفاضة، صحيح أن عمليات التحول الناجحة تنطوى على إصلاح سياسى واقتصادى متواز، وكان المتوقع أن يكون ذلك أيضًا هو الحال فى الدول العربية. لكن كتب الكثير عن الإصلاحات السياسية وتبعاتها والتوقعات فى المستقبل، بينما كان هناك تركيز أقل على التغيرات الاقتصادية اللازمة حتى لنجاح الديمقراطية ذاتها. لقد وقعت إدارة الاقتصاد - خلال فترة التحول - وتحكمت فى رؤيتها تحديات ثلاثة فمن ناحية كان هناك تصاعد النزعة الوطنية التى استدعت نموذج التنمية المستند إلى الحماية والتخطيط المركزى وراث القطاع العام ودور اقتصادى قوى للدولة، وعداوة شديدة لاقتصاد السوق، فى نفس الوقت ثارت معضلة مقابلة التوقعات المتزايدة لتحسين مستويات المعيشة بينما تعاني البلاد من عدم الاستقرار الأمنى وتباطؤ النمو الاقتصادى، على النحو الذى عرضناه من قبل. ومن ناحية ثالثة لم يكن الاقتصاد العالمى قد تعافى تمامًا من أزمة 2008 حينما ازدادت موازين المعاملات الاقتصادية الخارجية لمصر اختلالاً على ضوء هذه الرؤية للتحديات التى كانت تواجهها عملية التحول الجارية آنذاك فى الوطن العربى وغيبة المناقشة حول الأمور الاقتصادية قامت نخبة من الاقتصاديين العالميين بعقد حلقة مناقشة فى صيف 2011 فى معهد بروكجز للتدريس فى التبعات الاقتصادية للربيع العربى والاتجاهات العامة للتغيرات الاقتصادية الممكنة. فى ذلك الوقت المبكر لم يكن ما صدر عن الدراسة جديداً ولا غريباً، لقد اشتملت الاقتراحات على أربعة محاور: توسيع فرص العمل أمام الشباب وزيادة الإنتاجية، بناء دولة عصرية وتحديث وتطوير القطاع العام «بمعناه الواسع»، فتح المجال أمام نشاط القطاع الخاص، والاندماج فى الاقتصاد العالمى، تضمن كل محور عدداً من التوصيات التى تهدف إلى:

- حل مشكلة البطالة وتنظيم سوق

العمل وحماية حقوق العمال.

- إصلاح المالية العامة، وعدم الخضوع لضغوط تؤدي إلى زيادة عجز الموازنة، ومن ثم ضرورة مراجعة نظام الدعم ونمط الإنفاق العام، وإصلاح الجهاز الإدارى للدولة، والتصدي للفساد والبيروقراطية.

- محاصرة مشكلة الدين العام - الخارجى تحديداً - والعمل على الحصول على التمويل عن طريق المنح والمساعدات وليس القروض.

- تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار وتهيئة المناخ المحفز للنشاط الاقتصادى وبدء الأعمال وتسهيل التمويل وتطوير البنية الأساسية.

يضيف د. عثمان أن مثل هذه الاقتراحات والتوصيات لم تلق اهتماماً



ولا متابعة، واستمر التركيز على التقلبات السياسية بينما واصلت الأحوال الاقتصادية تدهورها فى غمار التطورات بعد استكمال المؤسسات الدستورية منذ 2014 اقتضت الحوارات والجدل - فى الشأن الاقتصادى - على ما كان يشيع عن إجراءات تزعم الحكومة فى اتخاذها أو تأثير قرارات تكون قد اتخذتها بالفعل، فى غالب الأحيان كان ما يصدر من آراء منتقداً للحكومة ومحدراً من الانعكاسات السلبية للإجراءات المقترحة والقرارات المتخذة. لقد لمست ذلك بنفسى عندما

كتبت فى الصحف - وأنا خارج الحكومة - مقترحاً سرعة تخفيض الجنيه أو متسائلاً عن سبب عدم إلغاء الدعم، كثيرون من أصدقائى ومعارفى لم يروا حتمية اتخاذ خطوات حاسمة على طريق الإصلاح الاقتصادى، ولم يرحبوا أو يقبلوا آرائى، وكما هى العادة لم يقترح أيهم حلاً وأبدى الكل تخوفهم من عواقب ما يؤدي إلى زيادة الأسعار والتضييق على معاش الناس.

ساد موقف مماثل عندما قررت الحكومة - بعد طول تردد - أن تبدأ مشاورات مع صندوق النقد للاتفاق مع مجلسه التنفيذى على الحصول على تمويل تحت مظلة برنامج المعروف بتسهيلات التمويل الممتدة، عندما أشرت إلى الاتفاق من قبل ذكرت ما تضمنه من عناصر برنامج الإصلاح الاقتصادى الذى تتبناه الحكومة، وكما نعرف فإن متطلبات الإصلاح لا تخرج عن ضرورة الوصول إلى الاستقرار الاقتصادى «استدامة المالية العامة، وحصافة السياسة النقدية»، حفز النمو الاقتصادى الاحتوائى «زيادة الاستثمار المادى والبشرى، واستيعاب التكنولوجيا»، وتطوير آليات وأدوات مساعدة الفقراء وحماية الفئات المتضررة من الآثار السلبية للبرنامج، قد يرفض أحدهم البرنامج من ناحية المبدأ بل لا يحذ التعامل مع الصندوق أصلاً، وهذا شأنه. ولكن الواقعية تقتضى إدراك أن الصعوبة ليست فى أن برنامج الإصلاح لن يصلح شيئاً - كما يزعم البعض - ولكن أن لا تتمكن الحكومة من إنجازه.

فى ضوء كل ما تقدم أرى أن طريق التنمية عبر السنوات المقبلة يتوجب أن نقطعه بخطى متسارعة وجادة وبرؤية واضحة لأسس علوم الاقتصاد والتنمية والتخطيط، وفهم واع لحقائق الواقع المصرى، وتوافق بين فئات المجتمع الوطنية على بناء دولة مدنية حديثة واقتصاد عصري متقدم على أساس: الالتزام بتنفيذ برنامج الإصلاح وعدم عودة الاختلالات، ورفع سقف النمو الاقتصادى المستهدف، وإعادة هيكلة الإنفاق العام، وإعمال سلطة القانون.

مستقبل النفط والغاز في العراق إيلين شول

يُشكّل النفط والغاز الطبيعي دوراً رئيسياً في التنمية الاقتصادية بالعراق؛ فتنميتها ينتج عنها تعزيز الخدمات الكهربائية، والصناعات ذات القيمة المضافة؛ بما يسهم في التعزيز المالي للميزانية الاتحادية بالعراق. فوفقاً للملخص الذي أعده المركز العربي الأمريكي للأبحاث والإعلام بواشنطن للتقرير الذي أصدره مجلس الأطلنطي بعنوان «تشكيل مستقبل النفط والغاز الطبيعي في العراق» لنائبة مدير مركز الطاقة العالمي بالمجلس «إيلين شول»، فإن حالة تطوير النفط والغاز كموردين حيويين لمستقبل العراق وانتعاشه الاقتصادي يحيط به عدد من الحقائق السياسية والاقتصادية التي يجب التعرض لها وتحليلها؛ خاصة وأنهما -منفردين- لا يحققان الانتعاش الاقتصادي المرجو، ومن دونهما لا يمكن الوصول كذلك لهذا الانتعاش، فهما مكملان لعناصر أخرى تتضافر لتحقيق التنمية الاقتصادية بالعراق.

ويشير التقرير إلى أن الطاقة ستظل جزءاً لا يتجزأ من محددات الاقتصاد العراقي لسنوات طويلة. وتوفر عائدات النفط بشكل خاص الجزء الأكبر من قطاع الطاقة ومن الميزانية الوطنية العراقية، وكذا إقليم كردستان العراق، وهو ما يجب تطويره والاستفادة منه لتعظيم إيراداته ومواجهة التحديات الخاصة به. يليه قطاع الغاز العراقي؛ ورغم أنه يُعد في المراحل الأولى من التنمية، إلا أنه أحد المصادر الرئيسية لتوليد الطاقة المحلية، وأساسى في بعض الصناعات، وأخيراً مصدر للتجارة والتصدير.

ورغم التحديات السياسية في المقام الأول والتي بدأت منذ سقوط نظام «صدام حسين» وما استتبعه من تزايد العقبات والتحديات أمام استقرار العراق، وفي مقدمة تلك التحديات المعركة ضد تنظيم «داعش»، تليها الظروف المتقلبة لسوق النفط العالمي منذ عام 2014؛ إلا أن العراق أحرز تقدماً واضحاً في تحفيز الاستثمار في مجال الطاقة، وزيادة الإنتاج والصادرات من النفط. ورغم استمرار التحديات التي واجهت استقرار العراق واستفتاء

التي ستعقد هذا العام (2018)؛ فرصة يجب على دولة العراق استغلالها لتحديد استراتيجية لإدارة مواردها الاقتصادية وفي مقدمتها النفط والغاز. ووضع نموذج تنموي يكون رافده الأساسيات التعاون والمنفعة المتبادلة، ويمكن للحكومات الجديدة المحتملة أن تغتنم تلك الفرصة للتغلب على العقبات التي تواجه تطوير مجال النفط والغاز، ومعالجة التحديات التي طال أمدها.



تستهل «شول» التقرير بإلقاء الضوء على التحديات التي تواجه زيادة الإنتاج من النفط والغاز؛ وتبديها بالإشارة إلى أن مجال النفط أكثر تقدماً من مجال إنتاج الغاز بالعراق، وأن تأثيرات تنمية مجال النفط ترتبط بشكل وثيق بالتغيرات في أسواق النفط العالمية. أما مجال الغاز فالتحديات التي تواجهه تختلف اختلافاً نوعياً عن تحديات مجال النفط؛ فالسياسة السعيرية من التحديات التي تواجه مجال الغاز والوصول إلى تسعير تنافسي بين الدول المتشاركة بالنطاق الجغرافي الواحد.

يُضاف إلى ذلك تحديات التنمية والاستثمار في البنية التحتية، والتعاون مع الدول المجاورة، وتنمية التجارة الإقليمية. وفي إطار تعديد تلك التحديات يطرح عدد من التساؤلات التقليدية حول كيف تدير الدولة مواردها الاقتصادية؟ وهل تديرها بالشكل الكفء والفعال، أم تتم إدارتها كإحدى وسائل الضغط السياسي في تنمية الدولة؟ واتساقاً مع التساؤلات المطروحة، يشير التقرير إلى أن المناخ السياسي الحالي بالعراق والانتخابات المقبلة

سبتمبر 2017 حول استقلال إقليم كردستان، فإن العراق يسير بخطى ثابتة نحو زيادة إنتاجه وتصديره من النفط. ويدلل التقرير على ذلك بإعادة سيطرة بغداد على حقول كركوك النفطية التي كانت تحت سيطرة حكومة إقليم كردستان منذ عام 2014، لتنجح حكومة بغداد في إدارة الأزمة، وإعادة فتح النقاش حول إدارة الموارد ومشاركة الأرباح. واستعرض التقرير تحديات مجال النفط التي يجب أن تعالجها الحكومة العراقية المركزية ببغداد وحكومة إقليم كردستان بأربيل؛ كونها الأزمة الأكبر بسبب التوزيع الجغرافي لحقول النفط، ووجود الغالبية العظمى منها في الجنوب، وتواجد نسبة تقدر بنحو 17% فقط في الشمال، إضافة لعدم معالجة الدستور العراقي لهذه المعضلة منذ عام 2005. وتتمثل التحديات في تغير ديناميات سوق النفط بسبب كثرة الإنتاج بالتزامن مع اكتشافات النفط الصخري بالولايات المتحدة، وتحسين الشروط المالية للشركات، وتوفير ظروف استثمار مستقرة، وضمان استمرارية الأعمال والوفاء بالالتزامات العراقية، وتعزيز الإنتاج والقضاء على سياسة عدم وضوح وتحديد النتائج والمناخ المصاحب للاستثمار في مجال النفط وإدارة مسألة الإيرادات بما يعنى تخصيص جزء منها وتوجيهه لتحسين نظم الإنتاج بما ينعكس على زيادة وتطوير الصادرات، والتطوير الجذري للبنية التحتية وصياغة هذا التطوير على مدار عقود قادمة، وليس كخطة قصيرة الأجل، بل على مستوى خطة طويلة الأجل بما يطابق طموحات العراق كأحد الأسواق الأساسية في مجال الطاقة بمنطقة الشرق الأوسط. وبالانتقال إلى التحديات التي تواجه مجال الغاز، يؤكد التقرير بداية أن مجال الغاز مجال حديث بالعراق،

وعليه يجب العمل على تنميته ثم تطويره، ووضع استراتيجية واضحة له بكافة نواحيها الاقتصادية والمالية والتسعيرية والأسواق المستهدفة، وكيفية توظيف عائد الإيرادات، وتحديد سياسة تصديرية واضحة المعالم والنتائج.

وتتمثل التحديات الأشمل التي تواجه النفط والغاز الطبيعي العراقي في إزالة العقبات أمام زيادة الإنتاج والتصدير، والإدارة المستدامة للمجالين، والتي تعتبر - وفقاً للتقرير- التحدي الأكبر الذي يواجه العراق، فالإدارة المستدامة ليست خطاً طويلاً الأجل فقط؛ ولكن يجب أن تصاحبها خطط واستراتيجيات لاستخدام العائد وإدارته في إطار خطة تنمية ومصالح إنمائية طويلة الأجل، لتساهم مباشرة في تحسين الظروف المعيشية للعراقيين، وضمان التنمية للأجيال الناشئة من العراقيين، وخلق اقتصاد أكثر تنوعاً. وباستعراض الفرص المواتية لمجال الطاقة في العراق، يؤكد التقرير أن مجال الغاز بالأساس هو المجال التتموى القادر على إدارة الاقتصاد العراقي في المستقبل، ولذا على القادة السياسيين في بغداد وأربيل الانتباه لهذا، وتحقيق التعاون من أجل تنمية هذا القطاع تنمية مستدامة تسمح ببناء مستقبل اقتصادي قوى للعراق، خاصة مع وجود حقول غاز غير مكتشفة حتى الآن، مع دراسات تؤكد نمو الطلب العالمي على الغاز الذي سيصل ذروته في عام 2040، وهو ما يمثل فرصة حقيقية أمام العراق لوضع نفسه في مصاف الدول المحتملة للوفاء باحتياجات العالم من الغاز بحلول 2040.

وتنهي «شول» التقرير بعدد من التوصيات تشمل أنه يجب أن يتفق كل من بغداد وأربيل على نظام واضح ومحدد لتقاسم الأرباح وإدارة الموارد

النفطية والغازية، أهمية تقديم نظام كامل من الحوافز للاستثمارات في قطاعي النفط والغاز الطبيعي؛ مع تقديم هيكل داعم لتسعير الغاز، والتعاون بين بغداد وأربيل بهدف تحديد نهج تعاوني يهدف إلى تطوير البنية التحتية، ويعكس الخطط الطموحة لدولة العراق، والتسامي فوق الخلافات السياسية والطائفية، والتخطيط والتعاون بشأن انتخابات العام الحالي، وعزل قطاع الطاقة عن التنافس السياسي، وإعطاء الأولوية لتنميته أيًا كانت خلفية الحكومة المحتملة في الانتخابات القادمة، والعمل على أساس تعاوني وليس تنافسيًا، مع ضرورة العمل على معالجة القضايا السياسية العالقة بين بغداد وأربيل من خلال إزالة العقبات أمام تحفيز الاستثمار في مجال النفط والغاز، وإدارة هذا الملف بقدر من الاحترافية الهادفة إلى تعظيم الإيرادات وتحقيق التنمية المستدامة بهذا المجال.

وفي نهاية التقرير تشير «شول» إلى أن استمرار أسعار النفط العالمية على انخفاضها ما هو إلا مؤشر قوى على نمو الطلب العالمي والإقليمي على الغاز، وهو ما يجب على بغداد وأربيل الاعتراف به، والتعاون في هذا المجال الذي أصبح مجالاً حاسماً للاستثمار في مجال الطاقة، وأن قطاع الغاز يعد فرصة رئيسية للاستثمار، وأحد القطاعات الواعدة على المستوى الإقليمي والدولي، إضافة إلى أنه أحد المجالات التي تساعد في تنمية إمدادات الكهرباء بأنحاء العراق. فالغاز أحد المجالات التي إذا أحسنّت بغداد وأربيل استخدامها سينتج عنها مباشرة التخفيف من واردات الكهرباء والغاز من إيران، وهو ما يُعد الخطوة الأولى واللبن الأساسية للتعاون بينهما بما يعود بالنفع على جميع العراقيين ونمو وازدهار العراق.

تركيا في الخط الأمامي للصراع في قلب الشرق الأوسط

تأليف: إيزجي باساران

في كتاب بعنوان: «تركيا على الخط الأمامي: الصراع في قلب الشرق الأوسط»، تحدثت «إيزجي باساران»، وهي صحفية تركية في صحيفة «راديكال» الليبرالية، عن الخلافات داخل الحكومة التركية، والنزاعات بين الأحزاب السياسية الكردية، والمكانة الحالية للأكراد في الدولة التركية، واحتمال انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي، مستعرضة أسماء الشخصيات والأحزاب التي كان لها دور في اشتعال فتيل هذه الحرب التي طال أمدها، وفقاً للموجز الذي نشره مؤخراً المركز العربي للأمريكي للأبحاث والإعلام بواشنطن لهذا الكتاب

وبحسب الكتاب، أظهر وقوف تركيا في الخطوط الأمامية كيف كان لعلاقتها بالأكراد دور كبير في تأزم الوضع في الشرق الأوسط، وكيف كان فشل «أردوغان» في إحلال السلام مفتاحاً لفهم الأحداث الجارية في المنطقة.

ويذكر أن الرئيس التركي «أردوغان» أبرم في عام 2011 اتفاقاً مع حزب العمال الكردستاني؛ إلا أن عمليات الاغتيال والتفجيرات الانتحارية التي راح ضحيتها مدنيون من الجانبين قوّضت ذلك الاتفاق. وفي صيف عام 2015، انهارت بالفعل عملية السلام الكردية في ظل احتدام الحرب الأهلية السورية. ورأت الكاتبة أن المفاوضات المنهارة كانت «فرصة لا تُقدّر بثمن لإنهاء الحرب المستعرة منذ أربعين عاماً».

وأوضحت «باساران» أن تركيا تعاني منذ أوائل عام 2016 من تمرد حزب العمال الكردستاني في الجنوب الشرقي، ومن هجمات «داعش» على مدنها، وأن الانقلاب

يريد الأكراد؟»، والثامن: «محاولة الانقلاب العسكري التي هزت تركيا».

بداية تشير المؤلفة إلى أن الغرض من كتابها هذا يتمثل في توضيح التاريخ الكردي التركي، فبدون فهم المشكلة الكردية -من وجهة نظرها- سيستحيل استيعاب ما يحدث في الشرق الأوسط، وسيصعب إرساء السلام في المنطقة، وهذا ما يضيف على القصة الكردية أهمية قصوى. وتضيف أن كتابها يأتي في وقت تشهد فيه تركيا تحولاً سياسياً واجتماعياً وعسكرياً، وتقطع فيه القيادة التركية أواصر العلاقات الدولية التقليدية.

وفي صفحات كتابها التي تصل إلى مائتي صفحة تتناول الكاتبة مسار الصراع في ظل تطور الدولة التركية على مدى أربعة عقود، مسلطة الضوء على الاستبداد والاتجاهات الإسلامية في فترة حكم الرئيس «رجب طيب أردوغان» الذي وصفته بأنه «رجل قوى غير متوقع وغريب الأطوار».

فتركيا تقف في الخط الأمامي في الحرب التي استنزفت سوريا ومنطقة الشرق الأوسط، ولعل السبب في ذلك هو صراعها طويل الأمد مع الأكراد على الحدود السورية، ذلك الصراع الذي راح ضحيته ما يصل إلى 80 ألف شخص على مدى العقود الثلاثة المنصرمة. وتُشكل المشكلة التركية الكردية محور الصراع الشامل الذي يؤثر على الشرق الأوسط، ولعل ما غطى على هذه المشكلة هو ظهور تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» وانشغال الدول الغربية والعربية على حد سواء بدحره.

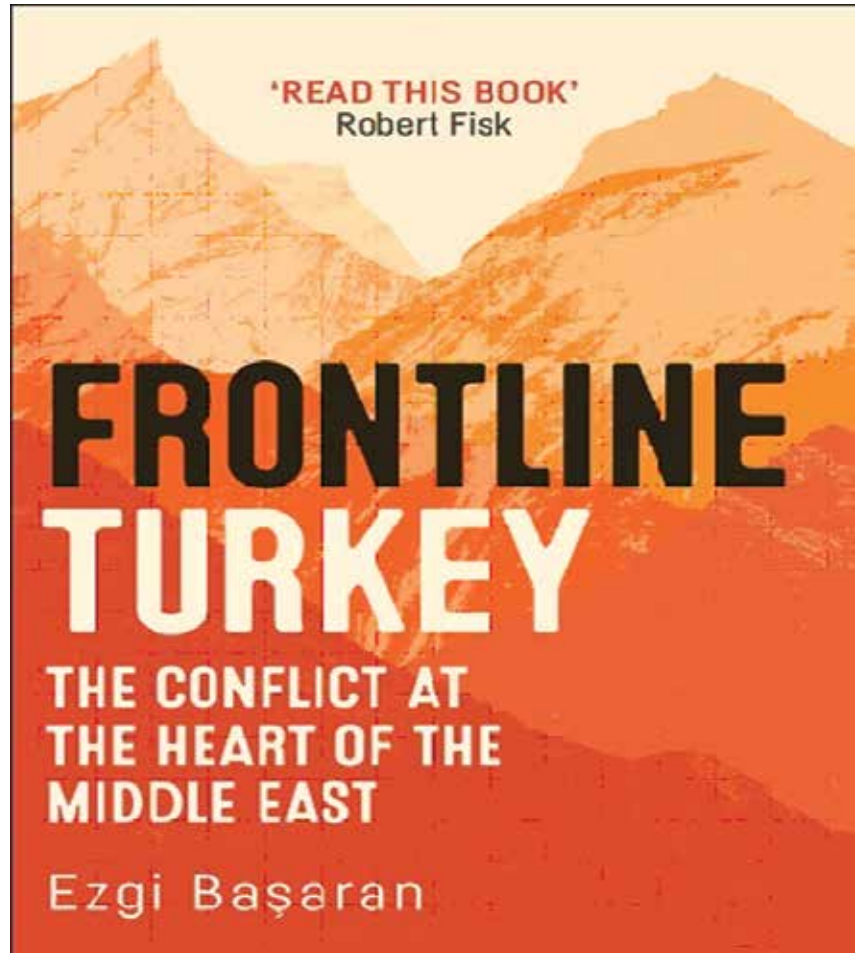
وقسمت المؤلفة أطروحتها إلى ثمانية أقسام؛ الأول بعنوان: «القضية الكردية»، والثاني: «الأكراد في تركيا الجديدة»، والثالث: «السلام الكردي والدولة الجديدة»، والرابع: «حزب العمال الكردستاني يبهز العالم»، والخامس: «سوريا والسلام الكردي»، والسادس: «لا سلام بدون رئاسة»، والسابع: «ماذا

وبحقهم فى التعليم والاستقلال الذاتى، وحققهم فى الحصول على مكان فى المجتمع التركى، لجأ الأكراد إلى وسائل إرهابية لاغتيال القادة، ونصبوا كمائن لقتل قوات الشرطة والأمن.

وما زاد الوضع سوءاً هو تنافس الأحزاب والمنظمات الكردية فيما بينها، بدايةً من حزب العمال الكردستانى، وحتى حركات الشباب، والأحزاب السياسية العادية، على حد قول المؤلفة، التى نوّهت - فى الوقت ذاته - إلى أن تركيا أحبطت الأكراد بكل ما أوتيت من قوة، حتى إنها كادت أن تصبح دولة استبدادية، على حد وصفها.

واستطردت الصحفية فى كتابها مشيرةً إلى أن العلاقات الكردية مع العالم الخارجى، لا سيما أوروبا والولايات المتحدة، أثارت غضب وفزع الحكومة التركية إلى حد كبير. ومن وجهة نظرها، أضحت المشكلة الكردية مشكلة عالمية، والوسيلة الوحيدة للحد من التوترات والصراع المستشرى فى منطقة الشرق الأوسط هى أن يتدخل العالم ويضغط على أنقرة للتفاوض بحسن نية، ووضع حلول مرضية لكافة الأطراف.

وكما قال «ستيوارت ماكلونج»، وهو مؤرخ وباحث فى التاريخ العسكرى، فى تقرير موجز عن الكتاب: «ستفيد هذه الأطروحة كل من يهتم بالصراع فى الشرق الأوسط، وسياسات المنطقة، والعلاقات بين الأتراك والأكراد».



عرقلة حزب الاتحاد الديمقراطى الكردستانى، وذلك فى محاولة لإنشاء منطقة حكم ذاتى فى شمال سوريا فى روج آفا.

وفى توضيح لأساس المشكلة التركية الكردية، ذكرت «باساران» أن الأكراد بعد اكتسابهم بعض الأهمية فى حرب الخليج الأولى، وجدوا أنفسهم فى صراع محتدم مع دولتهم بسبب تهميش النظام لهم باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية. ففى حين أبدى الأكراد استعداداً للتفاوض من أجل تحقيق السلام لأنفسهم ولمجتمعهم، تعرضوا للنز والقمع لدرجة جعلتهم مصرّين على مواصلة حربهم الضارية ضد الدولة. ولإجبار الحكومة على التفاوض والاعتراف بثقافتهم

العسكرى الذى شهدته يوم 15 يوليو 2016 أسفر عن مقتل 200 شخص، وأسر الآلاف، وغلق ما يقرب من 200 قناة إعلامية، وتجريد أكثر من 100 ألف ضابط وعسكرى من مناصبهم.

وترى المؤلفة أن ما حدث فى تركيا عقب انهيار عملية السلام كان له صلة وثيقة بالحرب السورية. فعندما اندلعت الحرب فى سوريا لأول مرة، كانت القيادة التركية تؤمن بشدة بأن الرئيس السورى «بشار الأسد» سيتنحى بعد أشهر من المظاهرات التى قامت ضده؛ إلا أن تمسك «الأسد» بالسلطة جعل الأمور تأخذ منحى آخر غير ذلك الذى كانت تتوقعه أنقرة، ما جعل الأخيرة تحوّل هدفها الرئيسى فى سوريا إلى

صربيا في عيون مصرية

تتركز فكرة الكتاب في أن يتناول عدد من السفراء المصريين الذين خدموا في صربيا رؤيتهم لصربيا، ولهذا فالكل يجمعهم المكان وهو صربيا ولكن تتعدد الرؤى باختلاف الزمان والتجربة. كما يضم الكتاب قسماً خاصاً بالشخصيات الثقافية التي زارت صربيا ويختتم بعدد من اللوحات الفنية لفنانين مصريين زاروا صربيا.

من الألبان والذين يشعرون أبناء الشعب الصربي تجاههم مثلما يشعرون تجاه الأتراك.

وتقول الدكتورة مرفت السويقي: إن الصرب يهتمون بأمر كلثوم ويرون أن صوتها وأداءها بداية لعمل «أوبرا عربية».

ولعل من أقوى ما يربط بين البلدين كان علاقة الصداقة بين الرئيس عبدالناصر والرئيس جوزيف بروز تيتو خلال فترة الستينيات من القرن الماضي وتعاونهما في إطار حركة عدم الانحياز. والجدير بالذكر أن هناك فصلاً للروائية مى خالد صاحبة كتاب «مصر التي في صربيا» صدر عام 2013 ونتعرف من خلاله على شخصيات صربية سياسية وتاريخية وثقافية مثل جوزيف بروز تيتو، وميلاسوفيتش، وفوك كاراديتش أبو الفلكور الصربي، وميكان بوبوفيتش الفنان التشكيلي... إلخ.

ويروى السادة السفراء ذكرياتهم عن مواقف صعبة واجهتهم في العمل ومأس إنسانية شاهدها.

ويحكي البعض كيف أنه بعد تفتت يوغسلافيا سعت الدولة الوليدة إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي وزادت حدة مشكلة كوسوفو ومواقف دول العالم منها.

إن منطقة البلقان كانت سبباً في الحرب العالمية الأولى، وفي التسعينيات كانت مثار تدخل حلف الناتو في أوروبا. الكتاب ممتع بأبعاده المتعددة ويستمتع من يقرأه سواء زار صربيا أو لم يزرها. صدر كتاب «صربيا في عيون مصرية» في يناير 2018 عن دار نشر العربي والمحرر هو السيد السفير عمرو الجويلي سفير مصر في صربيا.



سفير عبدالفتاح عز الدين

afmecaio@gmail.com

والتعايش بل والوحدة بين الصرب لتفادي المأسى التي نتجت عن تفتت يوغسلافيا.

وفي جزء من الكتاب للسفير عادل نجيب يقول: «يوجد شعور شعبي عام وخاصة في الطبقات الشعبية بعدم القبول للأتراك نتيجة للتراث الشعبي الكبير عن المقاومة الشعبية للاحتلال التركي الذي اتسم بالعنف خلال فترة الاحتلال التي تجاوزت خمسمائة عام وينعكس هذا الشعور أحياناً ضد الديانة الإسلامية حيث يربطون بين الأتراك وأعمالهم ضد الشعب الصربي من المسلمين، حيث يتهمونهم بأنهم

قدم للكتاب السيد سامح شكرى وزير الخارجية معلقاً بأنه يأمل أن يكون الكتاب إضافة للمهتمين بالعلاقات بين مصر ودول شرق أوروبا بشكل عام ومصر وصربيا بشكل خاص لما بذلته كل من القاهرة وبلجرا في إطار حركة عدم الانحياز في لحظة فارقة من تاريخ العلاقات الدولية المعاصرة.

وتمثل لوحة الغلاف عين حورس وداخلها منظر لقرية صربية للفنان الدكتور إبراهيم غزالة.

عقدت مائدة مستديرة بالنادي الدبلوماسي بالقاهرة لتدشين الكتاب في يناير 2018 وحضرها عدد كبير من الجمهور، وقام السيد السفير منير زهران رئيس المجلس المصري للشئون الخارجية برئاسة المائدة المستديرة الذي أثنى على فكرة الكتاب وتضمن أن نشاهد كتباً أخرى على غرارها تتناول بلاداً أخرى بأقلام كوكبة من الدبلوماسيين والفنانين، وحضر المائدة السيد دراجون بكونيا القائم بالأعمال الصربي لسفير السفير.

ومن خلال الصفحات نتعرف على صفات الشعب الصربي الذي يتميز بالطيبة والود وحب الشعب المصري بل وسنكتشف أن هناك عدداً من الصرب يقولون بأنهم من أصول مصرية وأيضاً سنعرف أن السيد دراجان بيسنيتش سفير صربيا يرأس «جمعية كليوباترا» في مصر وأن أكبر مكتبة باللغة العربية في صربيا موجودة في قسم الآداب الشرقية بجامعة بلجرا.

ويتناول الكتاب تاريخ صربيا والتقاتل الذي حدث بين جمهوريات يوغسلافيا السابقة، ويخرجون باستنتاجات عن أهمية التوفيق



رواية تولستوى: السند المزيف

هذه الرواية إحدى روائع الكاتب الروسي العظيم ليو تولستوى «1828 - 1910» مؤلف الروايات عالمية الشهرة «الحرب والسلام» «أنا كارنينا» «البعث» وغيرها. نشرت هذه الرواية لأول مرة بعد وفاة تولستوى وأصدرت الهيئة المصرية العامة للكتاب هذه الرواية مترجمة من اللغة الروسية مباشرة فى سلسلة الجوائز خلال عام 2017.

الروسية لأنها تكتب بشكل وتنطق بشكل آخر مثل كثير من اللغات وهى إشكالية لم يجمع المترجمون العرب على طريقة لحها حتى اليوم.

إن التفاعل الثقافى مع روسيا قديم ويعود إلى رحلة ابن فضلان فى القرن العاشر الميلادى ويعود إلى زيارات الحجاج الروس لمصر ومرورهم بدير سانت كاترين فى سيناء فى طريقهم إلى الأراضى المقدسة، وإلى قيام الشيخ عياد الطنطاوى بتدريس اللغة العربية وكتابته عن الروس فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر، ومراسلات تولستوى والشيخ محمد عبده فى أوائل القرن العشرين، والمهاجرون الروس الذين أتوا إلى مصر بعد الثورة الروسية عام 1917 وكان من بينهم الرسام الشهير إيفان بيلييين وغيره ومن تلاهم من مستشرقين وعلماء مصريات روس. لقد انفتح المثقفون المصريون على الأدب الروسى وتأثروا به من خلال الترجمات التى تمت خلال فترة الستينيات من القرن العشرين فى ظل التقارب المصرى الروسى.

ورغم ازدياد عدد الكتب المترجمة من الروسية إلى العربية منذ بدايات القرن الحالى فى ظل صعود روسيا مرة أخرى وتنوع علاقاتها مع الدول العربية فإن حركة الترجمة المباشرة تحتاج إلى دفعة قوية لأن العرب المعاصرين لا يعرفون الكثير عن أحوال روسيا المعاصرة الآن.

سفير عبدالفتاح عزالدین

afmecaio@gmail.com

بموجات خير أقوى منها وأن النوايا الطيبة تعيد توجيه الإنسان نحو الخير. تذخر الرواية بشخصيات روسية متنوعة كالفلاحين ورجال الدين وملاك الأراضى بل ويظهر القيصر نفسه فى الرواية. وتبدأ الرواية بطلب صبى فى الخامسة عشرة من العمر مصروفاً ثلاثة روبلات من والده لتتطور الرواية إلى أحداث كبيرة ومثيرة بسبب هذا الطلب الصغير والذى يحدث يومياً فى كل مكان. إن الرواية ثرية بالشخصيات والأحداث وتتشابك مع بعضها فى مهارة لا يقدر عليها سوى كاتب الحرب والسلام وأنا كارنينا.

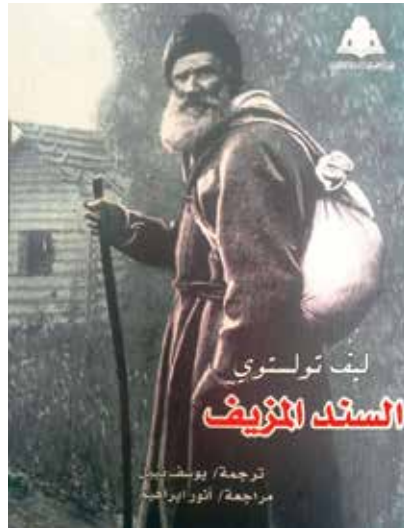
لا شك أن اللغة الجميلة والسليمة للنص العربى تعود إلى مهارة المترجم وخبرة المراجع الدكتور أنور إبراهيم أحد أهم المترجمين المصريين المخضرمين فى مجال الترجمة عن اللغة الروسية.

وقد أضاف المترجم فى مقدمته موضوعاً ذا أهمية علمية عندما أوضح أن إحدى الإشكاليات التى واجهها فى ترجمة العمل كانت طريقة كتابة الأسماء

وترجع أهمية الرواية إلى أنها بمثابة وصية تولستوى الأخيرة بعد هجرة أسرته لخلافه مع أفرادها حول رغبته فى توزيع أرضه على الفلاحين. ويقول السيد يوسف نبيل مترجم الرواية فى مقدمته الممتازة لها «فى تلك الفترة العصيبة المتأزمة من تاريخ روسيا وجد تولستوى نفسه بمفرده بين معسكرين: معسكر المحافظين الذى يساند القيصر والكنيسة ويعادى الفلاح، ومعسكر الثوريين الذين لجأوا إلى الإرهاب والاغتيال لمحاولة تغيير الوضع. كثيراً ما رحب الثوريون والاشتراكيون والفوضيون الروس بكتابات تولستوى الناقدة للنظام جذرياً إلا أنهم لم يستطيعوا استيعاب أفكاره عن نبذ العنف نهائياً ومع ذلك وجد تولستوى كثيراً من مؤيدى أفكاره حتى خارج روسيا وأصبحت تعاليمه نبراساً لتجربة غاندى فى الهند حتى أنه أنشأ مزرعة للعمل المشترك بين الهندوس والمسلمين أطلق عليها مزرعة تولستوى ونظم حركة عصيان مدنى كاملة نابذة للعنف».

ويشير المترجم إلى أن تولستوى صور فى كثير من أعماله انتزاع الفلاحين من أراضيهم للعمل فى الجيش، وأنه كان على الفلاح الروسى فى ذلك الوقت عصيان السلطة السياسية والسلطة الدينية المساندة لها لأن حالة عصيان واحدة قادرة على خلق موجات هائلة بل خلق إعصار كبير.

تحدث «السند المزيف» عن التأثيرات التى يمكن لفعل واحد أن يسببها والأمر هنا مشابه «لنظرية أثر الفراشة» فى الجزء الأول من الرواية ولكن أقرب لتأثير نظرية «سقوط الدومينو» فى الجزء الثانى حيث يؤمن تولستوى بأنه يمكن كسر موجات الشر



مذكرات المتمرص المخلص نوبار

التأسيس الحداثي من ولاية محمد على إلى عصر الخديو إسماعيل

تحطم زمن الظلام السياسي والقهر الاجتماعي والرجعية الثقافية والعقلية ومجتمع الطوائف والأبدييات وال دراويش المملوكى لإقطاع عصر البكوات -الاحتلال العثماني- بعد مجيء الحملة الفرنسية وهزيمة مليشيات البكوات، غير أنهم بعد رحيل نابليون أعادوا تنظيم أنفسهم استغلالاً لحالة الفوضى السياسية والاجتماعية التي أعقبت الرحيل.



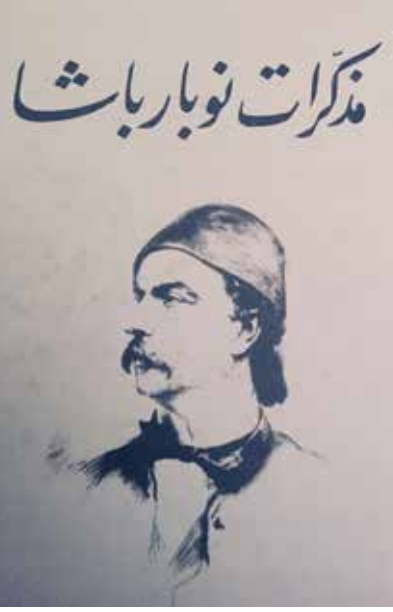
أحمد سعيد المصري
كاتب متخصص في الأدب المصري
elmasry.ahmed1966@gmail.com

فاختار المصريون ومثلهم الشيخ الألباني محمد على واليا على مصر بدلا من الوالى العثماني. وتولى الباشا فكان من الذكاء القيادي والسياسي والإداري أن يعيد تنظيم الأوضاع السياسية والاجتماعية فقضى على سيطرة المماليك السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وعلى الفقهاء وأرباب الطوائف أى الإقطاع الاحتكاري المهني، وجماعات مشايخ صناديق الذنور ومشايخ الطرق من كبار الملوك وأنصار الخرافة، وأسس جيشاً مصرياً مهنياً، وأرسل البعثات التعليمية، وانفصل التعليم المدني عن الديني، ثم جاء دور دولة المؤسسات.

يسرد ميريت بطرس غالى في مقدمة «مذكرات نوبار- الطبعة الأولى 2009- ترجمة جارور روبر طبعيان- مراجعة د. إلهام ذهني- تقديم ودراسة وتعليق لطيفة محمد سالم- مركز الدراسات التاريخية لدار الشروق ومؤسسه د. يونس لبيب رزق»، ويتحدث عن بدايات تأسيس دولة ومؤسسات على النمط الحديث ووضع نوبار باشا رجل الدولة الذى كان له تأثير بالغ في تاريخ مصر الحديث، حيث أمسك بناصية مناصب مهمة وأعانتة على ذلك ثقافته ومعرفته

ومذكرات نوبار تنقسم إلى 4 أقسام و41 فصلا ومقدمة منها 6 لولاية الباشا محمد على وابنه إبراهيم باشا (إبراهيم المصري) و4 للخديو عباس الأول و6 للوالى سعيد باشا ثم الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد على في 25 فصلاً. الجد الوالى المؤسس والحفيد الخديو الذى استكمل المشروع والتأسيس الحداثي لجدّه وأبيه حظيا بمعظم فصول الكتاب. ومذكرات المتمرص نوبار باشا وذلك لأنه كما تقول الدكتورة لطيفة سالم في مقدمة المذكرات عن عصر الخديو إسماعيل «إن تلك الفترة قد تم فيها صياغة المشروع التحديثي الكبير، وإن نوبار قد بلغ مرحلة النضوج والخبرة مما كان له الأثر في إسهامه بدور فعال في توجيه الأحداث». نوبار باشا هو أحد المتمصرين العظماء الذين ساهموا بقدر واف في بناء مصر الحديثة وله جهد وأثر اجتماعي باق إلى الآن مثل خاله بوغوص يوسفيان الأرمني المسيحي مترجم الباشا وموضع ثقته، فقد جاء نوبار مراهقاً إلى مصر عام 1842 وتعلم من الخال فن الإدارة والدبلوماسية والذكاء الاقتصادي والسياسة حتى أصبح رئيساً لمجلس النظار. وكتب نوبار تلك المذكرات وهو في

بالعديد من اللغات الأجنبية، وعلاقاته الخارجية المتشعبة في جعل الحكام لا يستغنون عنه، وحتى عندما يغضبون عليه وينهون خدماته، سرعان ما كانوا يعودون لطلبه. وعلى أية حال فلم يكن بالصورة القاتمة التي ثبتت في أذهان المصريين؛ فربما هناك سلبيات ولكن بجوارها إيجابيات. وعلى الرغم من أن ثورة يوليو قد رفعت تمثاله الذي كان وسط حدائق الشلالات الممتدة بالإسكندرية، فإنها لم تطمس اسمه الذي مازال يطلق على أحد شوارع وسط العاصمة، وكذلك الحال بالنسبة للشارع الذى يحمل اسمه بالإسكندرية ويقع فيه مبنى محكمة الاستئناف (المختلطة سابقاً) والشيء نفسه ينطبق على ترعة النوبارية.



سن 65 في الفترة من نوفمبر 1890 إلى مايو 1894 وتتناول الفترة الممتدة من عام 1842 إلى 1879 37-عاماً - إلى عزل إسماعيل. وفي مقدمة الدكتوراة لطيفة سالم: «بالرغم من قصر الفترة الزمنية التي قضاها مع محمد على وابنه إبراهيم باشا، استطاع بذكائه أن يلتقط خيوط وأسلوب وطريقة تفكير الشخصيتين».

وكما يبدو فقد كان شديد الإعجاب بالأب - محمد على - خاصة في مسألة تحضره وتغيير قوانين معاملة المسيحيين. ويروي نوبار باشا ذلك «واليوم 1844 أن تصطحب قوات مسلمة مسيحية إلى مثواه الأخير لا يمثل أى نوع من الدهشة. من كان ذلك الباشا أو الشخصية الكبيرة، حتى في القسطنطينية، التي تستطيع وتجرو على مصافحة مسيحي في الطريق العام ولو كان صديقاً أقرب إليه من أقاربه بأكثر من إيماءة بالعين أو حركة خفيفة بالرأس؟» ثم يتحدث نوبار عن محمد على الحادثى «فتح محمد على مصر أمام التقدم الصناعى الأوروبى، بل أقول إنه استدعى الطبيب والمهندس والبحار، واحترم كل هؤلاء حتى يتعلم الناس بدورهم احترامهم». ثم يتحدث عن إبراهيم باشا بعد زيارة فرنسا ومتحف فرساي «كان إبراهيم يعرف أسباب نهضة المجتمع الأوروبى الحديث بينما كان الشرق قد دخل فترة الحضانة. كان إبراهيم يتوقع ويعرف أن التحول قادم لا محالة ويجب أن يحدث في بلده مصر» رأى في إبراهيم الذي كان يمثل الرزانة والانسجام في الملكات والقدرات، وبتعبير أقوى وأدق: «كان إبراهيم يصل إلى حدود العبقريّة. كان يهتم بكل شيء، كان مغرماً

بأرضه وكان فخوراً بالإصلاحات الملموسة التي أدخلها - ويجب أن نرد له هذا الحق لأن هؤلاء الرجال من أمثال إبراهيم ومحمد على لم يكونوا ليفعلوا شيئاً دون تفكير متعمق». وتصف د. لطيفة سالم «كان لوجود نوبار بالمعية السنية أهمية بالغة فبالإضافة لشخصيته القوية، إذ تمتع بقدرة فائقة على الإصرار على قضية يكون متحمساً لها فلا يتراجع إلا نادراً وأمام ظروف صعبة حيث إن التصميم من صفاته وقد كان قاسماً مشتركاً في مشروعات كبيرة نفذت في مصر مثل مشروع السكة الحديد الذي أيدّه وشجع عباس الأول على قبوله ووضع نصب عينيه استخدام العمال المصريين في قاطرات السكة الحديد وصعد في عصر عباس الأول (1848-1854) (سماء العلاقات الخارجية سواء مع الدولة العثمانية صاحبة الموقف المعادى للأرمن، أو من الدول الأوروبية وبخاصة بريطانيا. وقد استدعاه عباس الأول وولاه مركزاً وكيلاً - سفيراً - في فيينا. ولم يكن نوبار يرتاح لسعيد (1845-1863) ولم يؤيد مشروع امتياز قناة السويس ولا

القائمين عليه خاصة ديليسبس. وعاب على سعيد اهتمامه بالجيش على حساب باقى المؤسسات، وانتقد تزايد سطوة الأجانب في عهده، ورصد مساوئ الامتيازات الأجنبية. ولم يختلف وضع نوبار في عصر إسماعيل (1863-1879) عندما تعقدت مسألة قناة السويس حاول معالجتها وسعى للحصول على المميزات التي ترفع من شأن مصر وحارب مسألة السخرة ووسن القوانين لمنعها عندما تولى إدارة السكة الحديد. وكانت مسألة عدالة ربطها بالنظام القضائى وأساساً في برنامجيه للإصلاح، وانتزع موافقة الخديو إسماعيل لمشروع المحاكم الجديدة. وقد واجه الخديو إسماعيل في مسألة فداحة الضرائب وكثرة النفقات والأراضى الشاسعة والأبعديات لأملأك الخديو إسماعيل، وتولى رئاسة مجلس النظار في عصره كأول منصب رسمى للمتمصرين المسيحيين في مصر، ووقف أمام تغلغل الموظفين الإنجليز في الإدارة المصرية، وذكر نوبار في مذكراته: «هذه التفاصيل لها أهميتها ممن كان في النهاية سبباً في تحول مصر. لذا فإن مثل هذه الأحداث ظلت محفورة في ذاكرتى بشكل أعمق من غيرها التي من الممكن أن تمثل أهمية أكبر نسبياً». مذكرات أحد المتمصرين العظام ترى من خلالها التطور السياسى والإدارى والثقافى والاجتماعى في مصر خلال عصر محمد على وإبراهيم وعباس الأول وسعيد وإسماعيل. إنه مرجع مهم لا غنى عنه لفهم آليات السياسة والدولة والإدارة في تلك المرحلة التاريخية المهمة.

تاريخ تطور اليسار فى أمريكا اللاتينية بين الثورة والديمقراطية

بالرغم من مرور الذكرى الخمسين لرحيل المناضل الثورى الأرمى الأرجنتىنى المولد الكوبى الهوية «إرنستو تشى جيفارا» بعد مصرعه غدرًا على يد عملاء المخابرات المركزية الأمريكية فى أدغال بوليفيا، والتى حلت فى شهر يونيو من عام 2017، وكذلك اقتراب الذكرى الستين لانتصار الثورة الكوبية بزعامه «فيدل كاسترو» ضد الديكتاتور «باتيستا» فى يناير 1959، فإن البعض يعمد إلى تجاهل الجذور السياسية والفكرية القوية والعميقة لليسار فى أمريكا اللاتينية وأنماط تطور ذلك اليسار، خاصة عندما يتحدث أولئك عن صحوة اليسار فى تلك القارة المهمة، وبشكل خاص على مدار العقد ونصف عقد الماضى.

صحوة اليسار فى التاريخ القريب فى أمريكا اللاتينية بطابعها الديمقراطى القائم على الإقرار فى معظم الحالات بالتعددية الفكرية والسياسية وبالعملية الديمقراطية والانتخابية مرجعاً، على مجمل العلاقات الدولية بأنماط تفاعلاتها وتحالفاتها ومحاورها، حتى خارج حدود القارة اللاتينية أو العالم الجديد كلية.

وهناك العديد من الحالات التى يتناولها المؤلف حول موضوع اليسار فى أمريكا اللاتينية من المنظور التاريخى وفى تطور وضعيته فى محاولة تسعى إلى أن ترسم بقدر الإمكان صورة، على الأقل بشكل شبه متكامل، لجذور هذا اليسار ورموزه وتجاربه وخبراته فى التاريخ الحديث والمعاصر، ممثلة فى الراحلين «إرنستو تشى جيفارا» و«فيدل كاسترو» و«سلفادور الليندى» على سبيل المثال لا الحصر، وبشكل أكثر تحديداً امتدادات ذلك فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وهى فترة الحرب الباردة وما بعد انتهائهما، ممثلة فى كريمة جيفارا وأرملة الليندى قبل رحيلها وحفيدته، مع الأخذ فى الاعتبار التنوع التاريخى الثرى لهذا اليسار ما بين الثورى الذى يسعى للتأقلم



عادل عبدالصمد

adelabdelamed@yahoo.com

الرفيعة المتاحة باللغة العربية، سواء حول تاريخ أمريكا اللاتينية بصفة عامة أو حول تاريخ اليسار بشكل عام أو عن تاريخ اليسار فى أمريكا اللاتينية على وجه التحديد وعلاقة اليسار فى تاريخه فى تلك القارة بكل من الثورة من جهة والديمقراطية من جهة أخرى.

وسيبقى إرث تاريخ اليسار الثورى فى أمريكا اللاتينية محل اهتمام العالم بأسره لأنه ترك بصمته على كافة أرجاء المعمورة بشكل أو آخر على الصعيدين الفكرى والسياسى، خاصة كمصدر إلهام للكثير من المنظرين السياسيين والشباب الحالم بحياة أفضل وأكثر عدلاً وإنصافاً وتكافؤاً ومساواة، وذلك بنفس الدرجة التى أثرت بها

وبالرغم من الفوارق الواضحة للعيان بين طبيعة وخصائص اليسار فى أمريكا اللاتينية الذى غلب عليه الطابع الثورى والنضالى العنيف فى عقود ما بعد الحرب العالمية الثانية، مقارنة بغلبة الطابع الديمقراطى والدستورى لهذا اليسار فى صحوته الأخيرة، فإنه بدون فهم التاريخ وقراءته بشكل يعكس وعياً بالارتباط بين أحداثه ووقائعه ودوافعه لا يمكن استيعاب دروس الماضى وتجاربه وخبراته المتراكمة وإدماجها فى محاولة فهم والتعرف على الحاضر بشكل تحليلى والنظر إليه بصورة نقدية ومن منظور اقتراب منهجى للولوج إلى جذوره، كما يستحيل استشراف المستقبل وتقدير ما يشهده من تحولات وما ستؤول إليه الأوضاع فيه من تغييرات وتطورات. ومن هنا تتأكد القيمة المضافة التى يمثلها الكتاب الأخير للمفكر والكاتب المصرى والعربى المتميز الدكتور/ وليد محمود عبد الناصر حول موضوع «تاريخ تطور اليسار فى أمريكا اللاتينية بين الثورة والديمقراطية»، والصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، وذلك للأدبيات ذات القيمة العلمية والفكرية والأكاديمية والعملية

مع التطورات الداخلية والإقليمية والعالمية، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، دون فقدان هويته الثورية (حالة كوبا في زمن الراحل فيدل كاسترو)، وما بين مهمات وتحديات بناء الحزب الموحد لليسار (حالة فنزويلا في زمن الراحل هوجو تشافيز)، ثم انتصارات اليسار في صناديق الاقتراع عبر مسيرة انتخابات متعددة، سواء على خلفية محاولة الجمع بين اليسار وخطاب ديني تقدمي (حالة الإكوادور) أو من خلال التحول من جبهة ثورية إلى حزب سياسي يعمل في إطار صيغة تعددية (حالة نيكاراغوا) أو من خلال اليسار كمعبر عن وحدة وطنية وضمير جمعي لدولة ومجتمع خرجا من حالة حرب أهلية فعلية ممتدة زمنياً مع خلفية للخطاب الديني التقدمي ممثلاً في لاهوت التحرير (حالة السلفادور).

كما يركز د. وليد عبد الناصر في هذا الكتاب على الخطوط العريضة لأنماط صحوة اليسار في أمريكا اللاتينية في العقدين الماضيين، بالإضافة إلى أفراد جزء من الكتاب لانعكاسات تلك الصحوة على العلاقات العربية / الأمريكية اللاتينية وعلى مواقف بلدان أمريكا اللاتينية تجاه القضايا الأساسية للوطن العربي.

وتتسم فصول وصفحات الكتاب بتحليل عميق وتقييم عبر منهج تاريخي علمي وموضوعي لمدى عمق وثراء وتنوع تجارب شخصيات وتيارات اليسار في الكثير من بلدان أمريكا اللاتينية على مدار فترات متتالية ومراحل متعاقبة في السنوات والعقود الماضية، خاصة في فترة ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام 1945، وتعدد أشكالها وتنوع صورها وتباين مضامينها الأيديولوجية والسياسية ودلالاتها الاقتصادية والاجتماعية، بل والثقافية وأحياناً أيضاً الدينية، وانعكاساتها على الأرض ممثلة في استراتيجيات

متبعة لتطبيق الشعارات وتحويل الأهداف وترجمتها إلى برامج ومشروعات، وكذلك تحليل وتقييم الاعتبارات المعنوية ذات الأهمية الرمزية بالنسبة لليسار، وذلك بما يتضمن ضمن أمور أخرى مفردات اللغة المستخدمة والخطاب الجماهيري الموجه إلى القاعدة الشعبية الداعمة لرموز وقوى اليسار في مختلف بلدان أمريكا اللاتينية المشمولة في هذا الكتاب، مع تركيز خاص على تباين استراتيجيات ذلك اليسار بفصائه الواسع ما بين الخيار الثوري والخيار الديمقراطي التعددي، وذلك كله من منظور تاريخي مقارنة.

وهذا الكتاب ليس حديثاً في التاريخ الحديث والمعاصر لدول بعينها أو منطقة جغرافية وجيوستراتيجية بذاتها فقط، كما أنه ليس مجرد تحليل مجرد ومنقطع الصلة بالواقع في سماء العقائد والفلسفات والأيديولوجيات والأفكار على إطلاقها، حتى فيما يتصل باليسار ذاته، وبالتأكيد هو لا يقتصر على كونه كتاباً في علم التاريخ أو ممارساته الفعلية بمستويات تحليلها وأبعاد تقييمها وأنماط تفاعلاتها المحلية أو الإقليمية أو الدولية، كذلك



فإنه لا ينحصر في دائرة الكتابات الأكاديمية أو النظرية أو المنهجية البحتة التي قد تتعرض للاتهام بأنها لا تعبر الاهتمام اللازم أو الكافي للتجارب العملية أو الخبرات الواقعية المتراكمة. بل إن هذا الكتاب هو في حقيقة الأمر، وبدون أية شبهة ادعاء أو مغالاة، يعكس جهداً متعمقاً لمؤلفه يمثل محاولة صادقة وجادة وموضوعية للجمع بين كل ما تقدم بشكل سعى قدر الإمكان أن يكون متوازناً إلى أقصى حد ممكن وشاملاً قدر الاستطاعة لمكونات الموضوع المهم محل الدراسة والبحث، ألا وهو: تاريخ تطور اليسار في أمريكا اللاتينية بين الثورة والديمقراطية، وبشكل أكثر تحديداً موقع هذا اليسار ما بين خيار الثورة وخيار الديمقراطية بمعناها التعددي، مع الإقرار بوجود التنوع داخل كل من الخيارين.

وأخيراً، فإن كتاب « تاريخ تطور اليسار في أمريكا اللاتينية بين الثورة والديمقراطية » يفيد القارئ من جهة تعريفه بالموضوعات محل التناول والتحليل ليس فقط بغرض تحسين فهم هذا القارئ لجذور وتاريخ تطور اليسار في أمريكا اللاتينية وتحركه ما بين خيارى الثورة والديمقراطية، بل أيضاً بغرض إيجاد قدرة وإمكانية لدى هذا القارئ لاستشراف المستقبل على أسس منهجية ووفق ضوابط موضوعية تربط الماضي والحاضر والمستقبل في تسلسل واضح واتصال عضوي فيما بينهم، وبقدر ما تسمح به قدرات التنبؤ والتوقع بقدر ما من اليقين، مع الإقرار بالطبع بما يحيط بهذه القدرات من حدود في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

من الذاكرة الدبلوماسية للسفير د. السيد أمين شلبي

في مارس من كل عام تحتفل وزارة الخارجية بיום الدبلوماسية المصرية، إحياء لذكرى اليوم الذي عادت فيه مصر عام 1923 لممارسة النشاط الدبلوماسي، بعد أن كانت بريطانيا قد حرمتها منه مع إعلان الحماية عليها عام 1914 وجمدت وزارة الخارجية.

ويضيف الكاتب بكلماته المدققة وبعيون الدبلوماسي وعقل الأكاديمي انطباعاته خلال حياته الدبلوماسية العريضة، فيسجل رؤاه حول النرويج والبلدان الإسكندنافية التي كانت تتويجا لعمله في الغرب، ومراقبته لحضارتها ومقوماتها وأسلوب حياتها، هي التي أوجبت على الكاتب أن يدرس تجربة عدد من المفكرين المصريين الأوائل الذين رحلوا للغرب ودرسوا فيه وعاشوا بين مجتمعاته، واطلعوا على تقدمه، وكيف استطاعوا أن يوفقوا بين تجربة الغرب وبين قيمهم الثقافية الأصيلة وعما إذا كانت قد أثرت على انتماءاتهم الثقافية والحضارية، وعمله في الغرب دفعه أيضا أن يكتب عن شخصيات جمعت بينهم السياسة والثقافة.

وتجربة السفير شلبي في العمل الدبلوماسي على مدى 35 عاماً واهتماماته الثقافية والأكاديمية تجربة ثرية وكان من أهم ما شغله أن يكتب عن الدبلوماسية المعاصرة ويتتبع كيف نشأت والفروق بين الدبلوماسية القديمة والجديدة، وما الخصائص والمؤهلات التي يجب أن يكتسبها الدبلوماسي لكي يمارس عمله بكفاءة، وضرورة التدريب من أجل هذا الهدف.

ويخصص الكاتب الفصل الأخير لموضوع يهم شباب الدبلوماسيين تحت عنوان «في بناء الدبلوماسي» ليؤكد أن المبعوث الدبلوماسي والذي هو أداة الدبلوماسية في تحقيق غايتها هو وجه البلد والمجتمع الذي أوفده ليمثله ويعبر عنه ويتحدث باسمه، ولذلك فخصائص هذا المبعوث بكل مكوناتها الشكلية والموضوعية ابتداء من مظهره وسلوكه وتصرفاته الضرورية وتعامله مع المجتمع الذي يعمل فيه، حتى مستوى إدارته لعلاقات بلاده مع الدولة المعتمد لديها وما يتطلب من حكمة وتدبر وثقافة وتكامل مع شخصيته، هذه الخصائص مجتمعة تساهم في تشكيل صورة البلد والمجتمع الذي يمثله المبعوث ويحكم بها عليه.

عرض : عادل عبدالصمد

هذه المذكرات وعمره يقترب من الثمانين، وقد ألحت عليه الرغبة في استعادة ما مر به وعاصره من أحداث وتحولات عالمية وإقليمية وعمل معها وعرفها عن قرب خلال رحلته الدبلوماسية، وقد تصادف أن يكون عمله في السبعينات في مناطق مؤثرة وخاصة في الاتحاد السوفييتي السابق، والولايات المتحدة في الثمانينات، حيث شاهد في موسكو ما يطلق عليه مؤرخو العلاقات الدولية ومرحلة الحرب الباردة عصر التفاوض، والذي تبلور في سياسة الوفاق، والتي أرادت بها القوتان العظميان نقل علاقاتهما من مرحلة المواجهة إلى مرحلة التفاوض والتعاون. وقد شهد أربعة مؤتمرات قمة عقدت ما بين العاصمتين موسكو وواشنطن. وتشاء الظروف أن يشهد كيف تطورت هذه العلاقات حين أتيح له أن يعمل في واشنطن وفي سنوات حكم رئيس جمهوري، لم يرض عن مفهوم الوفاق، ورأى أنه استخدم لدعم النفوذ السوفييتي وعلى حساب الولايات المتحدة، ولذلك بدأ عهده بمواجهة أيديولوجية وسياسية وعسكرية مع الاتحاد السوفييتي وهي المواجهة التي يعتبرها المؤرخون من العوامل التي ساهمت في انهيار الاتحاد السوفييتي ونهاية الحرب الباردة.



وعندما يحتفل المصريون بיום الدبلوماسية فإنهم يحتفلون بميلاد الكيان الدولي لدولة مصر الحديثة وتذكيراً ببداية العصر الجديد للدبلوماسية المصرية التي اتخذت بها مصر مكانتها الدولية ضمن أسرة المجتمع الدولي المعاصر. في هذه المناسبة نقدم للأجيال الدبلوماسية خبرة دبلوماسي مصري مثقف قدم للمكتبة العربية ومكتبة السياسة الخارجية بسيرته الدبلوماسية الثرية والذي خدم بلاده بكفاءة ووفاء.

ويقول صاحب السيرة السفير د. السيد أمين شلبي في كتابه «من الذاكرة الدبلوماسية»: «أردت بهذه المذكرات أن أقدم للأجيال الدبلوماسية الجديدة، خبرة زميل لهم اجتهد في أن يسجل ويوصل ما عاصره من أحداث وتحولات، وأن يتذكر عدداً من الشخصيات التي تفتخر بهم الدبلوماسية المصرية وأدأهم وأدوارهم في قضايا مصر الدولية والإقليمية، وكذلك للباحثين في العلاقات الدولية الذين قد يرون في القضايا الدولية والإقليمية التي تعرض لها خبرة مهنية تضيف إلى خبرتهم الأكاديمية».

قدم هذا الكتاب القيم الدبلوماسي الكبير أحمد أبو الغيط الأمين العام للجامعة العربية ووزير الخارجية الأسبق مؤكداً على أهمية الكتاب وكاتبه الذي له بصمة قوية لما يجب أن يكون عليه الدبلوماسي المتميز. ويرى السفير أحمد أبو الغيط أن أهمية هذا الكتاب ترجع لكثافة المادة التي تناولها الكاتب وعمق الرؤية وتعدد الخبرات والتجارب، وينصح الدبلوماسيين المصريين الجدد وكذلك القدامى، بل وأيضا العاملين في حقل السياسة الخارجية والعلاقات الدولية سواء في الجامعات المصرية أو العربية ومراكز ومعاهد الأبحاث في الوطن العربي بأهمية الاطلاع على هذا الجهد الطيب. فالكاتب أتيحت له الخدمة ولسنوات في عاصمتي الحرب الباردة موسكو وواشنطن بالإضافة إلى تجربة مهمة في دولتين من دول الكتلة الاشتراكية هما تشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا. ويسجل الكاتب في المقدمة أنه كتب



Hieroglyphs and a cartouche containing the name of the deceased.

Large block of hieroglyphs, likely a funerary text or a list of offerings.

المرأة ومكانتها في مصر القديمة

تميزت الحضارة المصرية القديمة عن باقي حضارات العالم بتنوع مظاهرها العلمية والفنية والأدبية والاجتماعية والسياسية، وفي هذا التميز والتنوع حظيت المرأة في مصر القديمة على مكانة لم تحظ بها امرأة أخرى في شتى المجتمعات والحضارات الإنسانية، وتشهد آثار الحضارة المصرية بذلك من خلال تمثيلها في هيئة مساوية للرجل في تماثيل منفردة أو مزدوجة أو تماثيل عائلية، كما تظهر في مناظر ونقوش المقابر بكامل زيتها وزينتها إلى جوار الرجل في رحلات الصيد والولائم أو إلى موائد القربان، كما تظهر في حفلات نسائية مصحوبة بالولائم، وبشتى أنواع الموسيقى والرقص.

الرباط المقدس روحاً واحدة وقلباً واحداً وآمالاً واحدة تربطه الثقة المتبادلة».

وفي خطاب رجل لزوجته يقول لها: «زوجتي الحبيبة الرقيقة، سيدة الأناقة، عذبة الحب، ممتعة الحديث، الحكمة في عبارتها، كل ما يأتي على شفيتها ميزان دقيق، الكاملة التي تبسط يديها للكافة بالمودة، لا تنطق بشراً، مفعمة بالحب للجميع».

وكانت الزوجة سيدة بيتها بما تعنيه هذه الكلمة من معنى لذا كانت تلقب بـ «وتقرأ «نبت بر» أى سيدة البيت وهو ما يظهر مكانتها في بيت زوجها، وهو المعنى الذي نسترجعه دائماً في يومنا الحالى فندعو زوجاتنا بـ «ست البيت».

أما مكانة الأم، فقد قيل فيها: «الأم هبة الإله. ضاعف لها العطاء فقد أعطتك كل حنانها، ضاعف لها الغذاء فقد غذتك من عصارة جسدها. احملها في شيخوختها فقد حملتك فى طفولتك. اذكرها دائماً فى صلاتك ودعائك للإله العظيم فكلما تذكرتها تذكرتك



أ.د. ممدوح الدماطى
وزير الآثار السابق

eldamatymamdouh@yahoo.com

أسعدها ما دمت حياً فهي هبة الإله الذى استجاب لدعائك بها فتقديس النعمة إرضاء للرب».

وقال بتاح حوتب: «إذا أحببت فتاة وبادلتها حباً بحب فأياك أن تخونها. إن الحفاظ على الرباط العائلى المقدس حياة للمجتمع. وإذا اقترفت الجرم خنت المروءة وأغضبت الإله وجلبت على نفسك العار والضرر والاحتقار».

ونصح حكيم آخر ابنه قائلاً: «لتكن شريكة حياتك التى تختارها امرأة قنوعة ومتواضعة فى أحلامها ومطالبها وسعة تفكيرها، كبيرة القلب، امرأة يجعل منكما

تركت لنا النصوص الأدبية، ما يدل أن مصر بحق هى أول من كرم المرأة وحفظ لها مكانتها، حوالى 2300 ق.م. فقال الحكيم كاجمني: «علموا المرأة يتعلم الرجل.. ويتعلم الشعب». وما برح الحكماء فى مصر القديمة ينصحون أولادهم، فقال أحدهم: «يا ولدى إذا كنت عاقلاً فأسس لنفسك بيتاً وحب زوجتك من قلبك، املاً بطنها واكس ظهرها واشرح صدرها. إياك أن تقسو عليها، فإن القسوة خراب للبيت الذى أسسته فهو بيت حياتك. لقد اخترتها أمام الله فأنت مسئول عنها أمامه».

وقال سنب حوتب لابنه: «إذا أردت رضا الله فأحب شريكة حياتك، اعتن بها تعتن ببيتك وترعاه. قريبا من قلبك فقد جعلها الرب توأماً لروحك. إذا أسعدها أسعدت بيتك وإذا أسعدت بيتك أسعدت نفسك زودها بكسوتها ووسائل زينتها وزهورها المفضلة وعطرها الخاص فكل ذلك سينعكس على بيتك ويعطر حياتك ويضفى عليها البهجة،



تفصيل من تمثال الأميرة نفرت والتى يعنى اسمها الجميلة، يظهر ملامح وجهها الرقيق وعيونها المطعمة.

تمثالان منفردان للأمير رع-حوتب وزوجته الأميرة نفرت من عصر الأسرة الرابعة حوالى 2600 ق.م.

يساوى ثلث ما كسبه الزوج خلال فترة زواجهما معا. أما فى حالة أن تكون الزوجة هى الراغبة فى إنهاء العلاقة الزوجية فكانت تحصل على كل ما سبق فيما عدا القيمة الكاملة لمؤخر الصداق أى الهدية التى نص عليها فى عقد الزواج، بل يصلها منها النصف فقط، أما إذا اقترفت الزوجة الجريمة الكبرى أو الخيانة وثبت عليها ذلك فكانت لا تحصل على أى مستحقات، كما أنها كانت تحاكم وتعاقب جنائياً. اهتمت المرأة المصرية بأناعتها وجمالها فحرصت دائماً أن تكون فى أبهى صورها وعادة ما كانت تظهر فى زى كتانى أبيض جميل ذى طيات أنيقة وتلبس باروكة شعر وحلياً جميلة

حفل العرس، ويشهد على العقد شهود تسجل أسماءهم فى الوثيقة، ويحرر فى العقد تعهدات الزوج، وينص كتابة على قيمة الصداق من أوزان الفضة ومكايل الغلال، فضلاً عن مؤجل معين يدفعه إذا شب بينه وبين زوجته ما يدعو إلى الانفصال، وهو ما يعرف بالمؤخر فى عقودنا الحالية. كان الطلاق حقاً للزوجين ويتم باتفاقهما، وفى حالة حدوث الطلاق بإرادة الزوج دون ذنب اقترفته الزوجة فكان يجب تنفيذ شرط العقد، الذى أقره الزوج فى عقد الزواج، وكذلك مؤخر الصداق وهو هدية الزواج وقيمتها تكون مسجلة فى عقد الزواج علاوة على ما تحصل عليه من قيمة الكسب المشترك طوال فترة الزواج وهو ما

وبذلك ترضى الإله. فرضاؤه يأتى من رضائها عنك». وقال فيها الحكيم أنى: «لا تنس أمك وما عملته من أجلك ضاعف لها غذاءها. احملها كما حملتك فإذا نسيتها نسيك الإله. لقد حملتك تسعة أشهر وحينما ولدت حملتك حول رقبتها وأعطتك ثديها سنوات لم تشمئز من قذارتك، ولما دخلت المدرسة وتعلمت الكتابة كانت تقف بجوار معلمك ومعها الخبز والحببة جاءت بها من البيت». أما عن حقوق المرأة فى الزواج والطلاق فكان لمصر السابق فى تحرير وثائق الزواج والطلاق. كان العقد فى البداية يتم مشافهة بين كبار أفراد الأسرتين، ثم تطور فيما بعد إلى نص مكتوب. وكان الأهل والأقرباء وأهل القرية يحضرون



تمثال مزدوج لنيسن وزوجته نبتتا، من الحجر الجيري الملون وقد ظهر في زي كتاني جميل وارتدى كل منهما باروكة شعر ثقيلة. عصر الملك أمنحتب الثالث حوالي 1370 ق.م. ومحفوظ حالياً بمتحف بروكلين بنيويورك.



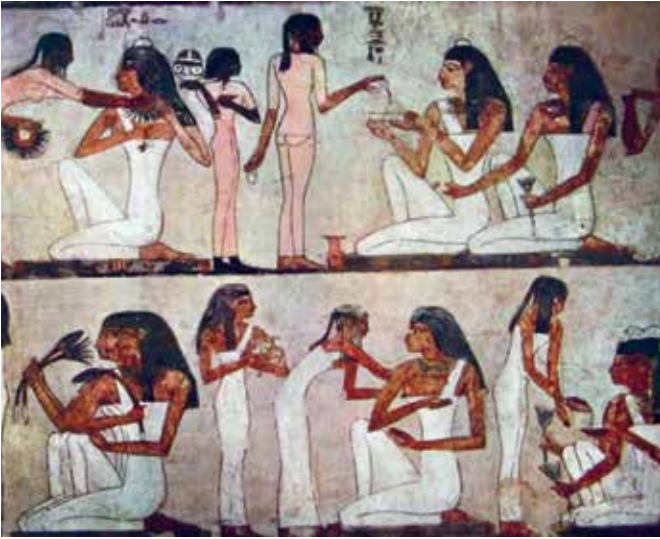
تمثال عائلي للقرمز سنوب وزوجته سنيتيس من الحجر الجيري الملون ويرجع لعصر الأسرة الخامسة حوالي 2520 ق.م. عثر عليه في مقبرته بالجيزة، ومحفوظ حالياً بالمتحف المصري بالقاهرة.

المرأة ومكانتها في مصر القديمة



منظر حفل موسيقى ورقص، من مقبرة نبأمون من الأسرة الثامنة عشرة حوالي 1350 ق.م.

تتمشى مع زوجها، حتى لا يستطيع المرء أن يذكر المرأة المصرية في هذا العصر إلا بسيدة الأناقة، وسيدة الجمال. كما تظهر مناظر الملكة نفرتاري في مقبرتها بوادي الملكات بطيبة الغربية، أو حتى في أبسط الأوضاع الاجتماعية مثل منظر مقبرة سنجم وزوجته في دير المدينة، والتي تظهرهم في حقول الجنة يعملان معاً في حرث وزراعة أحد حقول الجنة وقد ظهر الزوجان في صورة جميلة بزي كتاني أبيض أنيق وعلى رأس كل



حفلة نسائي من مقبرة رخميرع وزير الملك العظيم تحتتمس الثالث، من طيبة الغربية. وتظهر في الحفل سيدات المجتمع جالسات والخادما ترقصن على خدمتهن. عصر تحتتمس الثالث حوالي 1450 ق.م.



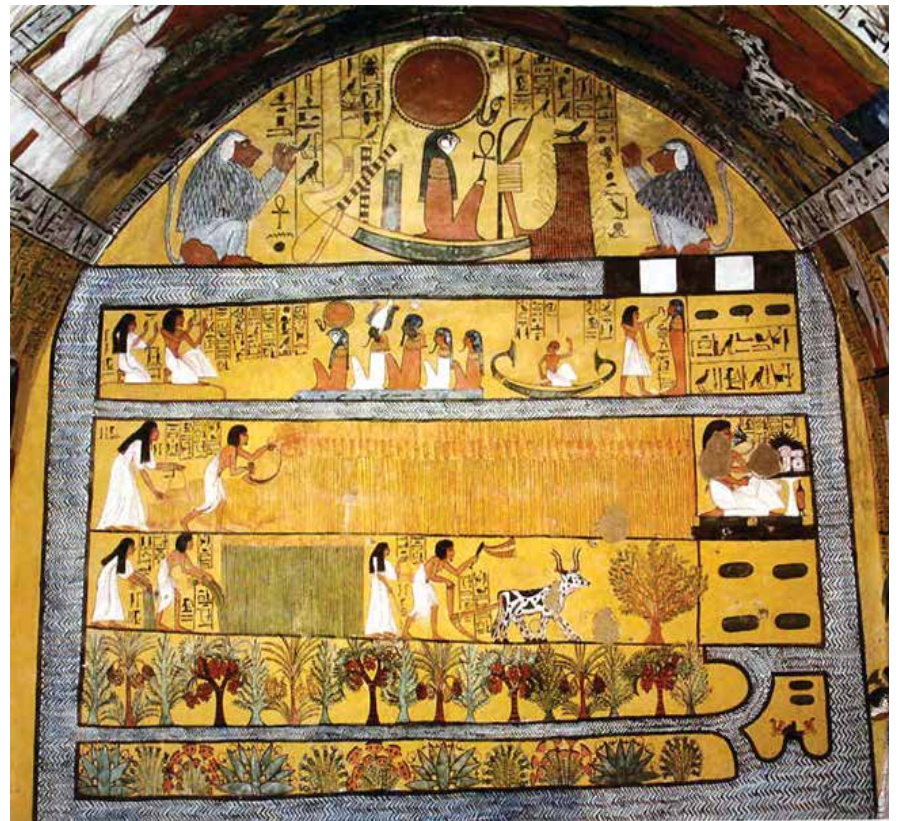
منظر من مقبرة نخت بطيبة الغربية عصر الأسرة 18 حوالي 1400 ق.م.

كان للمرأة في المجتمع المصري القديم دور كبير في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فقد حصلت على مناصب مهمة في الدولة، فكانت قاضية مثل السيدة بنيت من الأسرة السادسة، والتي لقبت بالقاضية ووزيرة الملك وهو من أعلى الألقاب مكانة. وعملت المرأة كطبيبة مثل طبيبة الملك بسشت التي كانت من أحسن وأقرب أطباء الملك في الأسرة الرابعة، وعملت في وظيفة الكاتب وهذه الوظيفة التي قد تؤهل صاحبها إلى مناصب حكومية عالية.

ليس هذا فحسب بل كانت أيضاً سيدة أعمال كالسيدة «ني نفر» وهي صاحبة أراض شاسعة، وأملاك وعقارات في عهد الدولة الحديثة، وكان لها وكلاء تجاريون للترويج لمنتجاتها، وكانت تقوم بدفع الضرائب المطلوبة منها. وبصفة عامة تمتعت المرأة في العصر الفرعوني بكافة الحقوق الاقتصادية التي تكفلها الدولة

ومارست الرياضة، واهتمت بالحفلات الاجتماعية المصحوبة بألوان الرقص والموسيقى والغناء وغيرها من متطلبات الحياة المتمدنة والمجتمع الراقى.

منهما باروكة شعر مستعار. كما أوضحت الآثار أن المرأة المصرية لم تهتم فقط بأناقيتها بل اهتمت بشتى أنواع المظاهر الحضارية، فقد اهتمت برشاقتها



أحد جدران مقبرة سنجم من دير المدينة بطيبة الغربية، عصر الأسرة التاسعة عشرة حوالي 1270 ق.م.



منظر للملكة نفرتارى زوجة الملك رمسيس الثانى حوالى 1270 ق.م. من مقبرتها فى وادى الملكات.



مجموعة من الحلى لأميرات من عصر الأسرة الثانية عشر حوالى 1850 ق.م.

المرأة ومكانتها فى مصر القديمة

مثلها مثل الرجل كالإعفاءات الضريبية فى بعض الأحيان، وتوفير العمالة، وغير ذلك من الحقوق.

كما تمكنت المرأة فى مصر القديمة من أن يكون لها دور فى الحكم مع زوجها الملك الشرعى أو من خلاله كما كان الحال مع

الملكة تى زوجة الملك أمنحوتب الثالث حوالى 1388-1350 ق.م. ونفروسيوبك فى نهاية الأسرة الثانية عشرة حوالى 1785-1781 ق.م. وحتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة حوالى 1479-1458 ق.م. وتاوسرت فى نهاية الأسرة التاسعة عشرة حوالى 1194-1186 ق.م. وكليوباترا السابعة فى نهاية الأسرة البطلمية حوالى 51-30 ق.م.

الملكة تى زوجة الملك أمنحوتب الثالث حوالى 1388-1350 ق.م. والملكة نفرتيتى زوجة الملك إخناتون حوالى 1350-1334 ق.م. والتي يعتقد البعض أنها حكمت أيضاً منفردة، وكلاهما من الأسرة الثامنة عشرة، بل تمكنت من الوصول إلى سدة الحكم، فتوجت كملكة حاكمة مثل نيت-إقرت فى نهاية الأسرة



أوستراكا (كسرة من الحجر) عليها منظر لفتاة تؤدي حركة أكروباتية في رشاقة متناهية، عثر عليها في طيبة من عصر الدولة الحديثة حوالي 1200 ق.م. ومحفوطة حالياً بمتحف بروكلن.



منظر من تابوت الملكة كاويت زوجة الملك منتوحوتب الثانى (نبحترع) من الأسرة الحادية عشر حوالي 2020 ق.م. عثر على هذا التابوت بالدير البحرى، ومحفوظ حالياً بالمتحف المصرى بالقاهرة

إتاحة الفرصة الكاملة للمرأة لممارسة حقوقها كشريك أساسي

شهد عام 2017 ومنذ إطلاق عام المرأة المصرية فى مارس الماضى سلسلة من الاتصالات الخارجية حرصاً من المجلس القومى للمرأة على نقل تجاربه الناجحة لدعم مكانة المرأة المصرية والإنجازات التى تحققت ميدانياً والنجاحات إلى المجتمع الدولى، والاستفادة من التجارب الناجحة للدول الأخرى.

قبل. فمنذ تولى الرئيس السيسى المسئولية وضح للجميع إيمانه بقدرات وإمكانات المرأة، وتتويجاً لذلك أعلن الرئيس عام 2017 عام المرأة المصرية فى خطوة تاريخية حققت نقلة نوعية لكافة أوضاع المرأة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وتشريعياً. وشهدت نساء وفتيات مصر إنجازات ومكتسبات عديدة طالما تطلعن إليها.

فعلى الصعيد الداخلى، حققت المرأة مكتسبات طالما تطلعت إليها. فقد بلغ عدد الوزارات ست وزيرات يمثلن 20% من الحكومة الحالية. وسبق ذلك تعيين أول مستشارة للأمن القومى لرئيس الجمهورية، وتعيين أول سيدة محافظة (محافظة البحيرة) وعدد (4) نائبات محافظ، وتعيين أول نائبة لمحافظ البنك المركزى، ورئيسة لهيئة النيابة الإدارية، ووكيلة لمحافظ البنك المركزى للرقابة والإشراف على البنوك وقطاع مكتب المحافظ، وتعيين 6 سيدات كنائبات لرئيس هيئة قضايا الدولة لأول مرة.

وأعلن الرئيس السيسى أولويات الدولة للمشروعات



د. مايا مرسى
رئيسة المجلس القومى للمرأة
mayamorsy@gmail.com

المؤتمر الدولى الثانى والعشرين تحت شعار «النساء والأعمال» الذى عُقد باليابان، وغيرها من الفعاليات الدولية المهمة فى عدة دول بهدف نقل الوجه الحضارى لمصر وما تحققة المرأة المصرية من إنجازات. وتلاقى التجربة المصرية للنهوض بأوضاع المرأة وتنميتها استحساناً كبيراً من قبل الوفود المشاركة من مختلف دول العالم. ويأتى ذلك إلى جانب استضافة المجلس للوفود الزائرة للتعريف بأوضاع المرأة المصرية والجهود الحثيثة لتمكينها على مختلف الأصعدة.

فالمراة المصرية تحظى فى الوقت الحالى بدعم القيادة السياسية بشكل لم تشهده من

فقد شارك ممثلو المجلس فى فعاليات الاجتماع العاشر للوزراء المسئولين عن مسائل النوع وشئون المرأة بتجمع الكوميسا الذى استضافته السودان مؤخراً، وحيث جرى استعراض التقدم المحرز فى مسائل النوع وتمكين المرأة ومحاربة الفقر والأمية. كما سبق ذلك الحدث بأيام قليلة المشاركة فى الاجتماعات التحضيرية للدورة 62 للجنة وضع المرأة بالأمم المتحدة، والتى عقدت على المستوى الوزارى الأفريقى، وذلك بمقر الاتحاد الأفريقى بأديس أبابا تحت شعار «أفريقيا الموحدة: صوت واحد لأفريقيا». وتعقب ذلك المشاركة فى فعاليات الدورة 62 للجنة وضع المرأة بالأمم المتحدة فى نيويورك، وفى مجلس حقوق الانسان فى جنيف. كما شارك المجلس فى الاجتماع الـ 36 للجنة المرأة بمنظمة المرأة العربية الذى استضافته البحرين، وشهد متابعة تنفيذ التوصيات الصادرة عن الدورة 35 للجنة المرأة، وبحث أجندة التنمية المستدامة للمرأة العربية 2030. كما كانت المشاركة فى



الفلاحات: لوحة للفنان حسن رجب

مؤمنة بقدرات المرأة بصورة غير مسبقة، لاتزال المرأة تتطلع إلى المزيد من الحقوق التي تتلاءم مع ما قدمت من تضحيات لإعلاء شأن الوطن. وأستحضر كلمات الرئيس السيسي حين قال «إن مصر تشهد الآن مرحلة مهمة فى تاريخها من أجل بناء مستقبل تستحقه ومكانة تليق بأبنائها وبناتها، وهو مستقبل لا يمكن بلورته دون إتاحة الفرصة الكاملة للمرأة المصرية فى ممارسة حقوقها كشريك أساسى بكافة جهود التنمية المستدامة، وهو ما سعت إليه الدولة سعياً جاداً، وبمساندة إرادة سياسية عند وضع السياسات التنموية المنصفة للمرأة.» فقد كفل دستور 2014 حقوقاً غير مسبقة للمرأة وتضمن ما يزيد عن 20 مادة خاطبتها بشكل مباشر، أخص

صحة المرأة» الذى يحتوى على أهم الرسائل التثقيفية الصحية التى تعيشها المرأة فى جميع مراحلها العمرية. وفى المجال التشريعى لمكافحة العنف ضد المرأة، تم تغليظ عقوبة الختان والتحرش الجنسى وتجريم حرمان المرأة من الميراث، وتم إصدار قانون تنظيم عمل المجلس القومى للمرأة إعمالاً للدستور. كما تمت متابعة تنفيذ الاستراتيجية الوطنية لمكافحة العنف ضد المرأة، والاستراتيجية الوطنية لمكافحة الختان، والاستراتيجية الوطنية لمناهضة الزواج المبكر. ولا يزال العمل مستمراً لاستصدار قوانين أخرى تكفل للمرأة جميع حقوقها، ومن بينها حماية المرأة من جميع أشكال العنف. وفى ظل توافر إرادة سياسية

متناهية الصغر ودعم أسر المرأة المعيلة والأسر الفقيرة، فقد بلغ عدد السيدات المستفيدات من التمويل متناهى الصغر فى الربع الأول لعام المرأة 2017 1.33 مليون سيدة بأرصدة تمويل قدرها 2.55 مليار جنيه. ومشروع الادخار والإقراض الذى تم تنفيذه بعدة محافظات وصل عدد أعضائه إلى 18000 مستفيدة. أما برنامج تكافل وكرامة للتحويلات النقدية فبلغ عدد المستفيدين منه مليوناً وسبعمائة أسرة فقيرة، وهى أمور تسهم كلها فى تحقيق الاستقرار الذى ننشده جميعاً. ولقد أطلق المجلس القومى للمرأة حملة لطرق الأبواب بجميع المحافظات مستهدفاً أكثر من مليون سيدة، و«حملة التاء المربوطة سر قوتك»، والتى وصل عدد متابعيها لـ 60 مليون متابع ومتابعة. و«دليل

إتاحة الفرصة الكاملة للمرأة لممارسة حقوقها كشريك أساسي



منها بالذكر المادة 11 التي نصت على المساواة بين المرأة والرجل في جميع الحقوق، والعمل على ضمان التمثيل المناسب لها في المجالس النيابية، وكفالة حقها في تولى وظائف الإدارة العليا للدولة، والتعيين بالجهات القضائية، والتزام الدولة بحماية المرأة من كل أشكال العنف والقضاء على كل صور التمييز.

والإستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة المصرية 2030 تتبنى تعريفاً دقيقاً لتمكين المرأة، يتأسس على خمسة عناصر هي أن تقدر المرأة ذاتها وتثق في إمكاناتها، وأن تتوفر أمام المرأة الخيارات ويكون لها الحق في تحديد خياراتها، وأن يكفل للمرأة الحق في النفاذ إلى والحصول على الفرص والموارد، وأن يكون للمرأة الحق في تملك القدرة على التحكم في مفردات حياتها، وأن يكون للمرأة القدرة على التأثير في اتجاه التغيير الاجتماعي إيجابياً. كما جاءت الإستراتيجية بخلق حوار مجتمعي واسع النطاق شارك فيه 750 من النخب، 710 من المجتمع المدني، 152 ألفاً من الجمهور العام، 43 جهة حكومية وجامعة. وباعتبار المجلس القومي للمرأة الآلية الوطنية المعنية بالنهوض وتنمية المرأة، فقد بذل قصارى جهده وطاقته خلال عام 2017 للوصول إلى كل

عضوات هيئة النيابة الإدارية 43٪، ونسبة العضوات في هيئة قضايا الدولة 20٪. وبهذا تصبح العضوات بالجهات والهيئات القضائية 12,5٪ فيما لم تصل المرأة بعد إلى مجلس الدولة.

ويولى المجلس اهتماماً بالغاً بقضية تعليم ومحو أمية النساء والفتيات خاصة في ظل ما ورد بالإحصائيات الرسمية بأن عدد الأميات في مصر يبلغ 10.6 مليون بنسبة 30.8٪. ويعمل المجلس جاهدة على التوسع في برامج محو الأمية الكتابية والرقمية والتكنولوجية للمرأة. وجدير بالذكر أن المجتمع يشهد الآن انخفاضاً ملحوظاً في نسبة

امرأة وفتاة في القرى والنجوع بجميع المحافظات، والتواصل معهن عن قرب، والتعرف على واقعهن، ومشكلاتهن وتطلعاتهن، والسعي الجاد نحو تليبيتها.

وانطلاقاً من تلك الرؤية لأهمية مشاركة المرأة في بناء مسيرة التنمية على قدم المساواة مع الرجل يواصل المجلس القومي للمرأة. ويسعى المجلس إلى استكمال تنفيذ ومتابعة ما جاء بالدستور على أرض الواقع وضمان وصول المرأة إلى مزيد من المواقع القيادية حيث تبلغ نسبة القاضيات بالقضاء العادي نصف في المائة أي 66 قاضية من إجمالي 12 ألف قاض. ونسبة

«الإقراض والادخار»، «قرية واحدة.. منتج واحد»، ومشروع «استخراج بطاقات الرقم القومي والأوراق الثبوتية للسيدات غير القادرات» حتى يتمكن من الحصول على كافة حقوق المواطنة، إلى جانب الخدمات التي يقدمها «مركز تنمية المهارات» لمساعدة السيدات على إقامة مشروعات صغيرة، وتوجيههن إلى الجهات والمؤسسات المعنية لمساعدتهن في إعداد دراسات الجدوى أو الحصول على قروض. وقد وقع المجلس القومي للمرأة بروتوكول تعاون مع البنك المركزي يُعد الأول من نوعه على مستوى العالم، بهدف تطبيق مفهوم الشمول المالي من أجل تقديم خدمات بنكية تتناسب مع احتياجات المرأة محدودة الدخل والأكثر احتياجاً لتمكينهن من الحصول على قروض وإقامة مشروعات صغيرة تساهم في رفع المستوى المعيشي لها ولأسرتها. وتتمثل أهم برامج التمكين الاجتماعي والحماية في برامج «نعم لنبقى» العمل على صدور تشريع لحماية المرأة من كافة أشكال العنف، وتطبيق مدخل وقائي للحد من مشكلات الغارمات لتوعيتهن بحقوقهن ومسئولياتهن القانونية لتلافى تبعات تعثر المشروع نتيجة لإقراض غير مدروس. فالمجلس القومي للمرأة يضع نصب عينيه فتيات ونساء مصر على اختلاف فئاتهن وشرائحن أملاً في غدٍ أفضل لهن وللوطن بأسره.



المعيلة والفئات الأكثر احتياجاً، على أن يتم تخصيص مبلغ «250 مليون جنيه» لصالح هذه المبادرة والتي تحمل اسم «مستورة». مع تكليف الحكومة بإتاحة مبلغ 250 مليون جنيه لتقوم وزارة التضامن الاجتماعي بدورها بتوفير خدمات الطفولة المبكرة. ونأمل في انتشار خدمات رعاية الأطفال والحضانات لمساندة المرأة العاملة. ونعمل على إصدار تشريعات لحماية العاملات في المنازل، وتقنين أوضاعهن بما يكفل حقوقهن. كما يواصل المجلس القومي للمرأة جهوده لتحقيق التمكين الاقتصادي للمرأة من خلال استكمال مشروعات

الأمية حيث كانت 50% عام 1996 ثم 37% خلال 2006، فانخفضت تلك النسبة إلى 30% عام 2017. لكننا نتطلع إلى القضاء على الأمية بصورة كاملة بما يتماشى مع الإستراتيجية الوطنية للمرأة المصرية 2030. واستكمالاً لخطط التمكين الاقتصادي، فقد كلف الرئيس السيسي وزارة التضامن الاجتماعي، وبالتنسيق مع كافة الأجهزة والمؤسسات المعنية بالدولة، بإطلاق مبادرة قومية للمشروعات متناهية الصغر تمول من صندوق «تحيا مصر»، ومن خلال بنك ناصر الاجتماعي لتحقيق تمكيناً اقتصادياً للمرأة

المرأة المصرية والقضاء

يتردد اسم القاضية اللبنانية جوسلين متي في كل أنحاء لبنان ومنه إلى مختلف أنحاء الدول العربية. وكانت متي قد حكمت على ثلاثة من الشبان المسلمين - الذين وجّه لهم اتهام بالإساءة للسيدة مريم العذراء- بحفظ سورة آل عمران التي تكرم السيدة مريم أرفع تكريم «وإن قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين».

بالغ الأهمية بتعيين المستشارة تهانى الجبالى فى قمة الهرم القضائى، المحكمة الدستورية العليا، ثم جاء تطور جديد عامى 2007 و2008 بنقل عدد من النساء من النيابة الإدارية إلى العمل بالقضاء العادى، وهكذا عملت النساء بالقضاء المدنى والجنائى والاقتصادى والأسرى، وظل مجلس الدولة القلعة الحصينة التى تعذر على المرأة اختراقها. ثم كانت النقلة النوعية مع المادة 11 فى دستور 2014 التى حققت للمرأة ما لم يتحقق لها من قبل عندما نصت على أن تكفل الدولة للمرأة حقها فى «التعيين فى الجهات القضائية (والإشارة هنا مقصود بها مجلس الدولة فى الأساس) والهيئات القضائية». ووراء هذا الإنجاز الكبير كان هناك جهد دؤوب قادته كتيبة النساء فى لجنة الخمسين: ميرفت تلاوى ومنى ذو الفقار وهدى الصدة وعبلة عبد اللطيف وعزة العشماوى.

فى ظل تلك الخلفية ناقشت ندوة عُقدت بإحدى الفضائيات قضية استعصاء مجلس الدولة على الحقوقيات المصريات، وفيها قيل كلام غريب تعامل مع المرأة المصرية باعتبارها كائناً شاذاً عن كل نساء الأرض اللائى عملن



أ.د. نيفين مسعد

nevinemossaad@yahoo.com

عن حقها فى المواطنة الكاملة، وأخيراً ظفرت بنصف انتصار عندما أصدر المستشار عبد الرزاق السنهورى حكمه الشهير عام 1953 الذى لم يجد فيه دستورياً أو قانونياً أو شرعياً ما يمنع المرأة من تولى منصب القضاء، لكنه رأى أن اعتبارات الملاءمة تحول دون ذلك. مسألة المواءمة هى مسألة تتعلق بالظروف الاجتماعية وكل المجتمعات تتغير فهذه سنة من سنن الكون.

واصلت حقوقيات كثيرات نضال الدكتوراة عائشة راتب وحركن الدعاوى الواحدة تلو الأخرى وصولاً إلى الدعوى التى أقامتتها الحقوقيّة أمينة جاد الله للعمل بالقضاء الإدارى، وعلى امتداد الطريق تحققت ثمة إنجازات. ففي 2003 وقع اختراق

وراء هذا الحكم المُفجِع عقل راجح يرُدّ المتهمين إلى صحيح الدين ويقضى بأن يعودوا إلى نصوصه المنزلة، وهذا بعض ما تفعله النساء حين يعتلين منصة القضاء. بسرعة البرق تناقلت وسائل التواصل الاجتماعى نبأ الحكم الفريد من نوعه، وحظيت القاضية المحترمة بثناء عابر لكل الطوائف اللبنانية واختصها رئيس الوزراء الحالى والسابق بالمديح، فعلق سعد الحريرى على الحكم قائلاً إنه «قمة فى العدالة وتعليم المفاهيم المشتركة»، ووصف نجيب الميقاتى الحكم بأنه «مثال يُحتذى فى الأحكام الإصلاحية المبنية على التسامح»، وغير ذلك كثير.

فى مصر مازالت المرأة تناضل من أجل مساواتها بالرجل فى تولى مختلف المناصب القضائية، نضالاً يوشك أن يتم عامه السبعين منذ أن تقدمت عائشة راتب عام 1949 للعمل كمندوبة مساعدة فى مجلس الدولة وحتى يومنا هذا. النضال الأول لمن صارت لاحقاً الأستاذة الجامعية المرموقة والسفيرة الناجحة والوزيرة المخضمة الدكتوراة عائشة راتب هو نضال جدير بكل احترام، فما تركت هذه السيدة باباً إلا وطرقته دفاعاً



السفيرة عائشة راتب



اليمن أو رئيس الدائرة ملاصقاً لعضو اليمن أو الشمال علشان يوشوشه»، وهذا الكلام بصوت خفيض في رأيه لا يجوز. هنا ننتقل بالحديث من ساحة القضاء إلى ساحات أخرى بعيدة عنها كل البعد. هذا علاوة على أن المداولة ليست مقصورة على القضاة لكنها تتحقق على منصات أخرى عديدة منها مثلاً منصة الحكم على رسائل الماچستير والدكتوراة، فهل نقصى الأستاذات الجامعيات أيضاً من اللجان العلمية حتى نمنع الوشوشة؟ هذا تجاوز يفوق كل الحدود.

ومهما حدث فلن ترفع المرأة المصرية الراية البيضاء أبداً لأنها مواطنة لها مثل ما للمواطن من حقوق وعليها ما عليه من واجبات، وسوف تحتمى بدستورها الذي صوتت عليه بنعم قبل أربع سنوات، وستواصل نضالها بكل إخلاص لفتح جميع الأبواب المغلقة في وجهها، وستقف بكل ما أوتيت من قوة وإصرار في وجه منطق «إشمعنى المادة 11».

شديدة نحكم على كل من تبوأ منصب القضاء في الدول العربية بالفشل، المسألة إذن ليست مسألة القضاء الإداري لكنها مسألة القضاء نفسه. هناك نماذج قمة في الكفاءة والمهنية لقاضيات عربيات منهن القاضية چوسلين متى التى بدأ بها المقال، ومنهن القاضية كلثوم كنو التى نافست على منصب رئيس الدولة التونسية فى انتخابات 2014، والأمثلة أكثر من أن تحصى وكانت لمجلس النواب ومجلس حقوق الإنسان المصريين تجربة ممتازة فى الاحتكاك بوفود النساء العربيات المشتغلات بسلك القضاء.

أما النقطة الثالثة والأخيرة فهى التى تتعلق بالتعامل مع مفردات مهنة القضاء تعاملًا غير لائق بالمرّة ينبع من التعامل مع القاضية كمحض أنثى، فإذا بمداولتها مع زملائها تتحول إلى «وشوشة». إن قال أحد الضيوف فى انتقاد التداول بين هيئة القضاة على المنصة وفى الجلسة العامة وعلى رؤوس الأشهاد ما يلى: «قد يكون عضو

بالقضاء من أول المغرب فى عام 1961 وانتهاء بموريتانيا فى عام 2014 مروراً بنساء لبنان والسودان واليمن وفلسطين وليبيا والأردن وسلطنة عمان والإمارات. لن أتوقف عند هذه المساحة التى يحاول البعض جرنّا إليها بالحديث عن الظروف الخاصة للمرأة ببساطة لأن إعمال منطق الظروف الخاصة سيفضى فى الأخير إلى أن تلزم المرأة بيتها. لكننى سوف أركز على ثلاث نقاط وردت فى النقاش وأراها جد خطيرة. النقطة الأولى تتعلق بالتعامل بانتقائية مع مواد الدستور إذ قال أحد الضيوف «إيه اللى فى الدستور دلوقتى ممكن تقول تم العمل بيه وتم تفعيله.. إشمعنى المادة 11 عاوزين نفعلها». إن منطق «إشمعنى» معناه أن هناك مواد دستورية للتطبيق وأخرى للتجميل، وهذا يصيب العدالة فى مقتل لأن العدالة بطبيعتها مجردة لا تمايز بين قاعدة قانونية وأخرى. أما النقطة الثانية فهى القدر فى كفاءة القاضية العربية بالقول إنها «فشلت» هكذا ببساطة



تقديم نادية الرئيس
رئيسة رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

بدأت الرابطة نشاطها الشهري بنشاط مختلف مع بداية العام الجديد. وكان الغداء الشهري في يناير 2018 تجسيدا حقيقيا لروح التعاون والعمل الجماعي في أبهى صورته. والحقيقة أن التعاون المثمر هنا أخرج للنور عملاً جماعياً أمتع جميع الحضور بعرض لأزياء التراث ونبذة عن تاريخها وتطورها.



عرض أزياء متنوع ونجاح

صاحبة الفكرة أئمة خطاب، وقامت بتنفيذ العرض مع 15 زميلة من عضوات الرابطة بمساعدة هبة أبو سنة وسامية شرارة وثلاث من كريمات السفراء. وتضمن العرض القفطان الفاطمي والمصري والزى المملوكي والملس الأسود الصعيدي والملس الأبيض الحديث والملية اللف الإسكندراني وزى الواحات والتلى الأسود والأبيض والثوب السيناوي للشمال والجنوب والفلاحة والجرجار النوبى والسيوى مع جميع الأكسسوارات المصاحبة.

كافه الأعمار فانك تشعر بالأمان والسلام..وتشعر بالفخر لأن جزء من كنائسها أصبحت جزء من رحلة الحج المعتمدة من الفاتيكان كنيسة ابي سرجه والتي انتهى ترميمها.
كما زرنا الكنيسة المعلقة والكنائس المجاورة وزرنا المعبد

رحلة إلى مجمع الأديان
رمز التسامح

ثم كانت الرحلة يوم 26 يناير الى (مجمع الأديان) والحقيقة انه كانت مكانا للراحة والسلام و..تستشعر فيها السكينه والأمان..ورغم الأزدحام الشديد من الأجانب وطلاب المدارس من



ثراء تراثنا المصرى الجميل



لقاء مفيد ومعلومات قيمة حول المشكلة السكانية



اليهودى والمتحف القبطى الذى بنته عائلته سمكة باشا والعائلات القبطيه يبرعت بما تملك من أيقونات ومن أرث عائلى لتعرض به ليكن لمصر متحفا قبطيا . لا يكفى الوصف ولا أجد حروفا تليق بتلك الأماكن ولا لما رأينا وقد تعبر الصور أكثر وأفضل .

مناقشة المشكلة السكانية

اللقاء الشهري الخاص بشهر فبراير كان بحق لقاء مميزاً كان ضيف اللقاء السفير المعلم جمال بك بيومى والذي تحدث عن مشاكل مصر السكانية والإصلاح الاقتصادى والسياسى الجارى وعن معنى الشمول المالى وفوائده، وأجاب عن العديد من الأسئلة والاستفسارات السياسية والاقتصادية وكان لقاء لا ينسى، وقد زاده حضور السفارة منى عمر رئيسة مجلس إدارة نادى الدبلوماسية (بالإنابة) وعضو المجلس القومى للمرأة، والتي تحدثت عن «دور المرأة المصرية فى المشاركة فى الانتخابات الرئاسية».

وفى حوار رائع مع سعادة السفير جمال بيومى رد على أسئلة ومناقشات العضوات لهذه الندوة المتفردة والتي تستحق أن يطلق عليها لقاء السحاب.

فى ختام رائع لنشاط الرابطة استضافت د. ميساء حمادة حرم وزير مفوض حمدي شعبان عضوات الرابطة بمنزلها فى محاضرة عملية

للشيف نيرمين هانو التى قدمت أطباقاً صحية وأجابت على أسئلة العضوات. وإلى اللقاء فى العدد القادم إن شاء الله



النرويج فى لوحات فوتوجرافية

بقلم: نادية الرئيس



يوم الاثنين 12 فبراير 2018 كان يوماً مميزاً ومضيفاً للعلاقات المصرية النرويجية، حيث تم افتتاح معرض للتصوير الفوتوجرافى بعنوان «النرويج بعيون مصرية» أقامته وصورته بعدستها السفيرة ماهى عبداللطيف سفيرة مصر لدى مملكة النرويج، وكان معرضاً مميزاً بحق افتتحه رئيس قطاع العلاقات الثقافية الخارجية بوزارة الثقافة د. هشام مراد بحضور سفير النرويج بالقاهرة.

كما حضر الافتتاح لفيف من رجال الصحافة والفن والإعلام وسفراء الدول المختلفة. والحقيقة أن الحضور المتميز لأفراد الجالية النرويجية بالقاهرة والإشادة الكبيرة بالفكرة من سفير النرويج يؤكد نجاح وأهمية مثل هذه الأفكار الثقافية المبتكرة فى دعم العلاقات، خاصة إذا جاءت بمجهود شخصى من السفارة المعتمدة لدى الدولة المضيفة.



د. هشام مراد والسفير النرويجى يتفحصان الشريط مع السفيرة ماهى عبداللطيف بحضور رئيسة الرابطة

مسابقة اليابان فى عدسات الدبلوماسيين



الأميرة تاكامادو تشهد تسليم الجائزة



د. ميساء حمادة حرم
الوزير المفوض حمدى
شعبان تهوى الرسم
والتصوير الفوتوجرافى.
ونتناول هنا مشاركتها
لثلاث سنوات متتالية فى
معرض طوكيو:

«اليابان فى عيون
الدبلوماسيين للتصوير
الفوتوجرافى»

حيث حصلت على الجائزة
الأولى مرة عن صورة
تقاطع شيبويا فى الشتاء،
ومرة ثانية عن صورة
طابور أبطال السومو.
وقد تسلمت الجائزة الاولى
فى المرتين من صاحبة
السمو الامبراطورى الأميرة
تاكامادو، بحضور السفير
المصرى لدى اليابان



تقاطع شيبويا فى شتاء طوكيو



طابور أبطال السومو المسمى قوس القزح

لمحات من تاريخ وآثار مصر الفرعونية (4)

قلنا فيما سبق إن ترتيب ملوك الأسرة الثالثة طبقاً للأسماء المعروفة للملوك المنتسبين لهذه الأسرة هو أمر مثير للجدل على الرغم من معرفتنا للعديد من الأسماء الملكية التى نرجعها لهذه الأسرة، ويعود الأمر فى هذا الغموض إلى حقيقة وجود أربعة أسماء مختلفة لكل ملك من ملوك هذه الفترة وبالتالي لا يمكن التيقن من نسبة الأسماء المعروفة إلى ملك أو عدد محدد من الملوك، غير أن الأمر المؤكد هو أن آخر ملوكها هو الملك المعروف باسم «حوني».

1951، عندما قام زكريا غنيم بحفائره. وعثر على سور ضخم، يشبه السور المحيط بمجموعة زوسر التى سبق الحديث عنها، بطول 536 وعرض 194 متراً وفى العام التالي، اكتشف فى وسط هذا السور بقايا مصطبة، ثم توقفت أعمال الحفائر فى 22 يناير عام 1952 بسبب الثورة بعد أن تأكد أنه بصدد الكشف عن هرم مدرج. وفى عام 1954 وبعد استقرار الأوضاع الداخلية بعد الثورة قام غنيم باستكمال أعمال الحفائر والبحث عن مدخل الهرم وحجراته الداخلية التى تقع تحت مستوى سطح الأرض. ونظراً لوقوع مدخل هرم زوسر فى الناحية الشمالية منه قام العالم المصرى بتنظيف الجانب الشمالى من الهرم المكتشف بإزاحة الرمال عنه فوجد ممراً طويلاً ممثلاً بالردم والأنقاض وعثر أثناء عملية التنظيف على العديد من الأوانى الجنائزية المصنوعة من الأحجار الصلبة ومن الفخار مرتبة فى



أ.د. محمد إبراهيم على
وزير الآثار الأسبق

moibrahim53@gmail.com

الملك مرتدياً مرة التاج الأحمر وهو تاج مصر السفلى ومرة أخرى بالتاج الأبيض لمصر العليا، وفى مرة ثالثة بالصورة التقليدية للملك وهو يُخضع ويقتل العدو. وعلى الرغم من معرفة العلماء لاسم هذا الملك إلا أنه لم يستدل له على أى آثار حتى عام 1951 عندما كشف الراحل العظيم الأثرى محمد زكريا غنيم عن قاعدة مستوية ومدخلاً لهرم مدرج غير مكتمل فى الجزء الجنوبى الغربى لمجموعة «زوسر» فى سقارة. وقد بدأت قصة الكشف فى عام

الملك «سخم - خت» أو «سخم - غت»

ليس هناك من شك أن ملكاً سُمى باسم «سِخِم خِت» أو «سخم - غت»، بمعنى «قوى الجسد»، كان فرعوناً من فراعنة الأسرة الثالثة وذلك حسب قائمة مانيتو، ومن جهة أخرى فقد كان هناك ملك آخر ينتمى لنفس الأسرة يدعى «جسرتي» حكم لفترة قصيرة نسبياً وهى سبع سنوات، ويعتقد العلماء المعاصرون أن «جسرتي» و«سخم خت» هما نفس الشخص. بينما تعطى بردية تورين لسخم خت حكماً لمدة 6 سنوات. وبناء على دراسته لحجر بالرمو، يعتقد العالم توبى ويلكنسون أنه حكم 7 سنوات.

عرف هذا الملك باسم «حورس: سخم-خت» عندما عثر على نقش صخرى فى «وادي مغارة» بوسط سيناء. وقد نسب النقش خطأً فى بداية الأمر إلى الملك حورس «سمر- خت» وهو أحد فراعنة الأسرة الأولى. ويصور هذا النقش



منظر عام لوادى مغارة بوسط سيناء

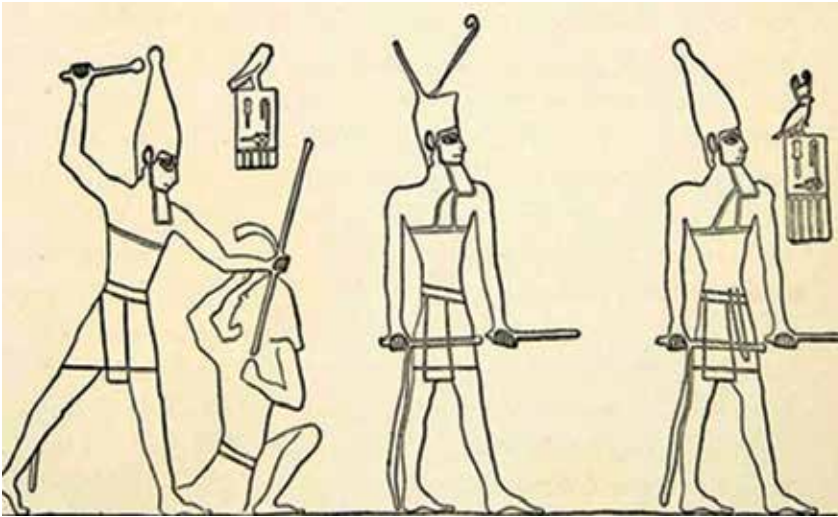
سقارة وإلى الأثرى المصرى الذى اكتشف هذا الهرم، وأصبح الكشف مثار اهتمام وحيث وسائل الإعلام العالمية والمحلية. وبلغت هذه الأخبار مسامع الرئيس جمال عبد الناصر الذى حرص على حضور لحظة فتح التابوت. وفى 9 مارس عام 1954 حضر ناصر ومعه رجال الثورة وعدد قليل من الصحفيين وهنا بدأ الأثريون فى الاستعداد لفتح التابوت واحتبست الأنفاس وبدأ الفتح ببطء شديد، والكل فى انتظار المفاجأة، جثا غنيم على ركبتيه لينظر داخل التابوت فوجده فارغا تماماً حتى من أى أثر يدل أنه قد تم استخدامه من قبل وكانت خيبة أمل كبيرة للجميع، وأصبح هذا الأمر لغزاً محيراً لم يحل إلى الآن. وعلى الرغم من خيبة الأمل هذه، فإن حفائر زكريا غنيم قد

سؤال يدور بذهنى هل هذا التابوت سليم لم يمسه. وكان الغريب أنه عند العثور على التابوت كان يعطوه إكليل من الزهور التى توضع على التوابيت بعد انتهاء مراسم الدفن، كما وجد التابوت بحالته التى تركه عليها المصريون القدماء، مما بعث على الاعتقاد بأن التابوت مازال يحتوى على جثمان صاحبه. ومن الجدير بالذكر أن هذا التابوت يعتبر فريداً من نوعه حيث لم يعثر، على حد علمى، على تابوت مشابه له أبداً، فهو على غير العادة يفتح عن طريق فتحة جانبية أغلقت بصدادة تنزلق فى مجرى عمودى نحت فى أحد جوانب التابوت وليس من أعلى كما هى العادة فى جميع التوابيت المعروفة فى مصر الفرعونية. عاش زكريا غنيم حلم الاكتشاف العظيم واتجهت كل الأنظار إلى

طبقات على أرضية الممر تشبه تلك التى عثر عليها أسفل مجموعة زوسر كما عثر على آثار مدهشة مثل علبة مساحيق تجميل على شكل قوقعة ذهبية نادرة وخرز من القيشانى وصدادات قوارير عليها اسم الفرعون «سخم - خت»، وهنا تأكد غنيم أنه بصدد الكشف عن المجموعة الهرمية لهذا الملك. تم استئناف أعمال الحفائر فى مايو عام 1954 حيث واصل غنيم تنظيف مدخل الهرم. واكتشف عدد 132 غرفة تحت سطح الأرض كما عثر على 21 من الأساور الذهبية ثم تابع العمل فى عام 1955 رغم الصعوبة التى عاناها حتى وصل غنيم إلى حجرة دفن الملك وقال عن تلك اللحظة «عندما دخلنا وارتفع ضوء المصباح شاهدت فى منتصف الغرفة تابوتاً ضخماً من الألباستر فتحركت إليه وكان أول



الغموض والتشويق في الأسرة الثالثة



نقش الملك "سخم - خت" على صخور وادي مغارة بوسط سيناء
قبل أن تتم سرقة قطع منه تحمل اسم الملك

أثبتت أن المجموعة الجنائزية للملك «سخم - خت» قد صممت على نفس نمط مجموعة زوسر بل ربما نسخة أخرى منها مما قد يعزز الرأي بأن المهندس العظيم «إيمحوتب» هو من وضع تصميمها مما حدا بالعلماء بالقول أن «سخم - خت» قد اعتلى العرش بعد زوسر مباشرة وإن لم يتسنى حتى الآن معرفة العلاقة الأسرية التي تربطهما.

بعد حوالي ثلاث سنوات من اكتشاف محمد زكريا غنيم لهذا الهرم الذي لم يستكمل صاحبه وأسماه «الهرم الدفين» وفي 12

يناير 1959 سافر زكريا غنيم إلى أمريكا ليحاضر عن الكشف الجديد وملأت أخباره الصحف ووسائل الإعلام. وصدر قرار بنقل هذا العالم للمتحف المصري وتمهيداً لتوليهِ المنصب الجديد كان لزاماً أن تتم عملية جرد روتينية لعهدته الأثرية في سقارة واعتقد القائمون على عملية الجرد فقدان عدد من القطع التي كانت في عهدته



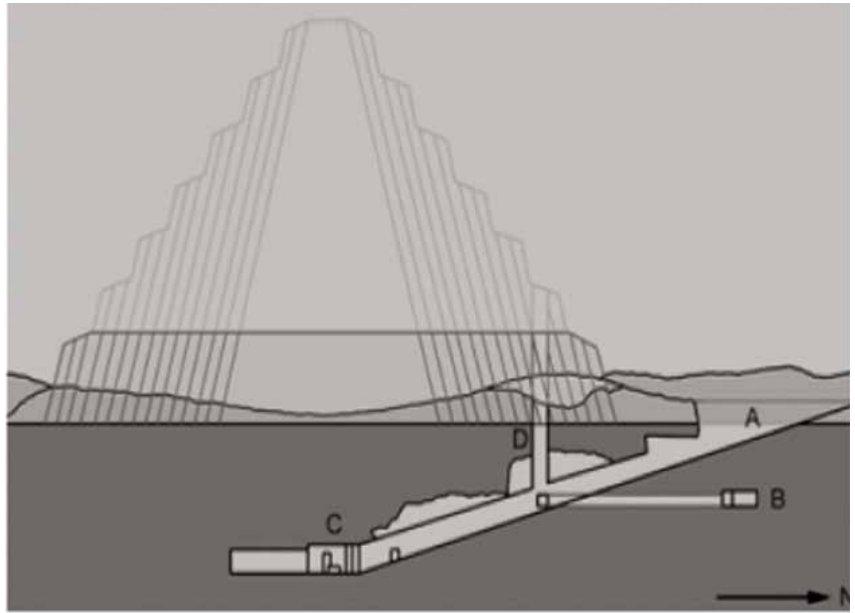
نقش الملك "سخم - خت" على صخور وادى مغارة بوسط سيناء بعد سرقة القطع التي تحمل اسم الملك

بأيام قليلة عثر العالم الفرنسى «جان - فليب - لوير» على الأوانى المخفية ملقاة خلف تابوت بأحد أركان المخزن.

الملك حوني

سبقت الإشارة إلى أن ترتيب ملوك الأسرة الثالثة طبقاً للأسماء المعروفة للملوك المنتسبين لهذه الأسرة لهو أمر مثير للجدل، غير أن الأمر المؤكد هو آخر ملوكها وهو المعروف باسم «حوني».

حكم الملك حوني الذى يعرفه بعض علماء المصريات باسم «حو» وفقاً لبردية تورين، حوالى 24 عاماً فقط وتزوج من أميرة تدعى «مرسى عنخ» الأولى، وتكرر ذكر اسمه فى قوائم الملوك وجاء فى إحدى البرديات التى تنتمى لعصر الدولة الوسطى أنه تولى الحكم بعد الملك «نب كا»، وأن



شكل توضيحي لهرم "سخم - خت" وحجراته الداخلية

فوجهت إليه تهمة ضياعها ومنها تحديد الأثار التى اكتشفها فى هرم الملك «سخم - خت». هنا شعر غنيم أن مستقبله المهنى قد انتهى عندما اتهم بسرقة وتهريب الآثار بالرغم من عدم وجود أدلة على إدانته فأصابه حزن كبير وأصيب بمرض الاكتئاب الذى لم يتحمله، وفى لحظة ضعف ألقى بنفسه فى النيل. وبعد موته

الغموض والتشويق في الأسرة الثالثة



حجرة الدفن الخاصة بالملك "سخم - خت" وبها التابوت



مجموعة من الأساور الذهبية وعلبة مساحيق عثر عليها داخل حجرة الدفن الخاصة بالملك "سخم - خت" (المتحف المصري بالقاهرة)

الملك «سنفرو» مؤسس الأسرة الرابعة قد تولى الحكم بعده، كما تأكد ترتيبه كآخر ملوك الأسرة في نص أدبي ألفه كاتب يدعى «كا إبرسو» من عصر الرعامسة والنص عبارة عن تعاليم يفترض أنها وجهت «كا- جمني» وزير الملك تتي مؤسس الأسرة السادسة.

وقد اعتقد العلماء أن «حوني» قد بدأ في تشييد هرم في ميدوم، ولكنه مات قبل أن يكمله فأتته ابنه وخليفته على العرش ومؤسس الأسرة الرابعة، الملك «سنفرو»، الذي اهتم بالمنطقة بعد ذلك، مما



العالم المصري المرحوم محمد زكريا غنيم لحظة الكشف عن التابوت الخاص بالملك "سخم - خت"

أن العالم الألماني راينر شتادلمان كان له رأى آخر دلل عليه بالكثير من الأسانيد. وخلص شتادلمان إلى حتمية نسبة هرم ميدوم إلى الملك سنفرو أما الهرم الخاص بالملك «حوني» فربما يكون ما يعرف بسور المدير والذي يقع غرب مجموعة زوسر في سقارة. وهذا موضوع آخر به الكثير من التشويق سنتناوله إن شاء الله في الحلقة القادمة.

تسبب في أن الكثير من المصريين القدماء في عصر الدولة الحديثة كانوا ينسبون هذا الهرم للملك «سنفرو»، في كتاباتهم التي دونوها على أحجاره عندما كانوا يأتون لزيارته.

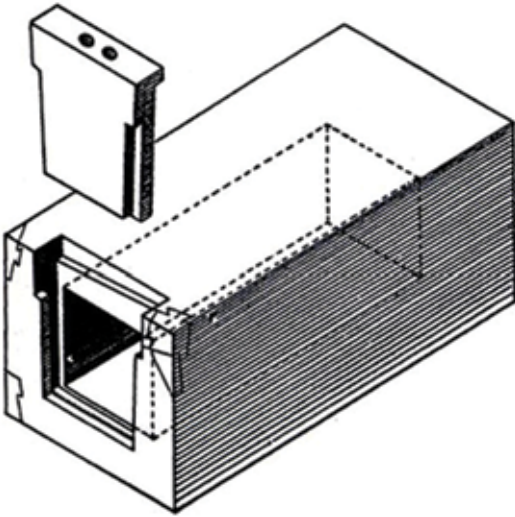
ظل هذا الاعتقاد سائداً خاصة بعد الحفائر التي قام بها العالم «أحمد فخري» في دهشور وأكد بها نسبة الهرم المنحني في دهشور إلى الملك «سنفرو»، غير



التابوت الخاص بالملك "سخم - خت"



زكريا غنيم يقوم بالإعداد لفتح التابوت



التابوت الخاص بالملك "سخم - خت"



السور الذي كان يحيط بالمجموعة الجنائزية للملك "سخم - خت" والمشابه للسور الذي بناه زوسر



المدخل المؤدى للحجرات السفلى لهرم "سخم - خت"

أعيادنا الفرعونية

الأعياد الفرعونية جزء أساسي من التاريخ والثقافة المصرية القديمة، والتي تمثل حقبة تاريخية مهمة هي جزء من هويتنا المصرية. فهي تنقسم إلى ستة أنواع: أعياد محلية، وأعياد رسمية، وأعياد خاصة، وأعياد دينية، وأعياد زراعية، وأعياد الملك. وهذه الأنواع أو التصنيفات كانت تمثل جزءاً مهماً من الهوية الفرعونية بما تحمل من عادات وتقاليد وسمات ذهنية وثقافة أيضاً.

تحتمس الثالث والتي لا تزال تدرس في تاريخ الحروب كأول تطوير لفنون الحرب من خلال الأكاديميات العسكرية. ولعل ذلك يشير إلى دلالة مهمة ألا وهي أن الجيش المصري جيش له تاريخ يضرب بجذوره في عمق الزمن من خلال التاريخ الفرعوني.

وإذ تطرقنا إلى النوع الثاني من الأعياد ألا وهي الأعياد المحلية، نجد أنها احتفالات خاصة بإقليم معين من أقاليم مصر وقتذاك أو مدينة معينة تميزت بحدث يختص بها أو بالإقليم. بالإضافة إلى النوع الثالث من الأعياد وهي الأعياد الخاصة والتي تخص فئة دون الأخرى أو ترتبط بحرفة دون الأخرى فيكون الاحتفال فيها بمكان أو مدينة دون الأخرى وليس بالضرورة أن تكون في كل الإقليم. ومن ثم تتعدد الاحتفالات على مدار السنة لتنوع الفئات والحرف. ويعكس ذلك الثقافة المتنوعة والمتجددة التي تختص بالفراغة في هذه الحقبة التاريخية المهمة ويعطى ذلك أهمية كبرى على ضرورة مفهوم التنوع.



د. عايذة نصيف

أستاذة الفلسفة المسيحية كلية الآداب - جامعة القاهرة

freeuni@yahoo.com

الثامنة عشرة، وكذلك الاحتفال بذكرى المعارك التاريخية التي تحقق فيها انتصار مثل معركة مجدو الشهيرة، والتي قادها

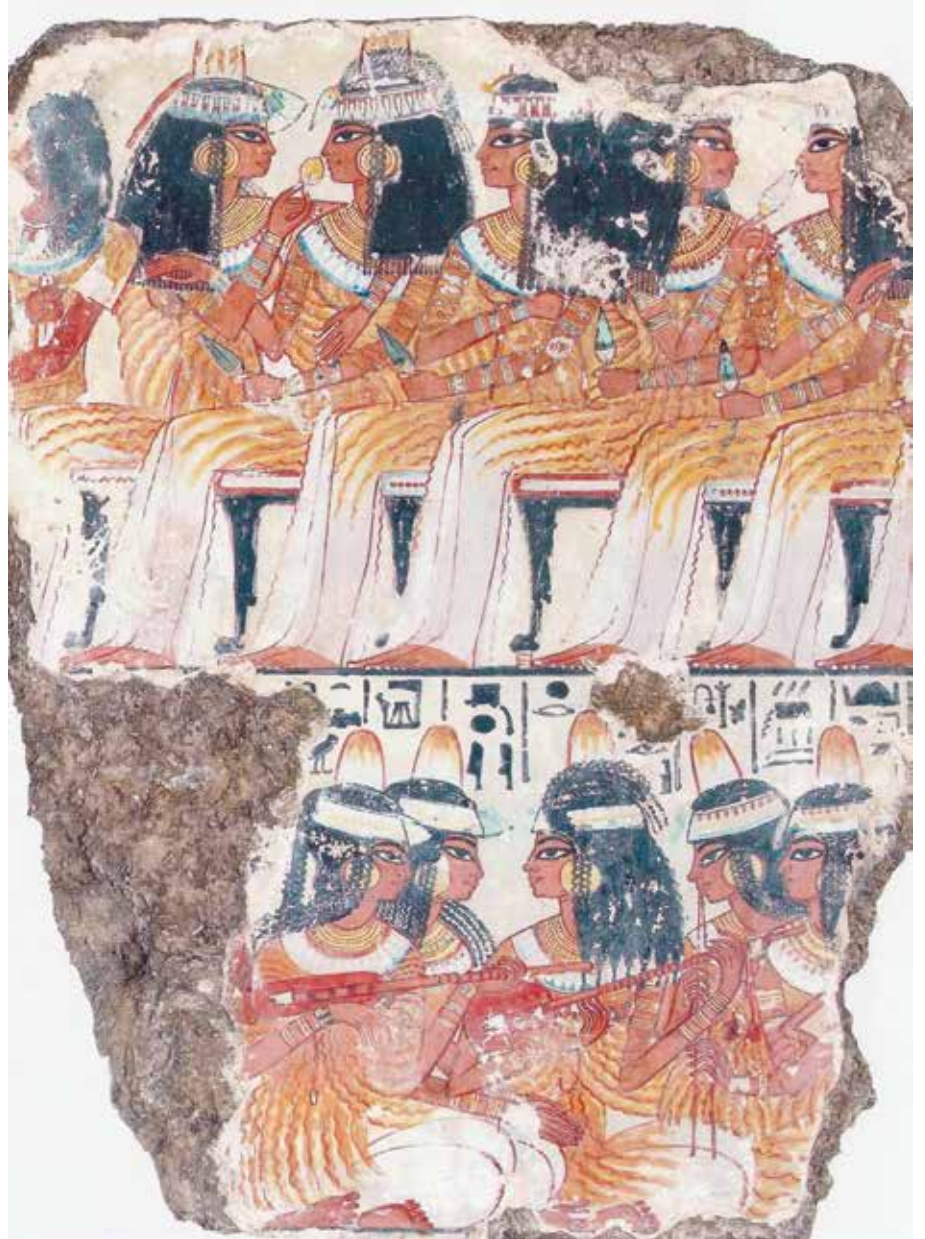


فقد كانت الاحتفالات والمهرجانات تقام سواء على المستوى الشعبي أو الرسمي، فلا يمر شهر من شهور السنة إلا وتقام الاحتفالات. وهذا يُنبهنا اليوم إلى إشكالية مهمة تتمثل في أهمية الاحتفالات وما يقام فيها من فنون لأنها تحمل جزءاً من الثقافة لأي مرحلة تاريخية؛ ولذا سوف أبدأ بالأعياد الرسمية إذ كانت تقام في أنحاء مصر كلها وعلى رأسها الملك، وتقام الاحتفالات بما تحمل من رقص وغناء ويخرج الملك يلتقى بشعبه ويوزع عليهم الهدايا والعطايا. ويدل ذلك على اهتمام الملك بالشعب في الأعياد الرسمية وإدراكه على ضرورة التواجد بين شعبه. وكان ذلك يحدث في الأعياد الخاصة بالأحداث الكبرى مثل توحيد الملك مينا للقطينين والذي أصبح عيداً من الأعياد الرسمية المهمة، فضلاً عن الأعياد القومية التي ترتبط بذكرى انتصارات ملوك الفراعنة على أعدائهم في معارك حربية شهيرة، كاحتفال بتاريخ طرد الهكسوس من مصر على يد «أحمس» أول ملوك الأسرة

مثل عيد الإله «مين» المرتبط بالخصوبة والحصاد وتجديد القوة وعيد «أوبت» الجميل والذي وصل الاحتفال به لمدة سبعة وعشرين يوماً مع نهاية الدولة الحديثة، وهو أيضاً عيد للقاء الجميل بين آمون وزوجته موت، وكان الاحتفال يبدأ من الكرنك للذهاب إلى معبد الأقصر عبر النيل وعبر طريق الكباش، وتصاحب الاحتفال ألعاب الموسيقى والغناء والرقص، وذبح الأضاحي، وحمل مركب آمون.

وذلك بالإضافة إلى أعياد أخرى كثيرة مثل أعياد إعادة إحياء أوزيريس، المعروفة بأعياد شهر كيهك، وكان يحتفل بها طوال شهر كيهك من كل عام، وهناك أيضاً «عيد السنة الجديدة» حيث يبدأ هذا العيد في الليلة التي تسبق السنة الجديدة ويقوم الكهنة بتقديمهم كبير الكهنة ويحل محل الملك وتقام الطقوس مصحوبة بالموسيقى احتفالاً بقدوم العام الجديد. وفي الحقيقة فإننا توارثنا ذلك في احتفالاتنا الآن، ولكن بشكل متطور وهو احتفال الشعب برأس السنة واستقبال سنة جديدة.

أما خامس هذه الأعياد فهي الأعياد الزراعية، ولأن مصر بلد زراعى اعتمد اقتصادها منذ أقدم عصورها التاريخية على الزراعة، فلقد تعددت الأعياد التي ارتبطت بالزراعة والفلاح، ففي كل عام كان المصريون يترقبون وصول مياه الفيضان الذي يأتيهم كل عام بالخير، فيبذرون البذور وينتظرون حتى موعد الحصاد الذي كان بالنسبة لهم من أهم



ويبحرون عبر النهر متجهين إلى الشمال لزيارة «حتحور» في معبد دندرة بمحافظة قنا. وهناك تستمر الاحتفالات لأكثر من عشرة أيام ويظل حورس في ضيافة زوجته «حتحور» داخل المعبد وتقام الاحتفالات ومسرحيات الزواج بين كهنة وكاهنات كل من حورس وحتحور، وتوزع الهدايا احتفالاً بهذا العيد. وهناك أعياد دينية أخرى

أما النوع الرابع من الأعياد الفرعونية هي الأعياد الدينية وهي كثيرة جداً؛ إما أن تختص بإله معين أو بافتتاح معبد معين أو تأسيسه. وأطول هذه الأعياد وأشهرها هو عيد الزواج الإلهي بين «حتحور» ربة الجمال والحب و«حورس» رب مدينة إدفو بالقرب من أسوان. ففي وقت محدد من كل عام كان كهنة «حورس» يحملون تمثال حورس الجالس على قاربه المقدس



أعيادنا الفرعونية

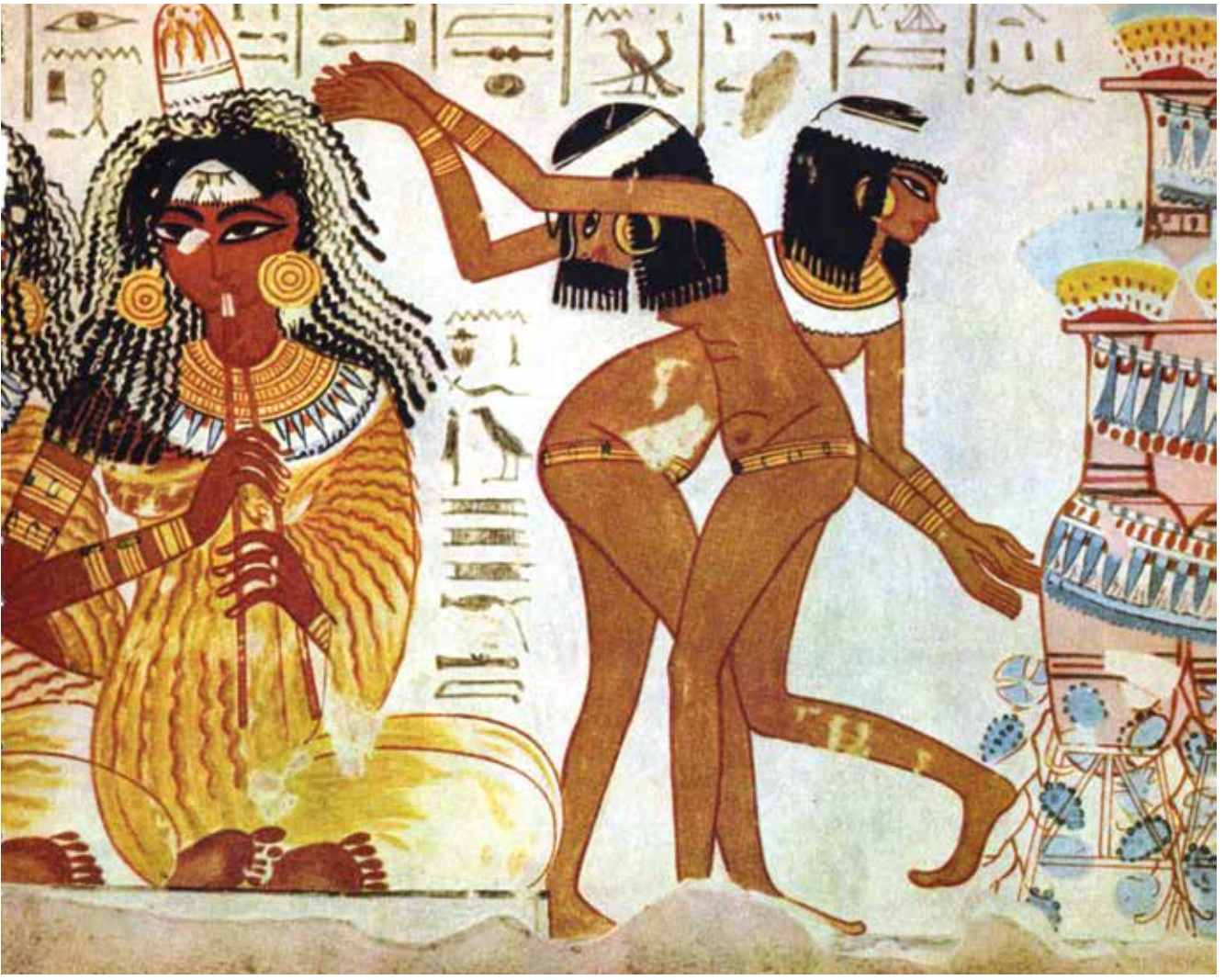
المناسبات التي تدعوهم للاحتفال، وكان موسم الحصاد هو موسم البهجة في طول البلاد وعرضها تعم فيه الاحتفالات كل أرجاء مصر، وكان مناسبة طيبة للفرق الموسيقية والمغنين والراقصين والراقصات لكي ينتقلوا من قرية إلى أخرى ومن منزل نبيل إلى آخر فيقيمون الحفلات الموسيقية التي يراها كبار حكام الأقاليم وكبار الموظفين وفيها تفرش الموائد ويتم طهي أشهى الأطعمة وينال الأطفال حظهم من البهجة والسرور بفرحة هذه الأعياد. وبالطبع كان العمل يعطل في هذه الأعياد وتتوقف الدراسة بالنسبة

لتلاميذ وطلبة العلم التي كان المعبد يشرف عليها. وأجمل ما في أعياد الفرانعة هو ارتباطها بالتعمير والتشييد فكان يوم انتهاء مشروعاتهم الكبيرة يوم عيد بالنسبة لكل من عمل فيه، فكان يوم انتهاء بناء الهرم عيداً يحتفل فيه كل المصريين بإتمام المجموعة الهرمية لملكهم الذي كان يحكم وفق مبادئ الحق والعدل.

وسادس نوع من الأعياد الفرعونية هي الأعياد الجنائزية، وهي أعياد لا تزال متوارثة في بعض أقاليم مصر وخاصة الصعيد منها الأربعين والسنوية وخروج النساء والرجال إلى المقابر في الأعياد لزيارة ذويهم ومعهم القربان التي كانت تصنع من الزيوت والشعير.

وهذه العادات مازالت موجودة في بعض المحافظات حيث خروج الأهل ممن فقدوا ذويهم لقضاء يوم كامل في المقابر ومعهم الطعام والشراب وأحياناً يوزعون بعض الطعام على المارة وخاصة في الأعياد. وفي مصر الفرعونية كانت تخرج النساء الثريات يوماً من كل أسبوع لزيارة أزواجهن الموتى وتقديم القربان أمام مقابرهم، أما النساء الفقيرات فكانت تخرجن في الأعياد لأن القربان تتطلب مالا.

وبالإضافة إلى الأعياد التي سبق ذكرها فهناك أعياد خاصة بالملك. وكان الملك يحتفل بهذه الأعياد مع شعبه وتقدم الهدايا والطعام والشراب ومن أهمها «عيد السد» (الثلاثيني) وهو اليوميل



الفرعونية في مصر القديمة، وتشير إلى دلالة مهمة وهي أن المصريين القدماء شعب محب للطقوس والفن بأنواعه المختلفة للتعبير عن هذه الفرحة وعن العلاقة الطيبة بين الحاكم وشعبه ومدى احترامه للملك واهتمام الملك بالشعب من خلال تقديم الهدايا والعطايا في الأعياد المتنوعة، ومن خلال التعرف على بعض الأعياد القديمة تتضح حلقة الوصل بين الماضي والحاضر في رمزية بعض الأعياد التي نحتفل بها الآن بل الإشارة إلى دلالة مهمة وهي أن مصر حلقة متصلة من الثقافات في مسار التاريخ الإنساني يحفظ لها تميزها الحضاري عن غيرها على مستوى العالم.

«سماتوى» ويتم فيها طقس في حضور الملك وبحضور الإلهين حورس وست ويتم فيها ربط نباتى الشمال والجنوب كرمز للتوحيد والوحدة وذلك يدل على رغبة المصرى القديم فى السلام والاتحاد ووحدة أراضيه وأنه شعب محب للسلام من فجر التاريخ الفرعونى وحتى هذه اللحظة. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الجرى حول الحائط وفيها يسعى الملك حول جدار رمزى يمثل جدار منف. ومن ضمن الأعياد أيضاً عيد وضع حجر الأساس وتأسيس المعابد الدينية حيث يذهب الملك ويحتفل وتصاحبه الطقوس المختصة بذلك. ما سبق أمثلة متنوعة من الأعياد

الثلاثيني للملك حيث يتم من عمره الثلاثين لارتقاء العرش ويظهر فى كامل قوته وبهائه مع ممارسة الطقوس الخاصة. وبالإضافة إلى عيد السد الثلاثيني كان هناك أيضاً «عيد تولى الملك للعرش» ويمر هذا العيد بثلاث مراحل، ومن خلال حجر باليرمو أمكن التعرف على المرحلة الأولى وهي مرحلة يصعد الملك فيها نحو مبنى مرتفع يضم مقصورتين فى ظهر بعض وفى كل منهما يجلس الأمير على العرش مرة يرتدى التاج الأبيض ويظهر كملك مصر العليا والمرة الثانية يرتدى التاج الأحمر ويظهر كملك مصر السفلى. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة اتحاد الشمال والجنوب وتسمى

مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (2)

أنها لم تستخدم فقط للدفن وإنما لإقامة بعض الطقوس الدينية غير المعروفة حتى الآن، وأنه كانت توضع فيها بعض القرايين وتسمى عادة المقبرة الجنوبية.

ويفسر العلماء انتقال المصري من طراز المقبرة الملكية على هيئة المصطبة إلى الطراز الجديد على شكل هرم بالتغير الشامل الذى طرأ على مركز الملك وقديسيته ابتداء من عصر الملك زوسر، إذ يتحدث التاريخ عن الجهود الضخمة التى بذلها ملوك الأسرتين الأولى والثانية لتحقيق الوحدة السياسية بين شطرى مصر والمحاولات العديدة التى لجأ إليها أهل الدلتا لتحطيم هذه الوحدة مما أدى إلى حروب مستمرة طوال ثلاثة قرون (3200 - 2900 ق.م)، وفى نهاية الأمر عرف الملك زوسر أن الصخرة العاتية التى تحطمت عليها محاولات الوحدة هى نفور أهل الصعيد من ملك شمالى ونفور أهل الدلتا من ملك جنوبى، فأعلن الملك زوسر ألوهيته وأنه لا ينتمى إلى الشمال أو الجنوب بل هو إله ينتمى إلى السماء رضى أن ينزل إلى الأرض ليحكم أهلها ولن يلبث أن يعود إلى عالم الآلهة عندما يموت وأطلق على نفسه اسم «زوسر» أى المقدس و«نترخت» أى صاحب الجسد المؤله. وتكلمة لهذا التغيير أصبحت المصطبة أسلوباً معمارياً لا يتفق مع المركز



سفير محمد عهدى خيرت
makhairat@gmail.com

بحيث يكون سطحه العلوى أقل من مساحته عند قاعدته. وهذا الأسلوب المعمارى هو الذى دعا رجال الآثار إلى إطلاق اسم مصطبة على مقابر المصريين المشيدة على هذا النمط طوال عصر الدولة القديمة وخاصة فى جبانتي الجيزة وسقارة. وكان القدماء يحفرون فى باطن الأرض تحت بناء المصطبة عدة حجرات تخصص إحداها للتابوت الذى يحوى الجثة وتملاً للحجرات الباقية بالآثاث الجنائزى والأوانى المليئة بأنواع القرايين.

والحلقة الثانية من حلقات تطور المقبرة الملكية تتمثل فى الهرم المدرج الذى شيده الملك زوسر مؤسس الأسرة الثالثة (2900 ق.م) حيث اتبع أسلوباً جديداً جعله كقصر ملكى، ويغلب الظن أن الهدف من هذا الأسلوب المعمارى هو تزويد القرين « الكا » بمقر يسعد ويحيا فيه أبدياً فى نفس البيئة التى عاش فيها صاحبه أثناء حياته الأولى. أما فائدته العملية فليس هناك دليل مؤكد غير

الأهرامات

لعبت فكرة الحياة الأبدية بعد الموت دوراً رئيسياً عند المصريين القدماء وملأت عليهم تفكيرهم إلى درجة أن الإعداد لهذه الحياة كان يبدأ بصفة عامة والإنسان فى شرح الشباب. ومن أهم الضمانات للتمتع بحياة الدنيا الثانية تشييد مقبرة منيعة الجوانب تعلو حجرة الدفن المحفورة فى باطن الأرض وتتسع لتابوت حجرى تودع فيه الجثة المحنطة. وفضلاً عن هذا فقد حرص المصري القديم على تزويد حجرة الدفن بمجموعة كاملة من الأدوات وقطع الآثاث التى يستعملها الإنسان فى حياته، وكميات من المأكولات المختلفة وذلك لى يحافظ على الجثة وعلى قرينها «كا» للحياة الأبدية فى جو يماثل ما اعتاده صاحبها على الأرض.

والأهرامات تعتبر حلقة من حلقات التطور الذى خضعت له مقابر المصريين القدماء منذ بدء التاريخ، وتوجد النماذج الأولى للمدافن الملكية فى مقابر سقارة وأبيدوس التى شيدها ملوك الأسرتين الأولى والثانية (3200 - 2900 ق.م) وهذه المقابر بالذات تتميز بضخامة حجمها وتتكون الواحدة منها من مبنى مشيد باللبن فوق سطح الأرض ويمتد فى استطالة من الشمال إلى الجنوب وترتفع جوانبه بميل إلى الداخل

عليهم هذه العقيدة التي تؤكد أن الحياة الدنيوية ليست إلا فترة قصيرة تتلوها حياة خالدة، ومن بين شروط التمتع بها رضا الملك الإله الذى كان الوسيط بين الآلهة فى السماء والشعب على الأرض، فضلا عن هذا فإن الملك كان الوحيد الذى يستطيع أن يوصل القربين إلى الميت فى مقبرته، وكان لزاما على كل مصرى أن يسجل فى مقبرته «ليفضل الملك ويعطى قربانا». فلا غرابة إذن أن يسارع المصرى القديم إلى المساهمة فى تشييد مقبرة الملك الإله ففى هذه المساهمة الضمان الوحيد لفوزه بحياة سعيدة خالدة، بل أن الجبانة فى ذلك العصر كانت تعتبر صورة كاملة للعاصمة يتوسطها هرم الملك وتنتشر حوله المقابر الخاصة بالأسرة المالكة وكبار رجال الدولة، ويعنى فى توزيع هذه المقابر المركز الاجتماعى بحيث تترك أقرب الأماكن للهرم لأفراد الأسرة المالكة ثم تعطى الأسبقية فى القرب أو البعد لكل فرد حسب حظوته عند الملك ومقامه لديه. أما



هو منطقة وادى الملوك على الشاطئ الغربى لمدينة الأقصر. أما الهرم فقد احتفظ به أفراد الشعب وشيدوه من اللبن فى حجم صغير فوق مقابرهم المنقورة فى الصخر.

ويعتبر هرم الملك خوفو (ابن الملك سنفرى وثانى ملوك الأسرة الرابعة) أعظم أثر شيدته البشرية. ويقول هيرودوت المؤرخ الإغريقى الذى زار مصر عام 450 ق.م أن الهرم شيد فى عشرين عاما وقام على تشييده مائة ألف عامل. ويبدو أن الملك خوفو الذى حكم مصر ثلاث وعشرون عاما مات قبل أن ينتهى من إكمال المعابد التى تكمل المقابر الملكية فقام خليفته الملك ددف - رع بإتمامها. وهناك العديد من العلماء بل أغلبهم يرفضون تماما ما يقال من أن الأهرامات شيدت على أساس السخرة، إذ أن الناس فى ذلك الوقت اهتموا اهتماما كبيرا بحياة ما بعد الموت وسيطرت

الجديد للإله الجالس على عرش مصر، فانتقل المصرى إلى الهرم الذى يتفق فى عظمته مع عنان السماء وضخامته مع هذه المعانى الجديدة.

وتتمثل الحلقة الثالثة من تطور المقبرة الملكية إلى الهرم القبلى للملك سنفرى أول ملوك الأسرة الرابعة

(2830 ق.م. تقريبا) الذى شيدته فى منطقة دهشور، كما أقام الملك سنفرى هرما آخر كامل الأضلاع، ويعتبر هذا الهرم بمثابة الحلقة الأخيرة فى تطور المقبرة الملكية التى بقيت محتفظة بطرازها الهرمى عصورا طويلة تزيد على العشرة قرون أى حتى أواخر الأسرة السابعة عشر (القرن السادس عشر قبل الميلاد)، فى حين بدأ ملوك الأسرة الثامنة عشر أسلوبا جديدا فى مقابرهم إذ حفروها على هيئة ممرات طويلة تمتد فى باطن التلال الحجرية مئات الأمتار، واختاروا لها مكانا



مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (2)

فكرة تشييده بتسخير العبيد فهو أمر مرفوض لأن الرقيق لم يكن قد عرف في مصر على الإطلاق وقت بناء الأهرامات.

ويعتبر هرم الملك خعفرع النموذج الوحيد الكامل من المقابر الملكية في عصره. ويبلغ عدد الأهرامات في مصر أكثر من سبعين هرما تمتد من أبو رواش في الشمال إلى منطقة الفيوم في الجنوب، كما أن هناك مجموعة من الأهرامات في السودان شيدها ملوك الأسرة النوبية التي حكمت مصر في القرن الثامن قبل الميلاد.

الكتابة

يتفق غالبية المؤرخين على أن الكتابة قد عرفت في الدلتا قبل أن يعرفها أهل الصعيد، وهم يعللون ذلك بأسباب كثيرة منها تقدم حضارتها ورقيا المعروف منذ أيام حكومة هليوبوليس في فجر التاريخ، إلا أن هذا الأمر لا يمكن إثباته بالوثائق التاريخية لأسباب منها أن أقدم الوثائق التي تحمل آثار الكتابة جاءت من الصعيد بينما ضاعت الوثائق الخاصة بالدلتا بسبب الغزوات ورطوبة الجو. ولا يعرف على وجه التحديد متى اخترعت فيه الكتابة المصرية ولكن يمكن القول أنه كان قبل عصر الأسرة الأولى على أي حال، فيوجد لوح الملك العقرب ولوح الملك نعرمر وغيرهم.

ومما لا شك فيه أن الاشتغال بالزراعة وتوحيد مصر في ظل حكومة واحدة قد أديا إلى تقدم الكتابة إذ أن الأشراف الحكومي على شئون البلاد احتاج إلى تنظيم مختلف النواحي الإدارية وضبطها ووضع قواعد ثابتة تكفل البقاء والاستقرار بهذا النظام الحكومي، ولذا أخذت الكتابة في النضج يوما عن يوم خلال العصر العتيق حتى ظهرت لنا في بداية الدولة القديمة - على أقل تقدير - في شكلها النهائي المعروف، وشجع على تطور الكتابة وتقدمها كثرة المواد الصالحة للكتابة كالأحجار وورق البردى الذي تميز بوفرته وسهولة حمله.

وقد مرت الكتابة المصرية القديمة بتطورات عديدة وكتبت أول الأمر بإشارات مرسومة تمثل ما في الطبيعة من إنسان وحيوان ونبات وطيير وهذا ما يسمى بالكتابة الهيروغليفية أي المقدسة التي استخدمت للنقش على جدران المعابد والمقابر، ونظرا لتعذر استخدام الخط الهيروغليفى في الشئون العامة اختزل المصريون في أوائل عصرهم التاريخى إلى نوع مبسط من الخط عرف بالخط الهيراطى (الهيراطيقى) أي الكهنوتى لأن الكهنة استخدموا هذا الخط في العصور المتأخرة، وقد أدى تبسيط الكتابة بهذه الطريقة إلى انتشار تعلمها إلى حد لا بأس به. وفي العصور المتأخرة كتب المصريون باللغة الدارجة بخط غير مجود لا يكاد يتضح فيه

أصلا الإشارات القديمة إلا بقدر، ويعرف هذا الخط بالديموطى (الديموطيقى) أي الشعبى إذ استعمل في كافة أنواع الحياة العامة. ولما دخلت المسيحية مصر أراد أنصارها التخلص من آثار الوثنية فكتبوا لغتهم في العصر المتأخر بحروف يونانية فيما عدا بعض حروف استعاروها من الكتابة الديموطية للتعبير عن حروف لا توجد في اللغة اليونانية. وقد أطلق على هذا الخط في كتب العلماء اللغة القبطية.

واستمرت الكتابة المصرية القديمة بعد بعد انتهاء العصر الفرعونى، إذ عثر فى جزيرة فيلة جنوب أسوان على نص هيروغليفى يرجع لسنة 394 ميلادية وآخر ديموطى يرجع لعام 470 ميلادية، أما اللغة القبطية فلا تزال مستخدمة فى الكنائس المصرية حتى يومنا هذا.

وكان لدى المصريين القدماء رب للمعرفة والكتابة هو الإله تحوت وكان فى نظرهم إله الحكمة ورسول العلم ورب السحر



للاستعمال.

وخضعت عمارة اللبـن منذ أوائل العصر التاريخى (3200 ق.م) إلى الكثير من التطور العملى والفنى، وبقيت سائدة طوال عصر الأسرتين الأولى والثانية، وقد حدث فى عصر الأسرة الأولى بعض المحاولات لاستخدام الحجر فى العمارة إلا أنها اقتصرـت على إطارات الأبواب وأرضيات حجرات المدافن.

ثم شهدت عمارة الحجر منذ عصر الأسرة الثالثة طفرة فنية ضخمة التى وضع أساسها «إيمحوتب» الذى نفذ المجموعة الجنائزية للملك «زوسر» أول ملوك الأسرة الثالثة (2850 ق.م)، واستمرت العمارة الحجرية تتقدم فى تطورها الفنى بعد الأسرة الثالثة خاصة فى عصر الأسرة الرابعة التى اشتهرت بالأهرامات.

وإمكاناتها من ناحية والعقائد الدينية المساندة من جانب آخر، والعمارة المصرية عمارة نباتية استحدثت أسلوبها الفنى واعتمدت فى طرازها على كل ما كان يستعمله المصرى الأول فى عصور فجر التاريخ من مواد أولية فى أبنيته مثل سيقان البردى وأعواد الخوص وجذوع الأشجار، ثم تطور المصرى بأبنيته من هذا الطابع إلى طابع آخر تمتزج به بعض العناصر الزخرفية، وسرعان ما انتقل المصرى إلى استعمال طمى النيل فى تشييد مبانيه، ثم انتقل لصناعة اللبـن فى قوالب مستطيلة فكانت قفزة واسعة إلى الأمام أثرت على المظهر الخارجى للمبنى، إذ تغير من المبنى المستطيل أو البيضاوى الشكل إلى مبنى مستقيم الجوانب أصبح أكثر مناعة وصلاحية

وسكرتير الآلهة الذى اخترع الكتابة وأدار الزمن وأبدع التقويم ونسخ القوانين وخلق الحساب والمحاسبة وتحكم فى الأرقام. وبجانب تحوت كانت هناك ربة للكتابة هى سشات إلهة التسجيل والحساب وسيدة بيت الكتب. كذلك رفع المصريون القدماء بعض الكتاب وجعلوهم فوق مراتب البشر حتى غدوا من الخالدين مثل «إيمحوتب» وزير الملك زوسر الذى قدس فى العصور المتأخرة كإله للطب، وكذلك «كاجمنى» و«بتاح - حوتب» و«كاجينى» و«أمنحتب بن حابو» والأخير وصل أيضا إلى مرتبة الألوهية.

العمارة

انفردت العمارة المصرية بطرازها الخاص، ومن أهم العوامل التى تؤثر على الطرز المعمارية فى بلد ما مقومات البيئة

مظاهر حضارتنا المصرية القديمة (2)



أما عمارة المنازل والقصور فقد بقيت تشيد من اللبن، وإذا كانت أطلال المدن المصرية قد زالت وانطمست معالمها فما تزال هناك بعض بقايا تساعد على التعرف على عماراتها مثل مدينة اللاهون من الأسرة الثانية عشر ومدينة تل العمارنة من الأسرة الثامنة عشر. وكان منزل المصري الثرى يتكون من قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وكثيرا ما كانت هذه المنازل تحوى حجرة أو حجرتين فوق السطح يعتقد أنها استعملت للنوم فى أشهر الصيف، وكانت الحدائق الواسعة تتوسطها أحواض الماء، وتدل منازل الأثرياء على وجود حمامات ومراحيض منذ عصر الدولة الوسطى. أما منازل الطبقة الشعبية فقد كانت تتكون من فناء أمامى تتلوه حجرة أو حجرتان ثم درج يصعد إلى سطح المنزل حيث كانت تخزن مواد الوقود تماما كما يحدث الآن فى مصر.

الأعياد

تعددت الأعياد فى مصر القديمة واختلفت أسبابها، فمنها ما كان يحتفل به فى طول البلاد وعرضها ومنها ما كان يحتفل به فى مدن معينة ومنها الأعياد السنوية والأعياد الدينية والأعياد الجنائزية والأعياد الرسمية. والأعياد السنوية كانت تعتمد أساسا على التقويم، فهناك على سبيل المثال عيد رأس السنة

وعيد الفيضان وعيد الحصاد وعيد ظهور نجم الشعرى اليمانية بشيرا بالفيضان، وأعياد فصول السنة الثلاثة، وعيد أيام النسئ الخمس وعيد آخر السنة إلى جانب الأعياد الشهرية مثل عيد ظهور الهلال وعيد اكتمال القمر.

أما الأعياد الدينية فهى التى تتصل بالآلهة ومعابدهم، وقد اختلفت مواعيد هذه الأعياد باختلاف الآلهة واختلاف أماكنها، فهناك مثلا عيد «أوبت» وهو العيد الذى يزور فيه الإله «أمون» الحريم الجنوبى أى معبد الأقصر، وكانت الزيارة تستمر إحدى عشر يوما فى بداية الأمر ثم أصبحت سبع وعشرون يوما اعتبارا من الأسرة العشرين.

وتذكر قائمة الأعياد فى مدينة «هايو» أن الفرق الزمنى بين عيد وآخر كان لا يزيد عن ثلاثة أيام، كما كان يحتفل بأعياد أوزيريس فى أبيدوس حيث تمثل فى كل عام أسطورة بعثته، وهناك عيد الإلهة «حتحور» فى دندرة وكانت خلاله تقضى خمس عشر يوما عند

زوجها «حورس» فى إدفو. ويذكر هيرودوت أن عيد الإلهة «باستت» كان يحتفل به حوالى سبعمائة ألف شخص يشربون ويمرحون. ومن أهم الأعياد الجنائزية عيد الوادى وفيه يزور الإله «أمون» الوادى فى الضفة الغربية أمام الأقصر، ويأتى أقارب الموتى لزيارتهم وتقديم القرابين والصلوات. وأما الأعياد الرسمية فهى الأعياد التى تتعلق بالدولة والملك مثل التتويج وعيد ميلاد الملك أو الاحتفال بعيدة الثلاثينى.

البردى

استخدم المصريون القدماء نبات البردى فى صنع الحصير والحبال وبعض الصناديق وأغراض أخرى أشهرها ذلك النوع من ورق الكتابة الذى كتبوا عليه كثيرا من علومهم وآدابهم. والنبات الذى كان يستخدم فى كل هذه الأغراض لم يعد يزرع فى مصر وإنما فى السودان وأماكن أخرى من أفريقيا.

وقد بدأ قدماء المصريين

فى 13.6

ملك عظيم فى البهو الكبير

شهد العالم عبر شاشات التلفزيون وعلى الإنترنت عملية هندسية ضخمة ومعقدة لنقل تمثال الملك العظيم رمسيس الثانى إلى البهو الكبير بالمتحف المصرى الجديد صباح 25 يناير 2018 واستمتع المشاهدون بالمشهد وهم يستمعون إلى نشيد انتصار الجيش المصرى فى أوبرا عايدة، عزفته الموسيقى العسكرية تحية للملك العظيم، ليكون بذلك أول قطعة تصل إلى المتحف المصرى الكبير مشروع مصر الثقافى الأكبر وهديتها إلى الإنسانية.

سكرتير أول فاطمة صابر

ثم التوثيق المعمارى باستخدام أحدث التقنيات العلمية والفنية، وقامت الشركة بإطلاق أكثر من 30 مليون نقطة ليزر على جسم التمثال، حتى أصبحت على دراية كاملة بكافة تفاصيل التمثال بما لا يدع مجالاً لحدوث مخاطر أو تلفيات أثناء النقل. ولقد سبق عملية النقل القيام بالعديد من القياسات المختلفة لجسم التمثال باستخدام أحدث التقنيات فى عملية التوثيق بجهاز الليزر سكانر حيث تم عمل 30 مليون نقطة رصد على جسم التمثال. كما تم استخدام جهاز المسح الرادارى وذلك لتتعرف على تواجد الأنكر داخل كتلة التمثال وتحديد أماكن الشروخ وعمقها حيث تم عمل حوالى 120 قطاعاً طولياً وعرضياً على جسم التمثال.

ولسوف يجد زوار المتحف المصرى الكبير عند افتتاحه المأمول فى نهاية عام 2018 ملكنا العظيم فى استقبال عشاق الحضارة المصرية القديمة، وسيبقى شاهداً على تاريخ شعب مصر الذى نفخر به أمام العالم.

هذه الصفات هى ألقاب للملك رمسيس الثانى.

لقد كانت عملية نقل التمثال من ميدان المحطة برمسيى إلى منطقة قريبة من المتحف المصرى الكبير عام 2006، أشبه بمعجزة هندسية شهدها العالم وتناقلتها وسائل إعلامه فى مختلف البلدان فمنذ تكليف المقاولون العرب بعملية النقل، قامت الشركة بعمل دراسات علمية وفنية متعمقة بمشاركة من الراحل د. أحمد حسين صاحب ابتكار طريقة النقل التى اعتمدت على حرية حركة التمثال فى وضع الوقوف أثناء النقل حتى وصوله إلى نقطة النهاية فى احتفال مهيب نذكره جميعاً.

ومنذ اللحظة الأولى لعملية النقل الثانية قام فريق الشركة الذى يضم خبراء من كافة التخصصات تحت إشراف من وزارة الآثار والهيئة الهندسية للقوات المسلحة بإعداد الدراسات التاريخية والتوثيق الفوتوغرافى والرفع المساحى،

وقد نفذ المهندسون المصريون «المقاولون العرب» بالتعاون مع الهيئة الهندسية للقوات المسلحة هذه العملية الدقيقة تحت إشراف وزارة الآثار فالتمثال وزنه 82 طناً وارتفاعه 12 متراً، ويعتبر من أهم الاكتشافات الأثرية فى العصر الحديث حيث عثر عليه فى قرية ميت رهينة بالجيزة سنة 1888 ويعتبر من أجمل أعمال النحت من الجرانيت الأحمر لواحد من أعظم ملوك الفراعنة الذى عاش تسعين عاماً حكم منها سبعة وستين عاماً. وقد تم نقل تمثال رمسيس من ميت رهينة إلى قلب العاصمة بميدان باب الحديد «ميدان رمسيس لاحقاً» عام 1954م كى يصبح رمزاً من رموز الحضارة المصرية والتى لم يكن أى من ميادينها يزين بتلك الآثار بخلاف العواصم الأوروبية آنذاك. كما تمت ترجمة النصوص الهيروغليفية على جسم التمثال إلى الآتى:

- حورس، الثور، محب العدالة، ملك مصر العليا والوسطى، القوى بعد العدالة، رع، والمختار منه، ابن الشمس. ومعظم

ابتكار هندسى مصرى عبقرى لنقل التمثال واقفاً لتفادى اهتزازه



لعب نهر النيل دوراً أساسياً ومهماً في نشأة وتطور الحضارة المصرية القديمة وبالرغم من ذلك علينا ألا نغفل دور الشخصية المصرية الفريدة التي استطاعت أن تسخر وتستغل الإمكانيات الطبيعية التي منحها الله لها لترتقى أعلى مراتب الرفعة والازدهار لتأخذ مكانتها الريادية بين حضارات العالم القديم تنير لها طريقها نحو الرقي والتقدم لتنعم شعوبها حتى يومنا هذا بما حققته وأنجزته تلك الحضارة.

ومع النحر الذى سببته المياه المتدفقة شمالا تكون ذلك المجرى الذى نعرفه اليوم وانحصرت داخله المياه فهياً ذلك للإنسان الاستقرار على ضفتيه فى شمال وجنوب البلاد وكون أول جماعات بشرية مستقرة تحولت إلى جماعات منتجة لقوتها وليست جامعة له، ومنذ تلك اللحظة يمكننا التحدث عما نسميه بالحضارة، والتي انشقت منها هذه الكلمة المأخوذة من كلمة الحضر أى الأماكن الآهلة بالسكان المستقرين.



hnnkatt@hotmail.com

كانت المياه الآتية من أعلى
هضبة الحبشة والمتجهة شمالاً
والتي يرجع تاريخها لأكثر من
عشرين ألف سنة قبل الميلاد
سريعة متدفقة يغلب عليها طابع
الفيضان فلم تكن تلك المياه قد
حفرت حوضها الذى لم نكن
نعرفه بعد، وعلى ذلك لم يكن
بمقدور الإنسان العيش على مقربة
منها، فقد كانت آنذاك عاملاً طارداً
وليس جاذباً للإنسان، مما اضطره
إلى اللجوء إلى الصحراء ليعيش
فيها كبدو يعتمد على الترحال من
مكان إلى آخر باحثاً عن المأكل
والمشرب مما تقدمه له أرضها
فقد عاش جامعاً لقوته وليس
منتجاً له، يشرب المياه الجوفية
أو مياه الأمطار المتجمعة ويأكل
النباتات التى تنمو حولها فإذا
جفت أماكن تجمع المياه ونضبت
تربثها جمع حاجياته البسيطة
وانتقل إلى مكان آخر تتوفر فيه
تلك المعطيات. وقد انعكست



الهرم الأسود امنمحات الثالث، لابن سنوسرت الثالث

تماماً مثلما يحدث مع بقية تلك
الظواهر.

ومن هنا بدأت تترسخ له فكرة
البحث والاهتمام فيما هو بعد
الموت، فاتحاد شطرى البلاد مع
بداية عهد الأسرات والذي كلل له
النجاح على يد الملك نارمر وتكوين
أول دولة متحدة كان في الواقع
توحيداً لكل من الجنس السامى
والحامى ليتمخض عنهما جنس
جديد ألا وهو الجنس المصرى
الذى يعيش على هذه الأرض منذ
ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا.

يبدأ عصر التاريخ المصرى
القديم مع تاريخنا لأول أسرة
حكمت العصر الفرعونى وهى
الأسرة الأولى، ولذا عرفت تلك
الفترة أيضاً بعصر الأسرات.

إن تطور المقبرة الملكية منذ

عدم معرفته بطرق التحنيط التى
عرفها فى وقت لاحق كما بدأ يضع
مع المتوفى بعض الأدوات والأواني
الفخارية التى كان يستخدمها
أثناء حياته.

ولقد أثرت فيه ظاهرة
التكرار حيث لاحظ أن الظواهر
الطبيعية من حوله يغلب عليها
صفة التكرار مثل الليل والنهار
وفيضان نهر النيل الذى يأتى
فى وقت ثابت من كل عام كما أن
موسم الحصاد ثابت يتكرر كل
عام ومن هنا بدأ فى التفكير بأنه
هو نفسه يكون جنينا فى بطن الأم
ثم يولد طفلاً يكبر ثم يصل إلى
مرحلة سنية معينة يموت بعدها
حيث اقتنع بأنه هو نفسه والذى
يعد جزءاً من هذه المنظومة لابد له
أن يبعث مرة أخرى لتكرر حياته

ما قبل الأسرات. «خمسة آلاف
عام قبل الميلاد» ومن أهم نتائج
دراسة هذه الحضارات اكتشاف
سلالتين بشريتين إحداهما تنتمى
لحضارات الجنوب حيث أثر عليها
الجنس الحامى الأفريقى والتى
كانت صفته المميّزة الجمجمة
بيضاوية الشكل، فى حين اكتشفت
السلالة الأخرى فى دفنات الشمال
حيث أثر عليها الجنس السامى
حين نزحت موجات بشرية من
آسيا وآسيا الصغرى واستقرت فى
شرق الدلتا ثم سادت شمال البلاد
والتي كانت صفتها المميّزة من
خلال الجمجمة المستديرة المميّزة
للجنس السامى.

فعند هذه الفترة بدأ المصرى
القديم يهتم بالمقبرة محاولاً
الحفاظ على جثة المتوفى بالرغم من

نشأة وتطور الحضارة المصرية القديمة

عصر الأسرة الأولى يعد بمثابة تطور للحضارة المصرية القديمة. تتميز فترة الأسرة الأولى والثانية، والتي عرفت بالعصر العتيق 3000 - 2780 ق.م» بأن مقابر ملوكها أخذت شكل الدرجة المبنية من الطوب اللبن والتي عرفت بالمسطبة.

مع نهاية الأسرة الثانية بدأ المصري القديم يستخدم الحجر الجيري في بناء بعض أجزاء المسطبة والتي تمثلت في غرفة الدفن حيث أنها أهم الأجزاء التي تساعد في الحفاظ على جثة المتوفى. وقد شاء التاريخ أن يهب مصر هذه الفترة ملك له أفكار فلسفية دينية متطورة سوف يكون لها مدلول عظيم فيما بعد وهو الملك زوسر بجانب مهندس معمارى عظيم كان أول من شيد بناء كاملا من الحجارة ألا وهو المهندس والطبيب والفيلسوف إيمحتب والذى ذاع صيته فيما بعد حتى أنه عبد كاله بعد سبعمئة عام من هذه الفترة، أسس زوسر الأسرة الثالثة لتبدأ فترة انطلاقة جديدة عرفت بعصر الدولة القديمة (2780 - 2270 ق.م).

بدأ زوسر في بناء مقبرته على هيئة مسطبة وصل ارتفاعها 8م على غرار مقابر الملوك السابقين ولكنها بنيت وكما ذكرنا من



الهرم المائل

ويدفن تحت هذا الشكل المعماري، والذي لم يتحول إلى هرم كامل بعد، تصعد روحه إلى أعلى لتتحد مع رب الآلهة الإله رع ويذوب فيه ليتحولا لوحدة واحدة وقد بدا جليا أن هذا الشكل الهندسى الشبه هرمى سوف يساعد ويسهل صعود الروح إلى أعلى!! ومن هنا بدأ التفكير في بناء مسطبة خامسة وأخرى سادسة بهدف الاقتراب أكثر وأكثر بقدر المستطاع من السماء.

ويعد الشكل الهرمى للمقبرة هو الشكل الهندسى الوحيد المكون من أربعة مثلثات تلتقى رؤوسها الأربعة في نقطة واحدة وهى قمة هذا الهرم الذى يحقق فكرة أن ضوء الشمس الذى يعد بمثابة الطاقة الكافية وراء قرص الشمس والتي تجسد فكرة الإله رع، عندما تسقط على قمة هذا

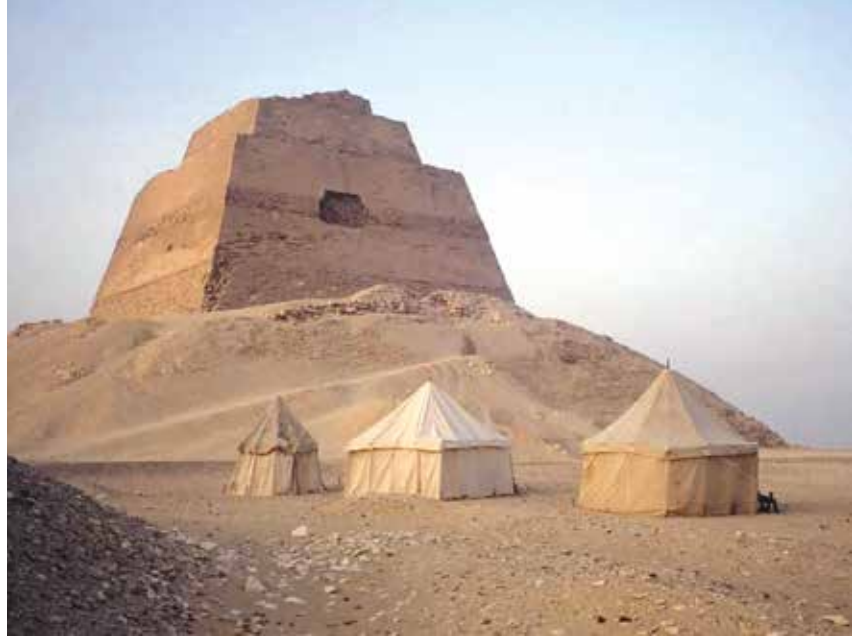
الحجر الجيرى كما أحاط ايمحتب المقبرة وملحقاتها بسور وصل ارتفاعه لأكثر من 20 مترا، ولهذا السبب كان لزاما عليه التفكير في الارتقاء بهذه المسطبة إلى أعلى كى يتثنى رؤيتها من خارج السور. أدى ذلك إلى التفكير في بناء ثلاث مساطب أخرى فوقها وهو ما حدث بالفعل.

وهنا نتعرض للأسباب التى أدت إلى تطور المقبرة الملكية من كونها مسطبة فوق سطح الأرض إلى هرم مدرج.

وكما رأينا كان السبب الأول والمنطقى وهو ما نسميه بالسبب العملى، هو الارتفاع بها كى يمكن رؤيتها من خارج السور ولكن هنا تدخلت العقيدة والديانة فى فكر الملك ومهندسه ايمحتب، فالملك الحاكم الذى هو فى نفس الوقت بمثابة الإله عندما يموت



اخناتون



هرم ميدوم

الخارجية بكساء سميك من الحجر الجيرى ليسهل سقوط الضوء من أعلى إلى أسفل من ناحية ومن ناحية أخرى ليسهل ذلك على انعكاس الضوء على الأرض في الاتجاهات السماوية الأربعة.

كما أن هذه الفترة ومنذ بداية عصر الأسرات فيها فكرة الملك الإله وليس كما يذكر البعض الملك المؤله، فالملك الإله أصله إلهى أما الملك المؤله فهو إنسان اكتسب الصفة الإلهية.

وبمعنى آخر يمكن القول بأن المصرى القديم قد اقتنع بأن الإله قد نزل الأرض وتقمص الشكل الإنسانى في صورة الملك الحاكم.

وقد كان لرسوخ هذه الفكرة واقتناع الشعب بها أن وهب حياته وكرسها إذا تطلب ذلك، من أجل هذا الحكم والكيان الذى نفضل تسميته بالحكم الملكى الإلهى

الأسرة الثامنة عشرة. إن الجديد الذى أتى به اخناتون هو أنه أعلنها صراحة بأنه لا يوجد غير إله واحد وهو الإله آتون الذى هو فى نفس الوقت صورة من صور الإله رع والذى عرف بآتون منذ عصر الأسرة الخامسة حيث ذكر فى سياق نصوص الأهرامات بهذا الاسم المصرى القديم، وكما ذكرنا قد آمن بوجود إله واحد منذ الدولة القديمة وكل تلك الآلهة والمجموعات الإلهية التى نعرفها ما هى إلا الصفات العديدة والمتعددة للإله الأوحد الذى أسماه المصرى فى كل العصور «نترعا» أى الإله الكبير أو العظيم.

وصلت فكرة علاقة المقبرة فى شكلها الهرمى إلى أعلى مراحل التعبير عن الفكرة خلال الأسرة الرابعة مع تحول الهرم المدرج إلى هرم كامل حيث كسيت أسطحه

البناء سوف توزع من أعلى على أسفل فى الاتجاهات السماوية الأربعة بالتساوى لتغمر الأرض كلها بالطاقة الخالقة للأرض وما عليها.

وقد حققت فكرة الشكل الهندسى هذه للمقبرة الملكية نظرية كان يؤمن بها المصرى القديم تمام الإيمان خلال هذه الفترة وهى التى تتلخص فى أن الشكل الهندسى الهرمى المكون من أربعة مثلثات ينتهى به الأمر عندما تلتقى رؤوسها كما ذكرنا فى نقطة واحدة إلى نقطة واحدة وهى قمة هذا البناء والتى تشير كسبابة إلى أعلى، وهو أبلغ تعبير وتجسيد منطقى لفكرة عبادة الإله الأوحد، والتى آمن بها المصرى القديم فى واقع الأمر منذ فجر التاريخ وليس كما يعتقد البعض قد أتى بها اخناتون النصف الثانى من

نشأة وتطور الحضارة المصرية القديمة



الملك منتوحثب الثانى
الدولة الوسطى- الأسرة 11

بهدف تيسير دخول ضوء الشمس إليه والذي تتوسطه المسلة.

ولكن وفي نفس الوقت كان انهيار فكرة الحكم الملكى الإلهى المركزى هو السبب الرئيسى فى انهيار الدولة القديمة لتدخل البلاد عصرا من الفوضى والتفكك عرف بعصر الاضمحلال الأول والذي انقسمت فيه البلاد إلى دولتين ولأول مرة منذ أن وحدها مينا مع بداية الأسرة الأولى.

ولقد كان إعادة توحيد البلاد مرة أخرى فى الأسرة الحادية عشرة وهى الفترة التى عرفت بعصر الدولة الوسطى يرجع فى الأصل لفكرة جديدة تعيد إلى الذاكرة علاقة الملك الحاكم بالإله ولكن هذه المرة ليست فى صورتها القديمة والتى عرفناها بفكرة الملك الإله والحكم الملكى الإلهى المركزى ولكن اعتبر ملوك الدولة الوسطى وعلى رأسهم مؤسسها منتوحثب بأن الملك الإنسان عندما يموت يتحول فى العالم الآخر إلى الإله أوزوريس حاكم هذا العالم. وبذلك اكتسب صفة إلهية جديدة ولكن فى ثوب جديد والتى لها مكانة خاصة عند المصرى القديم لأن هذا الإله الإله أوزوريس سوف يحكم الحياة الأبدية التى كرس الإنسان حياته على الأرض من أجلها.

وهكذا وكما رأينا أنه قد اجتمعت عدة أسباب منذ فجر التاريخ مرتبطة بالإنسان والأرض فى هذه البقعة من المعمورة خاصة

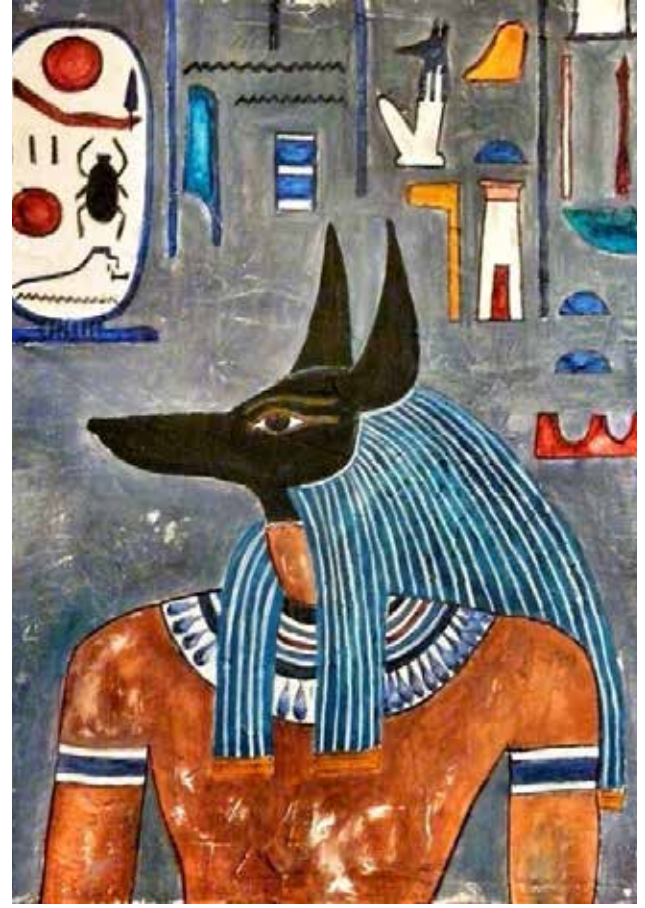
المركزى، والذي كان سببا جوهريا فى تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة خلال هذه الفترة لتصل بنا إلى أولى أعلى مراحل التقدم والازدهار خلال هذه الفترة وحتى الأسرة الخامسة.

ولكن مع زيادة بزوغ فكرة عبادة الإله رع منفصلا عن الملك الحاكم وبتشجيع من كهنته، بدأ الاهتمام أكثر وأكثر بعبادة رع مما اضطر الملوك إلى مسايرة الأحداث وتحولهم إلى ملوك بشر يعبدون الإله رع حتى أن بعضهم وتقرباً منهم للإله رع قد اعتبروا أنفسهم كبار كهنة الإله رع.

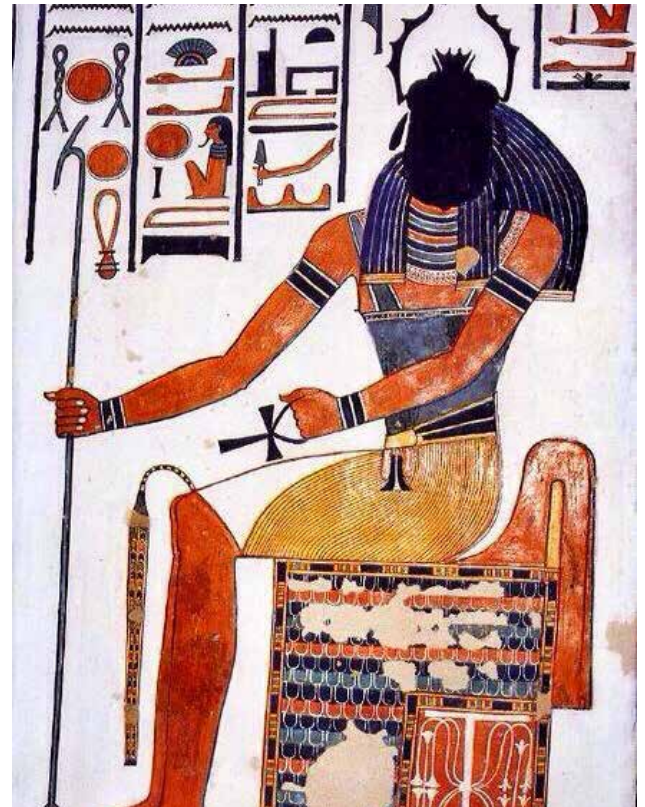
وقد استمر ملوك هذه الفترة فى بناء المجموعات الهرمية مثل سابقه والتى تتكون من معبد وإٍ وطريق صاعد ومعبد جنازى لتنتهى بالهرم.

ولكن تحول الاهتمام فى هذه المجموعات بالفناء المفتوح الذى يتوسطه عمود حجرى قمته فى صورة هريم عرفت بالمسلة والتى ترمز لعبادة الإله رع والتى كانت بمثابة عرش الإله الذى يستقر على قمته «قمة المسلة». لقد استمر الملوك خلال هذه الفترة فى بناء مقابرهم ضمن هذه المجموعات فى شكل الهرم ولكن قل اهتمامهم بها، وكما ذكرنا أصبح أهم جزء فى هذه المجموعات الفناء المفتوح

لتولد من خلالها أقدم وأعظم حضارة عرفت البشرية. وبالرغم من انهيار الدولة المصرية القديمة مع نهاية أول مرحلة ازدهار لها مع نهاية الأسرة السادسة إلا أنها سرعان ما أفاقت من كبوتها لتكمل المسيرة وتتطور لتصبح أكبر وأهم إمبراطورية فى العصر القديم خلال الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة. وخير دليل على ذلك تلك الآثار العظيمة التى خلفتها لنا تلك الفترة من معابد ومقابر وكنوز نفيسة أبقي عليها الزمان خير دليل على أعظم حضارة عرفت البشرية.



جمال النقوش الفرعونية



الدير الأحمر بسوهاج

الكنيسة الأثرية بدير الأنبا بيشاي والأنبا بيجول بالجبل الغربي

الدير الأحمر من أعظم الأديرة الأثرية القبطية. فقد سمي دير الأنبا بيشاي بسوهاج باسم الدير الأحمر بسبب إنشائه من الطوب الأحمر ويسمى أيضاً دير الأنبا بيجول. ويقع الدير في منطقة «أدريبا» الفرعونية القديمة، والتي تعرف الآن باسم الجبل الغربي بسوهاج شمال دير «الأنبا شنودة» رئيس المتوحدين - والشهير بالدير الأبيض - بحوالى 4 كم غرب مدينة سوهاج.

على جدران المبنى والهندسة المعمارية الأثرية للدير جعلته من أهم الأديرة التاريخية في مصر، حيث بنى على النظام الباخومي، أى نظام الشركة الرهبانية، وعلى شكل البازيليكا ذات صحن طويل، ينتهى بجنبات الهيكل الثلاث، وهى تركيبة معقدة من الطاقات الحائطية والأعمدة والنحت. وجميع أسطح وحوائط الدير مغطاة بالرسومات التى يتضح لنا من خلالها عظمة الفن القبطى فى ذلك الوقت المهم.

وقد ظهر فن العمارة القبطية واضحاً فى دير الأنبا بيشاي بسوهاج حيث الشكل الخارجى المستطيل الذى تميزت به مساقط المعابد المصرية والكورنيش الذى يتوج الحوائط الخارجية ويشبه الكورنيش المصرى القديم، وشكل السور الخارجى يميل لأعلى، وشكل نحت الأعتاب بالداخل الخارجية مستوحى من المعبد المصرى القديم، أما عن تصميم البازيليكا الذى تميز به هذا المبنى



د. ماري ميساك

أستاذة الفن والآثار فى العصر البيزنطي

قسم الإرشاد السياحي فى كلية السياحة

والفنادق - بجامعة حلوان

mary.kupelian75@gmail.com

العديد من الجداريات والأوضاع الأثرية بمشاركة بعض البعثات الأجنبية.

وتعد كنيسة القديسين بيشاي وبيجول - «الدير الأحمر» - قلب مجتمع رهبانى كبير، فى منطقة معروفة كمركز مهم للحياة الزهدية فى القرن الخامس الميلادى. وتغطى المناظر فى الكنيسة حوالى ثمانين فى المائة من الجدران التى ترجع إلى عصر متأخر. كما أن الأعمدة والزخارف

بنى على طراز كنيسة القيامة بالقدس

ويتكون الدير من كنيسة الدير الأثرية ومقر الملكة هيلانة ومقابر الأقباط حول الدير. ويعتبر هذا الدير من الناحية الأثرية مزاراً سياحياً مهماً حيث يعد من أعظم الآثار القبطية الذى بنى فى حوالى القرن الرابع الميلادى على طراز كنيسة القيامة بالقدس. ويعكس تخطيط الكنيسة مرحلة مهمة من مراحل تطور العمل بالكنائس فى مصر، ويعتبر حصن هذا الدير هو الحصن الوحيد الباقى فى المحافظة. ويعتبر هذا الدير امتداداً للبرية التى كان يرأسها القديس الأنبا شنودة رئيس المتوحدين، حيث كان تحت رئاسته حوالى ثلاثة آلاف راهب. وكان الأنبا بيشاي أو الأنبا بيجول هو خال الأنبا شنودة رئيس المتوحدين. والدير يخضع للبطريركية مباشرة برعاية قداسة البابا. وشهد الدير نهضة عمرانية كبيرة فى بداية القرن الواحد والعشرين وتم تجديد



فمن أصل مصرى قديم مستوحى من صالة الأعمدة الكبرى فى معابد الكرنك.

وقد أثر أيضاً الطابع اليونانى الرومانى فى العمارة القبطية، وهذا واضح فى وضع الحنية الكبية الشرقية فى نهاية قاعة الكنيسة فى الهيكل، مع انتشار العديد من الحنيات الصغيرة على الحوائط والشكل الجمالون الذى يعلو الحنيات الصغيرة فى الهيكل. إن أول من عمّر بالربهان فى هذا الموقع الفريد هو الأنبا بيجول منذ بداية القرن الرابع الميلادى. فقد عاش فى الصحراء الكائن بها هذا الدير الذى بنى على النظام الباخومى، ثم انضم إلى هذه المجموعة الرهبانية وقتئذ الأنبا بيشاى الذى ولد فى قرية ابصونة بأخميم. وقد انضم إلى الأنبا بيشاى والأنبا بيجول الأنبا شنودة وهو ابن سبع سنوات. وقد بنى كل واحد منهم مسكناً فى الجبل وآخر

بجوار الكنيسة.

الرمزية فى عمارة كنيسة الدير القبطية

فهى إما رموز لغوية أطلقت على المبنى أو جزء منه، أو رموز تشكيلية ظهرت فى أشكال التحف والزخارف النباتية والحيوانية التى لها مدلول دينى رمزى. فخلال فترة فجر المسيحية، برع المعمارى القبطى فى توظيف العناصر المعمارية والزخرفية تبعاً للرمزية فى العمارة. فمن الرموز الزخرفية شكل الصليب رمز المسيحية، ومن الرموز النباتية عنقود العنب ونبات الأكانتس، ومن الرموز الحيوانية الغزال والصدفة كحيوان بحرى. وقد استخدمت هذه الأشكال فى زخرفة تيجان الأعمدة وكرانيش الحجر وأعتاب الأبواب والأسطح المستديرة داخل الحنيات.

كنيسة الدير الأثرية

يرجع تاريخ الكنيسة لأوائل القرن السادس الميلادى. وصحن

الكنيسة الأوسط كانت تحيط به ثلاثة أروقة فى الشمال والجنوب والغرب. وقبل الكنيسة كانت هناك صالة الدخلى (النارتكس) وقد تهدمت معظم مباني الصحن النارتكس ولا يظهر سوى بعض بقاياها. ويتكون صحن الكنيسة من حامل الأيقونات الذى تهدم وما تبقى منه يعد جزءاً بالطوب الأحمر مع الباب، يوجد البئر الأثرى وهو موجود منذ إنشاء الدير وكان هو مصدر المياه فى أيام التجمعات الرهبانية فى المنطقة فى القرن الرابع الميلادى.

أما كنيسة العذراء مريم الأثرية التى تقع فى الركن القبلى الغربى فكانت مغطاة بالقباب. فهى تنقسم إلى هيكل وخورسين وتم ترميمها بالكامل. فهى الهيكل الكنيسة ثلاثى الحنيات وتزينه الحنيات ذات الجمالون المنكسر (طراز معبد بعلبك بالشام) ومعظم حوائط الهيكل والحنيات بها رسوم

جدارية فريدة من نوعها وبها طبقات، ويحيط بالهيكل حبرتان على هيئة حرف L ليكون الشكل الخارجى كشكل المعبد الفرعونى المستطيل المعتاد.

وأما فى الركن القبلى الشرقى فيوجد الحصن القديم وبه مغطس ويعلو الباب زخارف نباتية غاية فى الروعة ويوجد فى الحائط الغربى أيقونة للصلب، أما الهيكل الأثرى وهو الكنيسة الحالية وهو على شكل صليب وقباب.

وتوجد فى هذا الدير أيقونات عديدة، منها أيقونة العشاء الأخير، ويصور فيها السيد المسيح على العرش فى المنتصف وملاكات والتلاميذ حوله، أما عن جداريات الكنيسة فتوجد فى القبة الجنوبية من الهيكل الأثرى تصور ضوابط البانطوكراتور ويصور فيها السيد المسيح على كرسى العرش والأربعة إنجيليين حوله اثنان من كل ناحية، أما فى القبة الشمالية من الهيكل الأثرى فيظهر فيها منظر للسيدة العذراء مريم وهى تحمل الطفل يسوع وصورة لاثنتين من الأنبياء الذين تنبؤوا عن ميلاد الرب يسوع مثل أشعيا وأرميا والمجوس من الناحية الأخرى يقدمون هداياهم.

أما فى الحائط الشرقى من الهيكل فتوجد صورة لغزال بين كل الحنيات ويوجد أيضاً تجويف وحنيات وفيها صور قديسين وأعمدة على صفيين. ويلاحظ أن تاج الأعمدة القبطية على شكل ورق العنب مع وجه نسر. أما فى الناحية القبلىة من الهيكل فهناك باب يؤدى إلى حجرة





المعمودية وبه جرن المعمودية الأثرى وبأسفله ثقب يؤدي إلى بئر أثرى لكى يصرف ماء المعمودية من خلال هذا الثقب. أما الحجرة الشمالية فيوجد فيها رسم جدارى يصور مريم ومرثا. وأما فى القبة الأربعة حيوانات الإنجيليين (أو التبشيريون الأربع) يطلق على الأربعة كتاب الذين أوحى إليهم بكتابة الأناجيل المعروفة بأسمائهم أى الأناجيل الأربعة. وهم متى، ويوحنا، ومرقس، ولوقا. ويوجد عند مداخل الهياكل الأثرية (حامل الأيقونات) صورة للقديس مارميناء. أما عن قصر الملكة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين، فأمرت ببناء قصر لحماية تجمع الرهبان فى هذه المناطق من أخطار البرية، ويرجع تاريخ هذا المبنى لحوالى القرن الرابع الميلادى ويتكون من ثلاثة أدوار.



وأما عن المنطقة الأثرية حول الدير، فتظهر فيها بقايا قلالى الرهبان القديمة، وبئر أثرية ومعصرة للزيتون. هذا بالإضافة إلى مقابر الأقباط من المناطق المجاورة. وقد شهد الدير الأحمر الآن تطورات كبيرة، فقد تم بناء سور حول الدير على مساحة شاسعة، حيث ساهم مركز البحوث الأمريكى فى ترميم الدير الأحمر بسوهاج، وحيث نفذ مشروع الترميم بالكنيسة الأثرية منذ عام 2002 وحتى 2017 تحت إشراف بروفيسيرة إليزابيث بولمن من جامعة تمبل الأمريكية تحت إشراف وزارة الآثار.



عيد الغطاس

عماد السيد المسيح (بيت عبرة)

تحتفل الكنيسة سنوياً بعيد الغطاس، وهو عيد تقيمه الكنيسة (كان هذا العام في 19 يناير 2018) تذكراً لعماد السيد المسيح، ولكن أين عُمِدَ السيد المسيح؟ يذكر الكتاب المقدس أن عماد المسيح تم في نهر الأردن، ويذكر في إنجيل مرقس «وخرج إليه جميع كورة اليهودية وأهل أورشليم واعتمدوا جميعهم منه في نهر الأردن معترفين بخطاياهم» (مر 1: 5) وأيضاً «وفى تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن» (مر 1: 9)، وفي إنجيل متى ذكر «حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه» (مت 3: 13).

الذي ذكر ذلك هو إنجيل يوحنا حيث ذكر «هذا كان في بيت عبرة في عَبر الأردن حيث كان يوحنا يُعمد» (يو 1: 28) (ويُقصد بعبر الأردن الأراضي الواقعة شرق نهر الأردن - أي الضفة الشرقية لنهر الأردن) وربما تم العماد في أحد روافد الأردن في هذه المنطقة، أو في نهر الأردن عند مصب رافده المعروف باسم نهر يَبوق.

اختلف الباحثون حول موقع بيت عبرة

وبيت عبرة هذه ذُكرت مرة واحدة في الكتاب المقدس في إنجيل يوحنا في هذا الموضع، ولكن اختلف الباحثون حول موقع بيت عبرة. فالبعض يذكر أنها جنوب بحيرة طبرية بالقرب من الجليل، والبعض الآخر يذكر أنها في شمال شرق البحر الميت، والواقع أن الرأي الثاني ربما يكون هو الأوقع لأنه أقرب إلى الأراضي التي عُرفت آنذاك باليهودية، حيث ورد في إنجيل متى: «وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في بركة اليهودية قائلاً: «توبوا



د عدلي أنيس

أستاذ الجغرافيا بكلية الآداب - جامعة القاهرة، وأستاذ جغرافيا الكتاب المقدس بالكلية الإكليريكية - الأنبا رويس

freeuni@yahoo.com

نفسه، هل يمكننا أن نعرف في أية نقطة من نهر الأردن تعمد يسوع المسيح؟ الواقع أن الإنجيل الوحيد



أهمية نهر الأردن

جغرافياً يبدأ نهر الأردن بالتقاء أربعة روافد هي «براغيت - الحصباني - اللدان - البانياس» في الجزء الأعلى من سهل بحيرة الحولة (في أقصى شمال فلسطين) ويسير في مجراه من الشمال إلى الجنوب حاملاً معه مياه جبل حرمون (يعرف حالياً باسم جبل الشيخ، وذلك لتراكم الجليد على قمته فيظهر للرأي من بعيد على شكل رأس رجل شعره أبيض) ثم يصب في بحر الجليل (بحيرة طبرية حالياً) ثم يخرج من بحر الجليل بسرعة تقل تدريجياً بالاتجاه جنوباً حتى يصب في بحر الملح (البحر الميت حالياً)، ويبلغ طول نهر الأردن حتى يصب في البحر الميت 114 كم في خط مستقيم، ولكن يبلغ طوله بتعرجاته 350 كم. ونهر الأردن يجري على طول انكسار طولي يُعرف باسم غور الأردن، وهذا الغور هو في الواقع امتداد للأخدود الأفريقي العربي الشهير. ولكن هناك سؤالاً آخر يطرح



لأنه قد اقترب ملكوت السماوات» (مت 3: 1). و«حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه» (مت 3: 13).

وبيت عبرة تقع الآن في أراضي المملكة الأردنية الهاشمية، وتعرف حالياً باسم مدينة «المغطس». وربما يؤكد هذا الرأي أيضاً قرب جبل التجربة من موقع بيت عبرة على الضفة الغربية لنهر الأردن. ويعرف هذا الجبل الآن بجبل القرنطل Quarantal، وقرنطل كلمة يونانية من أصل لاتيني معناها الأربعيني. كما يسمى أيضاً جبل الأربعين، ويبلغ ارتفاعه 350 متراً فوق مستوى سطح البحر، وهو الموضع الذي قضى فيه السيد المسيح 40 يوماً وليلة. وهو قريب من مدينة أريحا، أو قل على مشارفها.



وبيت عبرة اسم عبري معناه «بيت المخاضة» أو «بيت العبور» حيث يُظن أنه موضع المخاضة التي عبر فيها العبرانيون النهر أيام يشوع. ويشتهر هذا المكان شهرة كبيرة عالمياً. فعنده تجتمع جميع الطوائف المسيحية في يوم «عيد الغطاس»، وقد شيد بناء صغير بجوار المغطس تذكيراً للعماد المقدس في سنة 1957م. ومكان المغطس في الأردن لا يُسمح بزيارته في غير يوم عيد الغطاس إلا بتصاريح، وذلك لقربه من الحدود السياسية بين الأردن وفلسطين المحتلة. وتوضح الصور المرفقة هذا الموضع الذي أصبح موضعاً سياحياً مهماً. وتجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر والمراجع تُرجع الفضل



أراضي الضفة الغربية وتقابلها على الجانب الشرقي من نهر الأردن مواقع أخرى داخل المملكة الأردنية الهاشمية، وهذه الأماكن جديرة بالزيارة لاسيما إذا أخذنا في اعتبارنا أن هذا يعد أمراً مهماً لدعم الاقتصاد الفلسطيني والفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي البغيض منذ 1967.

في الاكتشاف الحديث لهذا المكان إلى الأستاذ الدكتور محمد وهيب أستاذ الآثار بالجامعة الأردنية. وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن المزارات الدينية المسيحية في فلسطين لا تقتصر كما يعتقد البعض على الآثار والأماكن المقدسة بالقدس، وإنما هناك العديد من الأماكن والمزارات المسيحية في

لقاء القديس فرانسيس الأسيزي والملك الكامل الأيوبي

بدأت في أكتوبر الماضي احتفالات ترعاها الكنيسة الأرثوذكسية، وسلك رهبان الفرنسي سكان لإحياء ذكرى مرور 800 عام على لقاء القديس فرانسيس الأسيزي والملك الكامل سلطان مصر الأيوبي ابن أخو صلاح الدين الأيوبي، حدث اللقاء في شهر سبتمبر من عام 1219 أثناء الحملة الصليبية الخامسة ولكن ما الذي يجعل هذا اللقاء حدثا يستحق الاحتفال به بعد مرور 800 عام؟

في مناخ حرب دائرة ودماء تسيل ورجال مازالوا متمترسين في مواقعهم استعدادا لاستئناف القتال وهو شبهه برجل يطلب الأذان أمام حطام برج التجارة الدولي في نيويورك يوم 11 سبتمبر.

استمع الملك الكامل لموعظة القديس فرانسيس بأدب ودون مقاطعة طوال الليل دون أن يتحول عن إيمانه ودخل معه في نقاش بعد أن فرغ من وعظه وقال له ما تعلمه من القرآن «لكم دينكم ولي دين» وطلب فرانسيس في النهاية أن يدخل في تجربة تثبت أن دينه الأصح بأن يدخل مع عدد من المشايخ الحاضرين في النار المشعلة داخل المعسكر ومن يخرج سالما فهو الأصح. أجابه السلطان بأن زمن المعجزات قد انتهى وأنه لن يسمح بذلك لأنه مسئول عن سلامة رجاله وضيوفه. انصرف القديس فرانسيس عائدا إلى خطوط الصليبيين وقدم إليه السلطان مجموعة من الهدايا النفيسة اعتذر عن قبولها لأنه راهب لا حاجة له بالنفائس الدنيوية واكتفى بقبول بوق أو نفير مصنوع من العاج كان يستخدمه المؤذن لرفع الأذان في المعسكر ومازال محفوظا بكنيسة القديس فرانسيس في مدينة أسيسى الإيطالية.

ترك اللقاء انطبعا إيجابيا لدى القديس فرانسيس عن السلطان الكامل وعن المسلمين وحكى لفردريك الثاني الرجل المتنور ذى العقلية المتفتحة أن المسلمين وإن كانوا من غير أتباع الدين المسيحي لكنهم يؤمنون بالسيد المسيح ويحفظونه وأنهم يعبدون إلهاً واحداً ويحفظون ما جاء بكتابته ويؤدون الصلاة خمس مرات في اليوم بحيث تكون الصلاة جزءاً من حياتهم. أثر كلام القديس فرانسيس تأثيراً كبيراً في الإمبراطور ودبر لقاء مع السلطان في معسكره في ليلة، واستمر اللقاء بينهما حتى الفجر. وأشار السلطان على المؤذن بالرفع أذان الفجر حتى لا يظن الإمبراطور ورجاله أنه دعوة للحرب، إلا أن فردريك قال له إنه أتى إلى معسكره



سفير محمد عبد المنعم الشاذلي

العديد من النبلاء ورجال الدين الذين قاموا بالدسياسة بينه وبين بابا روما الذي هدده بالحرمان من بركة الكنيسة إن لم يقوم بحملة صليبية على الأراضي المقدسة لتحرير بيت المقدس التي حررها صلاح الدين من الحكم الصليبي، ولما تأخر عن تدشين الحملة نفذ البابا تهديده وحرمه من بركة الكنيسة. إلا أن الإمبراطور استجمع شجاعته وأبحر بجيشه وأسطوله إلى مصر وأنزل جنوده في دمياط واحتلها، وهرع الملك الكامل وجيشه إلى حصار دمياط ومنع تقدم الجيش الصليبي.

ومنذ بداية الحملة بذل القديس فرانسيس جهوداً كبيرة لإثناء الإمبراطور عن الحرب وإقناعه بإجراء حوار مع المسلمين ودعوتهم إلى المسيحية بالأسوة الحسنة. صار فرانسيس محل تندر المعسكر الصليبي.

في ليلة من ليالي سبتمبر من عام 1219 تسلل فرانسيس من المعسكر الصليبي مصطحباً معه راهباً آخر اسمه اليموناتيس Illuminatus متوجهاً إلى معسكر المصريين وقبض عليهما الجنود واقتادوهما إلى خيمة السلطان. سأله السلطان من أرسلك وماذا تريد فأجابه أرسلني الله لكي أهديك وأنقذ روحك. وطلب منه أن يسمح له بأن يلقي موعظة في بلاطه وأمام قواده ومريديه. ولكي نقدر فداحة ما طلبه القديس فرانسيس علينا أن ندرك أنه فعل ذلك

أهمية هذا الحدث تستمد من أشخاصه وظروفه أما الأشخاص فأولهم القديس فرانسيس الذي ولد في مدينة أسيسى الإيطالية في عام 1182 وعاش طفولة مترفة وكان والده تاجر أقمشة ثرى وكبر ليصبح شابا وسيما وانغمس في ملذات الحياة الحسية وعندما دخلت مدينة أسيسى في حرب مع مدينة بروجيا تسلاح فرانسيس بدرعه وتقلد سيفه وذهب مع جيش مدينته للحرب التي هزمت فيها أسيسى هزيمة ساحقة وقتل زهرة شبابها ووقع فرانسيس في الأسر وظل حبيسا في سرداب مظلم حتى افتدى مع باقى الأسرى الأغنياء بالمال وبعد خروجه من محبسه بدا تحول عميق في حياته تمثل في عطفه الشديد على الفقراء والضعفاء وحتى على الحيوانات والطيور وكان لا يرد فقيرا أو محروما إلا بعد أن يجزل له العطاء. وعند سفر أبيه في رحلة عمل تاركا تجارته في يد فرانسيس لإدارتها عاد ليحده قد تصدق بها كلها للفقراء فطرده من بيته وبدأت حياته في التيه فقيرا معدما يدعو للخير والتصدق للفقراء وفي هذه المرحلة دعا الإمبراطور فردريك الثاني للحملة الصليبية الخامسة فانضم فرانسيس للحملة كواعظ ورجل دين يؤم الجنود في الصلوات. ولعل الشخصية الثانية التي توضح قصدنا وتبرر معاملها هي شخصية الإمبراطور فردريك الثاني امبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وهو بالنسبة للمسيحية الغربية في هذا الزمن يمكن اعتباره مجازا خليفة المسيحيين أو الرمز الذي تتوحد خلفه الأمة المسيحية وكان رجلا متفتحا مثقفا فيلسوفا أجاد ست لغات: اللاتينية والألمانية والفرنسية والصقلية واليونانية والعربية ورعى الفنون والآداب والعلوم. عندما تولى فردريك عرش صقلية التي حكمها المسلمون لمدة أربعمئة عام لم يقم بطرد من بقى منهم على الجزيرة لكنه قربهم إليه وضمهم إلى جيشه وإلى حرسه الخاص وأدى ذلك إلى غضب



لقاء القديس فرنسيس مع السلطان الملك "الكامل الأيوبي"

واستغرق الأمر مرور حوالى 160 سنة أخرى لقيام محاولة أكثر جدية للتعايش بين الأديان والتي تمت في عام 1962 بانعقاد مجلس الفاتيكان الذى سعى إلى تخفيف الاحتقان بين كنيسة روما الكاثوليكية والأديان الأخرى بما فيها الكنائس المسيحية الأخرى الأرثوذكسية والبروتستانتية وحتى مع اليهودية والإسلام.

كل الاعتبارات السابقة تجعل من لقاء القديس فرنسيس والملك الكامل حدثاً تاريخياً مهماً يجب ألا نترك ذكره تمر دون التنويه عنه في وقت أخذ فيه الحوار بين الأديان موقعاً مهماً على الساحة الدولية وفي وقت يطل علينا التعصب والشوفينية بشكل خبيث. وعليه فقد بدأت فعلاً الاحتفالات بندوة أقيمت في المركز الكاثوليكي للسينما يوم 3 أكتوبر الماضى حضرها بطريرق الأقباط الكاثوليك الأنبا إبراهيم إسحاق وسفيراً إيطاليا والفاتيكان ونائب محافظ القاهرة ونائب وزير الآثار وممثلون عن الرهبان الفرنسيين.

ومن المقرر أن تقام ندوة مشتركة بين رهبان الفرنسيين وجامعة القاهرة في أوائل عام 2018 فضلاً عن احتفالية في جامع عمرو بن العاص في مدينة دمياط في شهر مارس 2018. الذكرى مناسبة من الضروري إحيائها والترويج لها إعلامياً لبيان دور مصر التاريخي في إرساء قواعد الحوار بين الأديان.

لقاء القديس فرنسيس والملك الكامل كان الخطوة الأولى في الحوار الإسلامي المسيحي وحدث في وقت كان التعصب الأعمى لدى الطرفين والرفض المتبادل للآخر مطلقاً.

واستمرت القطيعة بين الأديان لمدة قرابة سبعمئة عام حتى انعقاد برلمان أديان العالم في عام 1893 في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة وكان محاولة لإقامة حوار بين الديانات المختلفة، حضر المؤتمر مندوبون عن المسيحية والبوذية والهندوسية والزن والبهاية والشيخ والطاوية، وممثلون عن ديانات السكان الأمريكيين الأصليين من الهنود الحمر.

وإذا افترضنا حسن النية في هذا التجمع إلا أنه عقد في وقت كانت الدول الغربية مهيمنة على العالم وتحل وتحكم أوطان وأراضي أصحاب الديانات الأخرى، كما أن تمثيل هذه الديانات تم بشكل عشوائي دون أن يكون وراء الممثلين أى تفويض من هيئاتهم الدينية المعترف بها. ومثل الإسلام في هذا المؤتمر Alexander Russell Webb الذى يعتبر أول أمريكي يشهر إسلامه وأطلق على نفسه اسم محمد الكسندر ويب، وهو صحفى وكاتب عمل لفترة قنصلاً للولايات المتحدة في الفلبين، وأشهر إسلامه خلال إقامته هناك عن طريق اتصالاته بالهنود أثناء تجواله في شرق آسيا وهو من وجهة نظر الإسلام السننى لا يعتبر مسلماً لأنه كان يتبع الطريقة الأحمدية القديانية.

ليستمتع إلى الأذان، فرفع الأذان، وغادر الإمبراطور مع مرافقيه المعسكر عائدين إلى خطوط الصليبيين بعد أن توصل مع السلطان إلى معاهدة تم بمقتضاها رفع الحصار عن دمياط ومغادرة السفن الصليبية حاملة الجيش لأراضى مصر. رغم هذه النهاية فإن لعنة الحملة الصليبية الخامسة أصابت أبطالها، فعلى الجانب الإسلامى لعن العالم الإسلامى كله السلطان الكامل أيوب لأنه حقق رفع الحصار عن دمياط مقابل التنازل عن فلسطين وأورشليم التى كانت قد عادت إلى المسلمين بعد أن حررها صلاح الدين بعد أن رأى أن قاعدة القوة للعرب والمسلمين هى مصر التى إن سقطت سقطت دولة الإسلام كلها. أما جزء فردريك الثانى فكان استمرار حرمانه الكنسى نتيجة تعنت وعناد بابا روما الذى رأى أن خروج الإمبراطور على رأس الحملة الصليبية بعد أن حرمه من بركة الكنيسة هو تحد لسلطة البابا، وذهب إلى مدى أبعد من ذلك بأن أعلن أن أورشليم مدينة خارجة عن الكنيسة ومحرومة من بركاتها! وإنصافاً للسلطان الكامل يجب ذكر أنه عند تنازله عن القدس استثنى من ذلك المسجد الأقصى والأرض المحيطة به، كما أن رؤيته تحققت وعادت مصر تحرر القدس مرة أخرى من الصليبيين. وبذلك كان القديس فرنسيس هو الوحيد الذى خرج من الحملة الصليبية الخامسة سليماً بسماعته حيث تم تطييبه قديساً في عام 1228 بعد وفاته بعامين. ويرى العديد من المؤرخين أن

أحمد عرابي: الثائر المفترى عليه

تعهد الكثيرون ممن لا يستطيعون السباحة في بحور التاريخ أن يأخذوا منه ما يخدم أغراضهم والطعن في رموز الأمة المصرية، فالهجوم على أحمد عرابي ليس هدفه شخص أحمد عرابي بقدر ما يقصد به ضرب الروح القومية وخدمة لمصالح قوى دولية حاولت وتحاول إضعاف مصر.

فريزر 1807 م والتي استطاع الشعب المصري في مدينة رشيد التصدي لها، كما كانت بريطانيا بالمرصاد لمحمد علي ولم تعطه الفرصة لإقامة دولة قوية في مصر، وعملت على تكبيل مصر بموجب معاهدة لندن 1840 م وما تم بعد ذلك من تسويات في عام 1841 م، ثم ظهر في الأفق مشروع حفر قناة السويس والذي عارضه محمد علي وكذلك عباس الأول ونجح ديلسبس في إقناع والى مصر سعيد باشا بضرورة حفر القناة والتي تم افتتاحها رسمياً في 17 نوفمبر 1869 م وواكب هذا الاحتفال مظاهر البذخ وضائق الحلقات حول مصر، وتوالى الأحداث والأزمات تباعاً.

فقد وصف محمد صبرى السربونى في كتابه «نشأة الروح القومية المصرية - 1863- 1882» الأحوال البائسة التي كانت عليها مصر جراء فخ الديون التي أسرف الخديو إسماعيل في الارتكان إليها لتحقيق خطته في أن تصبح مصر قطعة من أوروبا، لافتاً إلى أنه في عهد الخديو توفيق أصبح النضال الوطنى ضد الخديوى ووزارته نضالاً ضد الرقابة الأجنبية على الخزانة العامة التي أصبحت السلطة المطلقة في البلاد لكنها توارت خلف السلطة الاسمية. الزعيم أحمد عرابي من مواليد



د. عبد الناصر محمد صبرى
مدرس التاريخ الحديث جامعة القاهرة
nasersapry@gmail.com

سكنى في مصر من شارع أو حارة أو زقاق إلا ويحمل اسم هذا البطل المصرى، فهو القائد العسكرى الذى تزعم الثورة العرابية، التى كانت - بحسب المؤرخين - أول حركة ثورية وطنية يقوم بها الجيش المصرى من منطلقات اجتماعية وسياسية واقتصادية ضد النفوذ الأجنبى والذى نسج خيوطه حول الجسد المصرى منذ أوائل القرن التاسع عشر واكتمل بالاحتلال الإنجليزي لمصر فى 1882 م.

ولا يجب أن نغفل الفترة التى سبقت الثورة العرابية وأطماع الدول الأوروبية وخاصة الفرنسية والإنجليزية فى مصر بداية من الحملة الفرنسية، والتى سلطت الضوء على أهمية مصر وموقعها، وبدأ الإنجليز يتحينون الفرصة للاستيلاء على مصر ووجهوا حملة

أحمد عرابي.. قائد أول ثورة فى تاريخ مصر الحديث.. ناله الكثير من الظلم وطالته اتهامات فجة.. وظلم فى حياته.. وبعد رحيله.. واتهم بأنه كان سبباً لاحتلال الإنجليز لمصر لمدة 70 عاماً.. وأنه تسبب كذلك فى مقتل آلاف المصريين فى معارك غير متكافئة مع الإنجليز.. تعرض فى حياته للخيانة وحكم عليه بالإعدام وتم تخفيف الحكم للنفى (بجزيرة سيلان)، فعاش وحيداً منفياً لمدة 21 عاماً...

وكان الهجوم على أحمد عرابي قديماً حتى من بعض من اشتركوا معه فى الثورة العرابية مثل الإمام محمد عبده؛ لأن الخلافات دبّت بين الثوار أثناء الثورة وبعدها.. ومن أقسى ما قرأته فى الهجوم على عرابي هذا البيت لأحمد شوقي:

صَغَارُ فِى الذَّهَابِ وَفِى الْإِيَابِ
أَهَذَا كُلُّ شَأْنِكَ يَا عَرَابِي

هذا مفتتح قصيدة هجاء قاسية، استقبل بها أمير الشعراء أحمد شوقي (والذى عرف بولائه للقصر الملكى حتى سمي بشاعر القصر) الزعيم أحمد عرابي عند عودته من منفاه الإجبارى 1882 حتى 1903 م، ونظراً لحب المخلصين المصريين لبلدهم ورموزهم الوطنية فتبارت الأقلام للذود والدفاع عن عرابي؛ حيث تعد شخصية أحمد عرابي من أهم الرموز الوطنية، إذ لا يخلو حي

السيطرة على مصر، كما كان الخديو إسماعيل يميل إلى الأتراك والشراكسة مما أدى إلى الخلاف بين عرابي وقائده الشرکسى خسرو باشا، ففصل عرابي من الجيش فزاد ذلك من غضبه على الشراكسة وعاد لبلدته إلا أن البعض توسط له عند الخديوى فعفا عنه وأعادته إلى الجيش بنفس رتبته (قائم مقام) أى عقيد.

فى تلك الفترة ولدت بالبلاد حركة وطنية، كان الباعث لها ما تعانيه مصر من أسلوب الحكم والضائقة المالية، وتدخل الأجانب فى شئونها، فكان لطلاب البعثات فى عصر محمد على الفضل فى هذه النهضة الفكرية، كذلك إدخال نظم التعليم الحديثة وانتشار الصحافة ورسوخ أقدامها، وكذلك ظهور شخصيتين كان لهما أكبر الأثر فى نشر الوعي هما «رفاعة رافع الطهطاوي» والإمام محمد عبده. حيث استطاعا بقوة شخصيتهما ومقدرتهما على الإقناع أن يؤلفا بين الطوائف من المثقفين ورجال الحكم والسياسة وعامة الشعب وأن يوجهوهم نحو أهداف محددة ألا وهى مقاومة التدخل الأجنبى وإصلاح الحياة السياسية والنيابية ولهذا قامت الثورة العرابية.

توصف ثورة عرابي بأنها ثورة عسكرية، وهذا صحيح إذا لاحظنا أن زعيمها والقائمين بها هم من ضباط الجيش، وأنها قامت وتحركت وقتا ما بقوة الجيش، ولكن مما لا ريب فيه كذلك أنها ثورة وطنية، اشتركت فيها طبقات الأمة. ولا شك أن عرابي حرك المياه الراكدة، فهو الذى بث فى نفوس الضباط روح التضامن والاتحاد للمطالبة بحقوقهم، وتقدم الصفوف لعرض مطالبهم جهارا على ولاية الأمور بجرأة كان لها أثر



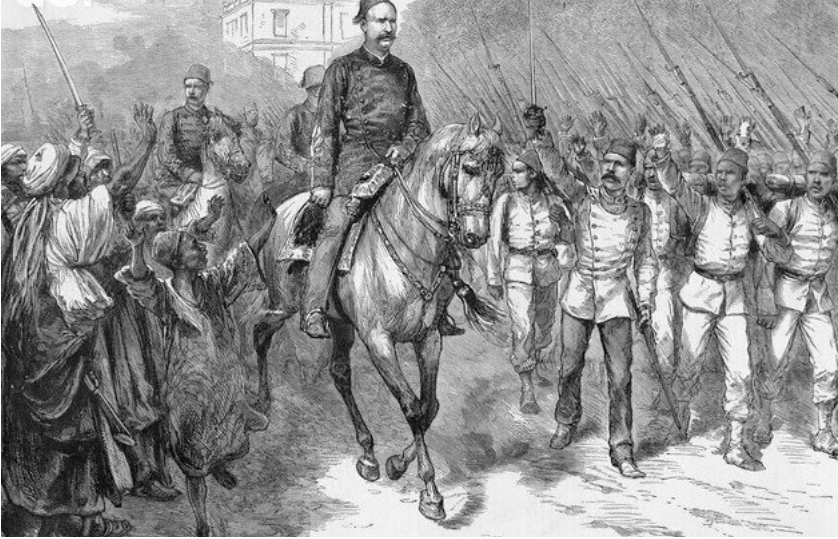
الزعيم الراحل أحمد عرابي
مع مرافقيه عبدالعال هاشم ودعاى فاضل

وسط أقرانه، ونظراً للمناصب التى تقلدها وتميزه فى صفوف الجيش اختاره والى مصر سعيد باشا رفيقاً له فى رحلته إلى الأراضى الحجازية، فاستثمر الرحلة وقرأ تاريخ نابليون الذى أعجب به وبالجيش المدربة التى قادها واستطاع سعيد باشا أن يحبب إليه قلوب الناس وقلب عرابي بحبه لمصر. وفى عام 1863م تولى الخديو إسماعيل حكم مصر، وكان على النقيض فى كثير من الجوانب من سعيد باشا فتزايد فى عهده نفوذ إنجلترا وفرنسا، وذلك لاستدانتة منهما وشقه لقناة السويس فحاولت الدولتان

31 مارس 1841 م فى قرية (هرية رزنة) فى محافظة الشرقية وتوفى والده وعمره ثمانى سنوات، تعلم فى الأزهر الشريف لمدة أربع سنوات أتم فيها حفظ القرآن الكريم وبعض الأجزاء من الحديث والتفسير والفقه، استفاد أحمد عرابي من قيام والى مصر سعيد باشا بإلحاق أبناء المشايخ والأعيان بالجيش واختارهم والى من الأعيان حتى ينالوا تقدير واحترام الشعب المصرى.

دور التعليم الحديث وانتشار الصحافة كانت لعرابي شخصيته المميزة

أحمد عرابي: الثائر المفترى عليه



عرابي ثائرا

كبير فى ظهور الثورة، ولو لم يظهر عرابي، ولم تكن له تلك الشخصية التى اجتذبت إليه الضباط وبثت فيهم روح الإقدام، لكان محتملاً ألا تظهر الثورة العربية التى كانت ثورة على المظالم والتدخل الأجنبى. توكيل من الشعب بالتوقيع على عريضة

وقد أدى نجاح عرابي وزملائه فى قصر النيل 1881م وعزلهم ناظر الحربية عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى بدلاً منه إلى ذيوع صيته فى كل مصر، فأصبح بطلاً شعبياً، وأعجب الشعب المصرى بجرأة عرابي وزملائه، وأصبح بيته مقصداً للمواطنين ولرجال الجيش وملتقى لزعماء الحركة الوطنية ولزعماء حركة الإصلاح فى الأزهر ولرجال الحزب الوطنى، وسرعان ما التقت إرادة الوطنيين والعسكريين على الحرية والدستور.

ويحكى السربونى فى كتابه ومن خلال الوثائق الإنجليزية والفرنسية ما حدث فى 9 سبتمبر 1881م بأنه بعد أن حصل عرابي على توكيل قانونى من الشعب بالتوقيع على عريضة انتشرت بشكل سرى فى الريف، تحرك إلى قصر الخديوى ومعه أربع كتائب، فقدم له مطالب الشعب التى تتلخص فى: إصلاح قيادات الجيش، دعوة مجلس النواب للانعقاد، إصدار دستور للبلاط، وعندئذ تحدث القنصل الإنجليزى كوكسن باسم الخديوى وقال لعرابي باشا: إن تشكيل البرلمان من اختصاص الأمة. فرد عرابي: إن الأمة نفسها قد وكلتني بتنفيذ

هذه هى الرواية الثابتة بالوثائق التاريخية. أما الرواية الأخرى فيتناولها الدكتور رياض حسن محرم بالتحليل وهى من أهم المشاهد المنقولة عن الثورة وهى وقفة عرابي المشهودة فى ساحة قصر عابدين منتظماً جواده وخلفه ضباطه وجنوده وما دار بينه وبين الخديو «توفيق» من حوار، تلك الرواية مصدرها الوحيد هو مذكرات عرابي التى كتبها بعد سنوات النفى الطويلة وصاغها فى مذكراته بشكل بلاغى وسماها «كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية» ووقعها باسم «أحمد عرابي الحسينى المصرى» - وقد كتبها إملاء بعد أن كف بصره- وقد كتبت المذكرات بصيغة ذات طابع دينى يتفق مع ثقافته الإسلامية الأزهرية البسيطة ولغة هذا العصر فيستعير جملة «عمرو بن العاص» للقبطى المصرى الذى ضرب ابنه ابن ذلك القبلى «ما أنتم إلا عبيد إحساناتنا» فيلقها على لسان الخديو توفيق، ويرد عليه عرابي «لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثاً أو عقاراً

مطالبها بواسطة هؤلاء الجنود، فهم القوة التنفيذية لكل ما هو نافع للوطن. فقال القنصل: إذن أنتم تريدون تنفيذ هذه المطالب بالقوة وهو ما قد يؤدى إلى ضياع بلدكم. فرد عرابي: إن هذا لن يحدث أبداً، فمن ذا الذى يستطيع مجادلتنا فى إصلاح شئوننا الداخلية، إننا سنقاتل ضده حتى آخر رجل. وأدرك الخديوى أنه لن يستطيع أن يعتمد على حرسه الخاص فرضه للمطالب بشرط أن يتم منحها تدريجياً. «الفرحة التى عمت البلاد كانت فرحة عارمة واحتفلت الأمة بثورة سبتمبر السلمية، واعتقدت أنها ستستطيع الحصول على خلاصها»، وفى تعليق المستر ويلفريد بلنت على أحداث تلك الفترة قائلاً: «كانت الأشهر الثلاثة التى أعقبت هذا الحدث العظيم أسعد فترات البلاد، وفى تلك الفترة اتحدت كل أحزاب البلاد، وكل سكان القاهرة، لتحقيق فكرة وطنية عظيمة، وارتفعت زغاريد الفرحة فى مصر كلها بشكل لم يسبق له مثيل منذ عدة قرون، وكان سكان القاهرة يتوقفون لتقبيل بعضهم بعضاً فرحاً بيزوغ عهد الحرية المدهش.



عرايى فى منفاه فى سيلان (سريلانكا حالياً)

عرايى، ولعل هذا مما حملة على كتابة مذكراته - كما يقول: (فأنى قد اطلعت على كثير من الجرائد والتواريخ العربية والإفريقية الموضوعة فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فلم أجد فيها ما يقرب من الحقيقة، أو يشفى غليل روادها من أبناء الأمة، لذلك رأيت أن أكتب للناس كتاباً يهتدون به إلى تلك الحقيقة المرموقة تمحيصاً سميت - كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية.

إننا لا نستطيع التشكيك فى الدور الوطنى لعرايى فالواقفة الشهيرة فى ميدان عابدين فى 9 سبتمبر 1891 لم تكن وليدة اللحظة ولكنها امتداد لنضال شعبى متصل منذ عهد الخديو إسماعيل ضد المظالم التى تعرض لها المصريون من حكامهم ومن تدخل الدول الاستعمارية.

انتهت قصة الزعيم البطل أحمد عرايى نهاية لا يستحقها بطل مثله، دفع راحته واستقراره ثمناً لفداء الوطن، وبعد عودته لمصر ظل يتعبد فى منزله حتى توفى فى 22 سبتمبر سنة 1911 م.

خوفاً على الوطن نظراً لما قام به الإنجليز من تخريب ودمار، وحفاظاً على القاهرة من الدمار سلم نفسه فداء للأمة، وحكم عليه بالنفى إلى جزيرة سريلانكا، وتبقى الحقيقة التاريخية أنه سواء قامت الثورة العرابية أم لم تقم كان الاحتلال البريطانى سيقع حتماً لأن سياسة الدول رهينة بإستراتيجية طويلة المدى حفاظاً على مصالحها، لذا فإن عرايى بريء من مسئولية وقوع الاحتلال. صحيح أنه أخطأ فى بعض المواقف، ولكن كان غدر من حوله أكبر من تفكيره، وكانت نواياه الحسنة سبباً فى ضياع ما كان يأمل فيه، إلا أنه يبقى فارساً فى موكب التاريخ ثار من أجل الحرية، ودافع عن القيم الأخلاقية مردداً أنه لا فلاح لقوم استعبدوا لشهواتهم.

فالحكم على الثورة العرابية وفقاً لمقاييس عصرنا حكم ظالم لأنها قامت فى ظروف تختلف عن ظروفنا، فهى ثورة شعب تضامن مع جيشه الذى خرج يطلب أن يصدر دستور يقضى على تحكم الشراكسة فى السيطرة على الجيش.

لم يلق بطل من الافتراء ما لقى

حتى نورث، فوالله الذى لا إله إلا هو إننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم» لتذكرنا بالمقولة المنسوبة لعمر بن الخطاب «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، ويتضح أن هذا الحوار البلاغى الذى كتب من الذاكرة لم يتم بالشكل المشار إليه، وإن كان ذلك لا ينفي الواقعة ولا مطالب عرايى بشكل أو بآخر.

إنه فى عام 1882م وخلال معركة كفر الدوار الثانية كان الأهالى يمدون الجيش بالأموال والرجال بسخاء عظيم حتى يمكن أن يقال أن المقاومة التى قادها عرايى والتى استمرت شهرين لم تكلف قرشاً واحداً بل دفع نفقاتها الأهالى مما يدل على أن حركة المصريين لم تكن مصطنعة بل كانت صادرة من قلوب مملوءة بحب الوطن.

أما الباحثة تلى بلقيس فتوصلت فى دراستها عن الثورة العرابية ومن خلال الوثائق الأجنبية والمذكرات الشخصية للمعاصرين للأحداث إلى نتائج أبرزها أن عرايى وزملاءه ناضلوا بحق من أجل وطنهم، ولم يكن استسلامهم إلا

لقاء سنوسرت الأول مع حليم ولبنى

المتحف المفتوح في المطرية



من منا لم يشاهد فيلم الوسادة الخالية عشرات المرات؟ ومن منا لم يتساءل عن الموقع الأثري الذي تم فيه تصوير لقاء عبدالحليم حافظ مع لبنى عبدالعزيز؟ إنه متحف المطرية المفتوح الذي أعادت وزارة الآثار افتتاحه منذ أسابيع، وهو يحتوى على مسلة الملك العظيم سنوسرت الأول تقف شامخة بين 135 قطعة أثرية نادرة تعود إلى عصر الدولة المصرية القديمة، وتحديداً للأسرة 12 حيث أقيمت المسلة الجميلة المنحوتة من جرانيت أسوان الوردى أمام معبد الإله رع لتمجد حكم ذلك الملك العظيم الذى حكم مصر 45 عاماً من مدينة أون أو هليوبوليس والتي أصبحت المطرية الآن.



سفير هشام الزيميتي

hisham_elzimaity@yahoo.com

ابن رع سنوسرت المحبوب أرواح أون، معطى الحياة إلى الأبد، الإله الجميل هو من أقام هذه المسلة. إن إعادة افتتاح هذا المتحف الجميل سيزيد حتماً الوعي الأثري لدى سكان المنطقة المحيطة بالأثر والمعروفة بميدان المسلة بالمطرية. فهذا المتحف المفتوح يحكى لنا تاريخ إحدى أقدم المدن المصرية وهى مدينة أون

ففى قلب مدينة «أون» مركز عبادة إله الشمس آتون رع، التى ظلت مقراً لجامعة الكهنة فى مصر القديمة، كان كل ملك يأمر بنحت مسلة تحمل اسمه لتنصيبها داخل معبد الإله «رع» المتمثل فى قرص الشمس، ومنها خرجت كل المسلات المصرية الواقفة بشموخ فى ميادين أوروبا لتحمل معها اسم تلك المدينة القديمة وعقيدة المصريين منذ آلاف السنين. وكعادة الملوك، أقام الملك سنوسرت الأول احتفالاً ملكياً مهيباً بمناسبة تربيعة على عرش مصر طوال 45 عاماً وكشف خلاله عن المسلة التى تحمل اسمه وتمجد حكمه لتظل على مدار أكثر من أربعة آلاف عام تحكى نقوشها الهيروغليفية عنه، والتى تنص على أنه حورس المولود من الحياة ملك مصر العليا ومصر السفلى،

حيث اكتشفت أيضاً أجزاء من مسلة الملك تتى الأول أحد ملوك الأسرة السادسة، وتمثال للملك سيتى الثانى راکعاً يقدم القرابين، وتمثال آخر للملك رمسيس الثانى برداء الكاهن محفور فى الحجر الرملى، ومجموعة من الأعمدة من الجرانيت الأسود من عصر الملك مرنبتاح، وأجزاء من مقابر وتوابيت ومقصورات جميلة. لقد كان المخرج صلاح أبوسيف ذكياً حين اختار هذا الموقع الفريد عام 1957 للقاء بطلى رواية إحسان عبدالقدوس النجمين عبدالحليم حافظ ولبنى عبدالعزيز. ولعل محبى هذين النجمين يذهبون الآن للتمتع بمتحف المطرية المفتوح وآثاره المبهرة بعد أن عاد للحياة مرة أخرى.

معزوفة من الحجر



من بيمارستان المؤيدى إلى تكية البسطامى، ومن درب اللبانة إلى مقعد الأمير ماماي

وصف الأستاذ د. خالد العنانى وزير الآثار تراثنا، خلال الاحتفال بانتهاء أعمال الترميم فى بيمارستان المؤيد شيخ المحمودى بقوله "إن تراثنا جملة حضارية ينطقها الحجر والبشر عبر أزمنة تتغير وخبرات تتراكم، لتجعل العالم بتاريخه وحاضره مكاناً أفضل". وأضاف "إن التعرف على الممتلك الثقافى والتراثى وتنمية الوعى المجتمعى يجعل الشعوب جديرة بتراثها ويمنحها فرصتها لصياغة واقعها فى طور حضارى جديد وفاعل". وأوضح د. العنانى للحضور من الأجانب والمصريين أن بوابة درب اللبانة هى باب حارة مصرية قديمة، وبيمارستان المؤيد شيخ المحمودى هو مستشفى مملوكى عتيق، وأن تكية البسطامى هى مقر لسكن ودرس الصوفية، وأن مقعد الأمير ماماي السيفى بالجمالية عرف ببيت القاضى نظراً لاستخدامه كمقر لعقد جلسات دائرة القضاء العالى، مشيراً إلى «أربعة آثار نحفظها للأجيال القادمة ونزيل عنها غباراً قديماً، لتظهر معالمها التاريخية والأثرية وتضاف لخارطة المعرفة المصرية بصورة أكثر تألقاً لنؤكد دائماً جدارة مدينة القاهرة التاريخية على قائمة التراث العالمى جوهرًا وروحًا».

بيمارستان المؤيد شيخ المحمودى

هو منشأة رعاية اجتماعية - تقع أسفل قلعة صلاح الدين- وتعنى مستشفى أو دار للمرضى وفقاً لأصلها اللغوى الفارسى، أنشأها الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الذى يعد من أقوى سلاطين الجراكسة فى مصر عام 1420م، ويقع بسكة الكومى، من شارع المحجر «باب الوزير» أمام دار المحفوظات بالقلعة. وهو ثانى بيمارستان باق على مستوى القاهرة بعد بيمارستان قلاوون فى شارع المعز وأشهر البيمارستانات الباقية على مستوى العالم. وهى منشأة صممت لغرض الاستشفاء لها كوادرها المنظمة وتخصصاتها الطبية المتنوعة - باطنة وعلاج نفسى وعظام



واجهة البيمارستان بعد الترميم وازهار الزخارف الملونة

جولة في ساحتنا الثقافية الثرية

وكحالة- وطب العيون- وتركيب الأدوية وتخصصات أخرى، ومنوطة بتقديم خدمة طبية عامة وفقاً لحجة وقفها بأرشيف وزارة الأوقاف باسم السلطان المؤيد شيخ المحمودي.

وقد أقيم البيمارستان على ربوة عالية تسمى «الصوة» بالقلعة في موقع المدرسة الأشرفية التي أنشأها السلطان الأشرف شعبان بن حسين عام 1267م - العصر المملوكي البحري- ثم قام بهدمها الناصر فرج بن برقوق عام 1411م وكان يستخدم مكان البيمارستان العالي في الضرب على القلعة أثناء حصارها - في أوقات الفتن والاضطرابات- نظراً لبناء البيمارستان على ربوة مرتفعة تجاه الطبلخانة السلطانية بالقلعة، كما كان المتحصنون بالقلعة يقومون أيضاً بضرب المدرسة الأشرفية، مما كان له أكبر الأثر في هدمها ثم قام السلطان المؤيد شيخ ببناء البيمارستان على بقاياها. وعندما اعتلى المؤيد شيخ عرش مصر عام 1418م ووفقاً لوصف المقرئ في الخطط فقد حولها لبيمارستان للمرضى وأنشأ به مصلى وضع فيه منبراً ورتب له خطيباً وإماماً ومؤذنين وخدماء وأقيمت فيه صلاة الجمعة في مارس - إبريل 1423م. ونزل فيه المرضى وعملت مصارفه من جملة أوقاف جامع المؤيد شيخ بجوار باب زويلة.

تكية تقي الدين البسطامي

أصل تكية البسطامي - المجاورة لبيمارستان المؤيد شيخ المحمودي- زاوية أنشأها السلطان حسام الدين لاجين عام 1276م وفقاً لنص تأسيس محفوظ بمتحف الفن الإسلامي، وقد بنيت لأحد شيوخ التصوف يقال له «تقي الدين رجب بن أشيرك البسطامي العجمي» فأقام بها حتى توفي 1293، وتقع هذه التكية بدرب اللبانة خلف مدرسة قايتباي الرماح وبجوار منزل على لبيب. وأقيمت التكية على ربوة عالية تسمى «الصوة» المبنى عليها بيمارستان المؤيد شيخ المحمودي. كما يوجد نص تأسيس آخر على يسار الداخل للزاوية باسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون مؤرخ بسنة 1299م، كما أن السلطان أبوسعيد جقمق قد جدد فيها وأثبت لقبه بالنص التأسيسي على جانب المدخل عام 1426م.

واستخدمت الزاوية في العصر العثماني 1780م مقراً للمتصوفين الأوزبكي والبخاريين وعرفت بالتكية البخارية. وتحمل التكية إلى جوار قيمتها المعمارية قيمة روحية تخص عالم التصوف وقيمه وطقوسه وصلات اجتماعية تخص طوائف متصوفة بخارة والأوزبكي الذين سكنوها وأداروا دولا العمل بها. وعدت منزلاً للصوفية الغرباء المنقطعين للعبادة.



الزخارف على واجهة البيمارستان بعد أعمال التنظيف والترميم



بوابة درب اللبانة

يرجع تاريخ إنشائها إلى القرن 14 معاصر لفترة المماليك البحرية، وتقع حارة درب اللبانة بجوار تكية تقى الدين البسطامى ومواجهة لمسجد الرفاعى. والبوابة واحدة من أقدم بوابات حارات عاصمتنا وأزقتها المكتملة والمؤكدة على احتفاظ مدينة القاهرة بعناصرها المرفقية الدالة على تخطيطها العتيق.

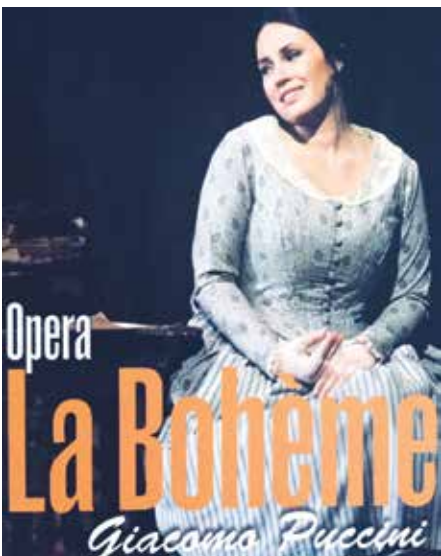


البوابة بعد انتهاء أعمال الترميم

مقعد الأمير مامى السيفى

يطل المقعد على ميدان بيت القاضى بمنطقة الجمالية، حيث قام بإنشاء القصر الأمير مامى السيفى أحد كبار قادة جيش المماليك الجراكسة فى فترة حكم السلطان قايتباى عام 1496 م. كان المقعد ملحقاً بقصر الأمير مامى الفخم الذى كان مدخله يقع بالضلع الجنوبى الشرقى والذى يشغله حالياً مبنى الدمغة والموازين - وأسفلها بوابة بيت القاضى - وقد أطلق العامة على القصر فى العصر العثمانى بيت القاضى» نظراً لاستخدامه كمقر لعقد جلسات دائرة القضاء العالى العثمانية أى المحكمة الشرعية وسكنى للقاضى. واستمرت المحكمة بالمقعد حتى عام 1900 م وقد لعبت هذه المحكمة دوراً مهماً فى حياة القاهرة السياسية حيث كانت الانتفاضات والثورات الشعبية ضد الوالى العثمانى تتجمع أمام مقر المحكمة مطالبة القاضى بإصدار فتوى بتولية محمد على ولاية مصر. وشهد الموقع تطوراً عمرانياً كبيراً فى أواخر القرن التاسع عشر حين تم هدم العديد من المنشآت الأثرية بالمنطقة ومنها قاعات قصر الأمير مامى السيفى على يد مصلحة التنظيم حينها عام 1897 م لشق شارع بيت القاضى، ليصل شارع المعز بشارع الجمالية، وذلك فى إطار مشروع الخديو إسماعيل العمرانى لتطوير مدينة القاهرة «باريس الشرق». وقد حمل المقعد ذكريات خاصة فى طفولة أديبنا العالمى الراحل نجيب محفوظ - وهو من أبناء هذا الحي - حيث أخبره والده عن رؤيته للقاضى فى هذا المقعد وهو جالس يفصل فى القضايا الشرعية.

المتروبوليتان فى القاهرة على الهواء من نيويورك الأوبرا الجميلة



عنوان "مشاهد من الحياة البوهيمية" نشرها عام 1851 واعتبرت من الأدب الفرنسى الكلاسيكى. وقد عرضت فى أوبرا تورينو لأول مرة فى أول فبراير 1896 ومازالت تكتسب شعبية لواقعيتها وسلاسة ألحانها. وقد استوحى منها حلمى حليم عام 1955 قصة الفيلم المصرى الجميل "أيامنا الحلوة" الذى قام بإخراجه أيضاً. ويقال إن الفنانة القديرة الراحلة فاتن حمامة طلبت أن تكون أجزاء من موسيقى "البوهيمية" فى خلفية المشاهد الأخيرة والحزينة للفيلم، إلا أن المخرج حلمى حليم لم يوافقها على أساس تناقض الحالة الموسيقية النفسية لأوبرا البوهيمية مع الروح المرحية لأغنيات عبدالحليم حافظ "هى دى هى فرحة الدنيا"، و"ليه تشغل بالك ليه"، والتي وظفها المخرج بشكل ذكى لتبث الأمل فى الحياة رغم قسوتها. وفى حقيقة الأمر فقد كان حلمى حليم عبقرياً حين سمى قصته "أيامنا الحلوة" فى حين كان الأوقع أن تسمى أيامنا البائسة، إلا أنه رأى أن المزاج العام المصرى لن يتقبل سوى ما يبث الأمل والمرح، من ذلك إيجاد دور أحببناه جميعاً لفنانة الزمن الراقى زينات صدقى، رغم أن القصة تحكى، كما هو معلوم، مأساة فتاة وثلاثة شبان أذلهم الفقر، ثم يقضى المرض على بطلة الرواية. هذا، وتستمر العروض المنقولة بثاً حياً من نيويورك طوال هذا الموسم الشتوى تسقينا فناً وإبداعاً. أما المفاجأة السارة فى الموسم الجديد فهى بث أوبرا عايدة فى شكلها الجديد يوم 6 أكتوبر 2018 من إخراج أهم مخرجى المسرح فى عالم اليوم فرانكو زفيريللى، فتحكى فى يوم النصر الكبير قصة انتصار جيش مصر العظيم. فالفن الجميل الراقى هو أسمى وأنبىل ما يمكن للحياة أن تهبنا.

كم هى متعة لمحبي فن الأوبرا أن يجلسوا فى مقاعدهم بالمسرح الصغير بدار أوبرا القاهرة، ليشاهدوا على الهواء بثاً مباشراً من أوبرا المتروبوليتان، جوهرة الفن فى نيويورك. وكم هو موفق انتقاء الأوبرات التى جرى بثها هذا الموسم، فذلك الفن الراقى مبهج للنفوس ويرتقى بالذوق العام، ويأخذ المشاهد إلى زمن الأوبرا الجميل. فأوبرا "توسكا" لحنها العبقرى جياكومو بوتشيني وعرضت للمرة الأولى فى روما فى 14 يناير 1900 وهى عمل ميلودرامى يصور فترة من عام 1800 فى روما التى كان يهددها جيش نابليون. وأبطال هذه الدراما هم ماريو كافارادوسى الرسام المحب لفلوريدا توسكا التى تبادلته الحب، وثالثهم هو قائد الشرطة سكاربيا الذى يمثل جانب الشر، ويريد أن يحرم توسكا من حبها. وما يزيد متعة المشاهدة أنه خلال فترتى الاستراحة بين الفصول الثلاثة، تستضيف المذبة فى كواليس المسرح، المايسترو وأبطال الرواية، وكذلك مصممي الديكور والملابس والإضاءة، بحيث يعيش المشاهد فى مصر تجربة فريدة غير متاحة للجمهور فى المسرح فى نيويورك خاصة مع مشاهدة عملية تغيير ديكورات المشاهد التى ينفذها أكثر من مائة فنى يحركون أطناناً من الديكورات بدقة متناهية. وكم هو رائع أن تكون القاهرة ضمن سبعين مدينة يتم البث المباشر إليها، وقد تحقق ذلك بجهد مشكور لمؤسسة ساويرس ومسئولى دار الأوبرا، والمصرى عاشق الأوبرا الأستاذ محمود عبدالله عضو مجلس أمناء أوبرا المتروبوليتان. أما الأوبرا الثانية هذا الموسم، فكانت "أكسير الحب" للملحن جيتانو دونيزيتى. وقد عرضت لأول مرة فى ميلانو فى 12 مايو 1832. وأما الأوبرا الثالثة فهى أوبرا «البوهيمية» للملحن العبقرى جياكومو بوتشيني عن قصة هنرى ميرجيه التى حملت

وعدت إلى كاشكايش

عدت إلى كاشكايش ضاحية العاصمة البرتغالية ومضيفها على ساحل المحيط الأطلنطى بعد 32 عاماً من انتهاء أول مهمة لى كدبلوماسى فى الخارج. يقولون إن أول «بؤست» مثل أول حب لا ينسى. وها أنا ذا أعود، لكن ناموس الكون التغيير، فتلك الضاحية الهادئة تضاعفت مساحتها عدة مرات، فلم أعد أتبين طريقى إلا بمعدات الإرشاد الإلكترونية. الأسعار التى كانت زهيدة أصبحت عالمية، فالمال الذى كنت أنفقه فى أفخر الأماكن بلا حساب أصبح يخضع لتخطيط فى بلد ارتفعت معيشة مواطنه سبع مرات فى تلك الفترة.



سفير د. هادى التونسى

arabemaluco@hotmail.com

فيها مازالوا على أصالتهم. ذلك الأدب واللفظ والاحترام والتفهم والود والرحمة والتواضع فيما يبدو بالرغم من عصر العولمة والجموح والتعصب والتوحش فى دول أخرى، مازالت الفنون والحرف القديمة حية، ومازال البلد صغيراً جميلاً رومانسياً يجئ إليه مواطنو الشمال بحثاً عن الحياة الوداعة والجو الجميل والشواطىء الدافئة والمعمار الأصيل المتناسق. ومازال شعباً فقد امبراطورية واسعة فى البرازيل وأفريقيا لكنه حافظ على ثراء ثقافته وتراثه وأسلوب حياته. وما زالت البرتغال نقطة تلاقى لحضارات وثقافات وشعوب تصارعت فيما بينها لكنها تألفت فى بوتقة البرتغال المسالمة الهادئة، ووجد كل منهم شيئاً من نفسه ليسكن إليها شيئاً من غيره يتمتع به أو يتقبله. فالصحة تذهب، لكن الحكمة تجئ. والعمر يتقدم، لكن النفس تصفو. والشباب أصبح لغيرنا، لكننا نمتن لحياة أثرتنا ونتمناها لهم.

لنوم الليل أو قلة من ساعاته. أين أصدقاءه الكثيرون، ربما أعطتهم الحياة أحياناً وأخذت منهم فيما لا يعوض، مثلما حدث معه، ربما أصبح هامشياً فى حياتهم حتى لو التقاهم، ربما تغيروا مثلما تغير بعدما عركتهم الحياة. كنت شاباً ألتذ بمباهج الحياة وممتانة الصحة، وأصبحت مسناً أكثر سكيناً وحكمة وأعمق فكراً وأنقى روحاً وأفضل تواصلاً، فأبدلت السعادة المادية بالروحية والنفسية، بعد أن حولت مشقة الرياضة إلى مشقة ترويض النفس، وتعب مجاهدة الحياة إلى راحة تقبل حكماتها وواقعها. أعود إلى البرتغال، فالناس

كنت شاباً أهزأ بالتساؤل حول الصحة، فلم يكن المرض أو الموت فى الحساب لرياضى قوى الجسد يمارس سباقات الماراثون ويتفوق فى الإسكواش والتجديف، وجعل الجرى عادة يومية، وأفرط فى الغذاء والسهر والحميات القاسية كأسلوب حياة، لكننى الآن أجنى ثمار التفريط فى آلام الظهر وتلك الأمراض الصغيرة التى تتوالى فتقعدنى عن ممارسة الرياضة وتلجئنى إلى المسكنات بعد مشى ساعتين أو أكثر، وأجنيها فى حميات اعتاد عليها جسدى فلم يعد يستجيب حتى للتغذية الصحية أو المتقشفة كمية ونوعاً. فالصحة سباق خاسر مع الزمن، ودورة الحياة إلى انتهاء يوماً ما حتى لو لم أصب بمرض عضال. أذهب إلى أماكن الذكريات الجميلة، فأجدها مجرد ذكريات، أنتشى بها لسويغات لكنى أعود إلى واقع تغير الحال سنناً وصحة وصحبة. فأين ذلك الشاب المتعطش للحياة المفعم بالنشاط الذى لا يعود لمنزله إلا

زمن المسرح الجميل

سيكون تركيزى فى هذا المقال على المسرح الحديث، مع إيضاح أن صفة الجميل تعود على الزمن وليس على هذا النوع من المسرح. فقد شهد تاريخ المسرح طفرة فى منتصف القرن العشرين بازدهار مسرح العبث.

وتطور مع المسرح الملتزم لدى سارتر، ثم تبلور عند Peter Weiss الذى قدم له مسرح الطليعة المصرى مسرحية Marat Sade فى السبعينيات حول اغتيال أحد زعماء الثورة الفرنسية. وقد مثل هذا الاتجاه فى مصر الكاتب ميخائيل رومان والمخرج كرم مطاوع فى مسرحيتين رائعتين: ليلة مصرع جيفارا، و28 سبتمبر «عن وفاة الرئيس عبدالناصر».

وللأسف أن هذه النوعية من المسرح أيضاً لا تنطبق عليها صفة الجمال لأنها مجرد مرآة للواقع السياسى القبيح الذى تعاني منه الأغلبية العظمى من سكان الكوكب فى ظل هيمنة أقلية مستغلة سواء بين الدول أو داخل الدولة، ولا تتأتى مقاومته دون تضحيات جسيمة بقيادة أبطال يتحولون بفعل موتهم نفسه إلى أسطورة.

إلا أن مشكلة المباشرة فى الفن هى أن المضمون لا يكفى وإنما يستلزم أسلوباً للتناول يمتاز بالبرقة أما الأسلوب الفج فيكون كالحلاقة بشفرة غليظة.. وكرد فعل لهذه الرؤية الصراعية ازدهر فى بداية السبعينيات المسرح الشامل الذى ضم الرقص والغناء ومن أشهر أعماله Hair عاكساً فلسفة الهيبيز التى لا تخلو من السذاجة فى استبدال الحرب بالحب مؤكدة قدرة الزهور على التصدى للسلاح Flower Power ولم يتورع المسرح الشامل من تناول الموضوعات الدينية مثل حياة المسيح عليه السلام من خلال الرقص وغناء الروك Jesus Christ Super Star ورغم اعتراض الكنيسة على هذا العمل الساخر إلا أننى واثق من أنه جذب ملايين الشباب إلى المسيحية لأنه نجح فى مخاطبتهم بلغة العصر وبأسلوب يراعى الحساسية



سفير د. محمد حسونة

mohammad.eternitynow@gmail.com

كما اعترف الشاعر صلاح عبدالصبور بتأثير أعمال يونسكو على مسرحيته «مسافر ليل» وأذكر أنى شاهدت مسرحية Breath لبيكيت وقد استغرقت نصف دقيقة وهى عبارة عن شهيق وزفير وصرخة ثم أسدل الستار. ورغم أن المسافة بين العبث والجنون قد تختزل إلى مجرد شعرة، فقد عكست هذه الفلسفة رؤية الإنسان الغربى فى أعقاب التدمير الهائل الذى خلفته الحرب العالمية الثانية، وتعتبر نتيجة لغلبة الإلحاد على الفكر الغربى الحديث. والعجيب أن بيكيت حصل أيضاً على جائزة نوبل عام 1969. ولن أنسى وجهه الذى صادفته مراراً يعلو بقامته الفارعة معظم المشاة فى شارع سان ميشيل فى باريس: فريداً فى تجاعيده وحدة نظرتة ومزوداً بأذن فىل.

والحمد لله أن كامو اجتاز هذه المرحلة العبثية خلال تطوره الفكرى نحو فلسفة التمرد، وطبقها فى مسرحية «العدالون» التى تطرح إشكالية الفرق بين المقاومة والإرهاب.

على النقيض من تلك المدرسة العبثية ظهر تيار آخر هو المسرح السياسى المباشر الذى بدأ فى ألمانيا مع Brecht

والعبث فلسفة أسسها ودافع عنها فى المرحلة الأولى من حياته المفكر الفرنسى Albert Camus مستلهماً إياها من أعمال الروائى التشيكى الفذ Kafka وصاغها فى كتابه «أسطورة سيزيف» الذى حكمت عليه آلهة الإغريق بأن يدفع جلود صخر نحو قمة جبل شاهقة حتى ينحدر ثم يعود فيدفعه نحو نفس القمة من جديد حتى ينحدر وهكذا.. إلا أن كامو وجد فى موقف سيزيف إزاء هذا المصير تحدياً للقدر وطبق كامو هذه الفلسفة فى مسرحيته «كاليجولا» «الإمبراطور المختل عقلياً» والتى سبق أن أخرجها نبيل الألفى فى المسرح الرومانى بالإسكندرية.

وجدير بالذكر أن كامو حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام 1957 وقد انعكست هذه الفلسفة العبثية لدى مجموعة من كتاب المسرح لهما رائدان بلغا أقصى حرية فى الحوار والمواقف المسرحية: الأول من خلال الكوميديا وهو الكاتب الرومانى Ionesco والثانى من خلال التراجيديا وهو الكاتب الإيرلندى Beckett وكلاهما اختار الإقامة فى فرنسا.

ويمثل هذا التحول المسرحى مرحلة التجريد فى الفن التشكيلى التى ترجع إلى Kandinsky حيث يسعى الفنان للتحرر من سيطرة المعنى. ومن أشهر أعمال يونسكو «الخرتيت» حيث يتناول داء «الخرتة» أى ظاهرة المحاكاة العمياء والعدوى الجماهيرية التى تستغلها النظم الشمولية فى إخضاع الشعوب. أما أشهر مسرحيات بيكيت فهى «فى انتظار جودو» واستمرت عروض هاتين المسرحيتين فى باريس أكثر من نصف قرن وقد تأثر توفيق الحكيم بهذا المسرح فى «يا طالع الشجرة».



مسرحية Marat Sade

اقترب الواقع من البشاعة فإن الإبداع الفني يستقطر رحيق الجمال من بين الأشواك، ومهما بلغت مرارته فإنه يستخلص العذوبة من الصبر والتناقص من الفوضى والمعنى من العيث.. إن الفنان يقطف من قلب النار زهرة العشق فيحول لسعها عسلا ويحول الضوضاء زقزقة، والأحزان صفاءات.

إن جوهر الحضارة يكمن في لذة العطاء ومتعة البذل، ومحرکہا الحلم بالخلود رغم أنف الموت باعتباره نهاية للوهم وبداية للحياة الحقة، وزيتها الوعي بمعنى الزمن والإحساس بقيمة كل لحظة حتى الأخيرة: من قال إن الموت أسوأ لحظة في الحياة؟

إن معجزة الحضارة هي أن يقول الإنسان للحظة الموت: أنت الأبهج!!

ألا تستحق إذن أن يبني لها هرمًا؟ أو ينحت من أجلها قناعاً من الذهب الخالص حتى يليق الواقع المخلد بحلم الخلود، ويكون الآن جديراً بالأبد؟

«اعمل لديك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا» هل يوجد تعريف عملي للسلوك الحضاري أوقع من هذا؟

وكم نحتاج لتاريخ المسرح المتأرجح بين «كأنك» الأولى و«كأنك» الثانية لندرك نقطة التوازن المعجز بينهما.

بأسلوب يتجاوز استعراض السيرك لينفذ إلى جوهر الرموز التي تؤثر في وجدان البشر من مختلف الحضارات وربما كان للجواد علاقة حميمة بالإنسان على مر العصور حيث يكاد يقرأ أفكاره معبراً عن آلامه وأفراحه مثلما نجده في لوحات المصور الرومانسي Gericault وقد اختتم إحدى مسرحياته ببراق يتأهل للإقلاع.

وهذه التجارب المسرحية تعتبر محاولة للمصالحة بين النزوع الدائم للحرية والانجذاب للجمال من أجل تحقيق التناغم بين النفس والكون إذ لا يمكن أن يكون الفنان صادقاً إذا تجاهل الظلم والقهر والعدوان مهما تنكر بالدفاع عن النفس: فبقدر تفاعله مع عصره يكون تأثيره في العصور التالية من خلال خلق شخصيات أسطورية من بروميثيوس إلى هاملت وروميو وجوليت. إن منظومة الانفعالات الإنسانية التي يتناولها المسرح تحصن المتفرج ضد اللا متوقع سواء كان محنة أو فرحة، وتحرره من سجن الأنا ومن الزمن الخطي وتجعله مستعداً على الدوام للانطلاق نحو زمن مغاير متعدد الأبعاد والزوايا: مفتوح على الأجمل والأعدل والأسمى والأبقى والأرقى!!! فمهما ابتعد المسرح عن الجمال أو

الجديدة التي تجلت في ألحان Frank Lloyd Weber وذلك بفاعلية أشد من أي وعظ مباشر.

وقد بلغ المسرح الشامل ذروته مع إشراك المتفرجين الكامل في العرض المسرحي عن المخرجة الفرنسية Manoushkine حيث تم إلغاء الكراسي والخشبة وسكون المتفرج الذي فرضت عليه التحرك في «مسرح الشمس».

وبالتوازي مع ذلك ظهر «المسرح الفقير» مع الكاتب البولندي Grotowski الذي استلهم أعماله المخرج البريطاني Peter Brook مجسداً الحوار بين الحضارات من خلال مسرحيات منفتحة على مختلف الثقافات الهندية والفارسية والصوفية وحتى البدائية بل ومن خلال إشراك ممثلين من مختلف الجنسيات في مسرحياته حتى لو تناول نصا لشيكسبير مع تعمه إهمال الديكور والملابس ليكون كل التركيز على باطن الممثل وليس ظاهره وقد نشرت دار الهلال أعماله الكاملة مؤخراً.

وفي نفس السياق ظهر في فرنسا عبقري آخر هو Bartabas تناول نصوصاً كورية أو هندية، حيث تعرفت من خلال مسرحياته لأول مرة على الموسيقى الكورية وتشارك في كل عروضه مجموعة من الخيول ولكن

الكتابة بهوية عربية

«إنه لا ينقصني إلا القليل حتى أبدأ فى تعلم اللغة العربية،
إننى أود أن أتعلم أبجديتها على الأقل»، جوتة (1749-1832)*

أصالتها المعجمية، واستعمالاتها التراثية، وفى المصادر العربية القديمة ما يلقي الضوء على الحضارة التاريخية، والدور الحضارى الذى قام به المسلمون فى تاريخ الكتابة التى صارت فى شكل مخطوط، أي كتاب، أو مصدر علمى موثق مكتوب بخط اليد، قبل أن ينشأ علم عربى هو علم تحقيق المخطوطات حديثاً، وفى ذلك ما يبين تاريخ تأسيس أوائل المكتبات فى العالم؛ إذ حفلت المكتبة العربية بتاريخ لامع على مر العصور، بلغ فيه الاهتمام بالكتاب مبلغاً كبيراً، حتى صارت المكتبة بمثابة المعهد العلمى أو المدرسة، أو المنتدى العلمى، أو المركز الثقافى، يضم القراءة والترجمة والنقل والتعليم، كما صور أحمد أمين فى ضحى الإسلام الثقافات فى ذلك العصر، وهى: الفارسية، والهندية، واليونانية والرومانية، والعربية، والدينية، وحديثه عن: امتزاج الثقافات، ووصف الحركة العلمية، بما فى ذلك معاهد العلم فى العصر العباسى، ومراكز الحياة العقلية، وكما فصل عبد الستار الحلوجى فى المخطوط العربى منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجرى.

وحدثنا مصادر تراثية عن طرق إعداد الكتاب، وصناعته، ومن ذلك



أ.د. يوسف نوفل
شاعر وناقد أدبى

ثم إلى إسبانيا 950م، وبخاصة طليطلة، ثم صقلية 1102م، وإيطاليا 1154م، فألمانيا 1228م، ليتأخر عن إنجلترا حتى عام 1309م، بعد أن كان قد صنع بمصر 800م، وبمكة المكرمة سنة 787م، الأمر الذى ساعد المخطوط العربى على الانتشار، لتتعدد مواد الكتابة بين: العسب والكرانييف، والأكتاف والأضلاع، واللخاف: الحجارة الرقيقة البيضاء، والرق والأديم والقضيم من الجلود، والمهراق: الثوب الحريرى الأبيض، والبردى، والورق، وأدواتها فى: القلم، والمذبة، والمقط، أو المعصمة: قطعة صلبة من الرخام، والمقلمة، والمفرشة، والممسحة، والمداد من: العفص، والزاج، والصمغ، أو السناج (الدخان)، والدواة.

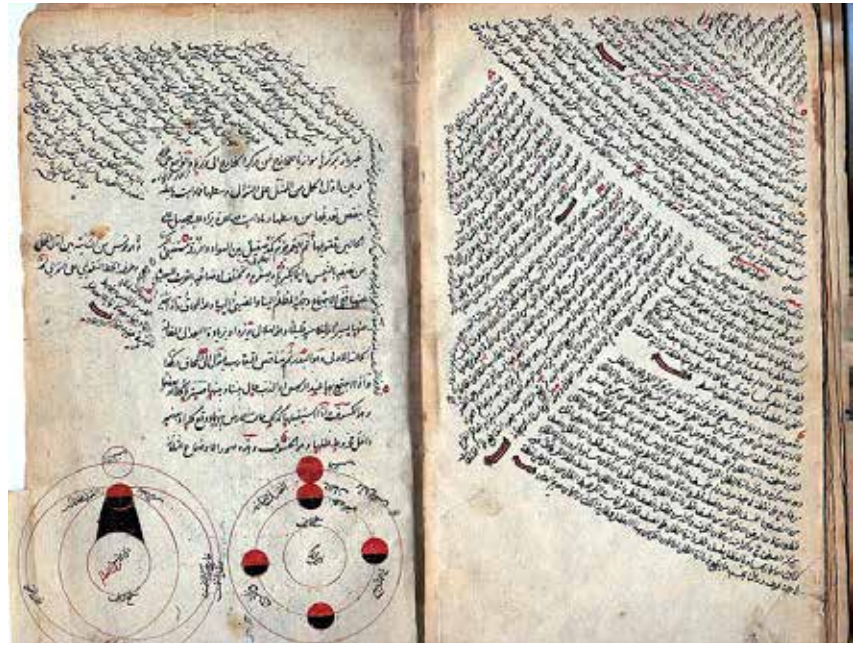
ولمادة « كتب » ومشتقاتها وجود راسخ فى المعاجم العربية، ودلت جذور كلمة « الكتابة » على

تمكّن المصريين القدماء من صناعة ورق البردى، واحتكروا تداوله، وكان تصديره عن طريق الإسكندرية فى العصر البطلمى، حيث كانت تنتشر مصانعه فى الإسكندرية، وشرق الدلتا، والفيوم، وكانت الفسطاط أقوى مراكز إنتاجه، واقتربت المساكن بوجود تلك المصانع، وكانت المصانع المصرية تنتج منه سبعة أصناف، وقد استخدم المسلمون هذا الورق، وأطلقوا عليه قراطيس، وآخر ما وجد منه يعود إلى بدايات الدولة الإخشيدية سنة 935م. وكان الصينيون رواد صناعة الورق من لحاء الشجر، ومن شرانق الحرير، وعندهم انتشر فى كوريا واليابان، حتى وصل الورق سمرقند سنة 700م، التى فتحت على يدى القائد قتيبة بن مسلم الباهلى سنة 712م، كما عرفه العرب منذ فتح فرغانة، ثم احتضنت بغداد أول مصانع الورق، فزادت معرفتهم به أيام الرشيد، وأسس الفضل بن يحيى والى خراسان وابن يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد مصنعاً وانتقلت صناعته إلى العرب على أيدى الأسرى الصينيين، فانتشرت مصانعه بالعراق، وبلاد ما وراء النهر، ثم بدمشق، وبطرابلس الشام وطبرية بفلسطين، وشمالى المغرب العربى،

*عن: جوتة والعالم العربى، كارتارينا مومزن، ترجمة عدنان عباس على، مراجعة عبد الغفار مكاوى، عالم المعرفة (194)، الكويت 1995 ص 49.

كعسب النخل، والبان، والسلام، كما أن فى تنقيح الحوليات من الشعر ما يدل على كتابتها، وللمسماني كتاب هو «أدب الإملاء والاستملاء»، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يملأ وعليّ يكتب حتى ملأ بطن الأديم، وظهره، وأكارعه، وكانت أول آية فى القرآن الكريم (اقرأ): «اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم»، ولأن القلم من أدوات العلم والثقافة والمعرفة ذكره الله تعالى فى الآية الرابعة السابقة، وأقسم به فى سورة باسمه: «نون والقلم وما يسطرون»، كما أقسم بالكتاب، وذكر الرق: «والطور، وكتاب مسطور فى رق منشور».

وجرى القلم على السنة الشعراء كثيرا، وأطلقت عليه أسماء عديدة منها: اليراع، والمزبر، ويصنع من الغاب، أو السعف، أو القصب، وذكرت الآثار المداد والدواة والمحبرة. وعلاقة الإنسان بالقلم قديمة منذ صناعته البدائية من القصب المبري من طرفه، مع مداد من سواد الدخان، أو فحم الخشب مع الماء والصمغ، ومنذ استخدام اللون الأحمر لإبراز المعنى، ويرجع تاريخ الحبر الصينى إلى 1200 ق.م، وفى مخطوط (كتاب المجالس والمسامرات) لأبى حنيفة النعمان أن المعز لدين الله الفاطمى اقترح إيجاد قلم بداخله مداده، وتم له ذلك، وفى المخطوطة التوصية بالبدء باسم الله، وبيان طريقة الكتابة وفى مقال عنوانه (مخطوط نادر عن كيفية إمساك القلم عند الكتابة)، وقد أمر ذلك الخليفة معذ بن إسماعيل بن القائم بن المهدي عبيد الله الفاطمى العبيدى (931م -



(قلاموس)، أى القصب، والمداد، والعسب، والعظام، والجلود، والألواح، والحجارة، والورق، وبخاصة منذ أواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى). بل عرفوا (السبورة) فى شكل جريدة من الألواح، وسميت مستورة، ويحكى ابن النديم حكاية طريفة حول هيك قديم ببلاد الروم كان موطنه مغبد، وبعد محاولات تمكن القوم من فتحه ليجدوا عجائب من أهمها كتب قديمة حملت على ألف جمل. قال شعبان بن عنين لزهير بن معاوية: «أخرج كتبك، فقال أنا أحفظ من كتبى»، ومن المعلوم تحدر بعض الشعر الجاهلى عن طريق الكتابة والرواية المتوارثة، واستعان الشعراء فى تدوين أشعارهم وإنشادها بالكتابة، وأثبت «كرنكوف» ذلك فى كتابه استعمال الكتابة فى حفظ الشعر العربى، على نحو ما نجد فى دواوين الشعر الجاهلى لدى امرئ القيس، وبشر بن أبى خازم، وزهير بن أبى سلمى، وعبيد بن الأبرص، والناطقة الديباني من إشارات كثيرة للكتابة، والأقلام والمهراق، والمهاريق، ومواد الكتابة

كتاب (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا) للقلقشندي، و(جوهر الكنز - تلخيص كنز البراعة فى أدوات ذوى البراعة) لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، على نحو ما سنذكر من اهتمامه بصناعة الكتاب والمكتبات، و(مواد البيان)، الذى نقل عنه القلقشندي كثيرا، وهو لعل بن خلف الذى قال فى كتابه إنه يصنف: «كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها ليجد من يعنى بهذه الصناعة جميع ما يرومه من أصولها وفروعها التى فرقها المصنفون فى كتبهم مودعة فيه، ويعرف بها الطالب جلاله خطرها وارتفاع قدرها من بين الصنائع، ويصرف همه إليها ليتميز من انتمى إليها بالاسم دون الرسم وبالزى دون المعنى»، وهى مصادر تكشف عن تاريخ صناعة الكتاب، ومتطلباتها، وصورها، وشروطها، وهى تكشف - إلى جانب قيمتها - عن قيمة هذه الصناعة وخطورتها، بوصف الكتاب وعاء للمعرفة.

وقد ذكر العرب كثيرا من أدوات الكتابة من: القلم عن أصله اليونانى

الكتابة بهوية عربية

975م) صاحب مصر وأفريقيا، الذي فتح بلاد المغرب، ومصر، واختط مدينة القاهرة - أمر أن يصنع له قلم يحمل حبره، وينساب الحبر إلى ريشته ذاتيا عند الكتابة، فصنع القلم من الذهب الخالص، وأوردته المؤرخة «ألبرت جور» في كتابها (مواد الكتابة في المشرق).

وقد حثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم على العلم وتعلم الكتابة والقراءة؛ بحثاً عن المعرفة. بل حث أصحابه على تعلم لغات الأمم المجاورة، ومما يرويه البخاري أنه أمر زيدا بن ثابت بتعلم كتابة اليهود حتى يطمئن إلى عدم تحريفهم النص العربي، كما أمره أن يتعلم السريانية إلى جانب معرفته الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية. وخبر افتداء الأسرى من قريش وتعليم الصبية من أبناء المسلمين القراءة والكتابة خبر مشهور معروف.

ومعرفة العرب للكتابة قضية دار حولها جدل كثير، والثابت أنهم سَجَلُوا بها عهودهم، ومواثيقهم، ووصاياهم، وصكوكهم، وصحفهم، ورسائلهم الخاصة، سواء أكانت على الحجارة، أو القباب، أو الأبواب، أو الأعمدة.

النقوش العربية

خَلَّف العرب نقوشا وكتابة محفورة في الصخور في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية، في حياة مدنات قديمة على الأرض العربية في: اليمن، وعلى أرض صحراء النفود والذهناء، وعلى شواطئ الخليج العربي، وأطلق «



صفحة من كتاب كشميري يوضح مراحل صناعة الورق

ديتلف نيلسن» عليها «عربي قديم»، بعد أن عثر «أوتينج» في شمالي البلاد العربية على نقوش «معينية»، وسجل نيلسون هذه التسمية في بحثه، وفي كتاب التاريخ العربي القديم.

وقال الجاحظ: «..كانوا يجعلون الكتاب حفرا في الصخور، ونقشا في الحجارة، وحلقة مركبة في البنيان، فربما كان الكتاب هو الناتج، وربما كان الكتاب هو الحفر إذا كان تأريخا لأمر جم، أو عهدا لأمر عظيم، أو موعظة يرتجى نفعها، أو إحياء شرف يريدون تخليد ذكره، كما كتبوا على قبة غمدان، وعلى عمود مأرب، وعلى المشقر، وعلى القيروان، وعلى سمرقند، يعمدون إلى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخط في أبعد المواضع من الدثور، ومنعها من الدروس، وأجدر أن يراها من مر بها، ولا تنسى

على وجه الدهر».

كما كان قلم تلك النقوش، فيما قبل الإسلام، غالبا، القلم المسند، أقدم الأقلام، ومعه الأقلام المشتقة منه، والمسند، كما يقول الزبيدي في تاج العروس: «خط بالحميري مخالف لخطنا هذا كانوا يكتبونه أيام ملكهم فيما بينهم... باليمن»، وهو ما أيده ابن خلدون.

والنقوش المدونة والمشتقة منه نوعان: عربية جنوبية، وأخرى عربية شمالية، تشمل الأولى لهجات أهمها: المعينية، والسبئية، والقبتانية، والحضرية، والأوسانية، وتشمل الثانية لهجات أهمها: التمودية، والصفوية، والليانية، وأقرب الشمالية إلى القرآن الكريم ما كتب بقلم قريب من الخط النبطي المشتق من القلم الآرامي المتأخر.

وقد صنف العلماء تلك النقوش في ثلاثة أنواع هي: (المخربشات)، وهي كتابة رديئة ينقشها الرعاة، غالبا، وبها أسماء أفراد وآلهة.

و(القبوريات)، وهي الشاهد على القبر باسم صاحبه وقبيلته وآلهته وبعض الجمل التحذيرية بعدم العبث، والتخويف من غضب الآلهة، ومن بينها شاهد عثر عليه قرب القطيف بالمنطقة الشرقية بالسعودية بالقلم المسند، وآخر بالفاو عثر عليه بعثة جامعة الملك سعود، وفق حديث عبد الرحمن الأنصاري، وهنا نذكر ما يضاف لحديث المدن في فصل التاريخ إشارة إلى مدينة الفاو وتاريخها القديم.

و(النقوش)، وهي في مقدمة مصادر التاريخ القديم، وفي مقدمة ما يفيد العلماء، وأكثر ما عرف منها

منها الصحف، والسجل، والمداد، والأقلام... إلخ، حيث نجد فيه لفظ كتاب معرفة ونكرة دالا على الكتب السماوية كالقرآن: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين»، و«هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه»، و«نزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شيء هدى ورحمة»، «وقالوا أساطير الأولين اكتتبها»، و«حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه...»، و«ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس...»، و«أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكمة...»، وفي آيات أخر وهكذا صدق قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أن أبا بكر «أول من جمع بين اللوحين»، ثم كان عمل عثمان رضي الله عنه في جمع الناس على مصحف واحد، ذي نسخ مرسلة إلى الأمصار.

واستمر انتشار الكتابة في عصر صدر الإسلام، وكثر كتاب الوحي حتى بلغوا ستة عشر كتابا، وقيل بلغوا ثلاثة وعشرين، أو أربعين، كما يذكر القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن)، كان في مقدمتهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ووجد من كان يكتب للرسول بعض أموره، وكان القرآن الكريم أول ما جمعه بين دفتين في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وظل لديه، ثم آل - بعد ذلك - إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب، حتى أرسل لها عثمان بن عفان فنسخ منها نسخا إلى كل أفق، وزَّعها في الأمصار، ويرجعون أنها كتبت على الرق، وهكذا نطقَتْ هوية الكتاب العربي في تنوير عصور الظلام، وأسهمت في حركة «الرينيسانس»، والإحياء الأوروبي في العصور الوسطى ولذلك حديث آخر.



نقشة أم الجمل وترجع إلى حوالي سنة 270 م، ونقشة النمارة، وترجع إلى حوالي سنة 238 م، ونقشة زبد، المؤرخ سنة 512 م، وقد ظهر الإسلام وفي قریش سبعة عشر رجلا من الكاتبين، وفي الأوس والخزرج عدد من الكتاب بلغوا نحو أحد عشر رجلا.

وفي آيات القرآن الكريم ما يثبت معرفة القراءة والكتابة، ومن الباحثين من رأى الكتابة ومشتقاتها في القرآن أكثر من 300 مرة،

عربية جنوبية، كالنص القتباني عن الضرائب، والنصان، وهما عن التجارة، والنص السبئي في عهد الملك شمريهرعش عن البيوع والتجارة، والنص القتباني في القرن الرابع للميلاد، ونصوص أخرى عن الحروب.

وفي النقوش حديث عن القبائل والمواقع، مثل: عكم في تهامة اليمن، ودوات، وسهرت، وصحر، وضمد، وعكوتن، وصيبة، وعسير. ومن النقوش النبطية الشهيرة:

الغناء الوطنى وأثره فى المشاعر الإنسانية

الغناء هو فن التعبير عن المشاعر الإنسانية فى كل أحوالها، وهو أسرع الفنون وصولاً للجماهير بحكم طبيعته ووسائل توصيله. فهناك الغناء العاطفى، والوصفى، والدينى، والوطنى. ولكل لون من هذه الألوان طابعه الذى يميزه. وعن الفنون قال الشاعر صالح جودت فى طقطوقة (الفن) التى شدا بها موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب من ألحانه عام 1946، ويقول مطلعها:

جدوى أنشأوا
العلم العجيب
ومجرى النيل
فى الوادى الخصيب
لهم فى الدنيا
آلاف السنين
ويبنى الكون
وهما موجودين

ونشيد (اليوم يومك يا جنود)
كلمات محمود بيرم التونسي،
تلحين وغناء سيد درويش وحياء
صبرى والمجموعة، ويقول مطلعها:

اليوم يومك يا جنود
ماتجعليش للروح تمن
يوم المدافع والبارود
مالكيش غيره فى الزمن
عار على الجند الجمود
إلا إذا لفوا الكفن

- وفى عام 1923 قدم سيد
درويش من كلماته وتلحينه
نشيد (فليعيش وطننا) معبراً عن
الوحدة الوطنية بين أبناء الشعب
فى مواجهة الاحتلال البريطانى
ويقول مطلعها:

فليعيش وطننا وحدته أملنا كلنا
جميعاً للوطن ضحية
نجمع صليبنا ويا هلالنا



أ.د. زين نصار

أستاذ النقد الموسيقى بإكاديمية الفنون

zeinnassar1942@gmail.com

الثورة بما قدمه من ألحان ألهبت
الشعور الوطنى لدى أبناء الشعب
المصرى فى ذلك الوقت، ومن
أمثلة تلك الألحان نشيد (قوم يا
مصرى) عام 1919 كلمات بديع
خيرى تلحين وغناء سيد درويش،
ويقول مطلعها:

قوم يا مصرى

مصر دايماً بتناديك

خد بنصرى

نصرى دين واجب عليك

ونشيد (أنا المصرى) الذى
يقول مطلعها:

أنا المصرى

كريم العنصرين

بنيت المجد

بين الإهرامين

ياللى بدعتوا الفنون
وفى إيدكوا أسرارها
دنيا الفنون دى جميلة
وانتوا أزهارها
والفن لحن القلوب
يلعب بأوتارها

ونلقى الضوء على أحد ألوان
الغناء المصرى وهو الغناء الوطنى،
ومدى تأثيره فى نفوس المصريين
ومواكبته لكل الأحداث التى مرت
بها مصر. فقد استطاع الغناء
الوطنى أن يؤدى دوراً جوهرياً فى
إشعال الروح الوطنية بين أبناء
الشعب المصرى خلال مراحل
كفاحه، وقد واكبت الأغاني الوطنية
أهم الأحداث التى مرت بها مصر
فى كفاحها الذى توجهت بثوراتها
المتتابعة، وأولى تلك الثورات
كانت ثورة الشعب المصرى عام
1919 التى اندلعت ضد الاحتلال
البريطانى، للمطالبة بجلاء القوات
البريطانية فوجدنا أشعار أحمد
شوقى وحافظ إبراهيم، كما جاءت
تماثيل محمود مختار معبرة
عن الروح المصرية، وكان فنان
الشعب سيد درويش (1892 -
1923) هو الذى عبر عن روح تلك



ام كلثوم وجمال عبد الناصر



سيد درويش

السنباطى، ويقول مطلعها:

مصر التى فى خاطرى وفى فمى
أحبها من كل روحى ودمى
يا ليت كل مؤمن بعزها
يحبها حبى لها
بنى الحمى والوطن
من منكم يحبها مثلى أنا
نحبها من روحنا
ونفتديها بالعزيز الأكرم
من عمرنا وجهدنا

وقد كان لهذه الأناشيد التى تقذف كلماتها حمماً مشتعلة أكبر الأثر فى تمهيد الطريق وتهئية النفوس لقيام ثورة 23 يوليو 1952. وبعد أن استقرت الأمور فى البلاد، بدأ الفدائيون المصريون بدعم من رجال الثورة يحيلون حياة جنود الاحتلال البريطانى إلى جحيم، بعملياتهم فاضطروا إلى الجلوس على مائدة المفاوضات التى انتهت بتوقيع اتفاقية الجلاء يوم 18 يونيو 1954 على أن يتم جلاء آخر جندى بريطانى عن مصر فى 18 يونيو 1956. وبهذه المناسبة لحن وغنى عبد الوهاب

مأمون الشناوى، نشيد (الجهاد) ويقول مطلعاه:

هتف الداعى ونادى للجهاد
أى بشرى يوم نادانى النفير
نحن شعب ملك الدنيا وساد
ونما والدهر فى المهد صغير
كل مصرى ينادى
أنا ملك لبلادى

وفى عام 1952 وقبل الثورة قدم عبدالوهاب أيضاً من كلمات كامل الشناوى، نشيد (الحرية) الذى يقول مطلعاه:

كنت فى صمتك مرغم
كنت فى صبرك مكره
فتكلم وتألم
وتعلم كيف تكره
عرضك الغالى على الظالم هان
ومشى العار إليه وإليك
أرضك الحرة غطاها الهوان
وطغى الظلم عليها وعليك
قدم الآجال قربانا لعرضك
اجعل العمر سياجا حول أرضك

وفى نفس العام (1952) غنت أم كلثوم قصيدة (صوت الوطن) كلمات أحمد رامى وتلحين رياض

فى حبك أنت يا حرية

- وفى نفس العام لحن سيد درويش نشيد (بلادى بلادى لك حبى وفؤادى) كلمات محمد يونس القاضى، والذى صار فيما بعد السلام الوطنى لجمهورية مصر العربية، ومطلع النشيد مستوحى من كلمة للزعيم مصطفى كامل، ويقول مطلعاه:

بلادى بلادى بلادى
لك حبى وفؤادى
مصر يا أم البلاد
أنت غايتى والمراد
وعلى كل العباد
كم لنيلك من أيادى

- كان لكل تلك الأناشيد وغيرها دورها الفعال فى إشعال الروح الوطنية لدى أبناء الشعب لمقاومة الاحتلال البريطانى والحصول على الاستقلال.

وفى عام 1939 قدمت عدة أناشيد تحرض على الثورة ضد الاحتلال البريطانى، وتمهد لها، فقد غنى موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب من ألحانه وكلمات



محمود الشريف



محمد عبد الوهاب

الغناء الوطنى وأثره فى المشاعر الإنسانية

من كلمات عبد المنعم السباعى
نشيد (يا مصر تم الهنا) والذى
يقول مطلعته:
المجموعة:

يامصر تم الهنا
بهمة الأحرار
من بعد سبعين سنة
الليل طلع له نهار
عبد الوهاب:
ياما صبرنا سنين ياما
وياما طال الليل بينا
راح الضلام والنور جانا
يارب نور ليالينا
واكتب لنا ألف سلامة
فى كل خطوة ف خطاونا
بقى لنا دلوقتى كرامة
أحرار بنحكم أراضينا

- وفى نفس المناسبة غنت
كوكب الشرق أم كلثوم نشيد
(الجلاء) كلمات أحمد رامى
وتلحين محمد الموجى - الذى
كان أول ملحن شاب تستعين به -
ويقول مطلعته:

يامصر إن الحق جاء
فاستقبلى فجر الرجاء
اليوم قد تم الجلاء
ونلت غايات المنى
ومصر قرت أعينا

وحين وقع العدوان الثلاثى
على مصر فى أكتوبر 1956،
ومنذ اللحظات الأولى للعدوان
سارع الفنانون المصريون شعراء
وملحنون ومطربون ومطربات
وموسيقيون وموزعون وقادة

بالقنابل لهدمه، وعلى الفور طلب
المسؤولون بالإذاعة من أم كلثوم
أن تنتقل مع الفرقة الموسيقية إلى
ستوديو مصر لتسجيل النشيد،
حرصاً على سلامتها ولكن أم
كلثوم ردت عليه بكل شجاعة
قائلة «أموت هنا تحت أنقاض
الإذاعة ولا أخرج من الاستوديو».
وهكذا خرج هذا النشيد بكل هذه
المشاعر الوطنية الفياضة، وأذيع
أثناء المعارك، فكان له أكبر الأثر
على أبناء الشعب المصرى. وتقول
كلمات النشيد:

والله زمان يا سلاحي
اشتقت لك فى كفاحي
انطق وقول أنا صاحي ..
يا حرب والله زمان
هموا وضموا الصفوف
شيلوا الحياة على الكفوف
ياما العدو راح يشوف
منكم فى نار الميدان

وفى هذه الأجواء المشتعلة
بالروح الوطنية غنت فائدة كامل
نشيد (دع سمائي) كلمات كامل
عبد الحليم وتلحين على إسماعيل

فرق موسيقية بالتوافد على مبنى
الإذاعة ليساهموا بجهودهم بلا
حدود فى دعم الروح المعنوية
للقاتل المسلحة ولأبناء الشعب.
ومن أناشيد التى قدمت فى ذلك
الوقت نذكر: نشيد (الله أكبر)
كلمات عبد الله شمس الدين،
وتلحين محمود الشريف، وغنته
المجموعة، ويقول مطلعته:

الله أكبر الله أكبر ... الله
أكبر.. فوق كيد المعتدى
والله للمظلوم خير مؤيدى ..
أنا باليقين وبالسلح سأفتدى
بلدى ونور الحق يسطع
فى يدي.. قولوا معي..
الله الله الله أكبر.. الله
فوق كيد المعتدى

وكذلك فقد غنت كوكب الشرق
أم كلثوم نشيد (والله زمان يا
سلاحي)، كلمات صلاح جاهين،
وتلحين كمال الطويل. والجدير
 بالذكر أن الموسيقار كمال الطويل
قال فى حديث أنه أثناء تسجيل
هذا النشيد فى الإذاعة جاءت أخبار
بأن مبنى الإذاعة معرض للقذف



على اسماعيل



عبد الحليم حافظ



صلاح جاهين

المرشدين المصريين والمرشدين
من الدول الصديقة في العمل
في قناة السويس رغم مضاعفة
عدد السفن العابرة فيها لإفشال
الحكومة المصرية في إدارة القناة،
فغنت طقطوقة (فرحة القنال)
كلمات صلاح جاهين وتلحين
محمد الموجي، ويقول مطلعها:

محللك يا مصرى وانت ع الدفة
والنصرة عاملة فى القنال زفة
يا ولاد بلدنا تعالوا ع الضفة
شاوروبا لهم وغنوا لهم وقولوا لهم
ريسنا قال مافيش محال
راح الدخيل وابن البلد كفى
حيوا الرجال السمر فوق السفينة
حيوا اللي جاهدوا عشان
ما يفرح واديننا

ولنفس المناسبة غنى المطرب
الكبير محمد عبد المطلب طقطوقة
(يا سايق الغليون) كلمات صلاح
جاهين، وتلحين محمود الشريف
ويقول مطلعها:

يا سايق الغليون عدى القنال عدى
وقبل ما تعدى خد مننا وادى
دا اللي فحت

فشقوا إليهم جحيم القناة أسودا كواسر تحمى العرين

وفى نهاية عام 1956 وبعد
أن فشل العدوان الثلاثي، غنى
عبد الحليم حافظ نشيد (الله يا
بلادنا الله) كلمات أنور عبد الله
وتلحين محمد عبد الوهاب، تعبيراً
عن التلاحم الكبير بين الجيش
والشعب فى تلك الحرب، وتجلى
ذلك بوضوح فى بورسعيد عندما
توحد أهل المدينة مع الفدائيين
والقوات المسلحة، ووجهوا ضربات
للمعتدين ويقول مطلع النشيد:

الله يا بلادنا الله
على جيشك والشعب معاه
فى جهادك قوة
وسلامتك غنوة يا بلادنا الحلوة
يتسابق فى المجد علاه
الله يا بلادنا الله
بسلاحنا وعزيمتنا
الحامية مقدرش الغاصب
يغلبننا

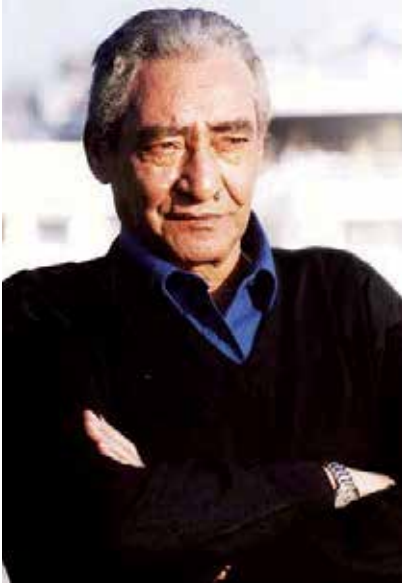
وفى عام 1957 غنت أم
كلثوم تخليداً لقرار تأميم قناة
السويس فى العام السابق وصمود

ويقول مطلعها:
المجموعة:

دع سمائى فسمائى محرقة
دع قنالى فقنالى مغرقة
واحذر الأرض فأرضى صاعقة
دع سمائى دع قنالى
فايدة كامل:
هذه أرضى أنا
وأبى ضحى هنا
وأبى قال لنا
مزقوا أعداءنا

وفى نفس الفترة من عام
1956 وأثناء العدوان الثلاثى على
مصر غنت نجاح سلام نشيد (أنا
النيل مقبرة للغزاة) كلمات محمود
حسن إسماعيل، وتلحين رياض
السنباطى، ويقول مطلعها:
المجموعة:

أنا النيل مقبرة للغزاة
أنا الشعب نارى تبديد الطغاة
أنا الموت فى كل شبر تجاه
عدوك يا مصر لاحت خطاه
نجاح سلام: يد الله فى يدا
أجمعين تصب الهلاك على
المعتدين



عبد الرحمن الابنودي

وحين وقعت هزيمة الخامس من يونيو عام 1967 وفى ذلك الوقت العصيب ظهر الصوت المقاوم والباعث على الأمل، متمثلاً فى نشيد (الله معك) الذى غنته أم كلثوم من كلمات صلاح جاهين وتلحين رياض السنباطى، ويقول مطلع:

راجعين بقوة السلاح
راجعين نحرر الحمى
راجعين كما رجع الصباح
من بعد ليلة مظلمة
جيش العروبة يا بطل الله معك
ما أعظمك ما أروعك ما أشجعك

وفى نفس العام (1967) لحن عبد الوهاب وغنى مع المجموعة نشيد (حى على الفلاح) كلمات الأخوين رحباني، شحذا للهمم، وتجديدا للثقة فى قدرات الجيش المصرى، ويقول مطلع النشيد:

طول ما أملى معايا معايا وفى
أيديا سلاح
هافضل أجاهد وامشى وامشى
من كفاح لكفاح

ودعماً للروح المعنوية للجيش والشعب غنى عبد الحليم



فايدة كامل

**صوت الجماهير ..
هو انتفاض عزم الأبطال**

وفى عام 1965 قدمت أم كلثوم طقطوقة تتغنى بحب الوطن، وهى (يا حبنا الكبير) كلمات عبد الفتاح مصطفى، وتلحين رياض السنباطى، ويقول مطلعها:

يا حبنا الكبير
الأول والأخير
يا ضامنا تحت ضلك
وفى خيرك الكثير
يا حبيب كل الحبايب
اللى حاضر واللى غايب
ملايين لكن فى حبك
كلنا أهل وقرايب
تجمعنا كلمتك
تدفعنا ثورتك

وتعبيراً عن تلاحم طبقات الشعب، غنى عبد الحليم حافظ عام 1966 من كلمات صلاح جاهين، وتلحين كمال الطويل أغنية (صورة)، ويقول مطلعها:

صورة ..
كلنا كده عايزين صورة
صورة للشعب الفرحان ..
تحت الراية المنصورة

الغناء الوطنى وأثره فى المشاعر الإنسانية

بحر القنال جدى

ولنفس المناسبة أيضاً كتب مؤلف الموسيقى رفعت جرانة القصيد السيمفونى (بورسعيد) تخليداً لبطولة أبناء بورسعيد فى مقاومة العدوان الثلاثى، واستخدم فيه جرانة ألحان بعض الأناشيد الوطنية التى قدمت فى تلك الفترة، ونسج منها ألحان قصيده السيمفونى (بورسعيد).

وفى 9 يناير عام 1960، أقيم فى أسوان احتفال كبير بمناسبة وضع حجر الأساس لبناء السد العالى، حضره الرئيس عبد الناصر والرئيس السوفيتى نيكيتا خروشوف والملك محمد الخامس ملك المغرب، حيث غنى عبد الحليم حافظ أغنية (حكاية شعب) كلمات أحمد شفيق كامل، وتلحين كمال الطويل، والتى قدم فيها كمال الطويل شكلاً جديداً فى التلحين.

وفى عام 1963 وتعبيراً عن قوة الجماهير الهادرة وتشبعها بالروح الوطنية المؤثرة فى الأحداث التى مرت بها مصر، وعن هذه الحالة لحن موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب وغنى مع مجموعة الفنانين (فايزة أحمد - عبد الحليم حافظ - نجاه - شادية - فايدة كامل) والمجموعة نشيد (صوت الجماهير) كلمات: حسين السيد، ويقول مطلعها:

**صوت الجماهير ..
هو اللى بيصحى الأجيال**



محمد عبد المطلب

كلمات أحمد شفيق كامل، وتلحين
كمال الطويل، ويقول مطلعها:

خلى السلاح صاحى ..
خلى السلاح صاحى
لو نامت الدنيا
صحيت مع سلاحي
سلاحي فى ايديه
نهار وليل صاحى
ينادى يا ثوار
عدونا غدار
خلى السلاح السلاح
صاحى صاحى

وهكذا فقد عبر الغناء
الوطني عبر العقود عن
مشاعر أبناء الشعب المصرى
فى مراحل كفاحه الوطنى،
وكان ضمن أهم العناصر
التي أشعلت الروح الوطنية
وساهمت بشكل فعال فى
تحقيق النصر.



وردة الجزائرية

ابنك بيقولك يا بطل ..
هاتلى انتصار
ابنك بيقول أنا حوالياه..
الميت مليون العربية

ومع عبور جنود مصر الأبطال
لقناة السويس غنت المجموعة
نشيد (رايات النصر) كلمات نبيلة
قنديل، وتلحين على إسماعيل،
ويقول مطلعها:

رايحين .. رايحين
شاليلين فى إيدنا سلاح
راجعين .. راجعين
رافعين رايات النصر
حالفين .. حالفين
حالفين بعهد الله
نادرين .. نادرين
واهبين حياتنا لمصر

ثم قدمت الفنانة وردة أغنية
(حلو بلادي السمرة) كلمات عبد
الرحيم منصور، وتلحين بليغ
حمدي. وغنت المطربة شريفة
فاضل - التي استشهد ابنها
المقاتل فى الحرب- أغنية (أم
البطل) كلمات نبيلة قنديل وتلحين
على إسماعيل، وغنى عبدالحليم
حافظ أغنية (خلى السلاح صاحى)



كمال الطويل

حافظ أثناء معارك يونيو 1967
فى مبنى الإذاعة والتلفزيون تحت
دوى القنابل، أغنية (أحلف بسماها
وبترابها) كلمات عبدالرحمن
الأبنودى وتلحين كمال الطويل،
وتقول كلماتها:

أحلف بسماها وبترابها
أحلف بدروبها وأبوابها
أحلف بالقمح وبالمصنع
أحلف بالمدنة وبالمدفع
بأولادى فى أيامى الجاية
ما تغيب الشمس العربية
طول ما أنا عايش فوق الدنيا

وأقسم عبد الحليم حافظ أن
يغنى هذه الأغنية فى بداية كل
حفلاته فى أى مكان حتى يتحقق
النصر، وبر بوعده ولم يتوقف عن
غنائها حتى تحقق انتصار الجيش
المصرى فى السادس من أكتوبر
1973.

وكذلك فقد غنى أثناء المعارك
أغنية (ابنك بيقولك يا بطل) كلمات
عبدالرحمن الأبنودى وتلحين كمال
الطويل، ويقول مطلعها:

ابنك بيقولك يا بطل ..
هاتلى نهار

الرقص الشعبي جسر للتواصل بين الشعوب

يمثل الرقص عنصراً مهماً من عناصر الثقافة والهوية لكل الشعوب، وتكاد تكون معظم الثقافات قد اتخذت رقصات خاصة بها. وهناك ارتباط وثيق بين الرقص والأغاني الشعبية إذ تؤدي هذه الإبداعات الحركية بمصاحبة الموسيقى ذات الطابع الإيقاعي، وغالباً ما يعتمد كلاهما - الرقص والموسيقى - في انتقالهما من جيل إلى جيل على التواتر الشفاهي، شأن مفردات إبداعية شعبية مثل الشعر الشعبي والأمثال الشعبية، وغيرهما كثير، وقد نشأت أغلب الرقصات الشعبية كشكل من أشكال الاحتفالات أو الشعائر الدينية أو كوسيلة للسيطرة على قوى خفية، وبُنيت أشكال وحركات كثير من هذه الرقصات على معتقدات خرافية، فمثلاً كان عدد من الرقصات الشعبية القديمة يؤدي في دائرة لاعتقاد البعض أن لهذا الشكل قوى سحرية، وفي بعض الثقافات القديمة كان هناك اعتقاد بأن الحركة الدائرية تجلب الحظ السعيد أو تبعد السوء.

وربما دخل على شكلها بعض أو كثير من التغيرات وفق آليات التأثير والتأثر والتثاقف والتدخل الثقافي، وأصبحت تؤدي في سياقات جديدة ووفق آليات العرض الجماهيري، إضافة لما يقدمه المصممون من رؤى جديدة - استلهاماً واستخداماً وتوظيفاً - اعتماداً على ما هو موجود بشكل فعلي ضمن ممارسات الشعوب في ثقافتها الشعبية الماثورة.

ومن هذا المنطلق ومع انطلاق فكرة البحث عن الهوية الثقافية



أ.د. محمد شبانة

رئيس قسم فنون الأداء الشعبي

أكاديمية الفنون

shabanafolk@gmail.com

أكثر الرقصات الشعبية عن مدلولها الأصلي وتغيرت وظيفتها

وقد استخدمت الشعوب القديمة رقصات بعينها للاحتفال بمناسبات كالولادة، والزواج والموت، كما كانت هناك رقصات تؤدي لعلاج الأمراض أو لنيل الخيرات كمحاصيل وفيرة، أو للاحتفال بالنصر في موقعة حربية، وقد نشأت رقصة التارانتولا الإيطالية في الأصل كوسيلة لعلاج لسعة العنكبوت السام، ورقصة السيف الأسكتلندية للاحتفال بالانتصار في الحرب، أما رقصة موريس الإنجليزية فهي في الأصل رقصة للخصوبة، وما زالت تؤدي من فرق خاصة مدربة من الرجال أو النساء.

وهكذا فإنه «حين يرقص الناس تنمو حاصلات الطعام بوفرة، فإذا قعدوا عن الرقص ترتب على ذلك بالضرورة نقص في المحصول وقلة في المرح، وندرة في سائر الأشياء، وترتب عليه - باختصار مجاعة وتعاسة» كما قال د. رشدي صالح في كتابه «علم الفلكلور». ومع مرور السنين ابتعدت



الرقص على نغمات الناي، من مقبرة نب امون بطيبة، والمنظر بالمتحف البريطاني



سيدة ترقص في أحد الأفراح الشعبية المصرية



الرقص بالعصا في أفراح الصعيد

وفكرة القومية والاهتمام بالثقافة الشعبية بعناصرها ومكوناتها المختلفة من عادات وتقاليد ومعتقدات ووحرف وأزياء وأدوات للزراعة والطعام، وما تضمنه من إبداعات أدبية وموسيقية وحركية وتشكيلية تعبر بها عن آمالها وطموحاتها، وتضفي على حياتها رداء من البهجة والجمال، وفي خضم الزخم الفكرى والمجتمعي في خمسينات القرن الماضي، وفي ظل المد القومى وما صاحبه من حراك وطنى امتد ليشمل كافة مناحى الحياة بحثاً وتأكيذاً على الهوية الثقافية لمصر والمصريين، فى هذا المناخ نشأت فرق الفنون الشعبية لتكون بمثابة التعبير الحركى الجمالى عن الثقافة الشعبية المصرية بكل مفرداتها، نشأت وفق إرادة مجتمعية، وبرعاية من المؤسسة الثقافية الرسمية ممثلة فى وزارة الثقافة، وبدعم وتشجيع من قامات فكرية وفنية تعهدتها بالنصح الفنى والثقافى، فنشأت هذه الفرق فى مناخ إبداعى خلاق ووفق رؤية تعتمد المنهج العلمى فى تعرف الظواهر والمظاهر الشعبية المصرية والتعبير عنها حركياً واستعراضياً وفق رؤية الفنان ودون تقييد لخياله وملكاته الفنية. ومن هنا ظهرت فرقة رضا للفنون الشعبية فى بدايتها كفرقة استعراضية خاصة أسسها الفنان محمود رضا ومجموعة من الفنانين المبدعين والفنانات المبدعات، وبدعم إنسانى وثقافى من رواد الفكر والثقافة مثل د. مهندس

إطار وزارة الثقافة ممثلة فى الهيئة العامة لقصور الثقافة، وبإشراف إدارة الفنون الشعبية بالهيئة. وقد أنشأت هذه الفرق لتعبر عن الخصوصية الثقافية للأقاليم التى نشأت بها، ووفرت الهيئة لهذه الفرق الإمكانيات المادية والكوادر الفنية المؤهلة، ومن الإنصاف أن نشير إلى أهمية الدور الذى تقوم به هذه الفرق فى الحياة الثقافية المصرية، حيث تشارك فى الفاعليات الثقافية والفنية داخل مصر، وتمثل مصر فى المهرجانات والاحتفالات الدولية خارج مصر، وهو ما يؤكد ضرورة دعم هذه الفرق وإلقاء الضوء عليها وإتاحة

حسن فتحى، والأديب يحيى حقى، والدبلوماسى والمفكر توفيق حنا، والأدباء على أحمد باكثير وزكريا الحجاوى ونجيب محفوظ والشاعر عبدالفتاح مصطفى، وموسيقيين مثل أحمد صدقى وعبد الحليم نويرة وغيرهما، ثم انضوت الفرقة تحت وزارة الثقافة، ثم أنشئت الفرقة القومية للفنون الشعبية عام 1960 برعاية د. ثروت عكاشة وزير الثقافة آنذاك.

وبنجاح هاتين الفرقتين الرائدتين، أصبح المجتمع مؤهلاً وراغباً فى هذا النوع من الفنون، ومن ثم فقد اهتمت الدولة بإنشاء فرق جديدة للفنون الشعبية فى



رقصة من وجه بحرى



رقصة العصا، تصميم محمود رضا

الرقص الشعبي جسر للتواصل بين الشعوب

الموارد الكفيلة بتطوير برامجها والحفاظ عليها لتكون بحق ممثلاً مشرفاً للثقافة الشعبية المصرية.

الرقص فى مصر القديمة

عرفت مصر القديمة الرقص منذ عصور ما قبل التاريخ، وتدل الشواهد الأثرية على ارتباط الرقص بالعقائد الدينية السائدة آنذاك، وقد تطور الرقص ووصل ذروة تطوره فى الدولة الحديثة، وخصوصاً فى الأسرتين 18 و19، حيث وصلت الموسيقى آنذاك إلى مستوى من الرقى والسمو، وهو ما جعل الرقص يرقى إلى ذاك المستوى نظراً لارتباطهما الوثيق، ومن ثم فقد أصبحت له قواعده ومناهجه الحاكمة فى أشكاله وأنواعه.

وقد أكثر المصريون القدماء من تصوير مناظر الرقص على مقابرهم ضمن ما صوروه من مظاهر حياتهم اليومية، وهو ما أتاح تكوين فكرة واضحة عن أهمية الرقص فى مصر القديمة

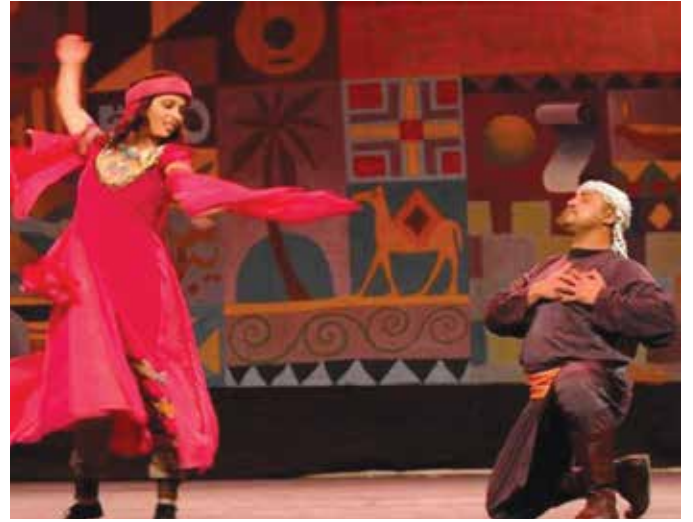
سواء فى الناحية الدينية أو الناحية الدنيوية، حيث يعبر الرقص عن أسلوب الحياة، فهو موجود دائماً فى حالات الفرح، بل والحزن أيضاً. وقد اتخذ الرقص فى مصر القديمة أشكالاً متنوعة، فهناك الرقص الحركى الخالص والرقص الهادىء والرقص بالمرأة والرقص الزوجى ورقص المحاكاة ورقص الأقزام والرقص الحربى والرقص التمثيلى والرقص الموسيقى والرقص الجماعى والرقص الدينى فضلاً عن الرقص الإيقاعى أو الجمباز، ومناظر السيرك التى تم تمثيلها بوضوح فى مقابر «بنى حسن» فى عصرى الانتقال الأول والدولة الوسطى إلى جانب الرقص الجنائزى الذى تقوم به الراقصات أمام مائدة القربان، أو فى الطريق إلى المقبرة، أو لتسلية روح المتوفى.

الرقص فى الثقافة المصرية المعاصرة إن المتأمل لحاضر الثقافة المصرية يلاحظ انحيازاً واضحاً لدى المصريين للتعبير عن أنفسهم بالأداء الحركى المصاحب

العوامل والغوازي



رقصة العصايا



رقصة الدبكة المصرية

الواحات البحرية. وتتميز منطقة قناة السويس بالرقص كعنصر مهم فى سامر الضمة واحتفالات السمسمة سواء فى السويس أو الإسماعيلية أو بورسعيد حيث يشكل الرقص عنصراً أساسياً من عناصر الاحتفالية، وحيث نجد الرقص الفردى والجماعى الذى يحاكي مهناً تمارس فى البحرين الأحمر والمتوسط والقناة مثل صيد السمك وأم الخلول وكذلك مهنة البمبوطية التى يقوم فيها البمبوطى أو رجل القارب باستبدال بضاعة مع السفن المارة أو تقديم بعض الخدمات للعاملين بها.

ومن الممارسات الفنية المتميزة التى تبرز فى احتفالات الزواج فى مدينة السويس ما يعرف بالحنة السويسى، حيث يحمل الشباب صينية الحنة المزينة بالورود ويجوبون بها شوارع المنطقة، مارين أمام منازل أقارب العروسين ومرددين الأغاني مع إيقاعات الطبول والكف، وعند توقف الزفة أمام منازل أحد الأقارب توضع صينية

الذى يتخذ أشكالاً وأنواعاً تتباين بين الرقص الجماعى الذى يشارك فيه كل الحاضرين نساء ورجالاً. فعند الفادجا نجد ما يعرف بدور الأراجيد، وعند الكنوز نجد رقصة الهوللى التى تتميز باستخدام الكف أثناء الرقص، كما يتميز العباددة بما يعرف بدور «التربلة». وقد شرح لنا سمير جابر فى مؤلفه «أطلس الرقصات الشعبية المصرية» الصادر عام 2007 عن المركز القومى للموسيقى والمسرح والفنون الشعبية كل ذلك تفصيلاً، ليتبين لنا مدى غنى وثراء الثقافة النوبية بالعناصر الحركية الفنية التى تتخذ أشكالاً تتيح للجميع التفاعل والمشاركة، وتخلع على الجميع البهجة والسعادة وخصوصاً فى احتفالات الأفراح.

الرقص فى احتفالات السامر

تتميز المجتمعات البدوية المصرية باحتفالات السامر التى تقام للترحيب بالضيوف واحتفالات الأعراس حيث يشكل الرقص عنصراً أساسياً من مكوناتها، وهو ما يتجلى فى سامر الدحية، وسامر الحجالة، وسامر السحجة، وسامر

يهتم المصريون بالرقص كعنصر فنى يعبر عن الفرح والبهجة، وتعتبر مناسبات الزواج مجالاً يتيح الفرصة لكل الأعمار وكل الطبقات للتعبير عن مشاعر الفرح والبهجة من خلال الرقص، ونشير هنا إلى رقص الغوازى والعوالم اللاتى كن يمثلن معلماً من معالم الأفراح فى القاهرة والدلتا والصعيد، إذ تشير بعض الدراسات إلى أن الغوازى كن ينتشرن أساساً فى جنوب مصر وكانت تكثر تجمعاتهم فى إسنا وقنا وجرجا وإدفو، وكن يرقصن بمصاحبة المزمار والرباب، أما فى الشمال فكانت تجمعاتهن فى قرية سنباط، وكن يرقصن بمصاحبة آلات الإيقاع والكولة، أما غوازى بلقاس فكن يرقصن بمصاحبة الآلات النحاسية التى تشبه فرقة حسب الله المعروفة فى القاهرة.

أفراح النوبة

تلقى احتفالات الزواج فى النوبة اهتماماً متزايداً فى الثقافة النوبية حيث تمثل فرصة للقاء وتكريساً للعادات والتقاليد النوبية، والأفراح النوبية عامرة بالرقص



رقصة الحجالة من محافظة مرسى مطروح



الموشحات الراقصة

تبعها إنشاء الفرقة القومية للفنون الشعبية، وهاتان الفرقتان تقعان الآن ضمن المنظومة الإدارية لقطاع الفنون الشعبية بوزارة الثقافة.

فرقة رضا للفنون الشعبية

كان إنشاء فرقة رضا للفنون الشعبية بمثابة فتح جديد للثقافة المصرية فى مجال الرقص والاستعراض، حيث كان لها أبلغ الأثر فى تقديم هذا الفن وترسيخ قيمته فى المجتمع المصرى. وقد كان لظهور أول فرقة مصرية وعربية للفنون الاستعراضية والشعبية ملابس خاصة، فقد ساهم فى خلق هذه الفرقة نخبة من مثقفى مصر وفنانينها الكبار تكاثفت معاً من أجل بزوغ هذا الأمل النبيل، وكان على رأسهم الأديب الكبير يحيى حقى، والدبلوماسى والمفكر توفيق حنا، والأدباء على أحمد باكثير وزكريا الحجاوى ونجيب محفوظ، والشاعر عبدالفتاح مصطفى، وأستاذ الهندسة واللغويات حسن فهمى (والد فريدة الفرقة)، ومن الموسيقيين أحمد صدقى

على الحركة وذلك بمصاحبة الطبل والمزمار.

التعبير الحركى الاعتقادى:

ولا شك أن هناك كثيراً من الممارسات ذات الأبعاد الاعتقادية الحافلة بالتعبير الحركى ذى الدلالات والرموز والأبعاد الفنية، وهو ما يتحقق فى حلقات الذكر لدى الطرق الصوفية الكثيرة والمتنوعة، سواء فى الحضرات التى تعقد داخل المساجد أو خارجها، وكذلك فى موالد الأولياء والقديسين، وكذلك طقوس الزار الاستشفائية بتنوعاتها المختلفة ودقاتها المتنوعة. وهناك رقصات التنورة رغم كونها الآن فناً استعراضياً، لكننا لا نغفل الأسس والأفكار الصوفية التى ترجع إليها أصولها، رغم التغير الحاصل فى الشكل والوظيفة.

فرق الرقص الشعبى

نشأت فرق الرقص الشعبى فى مصر فى كنف وزارة الثقافة، ورغم أن فرقة رضا نشأت كفرقة خاصة عام 1959 إلا أنها انضوت تحت لواء وزارة الثقافة عام 1961، ثم

الرقص الشعبى جسر للتواصل بين الشعوب

الحنة فوق حامل وتتخلق حولها المجموعة فى شكل دائرة ويبدأون بالغناء والحركات الراقصة. وكذلك تتميز مدينة الإسكندرية بسامر «الصهبة الإسكندراني» وتتميز هذه الاحتفالات بالرقصات الفردية التى تنم عن المهارة الفردية فى الرقص باستخدام الكراسى والسكاكين وخلافه وهى رقصات تنتشر فى مجتمعات مصرية عديدة.

الخيال والرقص:

يحظى الخيل العربى الأصيل باهتمام المصريين فى مناطق مختلفة من مصر، وفى الصعيد نجد «البرجاس» وهو من فنون الفروسية واللعب بالعصا فوق ظهر الخيل، وتؤدى بمصاحبة الطبل البلدى والمزمار. وفى محافظات الشرقية والدقهلية وكفر الشيخ نجد الاهتمام بترقيص الخيل حيث يقوم المدرب بتدريب الحصان



رقصة الحجالة



رقصة الشمعدان

من الأعمال الاستعراضية مثل «وفاء النيل»، و«على بابا والأربعين حرامي»، و«رنة الخلال»، إضافة إلى أعمال أخرى كثيرة منها «شوى العصارى»، والحجالة، والدبكة، و«العتبة جازان»، وسيوة، والدحية، و«بياع العرقسوس»، و«مولد الحسين».

الموشحات الراقصة

فى الثمانينات من القرن العشرين قدمت الفرقة لوناً جديداً من ألوان الرقص وهو الموشحات الراقصة التى لاقت نجاحاً كبيراً وهى من تأليف وتلحين فؤاد عبد المجيد، ومن أهم هذه الرقصات، «عجباً لغزال قتال عجباً»، و«لحظ رنا»، و«آه لقلبي والقمر»، و«يا من نشا»، و«دعانى».

رحلات فرقة رضا وجوائزها

طافت فرقة رضا للفنون الشعبية معظم دول العالم، واحتلت المراكز الأولى فى معظم المحافل والمهرجانات الدولية، وقدمت حوالى أكثر من 3000 عرض فى مصر والعالم على أكبر المسارح العالمية منها مسرح هيئة الأمم

يقدر الفرقة وما تقدمه من عروض رفيعة، حيث كانت تقدم عروضها أمام ضيوف مصر من الملوك والرؤساء.

وقام على إدارة الفرقة آنذاك الشقيقان محمود وعلى رضا. وفى عام 1962 انتقلت عروض الفرقة إلى مسرح متروبول حيث أصبح لها نهج خاص وملامح مميزة فى عروض الرقص الاستعراضى. ثم انتقلت بعد ذلك إلى مسرح 26 يوليو بالعتبة، ثم مسرح نقابة المهندسين، ثم دار الأوبرا المصرية، وأخيراً مسرح البالون حيث استقرت هناك.

وفى فترة السبعينات وصل عدد الفنانين من الراقصين والراقصات والموسيقيين إلى 180 فناناً. وكان للقاء الفنى بين الفنان محمود رضا والموسيقار الكبير على إسماعيل أثر طيب على ارتقاء مستوى الفرقة، فقد أسفر ذلك عن إنشاء أول أوركسترا خاص بالفنون الشعبية بقيادة على إسماعيل، الذى أعاد توزيع موسيقى أعمال الفرقة السابقة، وقام بتلحين عدد

وعبدالحليم نويرة وإبراهيم حجاج والفنانة نعيمة عاكف، والمصمم والراقص محمود رضا وشقيقه الفنان على رضا وزوجته فريدة فهمى، ومعهم الرائد الكبير المخرج زكى طليمات. هؤلاء جميعاً وغيرهم تضافرت إبداعاتهم لظهور أوبريت «يا ليل يا عين» كأول استعراض غنائى شعبى مصرى ربما منذ زمن الفراعنة.

قدمت الفرقة أول عروضها على مسرح حديقة الأزبكية فى أغسطس عام 1959، حيث بلغ عدد أعضائها عند التأسيس 13 راقصة و13 راقصاً و13 عازفاً، أغلبهم من خريجي الجامعات. وصمم الفنان محمود رضا وأخرج رقصات الفرقة التى استوحاها من ثقافتنا الشعبية بتنوع عناصرها فى الريف والبدو والسواحل والصعيد، وبفضل هذا التكوين الراقى اكتسب فن الرقص احترام كافة طبقات المجتمع.

وفى عام 1961 أصبحت الفرقة تابعة للدولة، بتكليف من الرئيس عبد الناصر الذى كان

المتحدة فى نيويورك وجنيف، ومسرح الأولمبيا بباريس، ومسرح ألبرت هول بلندن، ومسرح بيتهوفن فى بون، ومسرح ستانسلافسكى فى موسكو. وقد حازت الفرقة على جوائز دولية، ومازالت تجوب دول العالم، حيث تقدم إبداعاً حركياً استعراضياً راقياً مستلهماً من الثقافة المصرية ويعبر عن هويتها.

- الفرقة القومية للفنون الشعبية:

تعتبر الفرقة القومية للفنون الشعبية من أقدم فرق الفنون الشعبية فى مصر، إذ يرجع تاريخ إنشائها إلى عام 1960 بقرار من وزير الثقافة آنذاك د. ثروت عكاشة. وقد استعانت فى بدايتها بمجموعة من خبراء الفن الشعبى من الاتحاد السوفييتى فى مجالى الرقص والموسيقى، وكان أبرزهم خبير الفنون الشعبية رامازين، وضمت أعضاء من خريجى الجامعات المصرية والمعاهد الفنية، وكان الهدف من إنشاء الفرقة هو تأصيل كافة رقصاتنا الشعبية بتعبيراتها الحركية وملابسها وإكسسواراتها من بيئتها الأصلية، بما تشمله من عادات وتقاليد ومعتقدات شعبية، وذلك بالاستناد إلى المنهج العلمى فى جمع وتوثيق هذه الرقصات، ومن ثم نقلها إلى خشبة المسرح بعد إعادة صياغتها بما يتوافق مع فنون العرض الجماهيرى.

وتعتمد الفرقة حالياً على الخبرة المصرية فى مجالى التصميم الحركى والموسيقى المصاحبة، ويبلغ عدد راقصيها 45 راقصاً، أما الراقصات فعددهن 35 راقصة، فى حين كانت الفرقة عند تأسيسها منذ 41 عاماً تضم 56 راقصاً وراقصة فقط.

أشهر رقصات الفرقة القومية

بالرغم من أن فرقة رضا هى الأقدم والأكثر شهرة، إلا أن راقصات الفرقة القومية رسخت فى وجدان الجماهير حيث تميزت بالإغراق فى المحلية والبحث عن رقصات تمثل البيئة بكل ما تحويه من تفاصيل تعكس طبيعة هذه البيئة فمن المدن الساحلية جمعت رقصات تعبر عن واقع الصيادين، وكان من أهم رقصاتها فى هذا المجال رقصة «أم الخلول» الشهيرة حيث نجحت الفرقة فى مسرحة طقوس الصيادين واحتفالاتهم بيوم عمل ورزق وفيهر، واختارت أم الخلول من قواقع البحر نظراً لأهميتها ومكانتها الخاصة عندهم، فصاغت كلمات محلية رشيقة عبرت عن هذه الطقوس على إيقاع رائع، والرقص من تصميم أحمد نديم.

كما نالت رقصة «البمبوتية» نفس الأهمية عند الجماهير فأقبلت على عروض الفرقة. وكانت هذه الرقصة بالتحديد ضمن برنامج الفرقة الأساسى لسنوات طويلة، وكانت من فقرات التلفزيون المصرى المكررة والمحبة للجمهور حيث صورها فى الستينات بالأبيض والأسود ثم أعاد تصويرها مرة أخرى بالألوان بعد

ذلك. ومن الرقصات التى نالت الاهتمام من جانب التلفزيون، تلك الرقصة ذات المستوى الرفيع الذى قدمت به الفرقة لواحده من أهم المهن فى منطقة بورسعيد الساحلية وهى مهنة البمبوتية، وهى تجارة من نوع خاص تقوم بين الصيادين والبواخر الأجنبية القادمة إلى ميناء بورسعيد. وكانت هذه الرقصة سبباً فى معرفة المصريين بتلك المهنة، كما كانت سبباً فى شهرة اثنتين من أهم أعضائها هما عايدة رياض ومشيرة اللتان اتجهتا بعد ذلك للتمثيل. وقد صمم تلك الرقصة كمال نعيم.

ومن أشهر رقصات الفرقة أيضاً والتى تقدمها بشكل خاص خلال عروضها خارج مصر هى رقصة التنورة المستوحاة من الطقوس الصوفية للطريقة المولوية. كذلك نقلت الفرقة لمشاهديها رقصة الغوازي الشهيرة بسنباط مركز زفتى محافظة الغربية، وتسمى أيضاً رقصة العجر وفيها تظهر مهارة الفتيات فى الرقص بالعصا والصاجات على أنغام المزمارة البلدى. وهذه الرقصة من تصميم دولت إبراهيم. ومن الرقصات الشهيرة للفرقة أيضاً رقصة الحصان وهى مستوحاة من رقص الحصان العربى الذى يجيد الحركة على إيقاعات وأنغام المزمارة البلدى ويتميز بالذكاء وطاعة معلمه. وهى من تصميم فتحي أندراوس.

وخلال مشوارها الطويل قدمت الفرقة من تصميم كمال



فيها تعكس هويتنا وثقافتنا الشعبية - تراثاً ومأثوراً- من خلال الفنون الحركية والاستعراضية والغنائية، وحيث كان انضمام مصر عام 1983 للمجلس الدولي للمنظمات والمهرجانات الفلكلورية الأثر الإيجابي في الاحتكاك وتعريف الشعوب الأخرى، من خلال فرق الرقص المشاركة في هذه الفاعليات، بالفنون الراقية المصرية، كما تتيح لمشاركينا الاستفادة من الرؤى الفنية للمبدعين من مختلف الدول. وهكذا تستمر فنون الرقص الشعبي المصري جسراً للتواصل مع الثقافات والشعوب عبر العالم.

الشمعدان» على أنغام الموشحات الأندلسية، وكانت تسمى رقصة الهوانم حيث كانت تقدم في القصور الملكية. ومن الصعيد قدمت الفرقة «رقصة العصايا»، وهي نوع من الرقص بالعصا بين بنات وشباب الصعيد من تصميم كمال نعيم.

وقد قدمت الفرقة القومية عروضها في 105 دول، كما أسهمت كوادرها من مصممي الرقصات والمدربين في دعم إنشاء 80 فرقة للفنون الشعبية في أقاليم مصر المختلفة. فالفعاليات الدولية تؤكد على دور الفنون الشعبية في التقارب بين الشعوب والثقافات المختلفة، ومشاركاتنا

نعيم، رقصة الحبال الشهيبة من محافظة مطروح، حيث تتيح العادات الشعبية لهذه المنطقة للعروس أن تختار عريسها، وذلك على عكس ما هو سائد في الدلتا والصعيد.

وفي تصويرها لمراسم الزواج، نقلت الفرقة طقوس الزواج من النوبة، حيث تمتاز مراسم الزواج هناك بالبساطة في الأداء والثراء في الملابس والغناء والألحان. كما قدمت الفرقة «رقصة الدبكة» (دبكة المجوز) المعروفة في سوريا ولبنان والتي تمتاز بالمهارات الجماعية في الأداء والتشكيلات البديعة من تصميم كمال نعيم. وكذلك قدمت الفرقة «رقصة

عندما تكون الأفلام كيانا جميلاً

ترى لمن يكتب النقد مقالاتهم؟

بالتقريب فإن صناع الأفلام يقدمون أفلامهم لمخاطبة أغلب الناس، في كل أنحاء العالم باعتبار أن السينما عملية تجارية في المقام الأول الهدف الرئيس منها هو الربح بأرقام فلكية، فهي صناعة الأثرياء، أما الناقد فإنه يكتب إلى عدد محدود للغاية مهما كانت أرقام توزيع المطبوعة التي يكتب بها، فلا شك أن عدد الناس التي تشاهد فيلماً جيداً أكثر بكثير من أرقام توزيع كافة الصحف على الإطلاق، فأغلب من يحبون الأفلام لا يقرأون، خاصة فيما يسمى الآن بأزمة الصحافة الفنية، فهناك فارق واضح بين النقد السينمائي وبين المتابعات الصحفية، وللأسف فإن النقد السينمائي الجيد انتقل إلى مواقع السينما في شبكة التواصل الاجتماعي، بعد أن ضاقت مساحة النقد في الصحافة الورقية لأسباب عديدة منها اندثار جيل كبير من النقاد، في الوقت نفسه فإن غياب المجلات المتخصصة وتوزيعها المحدود ترك مساحة كبيرة من الفراغ الثقافي الخاص بالثقافة السينمائية.

أقل عدداً وتوزيعاً وتشبه المدارس والأكاديميات، ولكل من هذه المجلات القارئ الخاص بها. وكلا النوعين يحاول صناعة ما يسمى بالثقافة السينمائية، أى ينظر إلى الفيلم باعتباره أداة تثقيف وتسليية، ولهذه المجلات أهميتها الفائقة فى أنها صاحبة رسالة تنتشر بين الناس، وكما أشرنا فإن هذا النوع من المجلات قد يقل بشدة، ومن المهم من خلال الكتابة عن السينما أو الأفلام أن نتساءل: لماذا نكتب النقد السينمائي؟

هذه المجلات تحاول أن تطرح الإجابات حول ماذا يعنى هذا المصطلح، فهل هناك مقاييس خاصة لجودة فيلم، يعنى هناك مقاييس معروفة فى المسافات، والإضاءة، والأوزان، لكن هل وضع النقد فى دفاترهم مواصفات محددة على صناع الأفلام وإلزامهم بها، كى نقول أن هذا فيلم جيد وهذا فيلم ردىء؟

الأمر صعب ومعقد، ففى بعض الأحيان فإن إجماع رأى النقاد لمنح



محمود قاسم

كاتب صحفى

kasssem1949@live.com

هناك أفلام جيدة ترضى جميع أذواق المتفرجين على مختلف مشارفهم؟

هل هناك مقاييس خاصة للحكم على جودة الأفلام؟

بمتابعة المجلات المتخصصة التى تصدر عن السينما فى العديد من بلاد الغرب والشرق. فإنها بشكل عام تنقسم إلى نوعين، الأولى مجلة منوعات، ومتابعات للعروض الجديدة، وهى تعتمد على نشر الصور، وبعض التحليل للأفلام الجديدة، أما المجلات الأخرى فهى

ورغم كل السلبيات فإن المسافة الكبيرة بين الناقد والجمهور العادى لاتزال تتسع، خاصة فى مصر والبلاد العربية التى تكاد تخلو من إصدارات سينمائية فى زمن ازدهار المهرجانات التى من المفروض أن رسالتها هى تشجيع السينما الجيدة، وها هو الجمهور العريض يخرج لسانه الطويل للناقد وهو يستمر فى منح الحياة إلى الأفلام التى يرى الناقد أنها أعمال تجارية تافهة، قد تكون لها آثار سلبية تعادل الإدمان، وجرائم لا يعاقب عليها القانون، ويعطى الجمهور الغالب ظهره للأفلام التى يمنحها الناقد الكثير من التقدير، وأيضاً الجوائز، ومن هنا تبدو الهوة واسعة بين الطرفين.

ورغم كل العقبات فإن الناقد لم يكف عن أداء دوره التنويرى، ولم تكف الجماهير عن الذهاب إلى السينما لمشاهدة الأفلام مهما كانت الأسباب، والمنافسات، والبدائل، ولعل ذلك يسوقنا أن نتساءل ما هى صفات الفيلم الجيد؟ وهل



العالم كله.

أهمية السينما كفن جماهيرى أنها توحد بين أذواق الناس. فعندما تم اختيار أهم مائة فيلم فى تاريخ السينما فى عام 1996، فالملاحظة الأولى أن كافة الأذواق تتلاقى، فمن يمكنه أن يخرج عن الحس العام أن «اللص والكلاب»، «وغزل البنات»، «وحياة أو موت» هى من الأفلام الجميلة، وقد دأبت مجلات السينما على عمل قوائم بأحسن الأفلام على فترات متقاربة، كأن نقول أجمل مائة فيلم حركة، أو أجمل مائة فيلم خيال علمى، أو فيلم تاريخى، وبالطبع فإن هذا الأمر صعب بالنسبة لأفلامنا العربية، والسبب أن الجيد قليل، والغث كثير. ولعل الكثير من نقادنا استلهموا كتاباتهم من القراءات العامة، ولم تفلح المعاهد بعد فى أن تقدم لنا نقاداً لهم نظريات، ورؤى، بما يعنى أن الدراسة لم تسفر عن ميلاد جيل من النقاد وأغلب من نعرفهم من النقاد لم يدرسوا أكاديمياً، أما الأكاديميون فلم يتميز الكثيرون منهم، لكن ما يمكن أن نجزم به هو أن الأفلام

يوحد بين أذواق الناس

أغلب الظن أن الناس يتوافقون فى الذوق السليم، لذا فإنهم يشاهدون الأفلام فى أماكن مغلقة عليهم فيتحولون إلى كيان واحد، ويرتبط هذا فى المقام الأول بحصاد ثقافة شعب من الشعوب، ورغم ذلك فإن أفلام الحركة تحقق أكبر الإيرادات فى كل أنحاء العالم، وفى الوقت الذى لا نميل فيه نحن العرب إلى السينما الغرائبية فإن هذا النوع له جمهوره المتسع فى



فيلم ما الجائزة الكبرى، قد يثير الدهشة، لكن لا شك أن كل البشر اتفقوا أن فيلم «ذهب مع الريح» انتاج عام 1939 فيلم جيد، وأنه يحمل سمات الفيلم الرونق وقد مر على صناعته قرابة الثمانين عاماً، قد يكون السبب هو ضخامة الانتاج، وغرابة العلاقات الإنسانية، والاستعانة بكبار النجوم، وضخامة الأحداث مثل حريق مدينة تارا، وأجواء الحروب، بما يعنى أن صناع الفيلم كانوا بالغى الجدية وهم يصنعون فيلماً بكل هذه التكاليف، لكن أيضاً فإن فيلم «الشقة» لبيللى وايلدر عام 1961 هو فيلم جيد رغم أن أغلب أحداثه تدور بين الشقة والمكتب، وهو الفيلم الذى حصد جوائز الأوسكار بدلاً من فيلم «سبارتاكوس» كثير التكاليف، والمأخوذ عن رواية عظيمة، والذى قد يجعلك تشك فى أذواق النقاد والسينمائيين المحترفين، كما أن فيلم «زوربا اليونانى» لكوكاينيس عام 1964 قليل التكلفة تم تصويره بالأبيض والأسود، ورغم ذلك فهو جيد.

السينما فن جماهيرى



عندما تكون الأفلام كيانا جميلا

العربية التى نعتبرها الأفضل، كان اختيارها بالفعل عملية بالغة الإتقان، وقد حاول البعض فيما بعد عمل قوائم جديدة فكانت الاختيارات مثيرة للضحك بالفعل. ترى هل هناك مقاييس يمكن للناقد أن يضعها أمامه ويقيس عليها الجودة؟ أولاً الناقد يجب أن يكون لديه الإحساس بالقيمة التى يقدمها الفيلم، وبالأدوات التى يتم استخدامها فى كافة العناصر، هو يدرك المهارة التى يدير بها مدير التصوير الكاميرا ليغير عن الحالة النفسية التى يعيشها الأشخاص، ولذا فإن المصور عبد العزيز فهمى كان دوماً فى حالة صدق، وهو يوجه أدواته للتصوير فى أفلام تبدو فيها الكاميرا كأنها كائن حي يتنفس، ويشاهد، وقلب يخفق فى أفلام عديدة، منها «المومياء»، و«زوجتى والكلب» و«المستحيل»، وبمتابعة مديري التصوير سوف نلاحظ أن لكل كاميرا شخصية

ليس لأن الرقص عمل غير جاد، بل إن الكثير من الفنانين تعاملوا معه باعتباره حالة من قلة القيمة أمام الفيلم التافه فيجد المتفرج نفسه فى حالة اغتراب حقيقية، فليس فى حياة كل منا ابنة ليل، أو ملهى ليلي، إنها قشور تستخدم سينمائياً كنوع من المخدر الرديء الذى يسبب آلام الجسد، أكثر من المتعة، فأنت تجد مخرجاً من طراز كمال الشيخ يتعامل مع موضوعاته بجدية شديدة، لا يميل إلى أن تكون الأغنيات فى الخلفيات، وقد عبر عن استيائه الشديد أن الظروف أجبرته على العمل فى فيلم «من أجل حبي» عام 1958 بطولة فريد الأطرش، ويكاد يكون المخرج الوحيد الذى كان بلا استثناء، باعتبار أن اسم المخرج وحده لا يكفي للذهاب إلى دار العرض إلا إذا كان من طراز ألفريد هيتشكوك، وستانلى كيوبريك، وبيللى وايلدر، وجون فورد، لكن فى خريطتنا فإن عدداً من الأفلام التى أخرجها يوسف شاهين كانت دون المستوى، وينطبق الأمر مع أفلام صلاح أبو سيف، وعاطف



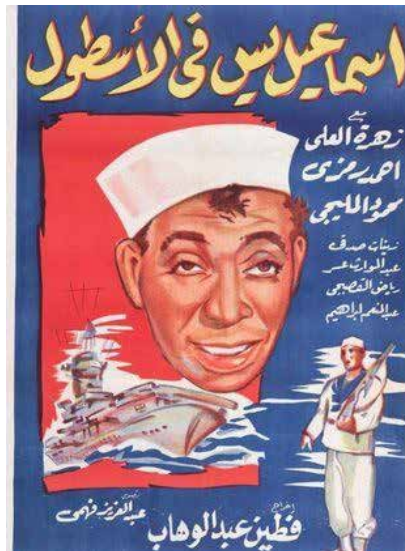


بين بركات فى «أرحم دموعي» 1953 وحسن الإمام فى «حب وكبرياء» 1972 رغم أن الفيلمين عن نفس المصدر، وأيضاً بين المخرج ونفسه فى مراحل من عمره مثلما فعل حسن الإمام بإعادة إخراج أفلامه القديمة فى آخر حياته.

وقد ظلمنا مخرجين بأعينهم كانوا متألقين فى الموهبة، ولم نشاهد أفلامهم كما ينبغى مثلما حدث مع كمال سليم ويجب ألا ننسى الموهوبين الكبار، ومنهم أنور وجدى صاحب «غزل البنات» بمزيجه البسيط الغريب، وأيضاً عز الدين ذو الفقار، الذى كان رقم اثنين بعد كمال الشيخ فى التعامل مع الأفلام وهو يقدم الرومانسيات، والمطاردات. وبالفعل فقد تجاوزنا أسماء كثيرة مهمة لكن لا شك أن لكل مخرج منهم فيلم أو أكثر مس قلوب الناس طوال مسيرتهم فى الحياة، وظللنا ننبض به رغم مرور السنين.

مثل المصير الحتمى لسعيد مهران فى «اللص والكلاب» ولهذا السبب ورغم النجاحات التجارية للكثير من أفلام حسن الإمام فلا شك أنك سوف تشعر بالمبالغة، حتى وإن كانت قصص الأفلام تتناسب مع علاقة المشاهدين بالقدر، والميل إلى التباكى والحزن.

الصدق هو السمة الأولى للفيلم الجيد حتى وإن كان الواقع الذى نعيش فيه مليئاً بالزيف والكذب والرتوش غير الحقيقية، فى هذا تبرز المسافة بين الأفلام وبعضها،



سالم، ونجد الميزان يميل إلى الكثرة فى أفلام نيازى مصطفى، وحسام الدين مصطفى، وهناك استثناءات قليلة فى أفلام حسين كمال، وعاطف الطيب، ومحمد خان، وسعيد مرزوق. أما داود عبد السيد فهو مهندس سينمائى فى اختياراته وأسلوب عمله.

الصدق هو السمة

الأولى للفيلم الجيد

يمكن أن نتوقف عند أسماء أفلام لكل منهم لنعرف أن أصحاب هذه الأفلام وغيرهم تعاملوا بجدية مع السينما مثل حسين كمال صاحب أفلام: «المستحيل»، و«شئ من الخوف»، و«ثرثرة فوق النيل»، ثم داود عبد السيد فى «البحث عن السيد مرزوق» و«الكيت كات». ومحمد خان فى «زوجة رجل مهم»، وبركات صاحب «دعاء الكروان»، و«الحرام». فأنت فى صالة العرض تشعر كأن أبطال الفيلم ينتمون إليك، تعيش معهم فى ظروفهم، وأماكنهم وتواريخهم، وينشرح قلبك لو أصابهم مكروه ربما أكثر مما يحدث فى الواقع،

جمهور الطوب والحجارة

كتب أمير الصحافة عام 1956 أنه هوى قراءة القصص وهو لا يزال تلميذاً في المدرسة الابتدائية، وقال أنه قبل أن يتم السنة العاشرة من عمره، كان قد قرأ معظم القصص الشعبي، مثل «أبوزيد الهلالي سلامة»، ودياب بن غانم، والوزير سالم، والقصص العربي القديم، مثل ألف ليلة وليلة، وسيف بن ذي يزن، وعلى الزئبق المصري، وحمزة البهلوان، وألف يوم ويوم، والهضام بن الجحاف وحسن رأس الغول.. إلخ..

لا لأننى مغرور، أو شديد الطموح، لا أقنع بغير مقاعد الصف الأول، كلا. فأنا أرضى دائماً بأى مقعد نظيف، فى الوسط. ولكننى أرفض أن أكون فى الذيل والمؤخرة. وهكذا مرت السنوات. وفكرة كتابة القصة تساورنى وأنا أصرفها، أو أغلق عليها الأبواب إلى أن كان عام 1944 ويومئذ كتبت أول قصة قصيرة، ولقد كتبتها مضطراً. ففى العام المذكور، أقيمت وزارة الوفد، وقامت وزارة السعديين والدستوريين. وكنت من معارضى الوزارة الجديدة. وضيق الرقابة على الخناق، فكانت تشطب كل ما أكتبه. كتبت فى السياسة، فشطب الرقيب كل ما كتبت. وكتبت تعليقات، أو تعقيبات على الحوادث الجارية، وشطب الرقيب كل ما كتبت. حتى سباق الخيل، كتبت عنه مقالاً فأشر عليه الأستاذ الرقيب (لا ينشر) وسألت الرقيب، الأستاذ توفيق صليب: هل فى مقالى عن سباق الخيل ما قد يثير الخواطر، ويعكر صفو الأمن والنظام؟ قال: ربما. فليس من عادتك أن تكتب عن سباق الخيل! قلت: الآن.. ماذا؟ قال: لا بد أن يكون فى مقالك غمزة، أو تورية، مقصود بها دولة رئيس الحكومة! وكان دولة رئيس الحكومة يومئذ هو المرحوم دكتور



شريفة محمد التابعى

sherifa.eltabeikhairat@gmail.com

والأجنبى - قرأتها وأنا لا أزال فى مقعد الدراسة، وفى سن الشباب، قصص غرامية، وقصص بوليسية، وقصص رحلات، ومغامرات، وقصص عن البحار، وقصص عن الحروب. والذى يقرأ كثيراً، لا بد وأن يحس بالرغبة فى الكتابة. ولقد شاء الله أن أحترف الصحافة، وأن أكتب بالقلم، ومع ذلك، فقد مرت عليّ فى مهنتى هذه - مهنة الكتابة - عشرون سنة قبل أن أكتب أول قصة قصيرة. عشرون سنة كتبت خلالها عن كل شىء، وفى كل شىء، إلا القصة، ذلك لأننى كنت أنهيب كتابة القصص.

كنت أحس برغبة شديدة لكتابة القصة، ولكنى كنت أحس عجزى أو قصورى عن مستوى الكتاب الذين قرأت لهم. ومن هنا كان خوفى وإحجامى عن كتابة القصة،

ولعل شباب ذلك الجيل لم يسمع بأسماء معظم هذه القصص (الكلاسيك)، بل لعل هذه القصص أو معظمها قد اختفى من الأسواق.. ويضيف أمير الصحافة: قرأت كذلك قصص الهلال، وهى القصص التاريخية، التى كان يؤلفها، وينشرها المرحوم جرجى زيدان مؤسس دار الهلال، واللد زميلين المحترمين: إميل وشكرى زيدان.

وفى سن الثانية عشرة بدأت أقرأ القصص المترجمة عن لغات أجنبية. ومنها على سبيل المثال لا الحصر القصص التى كانت تصدرها دار (مسامرات الشعب)، والقصص التى كان يترجمها الأدبيان: إلياس فياض، وطانيوس عبده. وهذه القصص حببت إليّ دراسة التاريخ، لأن القصص تاريخ أفراد. والتاريخ قصص شعوب وأمم. وانتهت مرحلة الدراسة الابتدائية، وانتقلت إلى المدارس الثانوية.

وهنا بدأت قراءة القصص الأجنبية بلغتها الأصلية، الإنجليزية أو الفرنسية. وخصوصاً الإنجليزية، والقصص الألمانية، والروسية، والسويدية والإيطالية المترجمة إلى الإنجليزية، أو الفرنسية، ومئات ومئات من القصص - العربى



جورجى زيدان



التابعى مع توفيق الحكيم وكامل الشناوى

ورجل مثقف - فقد كلمنى بالتليفون، وقال: يا أخى أنت رجل لك مكانتك فى دنيا الصحافة، معدود من كتابنا السياسيين، فلماذا تنزل بنفسك، وبقدرك إلى هذا المستوى؟ مالك، لا مالکش حق! والعاتب كما قدمت، رجل مثقف ومهندس معروف.

ولكننى مضيت مع ذلك أكتب قصصاً قصيرة، وكانت دائماً قصص حقيقية أو صفحات من حياتى وحياة بعض من عرفت من النساء. وما بين عام 1944 وعام 1949 كتبت بضع عشرة قصة، معظمها قصير، وواحدة فقط كانت ما بين قصيرة وشبه طويلة.. ثم قصة أسمهان.. ومنها ثلاثة فقط كانت مؤلفة من نسج الخيال.. ولكن فريقاً من القراء قال عن القصص الحقيقية أنها تأليف وعن القصص المؤلفة أنها حقيقية. وراح يتساءل مثلاً عن عساها تكون سهاد بطة (ختام القصة) هل هى فاطمة رشدى، أو عزيزة أمير، أو فاطمة سرى؟ أو.. إلى غير هؤلاء من كواكب المسرح والغناء.

وكانت قصة أسمهان آخر قصة أكتبها. فقد أشفقت على نفسى بعدها من كتابة القصص - حتى

سكون، كانت تحرق خلالها فى قطع الخشب الملتهبة فى الموقد قالت: هل تؤمن بالكبرياء؟ قلت، وأنا أمسح بيدي على رأسها وأسلل أصابعى بين خصلات شعرها: نعم كما أؤمن بالدموع. قالت: هذا صحيح، الكبرياء والدموع كل ذخيرة بعضنا فى الحياة، هى الكبرياء، والدموع، النقيضان. الأولى تسدنا، وتشد ظهرك، والثانية تواسينا، وتنفس عنا. قلت لها: ابكى! بك حاجة للبكاء، ابكى! استرخى، ولا تشدى أعصابك. ابكى إذا كان الدمع يفرج عنك! ورفعت شارلوت رأسها، واعتدلت، وقالت وفى عينيها دمع حائر: كلا! هذه الليلة.. لا كبرياء ولا دموع. هل كان فى مقدور القلم - قلمي - أن يضيف مشهد استسلام الفتاة بعبرات وألفاظ أكثر عفة وتادباً؟ أو هل كان ممكناً أن يكون الإحياء بالمعنى أكثر هدوءاً، وأخف وقعاً؟ أو كان فى استطاعتى أن أرفق بالحياء والأدب أكثر مما ترفقت؟! ولكن قراء غضبوا وثاروا، وكتبوا محتجين، معترضين: هل كان من الضرورى أن تسرد ما كتبت؟ أنت دمك ثقيل، إلى آخره. ومن بين الذين احتجوا صديق قديم - وهو مهندس

أحمد ماهر، وكان ولعه بسباق الخيل أمراً معروفاً!

يقذفون الكاتب لأقل سبب

إذن! ماذا أكتب؟ وفى أى شىء أكتب؟ وكان لا بد أن أكتب شيئاً للمجلة. فقد كنت صاحبها ورئيس تحريرها. وهكذا، كتبت أول قصة قصيرة، ثم قصة ثانية، وثالثة، ورابعة، وكلها من واقع الحياة، حياتى أنا. ولم يجد فيها الرقيب شيئاً يثير الخواطر، أو يعكر الأمن والنظام. ولكن فريقاً من القراء وجد شيئاً وأشياء، منها مثلاً أننى مغرور، ودمى ثقيل، ودون جوان، لأننى كتبت فى إحدى هذه القصص أصف مشهداً بين فتاة نرويجية، وبينى فقلت: وأغمضت عينيها! عيني بقر الوحش الحزين ثم قالت بصوت خافت: تعال هنا. اجلس هنا. اقترب أيضاً. وأراحت رأسها على كتفى، وقالت، وهى لا تزال مغمضة العينين: كم أنا متعبة. ومررت بيدي على شعر رأسها، وفتحت عينيها وقالت: أحياناً، ولغير ما سبب مفهوم تجتاحنا تيارات عواطف متناقضة، فتهزنا حتى الأعماق، ونحس بحاجة طاغية إلى صدر نحتفى به، أو كتف نلقى رأسنا عليها ونستريح، هكذا. وبعد لحظة

جمهور الطوب والحجارة

ولو كانت حقيقة - ومن جمهور الطوب والحجارة، وهو جمهور خليط وعجيب ويجمع بين المثقفين وغير المثقفين... وبين الخاصة والغوغاء، وبين المتعلمين والأميين وأشباههم.

أشفقت على نفسى من جمهور الطوب والحجارة. جمهور تقى النفاق وورع الدجل. يقذفون الكاتب لأقل سبب، ولغير ما سبب. جمهور الذين يتسلون فيما بينهم بأفحش النكات ويتندرون بأشنع قصص الجنس، ولكنهم يحولون، ويستعينون بالله، إذا قرأوا فى صحيفة سيارة وصفاً لقلبة أو لمشهد عناق، ويهرعون إلى الطوب والحجارة يقذفون بها الصحيفة والكاتب. جمهور الذين يزدحمون فى قاعات المحاكم ليسمعوا تفاصيل اعتداء وحش آدمى على طفلة، وكيف رماها أرضاً، وكيف مزقها، وكيف وكيف. ويجلسون فاغرين أفواههم حتى لا تفوتهم عبارة واحدة أو لفظ واحد مما يدور، ليشبعوا نهمهم إلى الدنس، وإلى كل ما هو وحشى، وقذر. ثم يسرعون بعدها إلى المساجد، ليؤدوا فرض الصلاة فى أوقاتها! جمهور الذين لا يرون بأساً، فى أن تنشر الصحف تفاصيل محاكمة رجل - أو وحش - لا اعتدائه على أخته من أمه وأبيه. ولكنهم يثورون ويصخبون، ويستعدون سلطات الأمن والنيابة، والمصادرة، على الكاتب الذى يرسم بالقلم، فى قصة ما، صورة نفسية، للأمن، التى تسلب ابنتها زوجها وتتخذ منه خليلاً! جمهور الذين يطالبون بأن يكون التاريخ والتراجم والمذكرات سجلاً لمحاسن الموتى. ولا شئ غير المحاسن، بحجة (اذكروا محاسن موتاكم). وأن يخرس لسان الحق أمام



احمد باشا ماهر

القبور لأن للقبور حرمت ولكنهم لا يرون بأساً، فى قذف الأحياء، ونهش أعراض الأحياء. وفى خرق نواميس الحياء العام، وفى قلب موازين الأخلاق والآداب ويسمون هذا (الأدب الواقعى أو الأدب المكشوف).

أنا لا أدافع مطلقاً عن الإباحية

ماذا يقال، أو يمكن أن يقال، فى مثل هذا الجمهور؟ هذا الجمهور الذى لا يأخذ بالقياس، ولا يحتكم إلى العقل، ولا يؤمن بالمنطق. جمهور الذين لا يعترضون على نشر صور عارية فى كتاب ولكنهم يثورون إذا رأوا صورة شبه نصف عارية فى صحيفة أو مجلة. جمهور الذين يقبلون خدش الحياء من أديب كبير، ويعترضون على ما هو أقل منه بكثير. إذا كان كاتبه من الأدباء الناشئين. إن ما يقبله الجمهور مثلاً من الأديب المعروف توفيق الحكيم، لا يقبله من أديب شاب لا تزال خطواته تتردد فى أول الطريق ولا بأس على الأستاذ توفيق الحكيم أن يقول ما يقول، وأن يصف ما يصف فى (الرباط المقدس). وكيف كان فك أضرار السروال وكيف وكيف، ولكن بئس، وألف بئس أن يحاول القصصيون الشبان أن يرسموا بالقلم بعض

ما رسمه وصوره الأديب الكبير. ماذا يقال فى هذا الجمهور؟ وكيف التوفيق بين الرأيين وبين الموقفين؟ الرباط المقدس يصور الأدب الرفيع وأما قصص هؤلاء الشبان فإثارة للغرائز، وأدب رخيص وتجارة حرام، بضاعتها أحلام الشباب! أين القياس، وأين العقل، وأين المنطق، عند جمهور الطوب والحجارة؟

وأنا لا أدافع مطلقاً عن الإباحية، عن الحرية المطلقة فى كتابة ما يسمونه قصص الجنس. ولقد سألتنى أخيراً مندوب إحدى المجلات عن رأيى فى هذا الموضوع فقلت: إننى لا أرى بأساً إذا كان المقصود هو التحليل والتشريح، والتفسير بقصد العلاج. ولكننى أعترض مع المعترضين، إذا كان القصد هو مجرد إثارة الغرائز، لكن فريقاً من جمهور الطوب والحجارة ينفر من مشرط الجراح ولا يؤمن بالطب والأطباء لأنه من أنصار الأحجية والتمايم، والتعاويد، والبخور.

ثم أنتقل إلى نقطة أخرى، إلى حديث الجوع، وألوان الجوع. جوع البطون مثلاً، وأمره معروف ومفهوم. جوع النفوس وجوع القلوب وجوع العيون.. الجوع للحب، للصدقة، للجمال، للموسيقى، للمجد، للسلطان. كل هذه ألوان من الجوع، يكتب فيها الكاتب ويخوض ولا حرج عليه! ولكن أمضى ألوان الجوع جميعاً، وأشدها ألماً، وضنى، هو جوع الجسد. ومع ذلك فإن جوع الجسد هو المنطقة الحرام، منطقة الخطر التى لا يأمن فيها الكاتب على نفسه من الطوب والحجارة. وجوع الجسد هذا يورث من الأمراض والعلل - فى الجسم والعقل معاً - ما لا يورثه أى لون آخر من ألوان الجوع. والكتابة فيه، ووصفه، وتحليله، وعلاجه أشق بكثير

على الكاتب والقصصى من الكتابة فى أى لون آخر. ومع ذلك فإنه المنطقة الحرام، يصد عنها الجمهور بالطوب والحجارة! جمهور الرقى والتمايم والتعاويذ. ونحن لا نخجل من الحديث فى جوع البطون، ونسهب فى وصف «فتى» الكوارع و«الكرشة» و«الممبار» ولكن واخجلناه للذى يتحدث فى جوع الجسد، وفى العناق والقبلات.

ويقول الكاتب، فى مقدمة قصته: أريد أن أحل فى هذه القصة جوع الجسد، وأن أبين سر هذه التيارات الطاغية، التى تدمر فى طريقها القلب، والعقل، وتغرق فى طوفانها العواطف والمشاعر. ولا يقف فى طريقها إيمان أو حب أو ولاء، أو وفاء. أريد أن أشرح كنهها، وسرها. والذى يعرف وصف الداء، يعرف معه نصف الدواء. ويرد عليه جمهور الطوب والحجارة: هذه سفسطة، وأنت تريد أن تثير فينا الغرائز، وأن تبغينا قصصك، يا تاجر الحرام. ومنذ أسابيع قليلة، تلقيت بالبريد رسالة، يطلب منى صاحبها أن أنشرها فى بريدى مع «يوميات الأخبار». وكانت الرسالة شتماً، وسباباً، موجهاً إلى زميل صديق من الذين برعوا فى كتابة قصص الحب، وصراع الحب، وما إلى هذا. وبعض نقاده يسمى هذه القصص (قصص الجنس). ويقول أنها تثير أخط الغرائز، والشهوات. ولم أجد فى رسالة القارىء جديداً يستحق النشر لأن أقلاماً كثيرة سبق أن كتبت فى نفس المعنى ونفس الموضوع. ولكننى رأيت أن أبلغ الصديق إحسان عبد القدوس فحوى الرسالة المذكورة. وبالتليفون تلوتها عليه، وقلت: يظهر أن فريقاً كبيراً من الجمهور قد خلع الطربوش ووضع فى مكانه عمامة ابن حنبلز فقال:



اسمهان

نعم.. مع الأسف، وفى مصر وحدها. قلت: أخطأت فإن عمامة ابن حنبلز رضى الله عنه، قد أمست (موضة) لا فى مصر وحدها بل فى باريس أيضاً وفى لندن، وواشنطن. قال: ربما! ولكن ماذا تقول فى قارىء يكتب إلى يسبنى، ويشتمنى بسبب قصتى الأخيرة. ثم أجد فى بريد نفس اليوم خطاباً آخر منه - من نفس القارىء - يطلب فيه أن أرسل إليه بالبريد القصة المذكورة، لأنه بحث عنها مع الباعة فى بلدته (مغاغة) فلم يجدها، وقيل له أن جميع النسخ قد نفدت! ثم يصلنى منه أمس فقط خطاب ثالث، يطلب فيه أن أبعث إليه بمجموعة قصصى السابقة، والثمن محول بالبريد! ما رأيك فى هذا القارىء الذى يسب، ويشتم، قبل أن يقرأ القصة لأنه سمع أنها كذا وكيت؟!... ويسب ويشتم، ولكنه مع ذلك يقرأ، ويحرص على أن يقرأ هذه القصص التى تثير سخطه واستنكاره؟ هل فى باريس، ولندن، وواشنطن قراء مثل قارئ مغاغة؟ قلت: لا أظن!

وهذه مشكلة، أو ظاهرة أخرى، فى جمهور القذف بالطوب والحجارة: جمهور الذين يلتهمون قصص الحب أو قصص (الجنس) كما أسموها، ويقبلون بشغف على

قراءتها، ثم يرون بعد ذلك أن من واجبهم، ومن حق الدين، والفضيلة عليهم أن يخرجوا فى مظاهرة تحمل أعلام الدين والحياء ومكارم الأخلاق، وتقذف الكاتب بالطوب والحجارة! إن الكاتب - كل كاتب - يكتب، لكى يقرأ له الناس. وما من كاتب يستمر فى الكتابة إذا أحس أن الناس لا تقرأ له ما يكتب. وكتاب هذا اللون من القصص معذرون فما دامت قصصهم تلقى إقبالاً كبيراً من جمهور القراء، بل أقول فى الحقيقة أن قصص الجنس تلقى رواجاً لا تلقاه القصص الأخرى. ومعذرون مرة أخرى، إذا استمروا فى كتابة هذا اللون من القصص، لأن من حق الكاتب، الذى تنفذ نسخ قصصه، والذى تقرأ له عشرات الألوف، من حقه أن يعتقد أن له أنصاراً فى الرأى، وأن من واجبه أن يكتب، وأن يشبع رغبة هؤلاء الأنصار.

ولو كان الجمهور صادقاً فى موقفه، فى اعتراضه واستنكاره وسخطه، لأعرض عن قراءة هذا اللون من القصص. وإذن لبارت تجارة قصص الجنس، وكف الكتاب، أو انصرفوا إلى كتابة لون آخر من القصص.

ولكن الجمهور لا يعترض، ولا يستنكر، ولا يسخط. والمعترضون الساخطون قلة. ثم هم على قلة عددهم فريقان: فريق ساخط بحق وعن عقيدة لأنه يؤمن أن البلاء كل البلاء فى هذا اللون من القصص، وفريق المنافقين الذين يصخبون، ويشتمون، ويقذفون بالطوب والحجارة. يكتبون إلى الصحف رسائل ينعون فيها الحياء والفضيلة. وتحت وسادة نومهم آخر قصة ظهرت من تلك القصص.

قوة مصر الناعمة والدور التنموي للإعلام



الإعلام ليس صناعة فقط، وإنما هو وبذات القدر وأكثر، صيانة اجتماعية وتحصين معرفي، له دور توعوي، وله دور تنموي، وهو موجه للداخل والخارج معاً، وهو أيضاً متعدد الوسائط والرسائل، تتنوع فيما بينها بهدف الوصول إلى أعلى قدر من الانتشار والتأثير، وتقاس مؤشرات أدائه طبقاً لقدرته على ترشيد السلوك الجمعي للمواطنين، وكذلك قدرته على خلق صورة ذهنية إيجابية عن الوطن ومواطنيه لدى الخارج المهتم بالشأن الداخلي.

والمعرفة، واستسلمت تماماً لردود أفعال أقواها باهت، وأضعفها هش، وأحياناً مغرض ومعادٍ. ويأتى هذا الضعف كنتيجة مباشرة لأربعة عقود من إعلام سطحي ظن القائمون عليه فيه الريادة، وإذا بالبساط يُسحب من تحت أقدامهم لصالح إعلام خارجي معادٍ، وإعلام خاص داخلي ليس بالأقل عداء، تحولت معه منصات الإعلام المصري إلى منصات ثرثرة وتئيس وتشكيك وإثارة، صنعت من أقزام قادة للرأي، وليته برأى، تحول معه الإعلام إلى «إعلام سيلفي» في ظاهرة مملّة، استولى فيها إعلاميو التوك شو على الشاشة والميكروفون ساعاتٍ طوال، ليرغوا ويزيدوا فيما يعلمونه وفيما لا يعلمونه.

وقد كان من المأمول - بل ومن المتوقع - بعد هزتين اجتماعيتين كبيرتين في يناير 2011 ويونيو



حسام نصار
وكيل أول وزارة الثقافة سابقاً
للعلاقات الثقافية الخارجية

hossam.nassar@redcondevelopment.com

انقلب هذا الإعلام الإثاري على صانعيه إبان يناير 2011، لنرى بعدها ذات الإعلاميين الذين كانوا يمجّدون العهد البائد، ينقلبون فجأة، ودون سابق إنذار، إلى ثوار أحرار.

لم تفقد مصر ريادتها الإعلامية فقط، بل فقدت قدرتها على المبادرة والتوجيه والإرشاد وصناعة الوعي

ولقد كشف تناول الرئيس عبد الفتاح السيسي لموضوع إسالة الغاز الإسرائيلي وإعادة تصديره النقاب عن عورات في الإعلام المصري بشقيه الرسمي والخاص، كما كشف أيضاً عن الفجوة الهائلة بين مصر التي تبدو عظمى في اتجاهاتها الاستراتيجية وسياساتها الخارجية وإعادة هيكلتها لاقتصاد قوى وممتنام، وبين مصر التي تبدو صغرى في أدائها الإعلامي الهش المبني على رد الفعل، ناهيك عن ردود الأفعال تلك.

لقد تحول الإعلام الكلاسيكي من إعلام تنويري تثويري في عهد عبد الناصر، إلى إعلام ترفيهي في عهد السادات، إلى إعلام إلهائي في النصف الأول من عهد مبارك، ثم إلى إعلام حوارى إثاري في النصف الثاني من عهده، ظناً من جهازة الإعلام آنذاك أنه يُظهر سماحة العهد البائد وفكره الجديد، حتى

شو، أو معدّي تلك البرامج، ودخلت مصر كلها في حالة تبادلية نفعية شريرة، بين المنصات الإعلامية وأصحاب أعماله ومالكه.

وتطوير الإعلام بعد كل هذا التجريف والتشويه، عملية شاقة تحتاج إلى تخطيطه توعوياً من خلال مظلة إعلامية تنويرية تتمتع بكفاءة المحتوى وقدرته على التنافس بما يجعله الأكثر تأثيراً والأغزر إنتاجاً وإسهاماً في تشكيل وجدان ثقافي مستنير، ونسيج وطني متسق، وإتاحته عبر وسائط متعددة تجعل منه منبراً للتفاعل الإيجابي والتواصل البناء بين الدولة والمجتمع المصري بكافة طوائفه، من خلال تفسير اتجاهات الدولة وتوجهاتها الاستراتيجية والاجتماعية والاقتصادية والمعرفية، والربط بينها وبين الخاص العام ومردود كل منهما على الآخر، وأما تحقيق تلك التوجهات ومقادير نفعها على الخاص العام، ومن خلال التنفيذ لأهم القضايا التي تستحوذ على الاهتمام الجماهيري سلباً أو إيجاباً، بما يشيع أجواءً إيجابية متفائلة تتصدى بموضوعية لمخططات الإعلام المضاد في التأثير على الحالة النفسية والمزاج العام للكتلة الصلبة.

إعلام داخلي توعوي، يفهم طبيعة السوشيال ميديا والوسائط الاجتماعية الجديدة، ودورها التعبوي والإخباري وحدود تأثيرها المتنامي في صياغة الرأي العام وصناعة القرار، وكذلك أثرها على المزاج العام وعلى الحياة الاجتماعية وفاعلية التوظيف السياسي لها مع قدرتها الواسعة والمتنامية على



الصلبة بعد كل هذا العناء إعلاماً يعبر عنها أو يمثلها في تجرد وطني، بل رأت ذات الإعلام المتدني، مدعوماً بفعل فاعل دستوري، زاد الإعلام هشاشة على هشاشة، وتشرذماً على تشرذم.

لقد دخل الإعلام ما بعد يناير، وبتحريض وترويج إخواني، في دوامة الشر، وانفلت دون رادع تنظيمي أو وازع أخلاقي مهني نحو إصدار وترويج الشائعات ومعلّقات التشهير والقذف والتجريس، حتى أصبح مرتعاً لأخبار مكذوبة في معظمها، أو ملفقة، أو مقتطعة من سياقها، أو معنونة بعناوين مغايرة لفحوى مضمونها، وحدث كل هذا في ظل سكوت أو تواطؤ نقابي لا يحاسب أحداً على ما كتبه أو أذاعه، ليصبح ما يكتبه زيد أو عبيد عناوين للمساء الإثاري على برامج التوك شو، ولم لا، فهؤلاء المنفلتون، هم إما نجوم لامعة على برامج التوك

2013، أن يرتقى الأداء الإعلامي مواكباً للتحديات الجسام التي فرضت على مصر، ومتسقاً مع طموحات جموع المواطنين التي خرجت في يونيو ويوليو 2013 تطلب استرداد مصر بقيمتها الاجتماعية والثقافية التي عنونت دولتها الحديثة والمعاصرة منذ اعتلاء محمد على حكمها.

فقد خرجت الجموع في يونيو 2013 في شجاعة منقطعة النظر لتحرير مصر من الفاشية الدينية، وخرجت في يوليو لتفويض من انحاز لرغبة تلك الجموع ضد تلك الفاشية وإرهابها، وخرجت مرة أخرى لانتخب - بل لتكلف - من توسّمت فيه الزعامة الوطنية التاريخية، ورأت فيه ممثلاً للقيم المصرية الحضارية التي آمنوا بها على مر العصور، وكانت سبباً في تحقيق تلك المكانة الفريدة لمصر في أذهان العالم كله، ولم تر تلك الكتلة

قوة مصر الناعمة والدور النامي للإعلام

الانتشار. فقد أصبح للسوشال ميديا تأثير عظيم على مجريات الأمور في مصر، ظهر جلياً بعد تدشين حركة مقاومة غير مسبوقة - وغير موجهة- لحكم الإخوان الفاشي، خاض فيها الوطنيون المؤمنون بحداثة مصر معارك كلامية كبرى، اجتذبت المزيد من المصريين، وخلقت حراكاً اجتماعياً وإعلامياً جديداً، وضع ضغوطاً هائلة على الإعلام الكلاسيكي، الذي بدأ يحس بفداحة جرمه في حق الدولة والوطن، فشارك إعلام الوسائط الاجتماعية هذا الحراك الاستردادي، حتى كانت يونيو 2013، ثورة تحرير الهوية المصرية واسترداد الوطن.

ولا يقتصر دور الإعلام الداخلي على مهمته التوعوية فقط، بل دوره التنموي يسير جنباً إلى جنب مع دوره التوعوي، فلا وعي بلا تنمية، ولا تنمية بلا وعي، وفي ظل ما تعانيه مصر من تحديات اقتصادية، تراكم عليها بفعل الترهل وسوء الإدارة - ناهيك عن الاستهداف الاقتصادي- فجوات تمويلية مزمنة، هي في حقيقة أمرها فجوات مهارية لقطاعات عريضة من المجتمع، غير قادرة معرفة وسلوكاً وتأهيلاً على الإنتاج الوفير، كنتيجة لتدني مستوى التعليم والثقافة والإعلام على مدار عقود سابقة، أدت في النهاية إلى عدم قدرة مصر على تحقيق التنمية المنشودة للخروج من مجال العالم الثالث إلى مصاف الدول المتقدمة.

والتنمية في مستواها الكلي في المجتمعات المتقدمة، تتكامل وتتوافق وتثرى التنمية في مستوياتها الجزئية، بحيث يصبح ما يعود على الدولة يعود على الفرد والعكس صحيح، ولكن في المجتمعات الأقل تقدماً - خاصة إذا ما كانت تعاني من تجهيل معرفي- نراها تنفصل، بل وتتخاصم وتتعارض وتعيق بعضها الآخر.

وما مظاهر تنامي اقتصاد تحت السلم، والتهرب الضريبي، واكتناز العملات الصعبة، وانتشار العشوائيات، والاعتمادية على الاستيراد السلعي غير الرشيد، والفساد الصغير، إلخ.. من مظاهر السلبية الإنتاجية والاقتصادية، إلا تعبير عن هذا الفصام الكبير بين الدولة في اقتصادها الجمعي الكلي،

وبين المواطن في اقتصاده الجزئي الفردي، وهو فصام ناتج عن ضعف التواصل الإعلامي والمعرفي بين الدولة والمواطنين في مرحلة انتقالية مهمة تحاول الدولة فيها جاهدة تعبئة الجهود وشحن الهمم حتى تتبوأ الموقع الذي تستحقه بين الأمم.

ومن هنا تتضح أهمية تثقيف الإعلام المصري الداخلي بثقافة جديدة عن طريق إعادة الهيكلة الإعلامية أفقياً (جغرافياً) ورأسياً (تخصصياً ومعرفياً)، مع الحفاظ على الدور الرسمي لإعلام الدولة، وإعادة توظيف وتدوير تراثنا الإعلامي في مراحل الليبرالية والتقدمية بأشكال معاصرة تمزج بين القديم والحديث في بوتقة معرفية واحدة، تستعيد تجربة الستينات في التثوير الليبرالي

في تحقيق سيادتها المادية والمعنوية على مقدرات الوطن.

وتحت دعاوى الإعلام الحر والسموات المفتوحة، كانت مصر قد فتحت فضاءها الإعلامي على مصراعيه، مما أسفر عن النكبة الاجتماعية والمعرفية التي عاشتها مصر على مدار عقدين من الزمان أو أكثر، ولا يوجد في الحقيقة ما يسمى بالإعلام الحر، فالإعلام يتبع أغراض وتوجهات صاحبه ومالكه ويخدم تربي

وتجرى الآن محاولة استعادة سيطرة الدولة على فضاءها الإعلامي بطرق غير تقليدية، كما توجد محاولات لتطوير الإعلام الرسمي، وكلها محاولات محمودة، ولكنها تتسم بالبطء الشديد، إضافة إلى افتقارها إلى التخطيط المنهجي لآليات وأشكال ومحتوى التطوير، وكيفية قياس أثره ومردوده الاجتماعي والسياسي والمعرفي، وتظهر في مجموعها على أنها محاولات عشوائية تبحث عن الشكل لا المضمون، تستنزف الكثير من الأموال، وفي غياب المنهج ومؤشرات قياس الأداء، فإنها تفتقر أيضاً إلى وسيلة قياس عائدها الاقتصادي على تكلفة الأموال. وقد زاد الإلغاء الدستوري - بفعل فاعل - لوزارة الإعلام الطين بلة، وتفرقت السبل بالإعلام بين هيئات ومجالس واتحادات، بما يحمله كل هذا من تناحرات شخصية وهيكلية، كنتيجة طبيعية للتشرذم التنظيمي والتبعثر الاختصاصي، والكل يدور داخل الصندوق بذات الأفكار القديمة المعلقة، في حين أن الفضاء يقع يقيناً خارج الصندوق.



معادية - ومأجورة- لمصر ما بعد الإخوان، وهذا يتطلب إعادة صياغة وهيكلية منظومة التواصل الإعلامي الخارجي، من خلال تقديم منظومة حضارية جديدة للرأى العام الخارجي، تدمج الخبر بالمعلومة، والإعلام بالمعرفة، مستغلة شغف الخارج بمصر التاريخية لنقل صورة ذهنية معاصرة لها ذات رونق والتأثير، منظومة تمزج الكفاءة الإدارية بالحماس والولاء، في بيئة عمل تنافسية قياسية ومحفزة، تحقق لها القدرة على التأثير في صنع القرار العالمي وصياغة رأى عام عالمي مساند، والترويج لمصر في شتى المحافل والمجالات، وتكون غايتها المنظورة هي حماية مصر من العبث الخارجي بشئونها، إضافة إلى مساندة الدولة المصرية

وترويج أنماط الحياة المصرية المدنية الحديثة، إضافة إلى استعادة تجربة المحليات الإعلامية على أساس من الشرائحية الإعلامية التي تدرس احتياجات المحليات توعوياً وتنموياً، تجمع ما بين مركزية الخطاب الإعلامي وخصوصية توجهه محلياً أو تخصصياً، بحيث يتحول الإعلام الداخلى برمته إلى أداة تواصل وتنمية وإخبار وثوقى وحث معرفي، ويفرض بأدائه الجديد أنماطاً إعلامية مغايرة على المنصات الخاصة، ويحقق لها الغلبة الحداثية على المفاهيم المغلوطة التي روج لها الخطاب الدينى السياسى طوال أربعة عقود.

وعلى مستوى الإعلام الخارجى، لا يقل الوضع الحالى ضعفاً في ظل استهداف منصات خارجية

الدين يحمل كنز قيمى بين ضفافه الرحبة ولا يصطدم مع الحداثة

هل فرضية أن العقل فى الشرق وفى مصر متهم بأنه فقط عقل سماعى، شفاهى، يجنح نحو الخرافة، لها نصيب من الصحة؟ يبدو أن مناقشة تلك الفرضية بحياد وشفافية تتطلب قدرًا من المصارحة، وطرح عقدنا الفكرى على بساط الدرس وتفكيك بنيته الفكرية. لقرون خلت،بقى العقل الشرقى بصفة عامة، يستقى مكنونه المعرفى من التلقين والسماع والترديد، وتوارث «المسلمات»، والاستسلام لأسر التراث والنقل، واعتياد القوالب التراثية المصبوغة بالقداسة، قد تبدو أى مقارنة للموروث بالمراجعة والدرس، أو أى محاولة للتفكير خارج المحددات التقليدية له، نوعًا من الخوض فى حقل ألغام، يعرض الباحث لتهم شتى، لما لا وهو يحاول ترتيب الأحجار المكونة لحائط التقليد والتصلب فى تراثنا الدينى. جماع القول أن محنة عقلنا فى الشرق تتجلى فى تكلسها، وعدم اعتدادها بالمُدركات العقلية، والبدهيّات التى استقر عليها الإحياء منذ مقاربات ابن رشد المفترى عليها، وكذا عدم خضوعها لسلطة العقل النقدى، وعلاقات المنطق والإستقراء والمراجعة.

الإصطلاحية الصحيحة، واستخدام التيرمينولوجى المعبر عن الحالة، حتى ننفذ إلى جوهر الداء، ونضع أيدينا على حقيقة جناية بعض الموروث، على الصورة الكلية للمعتقد، ربما أتاحت لنا مواجهة مواضع الخل فى البنية الحاكمة للمنقول التراثى، فرصة لمراجعة هذا النسق بالإصلاح وطرحه على بساط التقييم المجرد، بل مراجعة نظم التعليم والتلقى فى بلادنا، جنبًا إلى جنب، مع منظومة تشكيل الوعى الجمعى بالمجمل، تعليم وإعلام، وخطاب دينى، وحزم قوانين حاكمة لحركة وتأثير هذه المنظومة على المجال العام، وذلك توطئة لخلق وعى مغاير، وعقل نقدى يقود التجديد والاجتهاد. قد يسأل سائل، هل نحن بصدد



أيمن السيمري

كاتب وقاص، عضو اتحاد كتاب مصر

ayman.alsimery@gmail.com

إلى خلل مزعوم فى الدين نفسه، وهو ما أثبتت اسهامات ابن رشد واجتهاداته العقلانية، فساد هذا الطرح وتجنیه على المنظومة القيمية والمعاملاتية التى يشملها القرآن الكريم، والتى تحفل فى مواضع كثيرة، بالحض على التفكير والاجتهاد والعمل وإعمار الكون بالنماء. ولكن لا مناص من توصيف الأمور، بمفرداتها

تقودنا تلك المقدمة إلى حقيقة مؤداها، أن العقل الجمعى المؤسّطر، مثل على الدوام حائط صد ضد كل ماهو عقلى ونقدى وحادثى، وبدا وكأنه بيئة طاردة لكل ما هو منطقى وعلمى باستبعاده، أو طمسه بالكلية لصالح الغيبىات والماورائيات «الميتافيزيقا». ولهذا يبدو العقل فى شرقنا محتلاً بتصوراته الدينية المسبقة عن الحياة والآخرة، وذلك بإسقاط المنقول والمتواتر على أمور محض حياتية، من حيث خضوعها لسلطة العقل، الذى برهن على حجيتها وموثوقيتها العقلية، كوننا أعلم بشئون دنيانا. لا أريد بهذه المقدمة، التى قد تبدو للقارئ الكريم متقعرة بعض الشيء، أن أرسم لوحة قاتمة للوعى الزائف فى منطقتنا، والذى تردده الكثير من الأبحاث المغرضة،

عوار حاكم للعقل الجمعى، يلعب فيه الايمان الشكلى دورًا إرتداديًا، متجنبًا على الكنز القيمى الذى يحمله الدين بين ضفافه الرحبة، ومن ثم يكرس من سكون وخمول هذا العقل الجمعى، وركونه إلى الإجابات المريحة التى ترضى ذائقته الغيبية، وسلوكه الإتكالى؟ وهل ما نحن فيه، هو أحد تجليات تأثير التلقى السلبى الأحادى للموروث العقائدى؟ قد تكون الإجابة الأقرب إلى الحقيقة هى نعم، مؤيدةً بطريقة التدريس فى مدارسنا، وخطابنا الدينى، وما يشوب الوعظ من خلط للمفاهيم، بعدم التفرقة بين ما هو محض لاهوتى ودينى، وبين ما هو بشرى وعقلى وحياتى، كل ذلك قاد بطريقة ما إلى الحالة البائسة من أحادية التلقى، وتكريس الفهم الغيبى المسطح، لعلاقة الدين بالحياة.

يتحيز هذا الفهم القاصر فى المجل للدين العباداتى والطقسى، المهتم بتكريس فكرة الأحكام والضوابط الدينية، فى مقابل تجاهل للدين المعاملاتى والقيمى، المنوط به الحديث عن السلوك وضبط العلاقات الحياتية، كالأخلاق، واحترام المرأة، والعمل والنظافة، والمنافسة الشريفة، والاحتفاء بإعمار الكون، وقبول المختلف، واحترام العقائد الأخرى، وقبول الاختلاف. كل تلك الجوانب المعاملاتية وغيرها يتم تجاهلها عن عمد، لصالح ما

هو طقسى عباداتى، مع توقيرنا بالطبع للعبادات كمظهر روحى وتجل لشكل الدين فى المجل. تبدو الأمور بالفعل وكأن هناك تركيز شديد على قيادة العقل المسلم نحو الدين الطقسى الشكلى، أكثر من إحياء الدين القيمى المعاملاتى الذى يجعل الحياة أكثر إنسانية وتعايشًا.

لعل نظرة سريعة على محيطنا الإجتماعى، ستحمل الإجابة الكاشفة، فالجموع أصبحت تدور بكل دأب وهمة حول طقسىة التدين، وأصبح هناك سمات خاصة لأتباع ومعتنقى ظاهرة التدين القشرى، كل ذلك من العلامات الظاهرة للعيان، والتى تشى بتغلغل هذا الفهم لدى قطاعات من طبقات المجتمع، وتؤكد ان تجديد الخطاب الدينى أصبح ضرورة ملحة مثلما نادى وينادى الرئيس السيسى منذ عدة سنوات.

فالمحزن أن وضع الأخلاق والمعاملات قد تدهور كثيرًا، فى ظل ما جرى تصويره للجموع كصحوة دينية قبل عقود خلت، فى مجتمعات تم بمنهجية وإلحاح غسل دماغها الحضارى، منذ ما يزيد عن الأربعين عامًا، بكل مخرجات الفكر المعادى للحدثا والتقدم، وتحويل توجهاتها العصرية المعتدلة، إلى ما يشبه الإرتداد الطوعى إلى العصور الوسطى، بكل إرثها وانغلاقها، تأسيسًا على هذا النكوص الجماعى والردة الطوعية، غاب

الدين القيمى المعاملاتى، وغاب القانون العام الإنسانى، الحاكم لحياة الأفراد وعلاقاتهم بدينامهم الأرضية، وتوارى ما هو «قانونى» وقيمى وأخلاقى، لصالح ما هو حلال «وشرعى» ودينى، فإشارة المرور والسير عكس الإتجاه، وتكسير الرصيف

وإلقاء المهملات من نافذة السيارة على الطريق، كلها لا غبار عليها لأنها تتعلق بالقانون واللائق مجتمعياً، ولا تتعلق بالسماء أو بحديث أو آيه أو نهى دينى، من وجهة نظر مرتكبيها. إجمالاً نحن أمام عقل مؤسטר، يمارس سيولته الحضارية، بمطاطية وتلون فى مجاله العام الرجعى، ويتحول هذا العقل، حين يغادر مجاله، إلى لندن وباريس إلى عقل تابع مطيع بصرامة للقانون البشرى المنظم لحركية المجال الجديد المحكوم بكل منجزات العقل النقدى، حيث الرحيل إلى حيز لا يرحب بتلك السيولة القروسطية، ويعتبرها أشد فتكًا وخطرًا على منظومته القيمية من المخدرات والإرهاب لأنها ستقود فى النهاية إلى تفكيك كل منجز عقلى حدثى، مثل دافعاً عقلياً نحو الابتكار والإبداع. نحن فى النهاية نقود الدين بالفهم السطحى الجائر إلى حالة من حالات الصدام مع الحدثا، قافزين على حقيقة وجود فرصة حقيقية لتفاعل عقلى بين الدين والحدثا والتجديد، حان وقتها.

الثقافة والشمول الثقافى

جاءنى فى الأسبوع الماضى اتصال من د. جمال شقرا رئيس لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للثقافة، أخبرنى فيه أنه تم ترشيحى لأصبح عضوة شرفية باللجنة ضمن عدد من الشخصيات المصرية، وأبلغنى أستاذى أنه تمت الموافقة على انضمامى للجنة من قبل المعنيين بالقرار. وكان هذا الخبر بمثابة مفاجأة سارة بالنسبة لى، خاصة للحظات الأولى، فكم أشعرنى بسعادة ممزوجة بمشاعر من الفخر والاعتزاز وربما يعود ذلك لعدة أسباب لعل أبرزها توافقه مع ميولى حيث أن خلفيتى الدراسية الأساسية تاريخية، إضافة إلى مدى اهتمامى الدائم بالشأن الثقافى بشكل عام، الأمر الذى يشغل بالى ويسيطر معظم الوقت على تفكيرى ويأخذ منه مساحة كبيرة.

من شعورى بأن هناك الكثير فى مجتمعنا مازال ينظر للثقافة من منظور قاصر بعض الشيء، وظنى أن هنا تكمن خطورة كبيرة، تتمثل فى عدم إدراك المعنى الصحيح للثقافة، ومن ثم تؤثر على تعاملنا معها ومع مشكلاتها طوال الوقت. فالثقافة فى العموم ليست كما هو سائد لدى البعض بأنها قد تقتصر على إبداعات الآداب والفنون مثل الكتابة والشعر والرسم والنحت والسينما والمسرح والرقص والغناء وغيرها من آليات التعبير، فهذا الجزء تحديداً ما هو إلا تعبير عن الثقافة السائدة أساساً فى المجتمع، وبالطبع يمكن أن يؤثر هو فيه، ولكن الثقافة بمفهومها الحقيقى أوسع وأكبر من ذلك الأفق الضيق بكثير، فالثقافة هى مناخ عام شامل، تدرج بداخله كافة القيم والمبادئ الأخلاقية والفكرية والمعتقدات والوعى الحضارى، ومن ثم فهى التى تحدد سلوك الأفراد وقراراتهم واختياراتهم. فكل ما نقوم به هو ثقافة: الاختلاف ثقافة، احترام الوقت



هبة عبدالعزيز

heba.elmolla@yahoo.com

وأن تكون قادرة أيضاً على إتاحة الفرصة للجميع للتعبير عن آرائهم فى إطار من التعددية الخلاقة التى تمنح المواطنين الحرية فى الاختلاف، وذلك فى ضوء الأهداف والمصلحة العامة. ولعل رأى أيضاً أنه ربما يكون من الأهمية لو توسعنا فى هذا المفهوم بحيث يحتوى أنواعاً أخرى من الشمول كالشمول الاجتماعى والثقافى. فالشمول الثقافى مثلاً إنما أقصد به قدرتنا على بناء خطاب ثقافى حديث، وحقن القيم الحديثة فى جسد المجتمع، والارتقاء بالذوق الثقافى والاجتماعى العام. ولعل ذكرى لمبدأ أو فكرة الشمول الثقافى نبع بالأساس

ولن أخفيكم أمراً، فبعد مرورى ببعض اللحظات العاطفية تجاه الخبر، وعلى قدر شعورى بالسعادة وبالحماسة، إلا أن عقلى سرعان ما بدأ بالتفكير بالقدر ذاته، ولكن على جهة أخرى، ليحفز لى مزيداً من الشعور بالمسؤولية، فلعل من ضمن قناعاتى أن وجود أى إنسان منا فى أى مجال من مجالات الحياة العامة إنما يعد تكليفاً أكثر منه تشريفاً، ومسئولية تتطلب التفكير المنظم، لوضع عدد من الأهداف والخطط، ومن ثم العمل على بذل كل الجهود لتحقيقها فى نهاية الأمر.

وبينما أفكر فيما أستطيع أن أسهم به أو أقدمه هنا، حضرني مبدأ مهم فى دراسة مقارنة النظم السياسية. ولعل هذا المبدأ من الأهمية حيث أنه على ضوئه يتم قياس كفاءة الدول وقدرتها على أداء وظائفها بدقة وإحكام، ويدعى «مبدأ الشمول السياسى» والذى يعرفه المتخصصون بأنه قدرة الدولة على أن تحتوى سكانها، وأن تنظمهم حول أهداف عامة، وأن تحفظ لهم حقوقهم المشروعة،

ثقافة، تقبل الآخر المختلف ثقافة، التعامل مع المرأة ثقافة.

وهنا أمر سريعاً على مستويين قد يحدثنا ما يمكن أن نطلق عليه الشمول الثقافى الذى ذكرته فى السطور السابقة.

ولعل المستوى الأول والذى أراه الأهم هو تحريك المجتمع من أعلى أو بمعنى آخر ما تقوم به الدول، وذلك يشمل بعض الممارسات التى تعكس مدى اهتمام وكذلك معرفة وإلمام الدولة بمشكلات وهموم المجتمع، والأمثلة على ذلك لا حصر لها مثل: وضع خطة شاملة لإصلاح الجهاز الإعلامى بوسائله المتعددة المرئية والمسموعة والمقروءة، وبث قيم مهمة من خلاله مثل أهمية القراءة وحب الوطن ونشر روح المحبة والتعاون وقيم الحق والخير والجمال، إضافة إلى العمل طوال الوقت على تقديم نماذج إيجابية فى شتى المجالات لاسترجاع قيمة القدوة والمثل الأعلى فى حياتنا، أيضاً فكرة الاحتكاك المباشر ما بين المسؤولين والشعب، وكذلك سرعة تلبية الاحتياجات والمطالب سواء للنخبة أو للجماهير، وعمل المسابقات والتحفيز من خلال الجوائز المادية والمعنوية فى مجالات الفنون والآداب المختلفة. أما المستوى الثانى فيتمثل فى المواطنين أو الجماهير، أو تحريك المجتمع من أسفل، ويشمل هذا المستوى أيضاً العديد من الممارسات مثل: تحفيز فكرة المشاركة المجتمعية باختيار قضايا معينة مثلاً محل اهتمام، وعبر إيجاد حلقات للتواصل بين الفئات والإدارات المختلفة على

المستوى الحكومى والمجتمع المدنى، فى مشكلات تخص المجال التعليمى أو الصحى مثلاً، أو التخلص من القمامة، وكيفية مكافحة الفساد ومن مشكلات تمس الحياة اليومية للمواطن.

وكلا المستويين يصبان فى فكرة تبنى أو بناء منظومة قيم وأخلاق لخلق إطار عام مشترك فى مجالات الحياة المختلفة، تصنع ما يشبه الإجماع العام القائم على علاقات منظمة وتوقعات متبادلة، ويمكن تنفيذ ذلك من خلال المدونات السلوكية المعلنة والمكتوبة فى القطاعات المختلفة من المدارس وأقسام الشرطة والمستشفيات وغيرها ونشر كل ذلك سواء فى المؤسسات أو بين المواطنين بعضهم البعض فى التفاعلات العامة.

وأعلم تماماً أن هذه العملية ليست سهلة بالمرّة وأنها معقدة للغاية، ولكن هكذا هو طريق الألف ميل لابد وأن يبدأ بخطوة. ولا أريد أبداً الخوض كثيراً فيما وصلنا إليه من حال فيما يخص الثقافة، فالأمر بات لا يخفى على أحد منا، وحتى لا أتطرق إلى كلام مستهلك وعبارات مكررة، فإننى أرى أن الموضوع فى النهاية يحتاج منا سرعة العمل على أمرين وهما: أولاً: تحديد القيم الثقافية الملحة والمطلوب نشرها، بهدف أن تتحول فيما بعد لسلوك وثقافة سائدة، وثانياً: تحديد الآليات والمؤسسات التى ستقوم بتنفيذ هذا الهدف فى المجتمع من حيث عرس القيم الثقافية كما تغرس البذور فى الأرض لتطرح الثمار المرجوة.

وباختصار شديد جداً فإنه يجب علينا التركيز على الإعلام والخطاب الدينى فى الأجل القصير لأنهما يؤثران فى قطاعات عريضة من الجماهير إضافة إلى سرعة تأثيرهما، وعلى جانب آخر التعليم فى الأجل الطويل فالتعليم يحتاج إلى ما يقرب من 30 عاماً أى جيل كامل ليظهر تأثيره فى المجتمع. ولا يمكن إنجاز ذلك بدون تبنى استراتيجية شاملة تتضمن التعاون والتنسيق مع كافة الوزارات والمؤسسات من أجل الوصول فى النهاية لمرحلة التكامل.

ولعلى أتمنى فى الختام لوزيرة الثقافة د. إيناس عبد الدايم النجاح والتوفيق، فكونها أول سيدة تتولى هذا المنصب الرفيع يشعرنى بالفخر بأن هناك بوادر تغيير إيجابية لنظرة مجتمعنا للمرأة، إضافة إلى نجاحها السابق فى دار الأوبرا الأمر الذى يشعرنى أيضاً بالتفاؤل وتحقق أهدافنا فى الخروج بمصر الثقافية من عنق الزجاجة إلى مزيد من الانفتاح.

فالفكر المستنير حياة، والتعليم فيه هو المسئول الأول عن وعى الأمم وأمنها الثقافى، ويأتى الإعلام والخطاب الدينى فى المرتبة الثانية من تشكيل وترسيخ هذا الوعى وذلك الأمان الثقافى.

ولعلى وجدت أن خير ختام جملة رائعة وردت على لسان مفكرنا الكبير عباس محمود العقاد حيث قال:

«الجمال قرين الحرية، وأن الأمة التى تعرف قيمة الورد واللوحة هى الأمة القادرة على التقدم».

الليبرالية والعلمانية بين الوهم والحقيقة

«اللهم عليك بأعداء الدين من العلمانيين والليبراليين، فاجعل كيدهم في نحهم وتديبرهم في تدميرهم... إلخ» إذا استمعت إلى مثل هذا الدعاء - «هكذا على إطلاقه» - بأحد مساجدنا فإن عليك أن تنزعج حتماً وتقلق كثيراً، وذلك لأن الأمر - هكذا - إما أنه يتضمن تضليلاً آثماً وخداعاً متعمداً لجمهور البسطاء من المصلين المشغولين بمكابدة الحياة وهمومها، أو أنه ينطوي على عدم معرفة أو دراية بالمصطلحات ومفاهيمها.



وزير مفوض د. محمد عرفى

mohammed.orfy@yahoo.com

مثلاً - فيقتصر - حتماً وبقيناً - على ضمان عدم تغول المؤسسات الدينية، سواء كنيسة أو مسجد أو جامعة دينية، في الحياة المجتمعية، فيكون إذن أهل السياسة هم الأولى بإدارة السياسة، وخبراء الاقتصاد هم האחق بتسيير شئون المجتمع اقتصادياً، وأهل العلم أو الإعلام هم الأولى بوضع السياسات التعليمية والإعلامية، وفقاً للمفهوم المصرى الشعبى الداعى إلى نسبة الشيء إلى أهله.. وإعطاء «العيش» لحبازه!!

وكذلك فإن مفهوم الليبرالية، شأنه شأن العلمانية، تطورت عناصره الفكرية - فى السياق الأوروبي - منذ عدة قرون واختلف إدراكه - بطبيعة الحال - باختلاف الزمن والسياسات المجتمعية!! وإجمالاً، فإن الليبرالية تحرص على مبادئ عامة مثل انتهاج الديمقراطية أساساً للحكم وتداول السلطة فى الدولة التى لا بد أن تنظم العلاقة بين مختلف فئات وطوائف المجتمع، وفقاً لدستور يحمى الحريات اتساقاً مع مبادئ المساواة واحترام حقوق الإنسان، فضلاً عن ضمان حقوق الاعتقاد الدينى وحرية الرأى والتعبير وغيرها. تلك «الليبرالية» يجوز أن تتسع - لدى البعض - فيصل الشطط بها إلى السماح بحرية الشذوذ الجنىسى أو ممارسات أخرى ممنوعة تنكر أى قيود دينية أو مصلحة مجتمعية. ويمكن كذلك أن تبقى الليبرالية فى حدودها الآمنة التى يستقيم عودها مع تراث المجتمع الدينى والتاريخى

بد أنه يتميز - قليلاً أو كثيراً - عما يدركه المسلمون فى الهند أو فى نيجيريا أو بريطانيا أو حتى البادية، وهكذا!! ما أعنيه - بوضوح - هو إدراك البشر للرسالة السماوية وليس البناء الفكرى لتلك الرسالة الثابتة منذ نزول الوحي وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

بالمثل، فإن ثمة مفاهيم سياسية مثل «العلمانية» أو «الليبرالية» أو غيرها - وهى نتاج عقول بشرية بحثة - لا بد أن تختلف مقوماتها وعناصرها باختلاف المرحلة الزمنية والبيئة الجغرافية. فمصطلح سياسى مثل «العلمانية» ينبغى أن نفهمه فى سياقه الذى ورد فيه والذى قد يختلف باختلاف المشارب الفكرية لمعتنقيه. ففى المطلق، تدفع العلمانية ذات النشأة الأوروبية إلى فصل الدين عن الدولة. فهذا المفهوم إذن يمكن أن يتسع كى يبلغ حد تقليص أو إلغاء دور الدين تماماً فى الحياة السياسية أو الاجتماعية، أو يمكن أن يضيق ويرشد - فى سياق اجتماعى شرقى

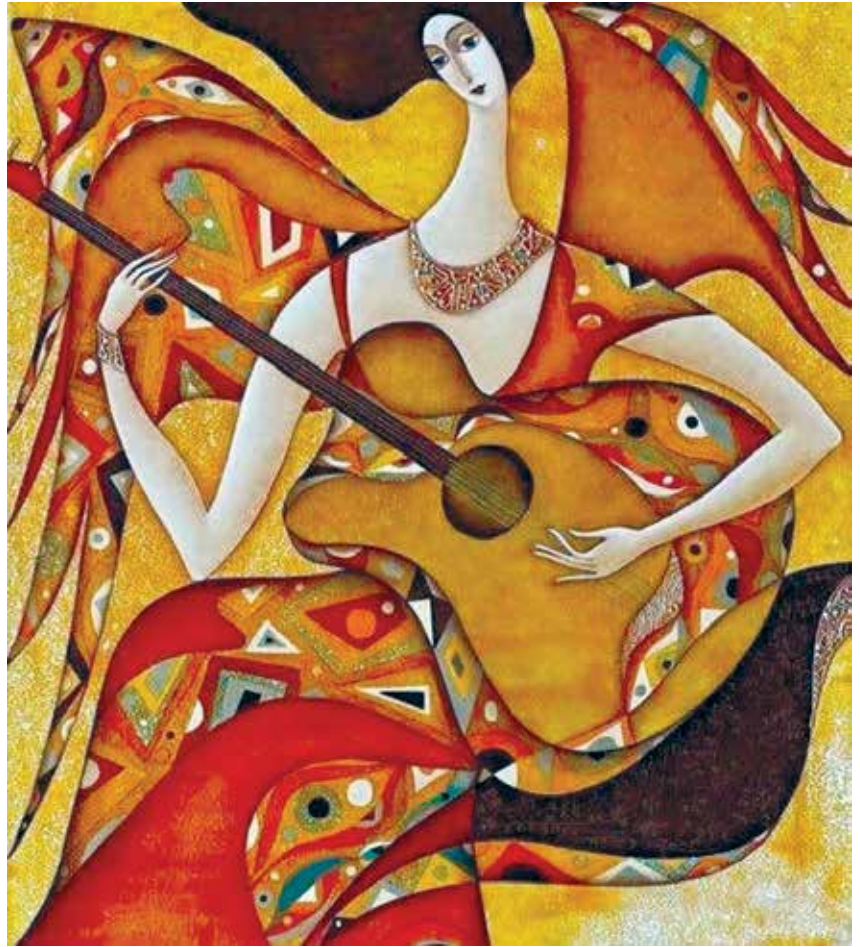
فإذا كانت تلك المقدمة - عزيزى القارئ - قد استفتزتك قليلاً، فإنى أستطيعك عذراً فى أن تصبح مهلاً وتثنأى قليلاً، إذ لربما حملت السطور التالية ما من شأنه تبديد الغيوم وإزالة العوائق التى ما فتئت تؤجج ما وصفه الأستاذ فهمى هويدى ذات مرة «بالحرب الأهلية الفكرية» المستعرة، منذ عقود طويلة فى بلادنا، بين ما يسمى بالتيار المدنى وما عرف بالتيار الإسلامى ولنضرب الأمثال، فكم كانت دهشتى باللغة وصدمتى هائلة عندما استقر بى المقام - ذات مرة - بإحدى الدول الأفريقية ووجدت «بعض المسلمين» بها يؤدون صلاة العشاء ونوافلها فى جماعة ثم لينزع بعضهم - فى أعقاب الصلاة مباشرة - بأريحية تامة إلى احتساء الخمر بل وارتكاب بعض الكبائر الأخرى!!! علمت بعدئذ أن التراث الأفريقى متداخل فى أذهانهم مع المفاهيم. علمت كذلك عن طريقي القراءة والملاحظة برؤية العين أن الدين - أى دين - لا بد أن يكون حتماً ممتزجاً بعناصر الثقافة المجتمعية السائدة، فالثقافة - شئنا أم أبينا - هى العدسات التى نرى من خلالها جوهر الدين ونذكر فحواه.

فلا غرو إذن أن الإسلام الثابت بفروضة ومقوماته بامتداد قرابة الأربعة عشر قرناً فى كافة بقاع الأرض. يمكن أن تفهم مفاهيمه وتستنبط روحه بطريقة مغايرة باختلاف البيئة الجغرافية! ففهمنا فى مصر لجوهر الإسلام وفلسفته لا

فالبادى أن أكثرية الليبراليين والعلمانيين فى بلادنا هم أولئك الذين يرون هذا المفهوم وذاك متسقاً مع روح الدين وتعاليمه، وعليه فلا يجب أن نصاب بدعشة إن وجدنا مسلماً متديناً وفى نفس الوقت حاملاً لمعتقدات الليبرالية والعلمانية - لأنهما فى فهمه منسجمان تمام الانسجام مع صحيح الإسلام - وهو الأصوب والأسلم للحكم وإدارة شئون مجتمعنا وضمن الحريات للجميع سواء أكانوا أقلية دينية أم جغرافية أو إثنية. إلخ!!

ولا يستدرجك أحد إلى جدل بيزنطى بشأن موقف أولئك وهؤلاء بشأن رفض تطبيق الشريعة الإسلامية، فتلك الشريعة هى بالفعل مطبقة، إذ أن أغلب القوانين ببلادنا متسقة معها. أما الحدود فهى جزء يسير من مجمل الشريعة الإسلامية، ذكرت فيما يقرب من عشر آيات بالقرآن الكريم. ووفقاً لمفاهيم الإسلام ذاته، فإن تطبيقها يخضع لقواعد دقيقة أغلبها غير متوفر بمجتمعنا منها الوصول إلى حد الكفاية فى التعليم والصحة والدخل. إلخ.

نعم لا تعارض البتة فى أن يكون الإنسان علمانياً وليبرالياً ومسلماً متديناً. ساعياً لصالح دينه ودنياه فى ذات الوقت، فالإسلام رسالة ربانية نزلت للتوحيد ونشر العدالة وإعمار الأرض، عبر التربية ونشر مكارم الأخلاق وتعظيم قيم العمل والسعى للعلم حيثما كان، ومن قبل ذلك وبعده الإخلاص لله سرّاً وعلانية.. وكلها مفاهيم يمكن أن يعتنقها المسلم الليبرالى أو العلماني!! والله أعلم بالنوايا وسرائر النفوس، ولم يخول أحداً للكشف عنها أو أن يصدر أحكاماً ذاتية بالهداية أو المعصية على الآخرين!!



رجال دين» مما قد يتيح لها أن تتغول على الحياة المجتمعية، فتتدخل - وهى تتدثر برداء الدين - فى شئون حياتية بحتة للمجتمع فتفرض ما لا يجب فرضه وتنتهى عما لا يستوجب نهيه؟! ألم يقل الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه أنتم أعلم بشئون دنياكم ليرسى بذلك قاعدة أهل العلم والخبرة، وليس المعرفة الدينية فقط، وفقاً للمفهوم السالف الإشارة إليه بشأن «إعطاء العيش لخبازه»؟؟؟؟!! وهكذا، فإن أهل مكة أدرى بشعابها!!

فلا يخدعك أحد إذن بدعاوى مفادها أن «جموع» الليبراليين أو العلمانيين فى مصر إنما يريدون إقصاء الدين كلية عن المجتمع!! قد يكون ذلك صحيحاً «فقط» إن كان قائلو ذلك من المعتنقين لليبرالية أو العلمانية فى غلوائهما على النحو الذى سلفت الإشارة إليه، وهؤلاء - على ما يبدو - قلة قليلة فى مصر!!

ومصلحة أفرادها، فلا تنكر قواعد دينية أو تستنكر مبادئ تنظيمية للحريات حتى لا ينحرف المجتمع عن مساره المستقيم، وهكذا. إذن، لو دققنا النظر ملياً وأعملنا العقل قليلاً، لوجدنا أن كلاً من العلمانية والليبرالية - بنسختيهما «الرشيدة المعتدلة» - لا يتعارضان البتة مع الإسلام مثلاً فهمناه فى مصر بكل وسطيته واعتداله!!! ألم يقل رب العالمين فى قرآنه - ما معناه - من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. لضمان حرية الاعتقاد، وأنه لا إكراه فى الدين. حتى لا يفرض أحد رؤاه ومفاهيمه على الآخرين؟! ألم يدعو الإسلام إلى الرحمة والعدل أى حكم القانون على الجميع سواسية، وأقر مبدأ المساواة بين البشر وأنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح؟! ألم ينه الإسلام عن الكهنوت والرهبانية. كى لا تكون هناك مؤسسات دينية أو «طبقة

التاريخ يؤكد أن القدس عربية أبدية

كان يتعين على الرئيس ترامب قبل أن يوقع على قرار القدس عاصمة لدولة اسرائيل أن يقرأ التاريخ جيداً والذي يؤكد الهوية العربية لمدينة القدس الخالدة، والتي تشهد عدواناً متكرراً منذ احتلال المدينة المقدسة عام 1967، وإلى اليوم من حرق للمسجد الأقصى، إلى تغيير الهوية الإسلامية للمدينة، إلى حفر شبكة للأنفاق تحت المسجد الأقصى بغية الكشف عن آثار تثبت يهودية القدس، وباءت محاولاتهم بالفشل.

المدينة فى الهضبة التى تعرف اليوم باسم جبل صهيون. وفى عهد الملك اليبوسى الذى يعرف باسم ملكى صادق، والذي حكم اليبوسيين خلال جزء من القرن العشرين قبل الميلاد تغير اسم المدينة إلى أورشليم أى مدينة السلام. وهكذا نجد أن مدينة القدس قد بناها اليبوسيون الكنعانيون وسكنوها مدة طويلة قبل مجئ العبرانيين بل إن المصادر العبرية نفسها تعترف بأن إبراهيم الخليل



أ.د. محمد رضا عوض

m.redaawad@gmail.com

فى التاريخ المصرى القديم باسم يابيث أو يابيثى، ويقع أطلال هذه

. فمن يدرس تاريخ هذه المنطقة دراسة وافية يجد أن مدينة القدس منذ تأسيسها حتى احتلالها عام 1967 هى مدينة عربية خالصة. فالبدية كانت عام 3000 قبل الميلاد حيث حدثت الهجرة الكنعانية من شمال الجزيرة العربية إلى أرض فلسطين واستوطنوا هذه المنطقة. فهم أول من سكن أرض فلسطين وأول من بنى حضارة عليها وهم كلهم عرب. وكان الكنعانيون شعباً مسالماً وكانوا مدافعين عن أنفسهم ولم يكونوا مهاجمين واشتهروا بالزراعة وبرعوا فى التعدين وصناعة الخزف والزجاج والثياب وفى فن العمارة. ويقول المؤرخ (فيليب حتى) أنه لم يعتن شعب سام بالغناء والموسيقى كما عنى به الكنعانيون. واليبوسيون هم الذين أنشأوا مدينة القدس وهم أحد بطون القبائل الكنعانية التى هاجرت إلى فلسطين عام 2500 قبل الميلاد. وقد سميت المدينة باسم ييوس، وورد اسمها



عليه السلام حينما وصل إلى أرض كنعان، أى فلسطين، مهاجرا من موطنه مدينة أور جنوب نهر الفرات وبصحبة زوجته سارة وابن أخيه سيدنا لوط، وهى بداية وجود العبرانيين بأرض كنعان، كان يدفع ضريبة العشر إلى ملك القدس ملكى صادق حوالى عام 1920 قبل الميلاد. كما ورد اسم أورسالم فيما يسمى بنصوص اللعنة وهى تتضمن أسماء البلدان والمدن والحكام الذين كانوا فى حالة صراع مع ملوك مصر. ويرجع تاريخ هذه النصوص إلى عصر حكم الملك سيزوستريس الثالث (1842 - 1878 قبل الميلاد). كما ذكر اسم أورشليم بعد هذا التاريخ بحوالى خمسمائة عام فيما يعرف باللوح تل العمارنة، وهى عبارة عن ست رسائل أرسلها حاكم أورسالم عبدى هيبا إلى ملك مصر إخناتون فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد يطلب منه العون العسكرى للدفاع عن مدينة أورسالم، وذلك فى فترة تبعية أرض كنعان إلى مصر فى ذلك الوقت. ويضاف إلى ذلك أن اسم أورشليم بالذات ليس عبريا وإنما هى تسمية كنعانية حيث أن الألواح المكتشفة فى مدينة ايبلا السورية القديمة، التى تم تخريبها على أيدي الأكاديين قبل وصول العبرانيين إلى المنطقة بوقت طويل، ذكرت وجود مدينة أورشليم فى المنطقة، بل إن التوراة نفسها تعترف بأن القدس غير عبرية حيث ورد اسم القدس فى التوراة أحيانا باسم مدينة اليبوسيين.



في بوركينا فاسو التماسيح لا تحب لحم الدبلوماسيين

أثناء عملي كدبلوماسي شاب في النيجر، وهي واحدة من أكبر دول غرب أفريقيا الفرانكفونية من ناحية المساحة، وكانت وقتها (عام 1986) تتميز بالاستقرار والأمان والهدوء ووجود عدد كبير من الجاليات الأجنبية بها.

ويعنى أيضا أنه سيتقدم نحوى لالتهامى وساعتها سيكون الحل الوحيد هو أن أفذف بنفسى فى البحيرة فأعطى الفرصة للتماسيح الأخرى لتتغذى بى ربما كانت أكثر جوعا. ومرت ثوان كأنها دهر حتى تنبه الأطفال إلى الموقف الحرج الذى أمر به فقذفوا ببعض الفراريج إلى التمساح الكبير فى اتجاه البحيرة فقفز وراءها من حيث أتى تاركا لى الفرصة للجري نحو السيارة وإغلاق الأبواب، وأخذت أنتنفس الصعداء. ثم ناديت الأطفال الذين أطعموا التمساح ومنحتهم مكافأة مجزية حيث أنه لولا فطنتهم لكنت فى العالم الآخر.

وفى اليوم الأخير استضافنى سفير فرنسا على الإفطار وبدأنا رحلة العودة إلى نيامى. وفى الطريق توقفنا عند قرية بوركيناياية بيوتهها أكواخ صغيرة ثم استكملنا الطريق وكانت الصعوبة أمامنا أن نتذكر أى الطرق سلكنا فى رحلة الذهاب حتى نتلافى المشاكل الناجمة عن دخولنا البلاد بدون ختم دخول، وبغناء شديد أمكننا مغادرة بوركينا فاسو من نفس المنطقة التى دخلنا منها. وأخيرا أصبحنا فى النيجر مجال نفوذنا وشعرنا بالأمان حتى وصلنا نيامى مع غروب الشمس. وبعدها توالى رحلاتنا البرية للدول المحيطة.

وإننى أنصح زملائى الشباب الذين يعملون فى أفريقيا أن يستفيدوا من وجودهم هناك لاستكشاف والتعرف على الدولة التى يعملون فيها وعلى الدول المجاورة لها لما للسفر والترحال من فوائد تنمى المعارف وترتقى بالشخصية.

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com



متسللين.

وصلنا إلى واجادوجو مع الغروب واستقبلنا الزميل رضا حليم، وأوصلنا جاك إلى سفارة فرنسا بناء على طلبه حيث طلب سفير فرنسا الذى قرر استضافته بدار السكن، بينما استضافنى المرحوم رضا فى منزله واصطحبنى فى جولة ليلية بواجادوجو لأتعرّف على المدينة فوجدت أنها أقل كثيرا من نيامى.

وفى صباح اليوم التالى قمت بزيارة سفيرنا الذى صمم على استضافتى فى دار السكن باقى الفترة وترك لى سيارة البعثة الرسمية لوجود مشاكل سياسية وأمنية فى البلاد بعد مقتل الرئيس توماس سانكارا على يد رفيقه وصديقه بليز كومباوريه وتولى السلطة بعده. وأوضح أن دار سكن السفير تقع أعلى السفارة خلف القصر الرئاسى وبالتالى فهى تحت حراسة مشددة من الجيش لذلك فهى آمنة من منزل رضا البعيد نوعا.

قاد المرحوم رضا سيارة السفارة وذهبنا إلى بحيرة التماسيح وهى بحيرة كبيرة بها لسان أرضى يمكن الدخول إليه لإطعام التماسيح بالفراريج التى يبيعها أطفال صغار السن داخل اللسان، وأوقفنا السيارة على مدخل اللسان ومشيت أتأمل البحيرة إلى نهاية اللسان. وفجأة انتبهت إلى تمساح ضخم بدأ يتسلق اللسان، وقدردت أن نجاحه فى الصعود إلى اللسان يعنى قطع الطريق على عودتى للسيارة

وبعد أن انتهيت من زيارة ولاياتها السبعة وحديقة الحيوانات المفتوحة (دبليو بارك)، قررت بصحبة عدد من أصدقائى وزملائى نواب رؤساء البعثات الدبلوماسية أن نتوسع فى التعرف على الدول المحيطة فزرنّا كانو وكادونا فى شمال نيجيريا الجارة الأنجلوفونية، ثم بدأت فى التجهيز لزيارة واجادوجو عاصمة بوركينا فاسو والتى تبعد عن نيامى حوالى 500 كيلومتر غربا. والطريق ممهد فى أجزاء وترابى فى أجزاء أخرى. وكان يعمل بسفارتنا هناك الزميل والصديق الراحل رضا حليم الذى شجعنى على المضى قدما فى الزيارة إلا أن معظم زملائى نواب رؤساء البعثات اعتذروا عن عدم المشاركة فى هذه المغامرة ما عدا السكرتير الأول لسفارة فرنسا جاك الذى قرر أن يصحبنى. وبدأنا نندارس معاً كيف نسافر وماذا نزرر استرشادا بتعليمات سفارتنا فى واجادوجو. ورغم أن سيارتنا بيجو وسيارتى أحدث من سيارته ومن الفئة الخامسة وكانت سيارته من الفئة الثالثة، إلا أننا فضلنا أن نستخدم سيارته حيث تحمل بوضوح علامات تشير إلى أنها تتبع سفارة فرنسا، وكانت فى ذلك الوقت، ومازالنا، ذات نفوذ ضخم فى كل دول المنطقة. وقمت بالقيادة خلال هذه الرحلة الشاقة حيث لم أثق فى قيادة زميلى الفرنسى.

وقد قادت السيارة لمسافة طويلة حتى لاحظت أعلام بوركينا فاسو فى عدة أماكن، وبدون أن نمر على نقطة حدود، فتوقفنا وسألنا بعض المارة فأفادوا بأننا قد أخذنا طريقا فرعيا بعيدا عن نقطة الحدود الرسمية. وحيث أننا اقتربنا جدا من العاصمة فمن الأفضل أن نواصل السير لنصل واجادوجو قبل الليل، مع تحذيرنا من أن نأخذ الطريق الرسمى عند العودة إلى نيامى، ونصحونا بالعودة بعد نهاية الزيارة من نفس الطريق الذى دخلنا منه وإلا سيتم حجزنا للتعرف على كيفية دخولنا، مع احتمال أن يتم اعتبارنا

الحب والكره فى حياة الناس

يلعب الحب والكره دورا مؤثرا فى حياة الناس.. وبطبيعة الحال يختلف الأمر من شخص لآخر فيمن يحب وفيما يحب وفيمن نكره وفيما نكره، وفى درجة الحب أو الكره فى كل حالة على حدة.. من الناس من يحب الخير للآخرين ويسعى فى جلبه لهم ما استطاع، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحبب الناس فى إسماء الخير لبعضهم البعض «لأن تمشى فى حاجة أخيك خير لك من عبادة عشر سنين».. من الناس من يحب الصدق فلا يكذب ولا يحاور ولا يداور ومنهم من يحب الكذب ويجرى على لسانه بسهولة وتلقائية.

وتفاؤل، ومنهم من يكره حياته ويتمنى الموت ولا يجد أية متعة فى العيش. كذلك من الناس من يحب المرح ويكره العبوس والنكد ومنهم من لا تعرف الابتسامة طريقا إلى وجهه فهو عابس دوما.. وأيضاً من الناس من يحب النظام فتجد تفكيره منظماً وجدول أعماله مرتباً وتجد غرفته منظمة مرتبة ويعرف الطريق إلى أوراقه ومستنداته، ومنهم من يستحب الفوضى ويكره النظام، أفكاره غير مرتبة وحياته «ملخبطة» ومظهره يدل عليه.

ومن الناس من يعشق الهدوء وصوته خفيض لا يسمعه إلا من يتحدث إليه، ومنهم من يكره الهدوء ولا تقلقه الضوضاء وصوته جهورى لا يسمعه فقط من هم على مقربة منه وإنما يسمعه القاصى والدانى فسبحان من خلق الأضداد وترك لنا أن نختار من بينها ما يتلاءم مع طبائعنا والتى إما أن تكون سوية وإما أن تكون معوجة.



سفير د. فتحي مرعي

عليها ولا يعبأ بنظرة الناس إليه واستهجانهم لتصرفاته وهو عبء على أهله وعلى المجتمع.

من الناس من يحب الرفق ويتعامل مع أهله والناس كافة باللين والسماحة ويكره العنف عملاً بسنة الرسول صلوات الله عليه وسلامه إذ كان يحب الرفق فى الأمر كله ومنهم من ينتهج سبيل العنف ويتعامل مع الناس بغلظة وفظاظة ويتناول عليهم معتبراً أن الرفق واللين علامة ضعف وهو يحب أن يراه الناس قويا قادرا، ومن الناس من يحب الحياة ويستقبل أيامه ببشر

ومن الناس من يحب الله ويسعى فى إرضائه بكل وسيلة، سواء بالعبادات أو المعاملات ولا ينتنى عن ذكره بالحمد والتسبيح والتمجيد ومنهم - والعياذ بالله - من لا تربطه بالله صلة ولا يذكره إلا قليلا ولا يلتزم بما أمر به ولا ينتهى عما نهى عنه فالله غير حاضر فى تفكيره وفى سلوكياته وتصرفاته.. من الناس من يحب والديه ولا يؤثر أحدا عليهما ويسعى فى إرضائهما ويطلب دعاءهما له بالخير والفلاح ومنهم من لا يطيق والديه ويضيق بهما ذرعا ولا يهتم بمشاعرهما مع أن الله تعالى يأمرنا بأن نحسن إليهما ونترفق بهما «فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما».. ومن الناس من يلتزم بالقوانين والأعراف السائدة فى المجتمع ويجتهد أن يكون عضوا نافعا فيه، ومنهم من يتلذذ بمخالفة القوانين أو الالتفاف حولها ويتصرف بشكل مناف للسلوكيات المتعارف

مصريين الإنقاذ والإصلاح

فى تاريخ الأمم أحداث ولحظات فارقة تفصل بين النجاح والفشل، والتقدم أو التراجع. وربما بين البقاء والصمود، أو الانهيار والزوال. وكلما اشتدت التحديات وتعاضمت المخاطر، وجب الحذر واليقظة ووضوح الرؤية عند اختيار المسارات، والتخطيط بدقة، والتطبيق بكفاءة متناهية، والقدرة على التكيف وضبط الدفة حسب شدة التيارات العكسية واتجاهاتها لضمان الوصول للمحطات المنشودة فى التوقيات المرجوة.

بشكل بات يمس الهوية المصرية لدى الملايين من المواطنين الذين عادت مشاعر وهواجس غربة الوطن تساورهم بشكل أشد وأعمق مما كانت عليه فى العهد السابق.. وبدأ الكثيرون يخشون على مستقبلهم ومستقبل أبنائهم فى ظل الأوضاع التى تنبئ بوضوح لاتجاه الدولة نحو السيطرة والاستبداد السياسى والهيمنة على مقدرات الوطن من قبل التيار الإسلامى المتطرف.. والجميع يعلمون أنه تيار يصعب تغييره إذا استتب له الحكم وتمكن من كل مفاصل الدولة.. وأصبح الأمل معلقاً بالمؤسسة الوطنية الوحيدة التى ظلت صلبة ومتماسكة وهى القوات المسلحة.. وتلاقت إرادتها وإرادة مختلف الأجهزة الشرطية والأمنية مع الإرادة الشعبية الغالبة متضمنة التيار السلفى.. وتصاعدت الفعاليات المعارضة لحكم الإخوان، وكان ما كان



د. وليد عوف

عضو المجلس المصرى للشئون الخارجية

w.auf@medmark.eg

إقليمية ودولية مؤثرة بشكل مكنها من اختطاف الساحة السياسية.. واعتلاء موجة الديمقراطية وتسييس الدين والهيمنة على الفعاليات الانتخابية وتحويلها لاختبار واختيار مغلوط بين الإيمان والكفر.. بعيداً عن أى منهج وطنى.. أو خطط أو برامج سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية محددة.. وتم تقسيم واستقطاب المواطنين بناء على القناعات الدينية وعصبياتها.. وسرعان ما تغير شكل الساحة السياسية والنيابية.. والإعلامية.. وتغير خطابها ورسائلها وسلوكياتها

ومصر قد مرت مؤخراً بأحداث ثورية متعاقبة فى أعوام قليلة، وتغيرات عميقة الأثر، كانت فى بداياتها واعدة بصحة وطنية لروح الانتماء والمشاركة الإيجابية لفئات عديدة من الشعب فى الشأن العام والممارسة الحقيقية لحقوق وواجبات المواطنة بشكل غير مسبوق بعد عدة عقود من الجمود والعزوف عن المشاركة. ورسمت هذه التطورات الإيجابية حالة من التفاؤل لإمكانية الانتقال بشكل سريع لتدارك ما فاتنا من تطبيق للممارسات الديمقراطية التى كنا نتطلع إليها ولا نتصور كيفية وإمكانية تحقيقها. ولم ندرك وقتها كشعب وكيانات حزبية ومدنية أن سرعة وشدة التغيرات وعمقها تحدث تيارات دوامية لها قوى شد وجذب متضاربة لم تكن مهيئين لها. واستغلت الأحداث التيارات الأصولية المتغلغلة فى ربوع الوطن والمتواصلة مع قوى

من أحداث فى يونيو ٢٠١٣، وإزاحة لحكم المرشد وجماعة الإخوان ورؤيسهم.. وما أعقب ذلك من مواجهات وأعمال شغب وإرهاب متصاعدة ومتواصلة من جماعات مسلحة ومنظمة بشكل خطير ومدعومة مالياً ولوجستياً وإعلامياً من أجهزة وحكومات دول إقليمية ودولية معروفة.. وخفية..

وتزايدت الضغوط والتحديات الداخلية والدولية من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والأمنية.. وامتدت لشريان الحياة الرئيسى للمصريين.. نهر النيل. وأصبحت البلاد معبأة فى معركة تحد وبقاء.. وأصبح الحفاظ على الدولة وتماسكها هو الأولوية الأولى.. ولا صوت يعلو فوق صوت إنقاذ الدولة.. ومحاربة الإرهاب ومخططات إسقاط مصر.. وأصبحت اللحمة الوطنية فرض عين.. والاصطفاف وراء القيادة وأجهزة الدولة واجباً حتمياً.. فى وجهة نظر الكثيرين من فئات وطوائف مختلفة.. وأصبحت المعارضة والنقد فى هذا الظرف أمراً مستهجناً.. والحديث عن الديمقراطية وقيم العدالة وحقوق الإنسان والإصلاح الشامل ترفاً يتعارض مع الأوضاع والتحديات القائمة.

وما من شك فى أن هذه التهديدات والتحديات حقيقية وأننا مررنا وما زلنا إلى درجة

كبيرة فى معركة شرسة. وأن تماسك جبهتنا الداخلية والتلاحم بين الشعب وقيادته وقواته المسلحة وشرطته ومختلف الأجهزة الأمنية أمر مهم للحفاظ على الوطن وإنقاذه.

والسؤال الذى نطرحه يدور حول العلاقة بين إنقاذ الوطن.. وإصلاح الوطن إصلاحاً شاملاً.. من مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتدعيم سيادة القانون شكلاً ومضموناً.. وتحقيق العدالة بمفهومها الشامل وصون حقوق الإنسان وكرامة المواطن.. والتقدم فى مسار بناء دولة ديمقراطية.. بشكل متدرج ومتواصل.. يحقق لنا وللأجيال القادمة الانتقال لمصاف الدول المتقدمة والمكانة التى تليق بمصر فى القرن الحادى والعشرين.

ويرى البعض أن إنقاذ الدولة يتعارض مع عملية الإصلاح الشامل التى أشير إليها ويلزم تأجيلها إلى أجل غير مسمى أو على الأقل لأجل غير محدد.. لأنه «لا صوت يعلو فوق صوت المعركة» وهو رأى له وجهة ومنطق غيور على سلامة الوطن لا ننكره. وفى ذات الوقت نحاوره من منطلق وطنى أيضاً. واختلاف الآراء إن صدقت النوايا والمقاصد هو اجتهاد حميد.. قد نخطئ فيه أو نصيب دون تراشق

وإطلاق متبادل للاتهامات.. وفى رأى الشخصى.. أن إنقاذ الوطن فى المرحلة السابقة هو الخطوة الأولى والضرورية فى مسار الإصلاح، وأننا قطعنا بالفعل شوطاً مهماً فى هذا المضمار، وبات مناسباً وضرورياً أن نتحرك فى خطوات متوازنة بين إتمام معركة الإنقاذ والشروع الجاد فى عملية الإصلاح الشامل. فنحن فى مرحلة يتكامل ويتلاقى فيها مسار الإنقاذ والإصلاح.

وإن كنا قد تسرعنا أكثر من اللازم فى التفاؤل فى بداية الأحداث عام ٢٠١١، فإننى أتمنى ألا نتأخر الآن أكثر من اللازم فى خطى الإصلاح. وأتطلع لأن نرى فى المرحلة المقبلة وبداية الفترة الثانية والأخيرة للسيد الرئيس رؤية محددة المعالم والتوقيات لعملية الإصلاح والنهضة الوطنية الشاملة على المدى القريب والبعيد يدور حولها حوار وطنى واسع الأطياف يستوعب مختلف الآراء وصولاً لبرنامج ودستور إصلاحى شامل يلتزم بتحقيق مراحل الأولى السيد الرئيس، وتعتبر باقى مراحل خطوات ومحطات استرشادية لمن يتسلم سدة الحكم من بعده.. ليتحقق الأمل المنشود وتنتقل مصر نقلة نوعية كبيرة فى خلال فترة زمنية مناسبة، وتعلو راياتها خفاقة ويستعيد شعبها مكانته التاريخية

فرانسيس فوكوياما:

نهاية عصر العالم أحادي القطب، وقيام نظام متعدد الأقطاب

ضمن أعمال القمة العالمية للحكومات بدبي، ذكر المفكر «فرانسيس فوكوياما» أن العالم يتجه نحو حالة من تعدد الأقطاب التي تجعل الاتفاق بين اللاعبين الأساسيين في النظام الدولي مستحيلاً. وأشار مؤلف كتاب «نهاية التاريخ والإنسان الأخير» في الجلسة التي حملت عنوان: «إعادة كتابة التاريخ: الدول الافتراضية الجديدة»، إلى التحولات الاجتماعية والسياسية التي تمر بها بعض الدول بسبب المتغيرات الاقتصادية والجيوسياسية في المنطقة العربية والعالم وإلى موضوع الإسلام السياسي، حيث أكد فوكوياما أن أكثر النسخ معاصرة من حركات الإسلام السياسي ستجد مشاكل وصعوبات في المصالحة مع شعوبها والاندماج والتطور في مجتمعاتهم، واعتبر أن حركات الإسلام السياسي لن تتمكن من الانسجام مع محيطها وستبقى معزولة ومحاصرة مما يزيد من خطورتها.

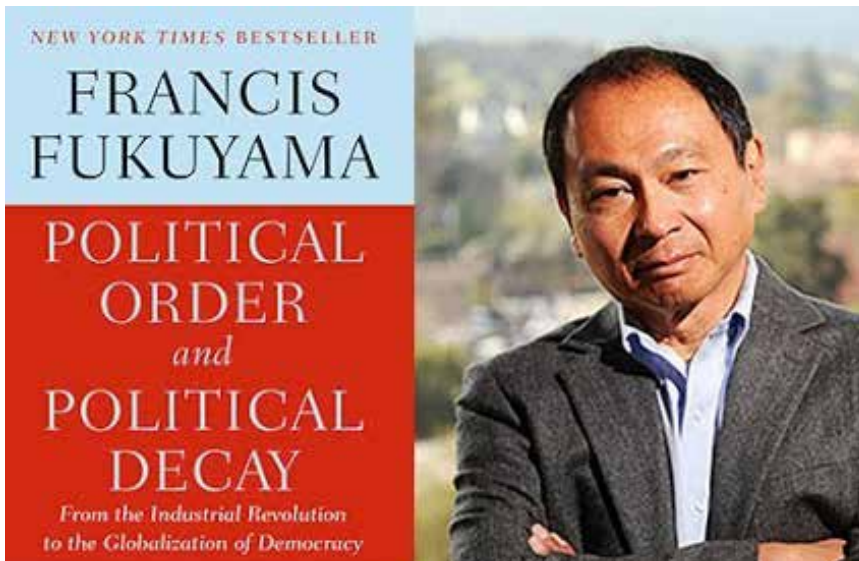
نحو تعددية الأقطاب.

تحدي التكنولوجيا الحديثة

واعتبر فرانسيس فوكوياما أن التكنولوجيا بتطورها المتسارع، تشكل فرصة رائعة لتطوير العلوم والاقتصاد، لكنها في الوقت ذاته تشكل تحدياً للدول والمجتمعات، حيث تعاظمت ظاهرة المخترقين والقرصنة، وأصبحت التنظيمات

التي يشهدها العالم في أكثر من مكان تؤثر سلباً على واقع العولمة بالرغم من تنامي عدد الدول والمؤسسات المطالبة بتطبيقها، مستعرضاً أهم التحديات التي تواجه النظام العالمي وداعياً الدول إلى ضرورة الانتباه للتحديات المقبلة وهي التكنولوجيا الحديثة والحيوية والنظام العالمي المتجه

وأضاف فوكوياما «إن القليل من الدول تبذل قدراً من الجهد لدعم التطور، وإن التكنولوجيا يجب أن تتطور في قلب المجتمعات وليس بمعزل عنها». وتحدث فوكوياما عن أهمية الحوكمة في عالم متعدد الأقطاب، وقال إنها تتحقق ضمن منظمات ومؤسسات حرة تعرف كيف ترصد المصالح المشتركة وتبنى العلاقات على أساسها. واعتبر أن تعدد المؤسسات والمنظمات الدولية أمر جيد من ناحية، لأنه يسمح بأن تمارس كل منها مهاماً محددة فتلبى جميعها متطلبات البشر، ولكن هذا التعدد قد يساهم في تشكل مجتمع دولي متعدد الأقطاب لا يتفق على معايير واحدة للحوكمة. كما تطرق إلى أهمية العولمة واعتبرها وسيلة للتواصل بين المجتمعات والثقافات وتبادل السلع والخدمات، وأوضح أن الصراعات



صدر في 2014



أنور قرقاش وزير الدولة للشؤون الخارجية الاماراتى يناقش فرانسيس فوكوياما

الجديد والتى تجلت فى صعود الصين كقوة اقتصادية مؤثرة، وظهور مراكز قوى دولية جديدة. وتوقع فوكوياما أن تصبح الصين القوة الأولى فى العالم بعد سنوات قليلة، ونوه بأن حجم تمويل المصارف الصينية لمشاريع التنمية فى العالم بلغ 75% من إجمالى تمويلات المصارف الدولية للمشاريع المماثلة.

وأكد أن أحد أهم التحديات التى تواجه العالم فى المستقبل، هو تنامى النزعات الشعبوية نتيجة غياب العدالة فى ظل العولمة واتساع فجوة التفاوت الاجتماعى بين الفئات الشعبية، وقال: «من الغريب أننا سنشهد انهيار النموذج الغربى الديمقراطى الذى بنته أنظمة لم تراكم تجاربها على أيدى شعوبها».

للإنترنت وطالبها باتخاذ ما يلزم لحماية الفضاء الإلكتروني.

تحدى التكنولوجيا الحيوية

وتناول فوكوياما التحديات التى أفرزها تطور التكنولوجيا الحيوية، وقال: «فى البداية اقتصرت المخاوف على أثر الأسلحة النووية التى يمكننا رصدها وتتبعها، والتى تحتاج إلى ميزانيات كبرى لتطويرها، أما اليوم فيمكن من خلال مختبر صغير فى شاحنة متنقلة، أن تقوم مجموعة من الهواة بتطوير فيروسات خطيرة وقاتلة تهدد حياة الملايين من البشر.

صعود الصين كقوة

اقتصادية مؤثرة

أما التحدى الثالث الذى تناوله فوكوياما فيتمثل فى التغيرات الجوهرية فى النظام العالمى

الإرهابية تستخدمها للترويج لأفكارها وجرائمها ولتجنيد المزيد من المقاتلين. وأضاف فوكوياما إنه لا يتوقع أن نشهد خلال المرحلة المقبلة ظهور تنظيمات افتراضية خطيرة تستخدم أسلحة لا يمكن رصدها أو السيطرة عليها. وأشار إلى «إن الأخبار الكاذبة والتضليل وما يترتب عليها من فوضى فى المعلومات والبيانات نتيجة العبث بما يُنشر عبر الإنترنت قد تتسبب فى حالات من الإرباك خاصة فى بعض المجالات الحساسة مثل أسواق المال». وشدد على أهمية وضع قوانين منظمة للنشاط الإلكتروني واستشهد بتجربة البرلمان الأوروبي الذى فرض غرامات مالية ضد من يسيء استخدام الإنترنت، وأشار إلى مسؤولية الشركات المزودة

السفير د. محمود مرتضى.. وداعاً

تلقيت بحزن شديد وألم صادق نبأ رحيل الأستاذ الجليل والصديق العزيز السفير الدكتور محمود مرتضى عن عالمنا، والذي كان يعاني من المرض منذ فترة ليست بالقصيرة، وكنت حريصاً دائماً على التواصل معه والاطمئنان عليه عبر المكالمات الهاتفية من آن لآخر كلما سنحت الفرصة وسمحت الظروف.

وضعه كدبلوماسى، وكان رده آنذاك أنه يكتب ما يعتقد ويؤمن به بغض النظر عن أى اعتبار آخر لأن على الكاتب مسئولية أخلاقية تجاه القارئ طالما كانت الكتابة موضوعية ولا تشخصن الأمور أو تعتمد إلى ممارسة التجريح فى الآخرين أو السعى للنيل منهم، ثم أذكر أنه توقف قليلاً وأضاف أنه أيضاً كان يعلم أنه عادة فى دوائر السلطة فى غالبية بلدان العالم الثالث لا أحد يقرأ، وإلا لما كان الحال كما هو عليه بالنسبة للعدد الأكبر من تلك البلدان. وقد ظل هذا الحديث عالقاً بذهنى، وأذكره كلما أقدم على كتابة مقال أو كتاب.

وبعد سنوات، وبعد انضمامي لأسرة الدبلوماسية المصرية، أتيت لى الفرصة للتعرف شخصياً على السفير مرتضى حيث لاحظت التواضع الشديد الذى ميزه، وهى خاصية التصقت به واستمرت معه بما عكس طبيعته المقتربة من الناس والمتألفة معهم بشكل عام. كما كان من سمات هذا التواضع لدى الراحل الكريم أنه عندما كان يخاطبني فى خطابات متبادلة بتعبير «أخى الأعز». وقبل أيام من سفرى للعمل



سفير د. وليد محمود عبد الناصر
walidabdelnasser@yahoo.com

والالتزام المنهجى والتوجه الفكرى الذى يعكس وضوح الرؤية لدى الكاتب. وأذكر أنه بعد ذلك التاريخ بسنوات طويلة، وعندما توطدت علاقتي بالراحل الكريم، سألته يوماً كيف كان يكتب فى عدد من الدوريات التى كانت تصدر فى أوروبا فى سبعينات ومطلع ثمانينات القرن العشرين بواسطة مفكرين ومناضلين يساريين مصريين وعرب، خاصة فى فرنسا وبريطانيا، مثل «اليسار العربى» و«أوراق ديمقراطية»، واللذين رأس تحريرهما أستاذنا الجليل المفكر الراحل الأستاذ محمود أمين العالم، و«المنار»، التى رأس تحريرها الراحل الدكتور أمير إسكندر، دون أن يخشى من أن يؤدى ذلك إلى الإضرار به فى ضوء

وقد تناولت كتابات منذ وفاته سيرته ومسيرته وقامت بتغطية الكثير من جوانب حياته وعطاءه رحمه الله، وفى المقدمة منها والأكثر تأثيراً فى النفس هو ما كتبه عنه وفى رثائه السيد السفير الدكتور مصطفى الفقى رئيس مكتبة الإسكندرية ورفيق دربه وصديق عمره، كما أعلم جيداً ومنذ سنوات طويلة حجم الصداقة التى كانت تربطهما. ولذا سوف أكتفى هنا بملقطات ومشاهد بعينها عن السفير مرتضى من خلال تجربة شخصية لى معه وأنتقل من التجربة الشخصية إلى ما تعكسه هذه المواقف من شخصيته الكريمة وخصاله الإنسانية الرحبة وشعوره بالالتزام الاجتماعى تجاه الآخرين، خاصة من الشباب.

وكانت معرفتى بالدكتور مرتضى سابقة بسنوات على معرفتى الشخصية به، وجاءت عن طريق متابعتى لكتابات، سواء تلك التى كانت تنشر داخل مصر أو فى بلدان عربية أخرى أو على الصعيد الدولى، سواء فى صحف أو دوريات متنوعة. وقد جذبنى بشكل خاص إلى كتاباته أنها تجمع بين الكتابة الشيقة والأسلوب السهل

والاستمتاع بالحياة أيضاً، وتضيف أبعاداً جديدة على المنهج اليومي فى التفكير الذى تفرضه متطلبات العمل الوظيفى. وبالفعل أرسلت لعنايته على مدى عامين بحثين كبيرين عن موضوعين مهمين للسياسة الخارجية المصرية، وقام مشكوراً بالتواصل مع السفير الراحل توفيق حسنين مدير إدارة المعلومات، الذى اطلع عليهما وأبدى مشكوراً الاقتناع والإعجاب بهما وقام بتوزيعهما داخل الوزارة وعلى البعثات بالخارج.

إننى أذكر هذه اللقطات لإعطاء مثال حى على مدى ما كان يبذله الراحل الكريم من جهد لتشجيع الشباب من الدبلوماسيين ومن المثقفين وتحفيزهم وتوفير الفرص لهم للتميز والعطاء. ولا يمكننى أن أختتم هذا المقال دون الإشارة إلى الدور الكبير الذى لعبه الراحل الكريم فى إنشاء وتطوير مجلة «الدبلوماسي» لأكثر من عقدين من الزمان فكان حريصاً على حضور الاجتماعات التحضيرية الخاصة بإصدار أعداد المجلة وصياغة سياستها التحريرية وتقييم مسيرتها، ولم يبخل بالرأى أو التشجيع، تجاه من تولى مسئولية تحرير المجلة أو إزاء من يساهم بالكتابة فيها، بما فى ذلك الشباب من الكتاب من صفوف الدبلوماسيين. أدعو الله له بالرحمة والمغفرة وأن يسكنه فسيح جناته ويلهم أهله وأحبائه وأصدقائه وتلاميذه، وهم أكثر، الصبر والسلوان.



تناول الشاى معه فاجأنى بالسؤال بلهجة معاتبة: «لماذا لم تكتب أبحاثاً للوزارة؟ ولماذا انخفض إنتاجك من الكتابات فى «السياسة الدولية» وغيرها؟» فأوضحت أن الوقت لا يسعف فى ضوء متطلبات العمل وبدء الدراسة للحصول على الدكتوراة، ولكنه رفض هذا المنطق، وطالبنى بأن أضغط على نفسى لكى أكتب، سواء بغرض التوزيع داخل الوزارة أو النشر خارجها، موضحاً أن الكتابة موهبة وهى فى ممارستها بشكل مستمر ومتواصل تثرى بشكل مباشر القدرات الذهنية للإنسان وتنميها مما يصب لصالح التركيز فى العمل

بالخارج، تقابلت معه وبعد أن قمت بتحيته استوقفنى وسألنى إذا كنت أنا نفس الشخص الذى يكتب فى دورية «السياسة الدولية» أم أنه تشابه فى الأسماء، فأوضحت له أننى نفس الشخص، فقام بتشجيعى بقوة على الاستمرار فى الكتابة متفوهاً بألفاظ كريمة بحق أسلوبى فى الكتابة وقدراتى البحثية، ثم استطرد مطالباً إياى أيضاً بكتابة أبحاث ودراسات فى مجالات تهم السياسة الخارجية المصرية فى إطار عملى. وبعد شهور من هذا الحديث جاء إلى جنيف مع الأستاذ الدكتور بطرس غالى، باعتباره مديراً لمكتبه، وأثناء



الفنان أحمد بيومي (بشاير النصر)



لونه وتقنيات بأسلوبه الخاص .
شارك في العديد من المعارض
والمهرجانات الجماعية المصرية
والعربية والدولية في مناسبات
الأعياد والقضايا ذات الطابع
الوطني والعربي القومي بجانب
المعارض الشخصية السنوية.
والفنان يتمتع بعضوية نقابة
الفنانين التشكيليين والجمعية
الأهلية للفنون الجميلة كما شارك
في العديد من الورش والعروض
الفنية للبرترية والمناظر
الطبيعية الصامتة وهو يؤمن
بأن الفن والعلم لا يفترقان وله
العديد من الأعمال في مجال
الرسوم المتحركة والكاركاتير
ورسوم كتب الأطفال والاعلانات



اقام الفنان معرضا لاعماله
الفنية من اللوحات الزيتية
في قاعة محمود مختار وكان
المعرض بعنوان (بشاير النصر)
والفنان من مواليد عام 1966
وحاصل على بكالوريوس كلية
الفنون الجميلة عام 1988 قسم
الديكور/فنون تعبيرية (سينما
ومسرح وتليفزيون/ تخصص في
ديكور السينما، والفنان المتميز
ينتمي الى المذهب الانطباعي
مستخدما ألوان الزيت على القوال،
وتتناول أعماله الواقع المصري
المستوحى من الفلكلور والتراث
الشعبي والحضارة المصرية
بموروثاتها المعاصر بمعالجه

الفنان هشام بركات (العين)



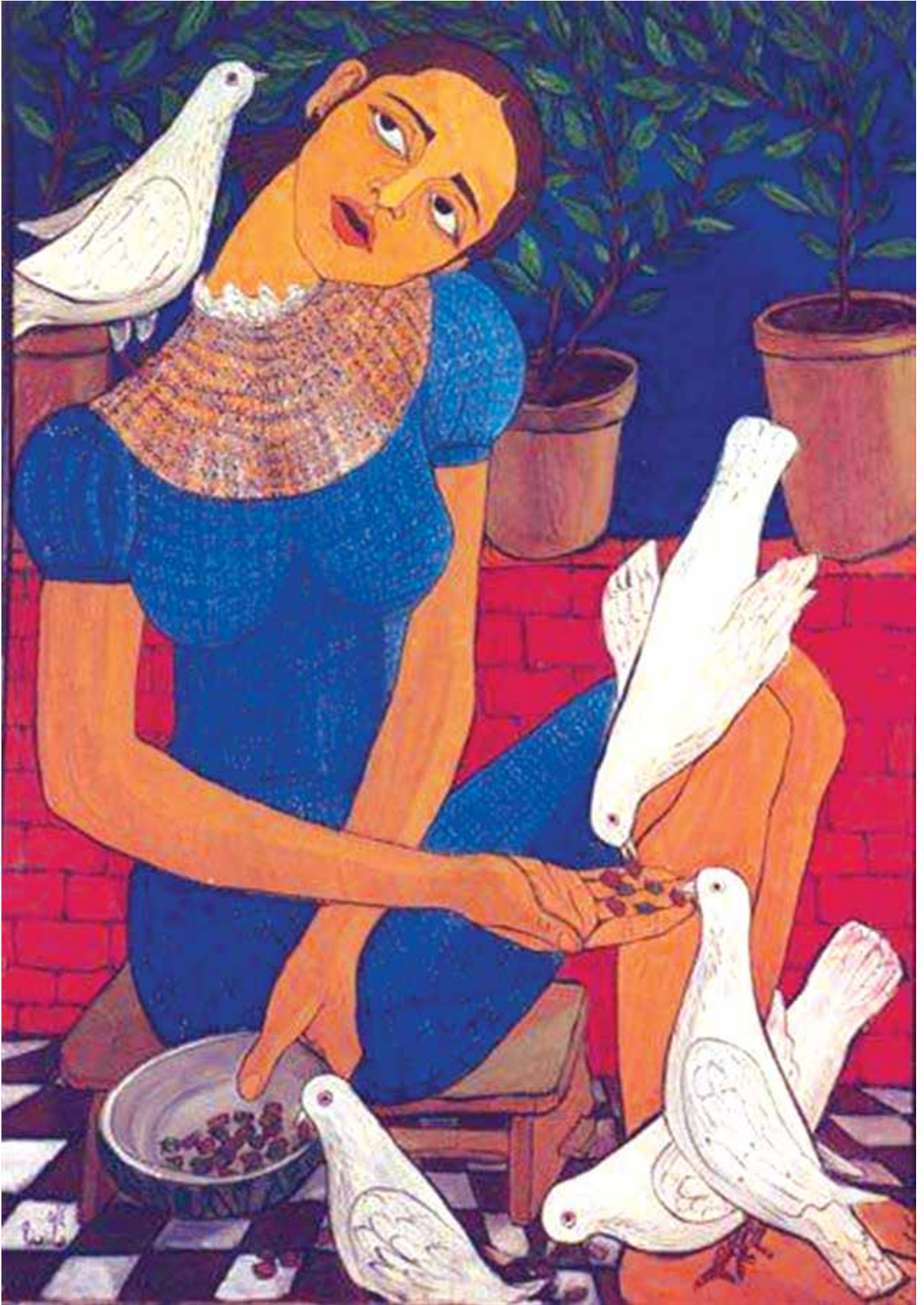
التليفزيونية.

وقد ولد أعجبت كثيرا بمشاهدتي الأولى لأعمال الفنان وبصفه خاصة فى فن البورتريه الذى تفوق فى مجاله الى أقصى الحدود حيث اثبت قدرته الابداعية الخاصة ورؤيته التى تتسم بالعمق والدقة والتأى وخاصة فى هذه المجال الذى يخشاة الكثير من الفنانين هذا بالضافة الى المشاهد الطبيعية حيث التفوق فى قواعد الضوء والظل . ولا يسعنى الا تسجيل اعجابى وتقديرى لقدرات الفنان احمد بيومى فى ابداعه الفنى.

اقام الفنان هشام بركات فى القاعة المستديرة بنقابة الفنانين التشكيليين معرضا وكان عنوان المعرض (العين عنوان) .

الفنان تخرج من المعهد العالى للسينما (قسم ديكور) بمصر عام 1989 كما درس الفن الحديث فى اسبانيا عام 1990 ، وكذلك فى الولايات المتحدة عام 1991 واقام العديد من المعارض فى الولايات المتحدة (لوس أنجلوس / كاليفورنيا) وكذلك فى أسبانيا ، وفى مصر (قاعات اتيلية القاهرة / اكااديمية الفنون / ساقية الصاوى / وكالة الغورى) وله العديد من المقتنيات فى الولايات المتحدة واسبانيا.

يقول الفنان ان مجموعة العين هى مجموعة لوحات تعبر عن تدفق المشاعر تجاه الكائنات الحيه سواء بشرا أو حيوان بخطوط واشكال تجريبية بحثه فتارة لا تظهر العين وتارة تتوارى بالشكل التجريبي والوانة البسيطة لتعطى لنا الغموض المحبب بدراما التشكيل .



من روائع الفن التشكيلي للفنانة جاذبية سرّي

مستروعك عندنا

هنساعدك تعمله وكمان هنموله



برنامج تمويل المشروعات الصغيرة والصغيرة جداً
في إطار

مبادرة البنك المركزي لتمويل المشروعات الصغيرة

- برامج تمويل مختلفة تناسب كافة المشروعات
- أقل سعر فائدة ٥% (فائدة متناقصة)
- فترات سداد مرنة تتفق مع إحتياجات كل عميل
- شروط وإجراءات مبسطة وخدمات إستشارية مجانية
- بجميع فروعنا المنتشرة في أنحاء الجمهورية

• تطبق على المشروعات الصغيرة والصغيرة جداً طبقاً لشروط وأحكام مبادرة البنك المركزي

5%



Housing & Development Bank
بنك التعمير والإسكان

19995

بنك كبير و الأول في التعمير

f/HDBankOfficial

www.hdb-egy.com

مين قال إنك ماينفعش تسافر زي زمان؟

قدم دلوقتي على بطاقة ائتمان
CIB-EGYPTAIR Mileseverywhere
لفرصة الفوز بتذكرتين طيران كل أسبوع

للاشتراك في المسابقة، ارسل رقم «٢٢» على ١٦٦٤٤
من ٢٨ فبراير ٢٠١٨ وحتى ١٥ مايو ٢٠١٨



أفضل بنك
على مستوى العالم

في الأسواق الناشئة من يورومني



تُطبق الشروط والأحكام

بنك تثق فيه



/CIBEgypt

WWW.CIBEG.COM

١٩٦٦٦ VITE